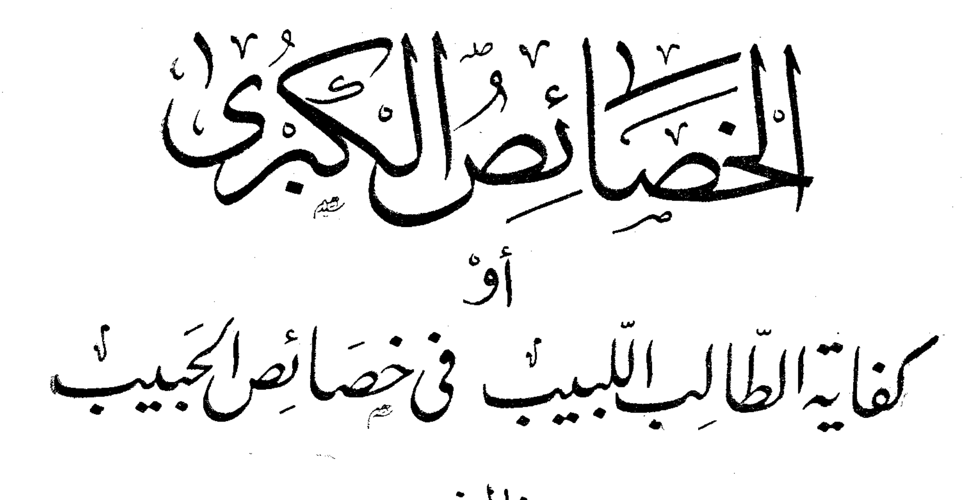


تأليف

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى

٨٤٩ - ٩١١ هـ

تحقيق

الدكتور محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر

الجزء الأول

الناشر

دار الكتب الحديثة

١٤ شارع الجمهورية بعابدين

تليفون ٩١٦١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين . أما بعد .

فلعل من أهم العلوم الدينية وأقربها إلى الوجدان ، وأبلغها أثرا فى تقويم السلوك وتربية العواطف الشريفة ، هو علم السيرة النبوية والخصائص المحمدية ، فإنه المرآة التى تنعكس منها تلك الصورة التى تعتبر بحق أرقى صورة للحياة البشرية ، حيث كان محمد صلى الله عليه وسلم يرسم بأعماله وأقواله وجميع تصرفاته المثل الإنسانى الأعلى الذى يجب أن تهدف إليه جهود البشر فى سيرهم نحو الكمال المنشود .

إن ثلاثة وعشرين عاما وهى جملة السنين التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا قد لا تكون فى مقياس الزمن شيئا مذكورا ، إذا قيست إلى ماقضته الإنسانية من حقب وأجيال ، ولكنها فى مجال التربية والإصلاح ورسم قواعد السلوك البشرى الفاضل ووضع المعالم والحدود لحياة الإنسان كما يحب رب الإنسان ، وبما يحقق الغاية من وجوده لأرجح فى الميزان من كل ماغبر من حقب وأجيال ، وإن ألفا وأربعمائة سنة إلا قليلا قد مضت على نهاية تلك الحياة تطورت الإنسانية خلالها تطورات هائلة حتى وصلت فى تقدمها المادى إلى مانراه الآن من تسخير كل قوى الكون والكشف عن مَسَاتِيره ، وحتى أصبحت تتطلع إلى الصعود فوق الكواكب الأخرى ، غازية ومكتشفة . ومع ذلك لاتزال تلك الحقبة من الزمن – وهى حقبة النبوة – تتراءى للعقول والنفوس قوية مشرقة لم يُبْلِ جِدَّتَهَا تقادم العهد ولا تطاول الزمان .

ولكن أى سيرة نعنى ؟ إنها السيرة التى تنقل إلينا تلك الحياة مَجْلُوَّةً بخصائصها ومُقَوِّمَاتها ويكون الخبر فيها مطابقا للواقع بلا مبالغة ولا تزيد ، فإنه لاشىء أفسد للتاريخ والسير من تلك الروايات المحلقة فى سماء الخيال ، والتى تنقل الحياة البشرية من عالم الواقع إلى جو الأساطير ، وليست هناك حياة كانت على الأرض هى أغنى بواقعها المجرد من حياة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، فهى حياة تنطق كل حركة منها ويشهد كل موقف من مواقفها بأنها حياة بلغت فى السلوك البشرى حد الإعجاز . وإن خصائصه ومعجزاته التى نطقت بها آيات الكتاب الكريم والسنن الصحيحة والآثار المعتبرة ،لهى من الكثرة والوفرة بحيث لاتحتاج إلى تلك الزيادات التى يمجها الذوق السليم وتَعَافُهَا حياة الفطرة ، والتى لايشهد لها سندصحيح ولا نقل مُوَثَّق ، بل عامتها من وضع الزنادقة والمنحرفين .

هذه مقدمة أسوقها إليك أيها القارىء العزيز لتجعلها دستورا لك عندما تقرأ فى كتب السيرة فلا تسارع إلى قبول كل رواية أو خبر ولا تعجل بالتصديق قبل البحث والتمحيص للأثر ،وامش الهوينا ونح من طريقك الشوك والأذى ، ولا تأخذ إلا بما تحقق لديك صدقه واطمأن إليه قلبك من الروايات والأخبار . ودع عنك الطرق المظلمة وماتحويه من غرائب ومناكير ، واعلم أن الاستغناء بالحق وإن قلّ خير من التورط فى الباطل وإن جَلَّ . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد خليل هراس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أطلع فى سماء النبوة سراجا لامعا وقمرا منيراً ، وأطلع من أكمام[1] الرسالة ثمرا يانعا[2] وزهرا منيرا ، تبارك اسمه ، وتمت كَلِمُهُ ، وَعَمَّتْ نعمُهُ ، وَجَمَّتْ[3] حِكَمُهُ ، وجرى بما كان وبما يكون قلمه[4] أوجد الأنام من العدم ، وجعل الضياء وَالظُّلَمَ ، وخلق اللوح والقلم ، وقدر الآجال والأرزاق والأعمال وقسم ، أحمده وهو المحمود أزلا وأبداً ، وأشكره مستزيداً من نِعَمِهِ مسترفدا[5] وأستهديه ، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا

---

(١) جمع كم بكسر الكاف وهو الغلاف الذى يحيط بالزهر أو الثمر أو الطلع فيستره ثم ينشق عنه ويجمع على أكمام وأكمة وكمام وأكاميم .

(٢) يقال : ينع الثمر يينع بفتح النون وكسرها ، وأينع بمعنى أدرك وطاب وحان قطافه .

(٣) الجم الكثير من كل شىء يقال جاؤوا جما غفيرا ومنه الجمة للبئر الكثيرة الماء والجمة لمجتمع شعر الرأس .

(٤) حديث القلم وارد من طرق عن أبى هريرة وعبادة بن الصامت وابن عباس من رواية مقسم وأبى الضحى وأبى ظبيان ومجاهد ولفظ رواية مجاهد (قيل لابن عباس إن هاهنا قوماً يقولون فى القدر فقال إنهم يكذبون بكتاب الله عز وجل . لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه إن الله عز وجل كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال اكتب فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه) .

(٥) الرفد العطاء واسترفده طلب عطاءه .

مرشداً ، وأستنصره ولن تجد من دونه مُلْتَحَداً [١] ، وأستكفيه [٢] وله الحول [٣] ، والقوة سرمدا [٤] ، وأستعينه ونعم المولى والنصير مُؤَيِّداً ، وأعتصم به وأستمسك بحبله فلا انفصام له أبدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً ، أحدا ، فردا صمدا [٥] لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، تنزه عن سِمَاتِ [٦] المحدثات فلا جسم ولا عرض ولا صوت ولا انتقال ، ولا يحويه مكان ولا زمان ولا يخطر بالبال ، ولا يدركه العقل ولا يحيط به الإدراك ولا للذهن إلى حقيقته مجال [٧] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي ماضل وماغوى ، وما ينطق عن الهوى ، ﴿ ولقد رآه نَزْلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ﴾ [٨] ، وسمع صريف الأقلام بالْمُسْتَوَى ، وكتب الرحمن اسمه على العرش إذ اسْتَوَى [٩] وآذن باسمه فى المبتدأ فى الأرض

---

(١) أى ملجأ تميل إليه .

(٢) اطلب كفايته .

(٣) الحول هو القوة والقدرة على التصرف .

(٤) السرمد : الدائم .

(٥) الصمد السيد الغنى الذى يصمد إليه الخلق فى حوائجهم وقيل المصمت الذى لا جوف له .

(٦) جمع سمة وهى العلامة .

(٧) قوله فلا جسم الخ فيها أسلوب لا دليل عليها من الكتاب أو السنة والواجب هو الاعتصام بهما فى الإثبات والنفى جميعاً .

(٨) يعنى أن محمدا عليه السلام رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى على صورته الملكية وذلك ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى والسدرة شجرة النبق وسميت سدرة المنتهى لأنه عندها ينتهى علم الملائكة فلا يتجاوزونها .

(٩) أخرجه الحاكم وصححه وأقره السبكى فى شفاء السقام والبلقينى فى فتاويه ، ولكنه غير صحيح ففى سنده عمرو بن أوس وهو مجهول .

وفى السماء ، ويوم النشأة الأخرى سَلَّمَ عليه الحجر والشجر ، ودَّر له ضَرْعُ الجَذَعَة بالدُّرَرِ (١) وحنَّ الجذع لفراقه حتى خار خُوار البقر ، ونبع الماء من أصابعه ومن الأرض انفجر ، وانشقَّ له وكان يناغيه فى مهده القمر ، وَحَيَّ له الميت ، وآمنت لدعوته أسْكُفَّةِ الباب وحوائط البيت (٢) ، وأشار إلى السحاب بالغيث ، فأجاب من غير رَيْثَ هَيْثَ (٣) صلى الله عليه وسلم صلاة تُسْعِدُ عند المات ، ووَتُسْعِنُ عند أهوال المسألة بالثبات ، وتُجِيزُ على الصراط إذا كثر الزَّالونَ والزَّالاَّتِ ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ، ولُيوث العدى ، وغُيُوث الندى ، ماصاح حَادٍ وَشَدَا (٤) . وراح شادٍ وغدا ، وضَابَ غَادٍ وهدى ، وغاب صَادٍ وَنَدَا ، وصال بَادٍ وَوَدَى ، وسال وَادٍ وجَدَى ، هذا كتاب مرقوم يشهد بفضله المقربون . وسحاب مركوم يحيي بوَابِلِهِ الأَقْصَوْنَ والأقربون . كتاب نفيس جليل ، محلُّه من الكتب محلُّ الدُّرَةَ من الإكليل ، أو موضعُ السجدة من آى التنزيل ، كتاب أَمْرَعَتْ (٥) قطَرَاتُهُ ، وأينعت ثمراته وَعَبَقَتْ (٦) زَهَرَاته ، وأشرقت أنواره وَنَيِّرَاته ، وَصَدَّقَتْ أَخْبَارَه آياتُهُ ، كتاب بَسَقَتْ (٧) فُنُونه ، وأورقت غصونه ، واتسقت أسانيده وَمُتُونه ، كتاب يُؤْجَرُ

---

(١) در الضرع أى كثر لبنه .

(٢) حنين الجذع ونبع المـاء وانشقاق القمر كلها معجزات صحيحة واردة فى الصحيحين وغيرهما وأما مناغاة القمر فى المهد وإحياء الميت وإيمان الأسكفة والحيطان فهى آثار موضوعة أو واهية .

(٣) يقال راث يريث ريثا وتريث إذا أبطأ .

(٤) يقال شدا يشدو شدوا إذا أنشد شعرا فمد به صوته كالغناء ويقال شدا الإبل حداها .

(٥) أخصبت .

(٦) انتشر ريحها .

(٧) طالت وامتدت .

قارئه ومستمعه ، ويحفظ به إن شاء الله تعالى مؤلفه فيما يأتيه وَيدَعُه ، وَيُثَبِّتُه بالقول الثابت إذا حان مَصْرَعُهُ[١] ويكون له فى عَرَصَاتِ[٢] القيامة نورا يسعى بين يديه ويتبعه، كتاب جمع فأوعى، ما كلَّ عن جمعه ووهى[٣]، كل بطل شديدالقوى ، كتاب فاق الكتب فى نوعه جمعاً وإتقاناً ، يشرح صدور المهتدين إيقاناً، ويزداد به الذين آمنوا إيماناً ، ديوان مستوف لما تناسخته السَّفَرَةُ الكرام الْبَرَرَة ، مستوعب لما تناقلته أئمة الحديث بأسانيدها المعتبرة ، مشتمل على ما اخْتُصَّ به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة ، والخصائص التى أشرقت إشراق البدور السافرة ، أَوْرَدْتُ فيه كل ماورد ، ونزهته عن الأخبار الموضوعة ، وما يُرَدُّ[٤] وتتبعت الطرق . والشواهد ، لما ضعف من حيث السند ، ورتبته أقساماً متناسقة ، وأبواباً متلاحقة ، بحيث جاء بحمد الله كاملا فى فَنِّهِ ؛ وابلا مَطَرُ دُجْنِهِ[٥] سَابِغَةً[٦] ذُيُولُهُ ، سَائِغَةً نُيُولُهُ[٧] ، حُلَلُهُ ضافية، وَمَنَاهِلُهُ صافية ، وموارده كافية ، ومصادره وافية ، لاَ تُجْمَعُ واردة إلا وهى فيه مسموعة ، وَلاَ تُسْمَعُ شَارِدَةٌ[٨] إلا وتراها فى ديوانه مجموعة، قَرَّبْتُ فيه ما كان بعيداً . وآنَسْتُ[٩] ما كان فريداً ، وأَهَّلْتُ[١٠] ما كان شريداً وفتحت لكل

---

(١) هلاكه . (٢) جمع عرصة وهى الساحة أو الفناء .

(٣) ضعف .

(٤) هذا ليس بصحيح فإن فى هذا الكتاب كثيراً من الأخبار الواهية والموضوعة :

(٥) كثيرا مطر سحابه . (٦) طويلة وافرة .

(٧) جميع نيل بفتح النون بمعنى ما ينال أو نيل بكسرها بمعنى السحاب .

(٨) أى غريبة شاذة .

(٩) من الإيناس الذى هو ضد الإيحاش .

(١٠) يعنى جعلت له أهلا يقال تأهل فلان إذا تزوج .

غريبة وصيداً[١] وشرحت به صدور قوم مؤمنين . وقلوب طائفة آمنين ، وَغِظْتُ به الجاحدين والمفسدين ، والطائفة المبتدعة والملحدين[٢] والفلاسفة المتمردين[٣] ، ورجوت به الحسنى ومن يهده الله فهو من المهتدين .

باب خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم

بكونه أول النبيين فى الخلق وتقدم نبوته وأخذ الميثاق عليه

أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره وأبو نُعَيْم فى الدلائل من طرف عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ الآية . قال: « كنت أول النبيين فى الخَلْقِ وآخِرُهم فى البعث فبدأ به قبلهم »[٤] .

وأخرج أبو سهل القطان فى جزء من أماليه عن سهل بن صالح الْهَمَدَانِيِّ قال : سألت أبا جعفر مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخِرُ مَنْ بُعِثَ ؟ قال : إن الله تعالى لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذُرِّيَاتِهِمْ وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بربكم ؟ كان محمد صلى الله عليه وسلم أَوَّلَ من قال بلى ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من يُبْعَثُ[٥] .

---

(١) الوصيد الباب . (٢) جمع ملحد وهو المنكر للنبوات والشرائع .

(٣) الفلاسفة جمع فيلسوف وهى كلمة يونانية مركبة من فيلو بمعنى محب وسوف بمعنى الحكمة فالفيلسوف هو محب الحكمة .

(٤) الحديث غير صحيح رواه أبو نعيم فى الدلائل والديلمى فى الفردوس وفى سنده بقية وهو متهم وسعيد بن بشير وقد ضعفه بن معين وغيره وقد حكم الصغانى وابن تيمية على هذا الحديث بالوضع ، ودلائل أبى نعيم وحليته مليئتان بالمنكرات .

(٥) لا شك أنه صلى الله عليه وسلم أعظم من شهد لله بالربوبية وقام بالتوحيد علما وعملا وحالا ودعوة ، ولكن مثل هذا الكلام يحتاج إلى توقيف لأنه ليس مما يقال بالرأى .

وأخرج أحمد والبخارى فى تاريخه والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نُعَيْم عن مَيْسَرَةَ الْفَخْرِ قال : قلت يارسول الله متى كُتِبْتَ نبيا ؟ قال « وآدم بين الروح والجسد »

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقى عن الْعِرْبَاضِ بن سارية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى عند الله فى أمِّ الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طينته[1] » .

وأخرج الحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خَلْقِ آدم وَنَفْخِ الروح فيه » .

وأخرج البزار والطبرانى فى (الأوسط) وأبو نعيم من طريق الشَّعْبِى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قيل يارسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد[2] » .

وأخرج أبو نُعَيْم عن الصُّنَابِحِىِّ قال: قال عمر رضى الله عنه : متى جعلت نبيا ؟[3] قال (وآدم مُنْجَدِلٌ فى الطين)[4] مرسل .

---

(١) هذا الحديث صريح فى أن المراد بتقدم نبوته على خلق آدم إنما هو تقدمها فى علم الله عز وجل لقوله (إنى عند الله فى أم الكتاب) وبهذا لا يحتاج إلى تلك التفسيرات العجيبة التى أوردها المؤلف عن السبكى لا سيما وقد بناها على غلو صوفى مقيت يضاهىء به ما قالته النصارى فى عيسى عليه السلام .

(٢) فيه جابر ابن يزيد الجعفى وهو ضعيف ولفظ الحديث متى كتبت نبيا ؟ .

(٣) ليس فى الأحاديث ما يدل على الخصوصية والرسول عليه السلام إنما أراد إجابة السائل ولم يرد التعريف بشىء يخصه فيجوز أن يكون حكم الأنبياء كلهم كذلك .

(٤) المرسل ما سقط منه الصحابى ،والصحابى هنا مذكور فكيف يكون مرسلا .

وأخرج ابن سعد عن ابن أبى الجَدْعَاء قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا ؟ قال « إذ آدم بين الروح والجسد » .

أخرج ابن سعد عن مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا ؟ قال « بين الروح والطين من آدم »

وأخرج ابن سعد عن عامر قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم متى استنبئت ؟ قال « وآدم بين الروح والجسد حين أُخِذَ منى الميثاق » .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن أبى مريم الغسانى أن أعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أَىُّ شىء كان أَوَّلَ نبوتك ؟ قال « أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ودعوةُ أبى إبراهيم وبُشْرَى عيسى وَرَأَتْ أُمِّي فى منامها أنه خرج من بين رِجْلَيْهَا سراج أضاءت له قصورُ الشام » .(١)

(فائدة)

قال الشيخ تقى الدين السبكى فى كتابه (التعظيم والمنة فى لتؤمنن به ولتنصرنه) فى هذه الآية من التنويه بالنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلى مالا يخفى . وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله (بعثت إلى الناس كافة) ، لايختص به الناس من

---

(١) الظاهر أن الميثاق المأخوذ على النبيين هو غير الميثاق العام الذى أخذه الله على جميع بنى آدم ، فهو ميثاق خاص بهم أن يبلغوا رسالة الله وأن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وأما قوله دعوة أبى إبراهيم فيعنى قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) الآية من سورة البقرة وأما بشرى عيسى فهى قوله لبنى إسرائيل (إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) الآية من سورة الصف .

زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول مَنْ قبلهم أيضا[١] ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » وأن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل إلى هذا المعنى لأن علم الله محيط بجميع الأشياء، ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولهذا رأى آدمُ اسْمَهُ مكتوباً على العرش محمد رسول الله[٢] فلابد أن يكون ذلك معنى ثابتا فى ذلك الوقت ، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبى وآدم بين الروح والجسد لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية[٣] للنبى صلى الله عليه وسلم لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى فيحصل لهم الخير بذلك ، فإن قلت : أريد أن أفهم ذلك القدر الزائد فإن النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضا فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ وإن صح ذلك فغيره كذلك، قلت، قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الاشارة بقوله « كنت نبيا إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته[٤] والحقائق تَقْصُرُ عقولنا

---

(١) هذا غلو بارد وتقدير فاسد ولم يقل أحد من السلف أن رسالته تشمل الرسل السابقين ومن أرسلوا إليهم وإلا لكان الجميع قد ماتوا كفارا لأنهم لم يؤمنوا به، ولفاتت بذلك خصائص هذه الأمة التى وردت فى الكتاب والسنة وإنما عموم رسالته بالنسبة لمن كانوا فى زمانه ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة .

(٢) الحديث بذلك غير صحيح وثبوت نبوته فى ذلك الوقت هو فى أم الكتاب كما بينه حديث العرباض وقدر الرسول عليه السلام غنى عن هذا الهذيان .

(٣) ليس فى الأحاديث ما يدل على الخصوصية والرسول عليه السلام إنما أراد إجابة السائل ولم يرد للتعريف بشىء يخصه فيجوز أن يكون حكم الأنبياء كلهم كذلك .

(٤) ياعجبا لهذا الذى لم يرض بتأويل القائلين بأن المراد ثبوت النبوة فى العلم والكتابة يذهب به الخيال إلى هذا الحد فكيف تسمى الروح نبيا وما هى هذه =

عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أَمَدَّهُ بنور إلهى ثم إن تلك الحقائق يُؤْتِى الله كل حقيقة منها مايشاء فى الوقت الذى يشاء ، فحقيقة النبى صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلْق آدم ، آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة لِيُعْلِم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المُفَاضَة عليه من الحضرة الإلهية وإنما يتأخر البعث والتبليغ وكل مَالَهُ من جهة الله تعالى ومن جهة تَأَهُّل ذاته الشريفة وحقيقته مُعَجَّلٌ لا تأْخِيرَ فيه وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوة[١] وإنما المتأخر تكَوُّنه وتَنَقُّله إلى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وغَيْرُهُ من أهل الكرامة قد تكون إفاضةُ الله تعالى تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه ولا شك أن كل مايقع فالله عالم به من الأزل ونحن نعلم عِلْمَهُ بذلك بالأدلة العقلية والشرعية ، ويعلم الناس منها مايصل إليهم عند ظهوره كعلمهم نبوة النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه القرآن فى أول ماجاء جبريل وهو فعل من أفعاله تعالى من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وإرادته واختياره فى محل خاص يتصف بها فهاتان مرتبتان الأولى

= الحقيقة التى يدعى وجودها ؟ أنه لاحقيقة لشىء قبل وجوده إلا ثبوته فى العلم الأزلى والقدر السابق أو الذكر باللسان ومثل هذا الوجود لا تترتب عليه آثار الوجود فى الأعيان على أن مثل هذا الكلام يمكن أن يقال فى حق جميع الأنبياء فإن أرواحهم وحقائقهم كانت موجودة فهل كانت متصفة بالنبوة أم لا ؟ فإن كان الأول فلا خصوصية وإن كان الثانى فمعناه أن أرواحهم وحقائقهم لم تخلق أهلا لذلك المنصب وهذا قدح فى أقدارهم الشريفة .

(١) كيف يتأتى إيتاؤه الحكم والكتاب والنبوة فى عالم الأرواح أو الحقائق أم كيف يتفق هذا مع قوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان » وقوله « وإن كنت من قبله لمن الغافلين » اللهم إنه الهوى يعمى صاحبه ويصم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسائط من أفعاله تعالى تحدث على حسب اختياره ، منها مايظهر لهم بعد ذلك ، ومنها مايحصل به كمال لذلك المحل، وإن لم يظهر لأحد من المخلوقين وذلك ينقسم إلى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه وإلى كمال يحصل له بعد ذلك ، ولا يصل علم ذلك إلينا إلا بالخبر الصادق والنبى صلى الله عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه ، وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم[1] وفى أخذ المواثيق وهى فى معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم فى (لتؤمنن به ولتنصرنه) الآية[2] .

﴿لطيفة أخرى﴾ وهى كأنها أَيْمَان البَيْعَة التى تُؤْخَذُ للخلفاء ولعل أَيْمَان الخلفاء أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من

---

(١) هذا تعبير فيه سوء أدب بالنسبة للرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم بل هو أخوهم والمصدق لهم نعم لو بعث أحدهم من قبره أو لو بقى حيا إلى زمان مبعثه لوجب عليه أن يؤمن به وينصره .

(٢) الآية المشار إليها هى قوله تعالى من سورة آل عمران « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » وقد اختلف المفسرون فى المراد بها فذهب الجمهور إلى القول بأن الله أخذ الميثاق على كل نبى أنه إن عاش إلى زمان الرسول الذى يجىء بعده أن يؤمن به وينصره لأنهم بعثوا جميعا بدين واحد فيجب أن يصدق بعضهم بعضا ويتناصروا فى الدعوة إليه وروى عن على وابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالآية أن الله أخذ الميثاق على جميع النبيين أنهم إن أدركوا زمان محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه ثم أمرهم أن يأخذوا العهد على أممهم ذلك ولا تعارض .

ربه سبحانه وتعالى فإذا عرفت ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم هو نبى الأنبياء ولهذا ظهر ذلك فى الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الإسراء صَلَّى بهم[(١)] ولو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه . وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى صلى الله عليه وسلم الشريفة ، وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه ، فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك[(٢)] ولهذا يأتى عيسى فى آخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم على حاله ، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتى واحداً من هذه الأمة نعم هو واحد من هذه الأمة لما قلناه من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل مافيها من أمر ونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبى كريم على حاله لم ينقض منه شيء وكذلك لو بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمانه أو فى زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم ، والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول إلى جميعهم[(٣)] فنبوته

---

(١) هذا لا يستلزم أن يكون نبيا لهم بل يستلزم تقدمه إليهم فى الفضل والشرف وهو أمر مقطوع به .

(٢) لا ندرى فيم يجهد هذا الرجل نفسه وما الذى يعنيه بهذه الفلسفة الغريبة .

(٣) العجب من إصرار السبكى على هذا الهذيان كيف يتأتى أن يرسل هؤلاء إلى أممهم ثم يكون رسولنا مرسلا إليهم ونبيا عليهم ؟ إن هذه وظيفة الرسول الملكى جبريل الذى ينزل بالوحى عليهم ، والقول الصحيح فى هذا الباب أن يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل وجاء بالشريعة الكاملة التى لا كمال وراءها كان جميع الناس مأمورين باتباعه ، فلو بعث الرسل أحياء ماوسعهم إلا أن يؤمنوا به ويتبعوه .

ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق مع شرائعهم فى الأصول لأنها لاتختلف . وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع ، إمّا على سبيل التخصيص . وإمّا على سبيل النسخ . أولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الأوقات بالنسبة إلى أولائك الأمم ماجاءت به أنبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة[1] والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات ، وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيين عنا . أحدهما: قوله صلى الله عليه وسلم «بعثت إلى الناس كافةً » كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبَانَ أنه جميع الناس أَوَّلِهم وآخِرِهم[2] والثانى قوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك على ماشرحناه وإنما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغِهِ الأربعين وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتَأَهُّلِهِم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه[3] ولا إليهم لو تأهلوا قبل ذلك

---

(١) هذا هراء فإن الله يقول « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ويقول لنبيه عليه السلام « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » فشريعته هى ما أنزل عليه هو وأمر بتبليغه كما أن الشرائع السابقة هى شرائع من أنزلت عليهم فجعل الشرائع كلها من جملة شريعته خبل فى العقل والعياذ بالله .

(٢) يلزم على هذا أن يكون عليه السلام موجودا مع أهل كل عصر من لدن آدم يبلغهم ما أنزل عليه ويأمرهم وينهاهم تحقيقا لمعنى الرسالة وإلا كان مقصرا فى التبليغ ولست أدرى لماذا عنى هذا الرجل نفسه بمثل هذا الكلام الذى يضحك منه حتى العامة والصبيان

(٣) يعنى أنه كان مستكملا لجميع شروط التبليغ قبل بلوغ الأربعين فكان عالما بالقرآن وجميع العلوم التى أمر بتبليغها وإنما تأخر التبليغ لعدم أهلية المخاطبين فهل يقول مثل هذا الكلام مؤمن ، وهل هناك طعن فى الإسلام أشد من هذا ؟ وفيم =

وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف ، فهنا التعليق إنما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الأب رجلا فى تزويج ابنته إذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح ، وذلك الرجل أهل للوكالةو وكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفو ولا يوجد إلا بعد مدة ، وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة وأهلية الوكيل انتهى كلام السبكى بلفظه والله أعلم .

باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم

بكتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر مافى الملكوت

أخرج الحاكم والبيهقى والطبرانى فى الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب بحق محمد لما غفرت لى قال وكيف عرفت محمداً ؟ قال لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك[١] .

وأخرج ابن عساكر عن كعب الأحبار قال (إن الله أنزل على آدم عِصِيًّا بعدد الأنبياء والمرسلين، ثم أقبل على ابنه شيث فقال أى بنى أنت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد

= كان تصب جبريل صاعداً ونازلا ثلاثا وعشرين سنة وكيف يتفق هذا مع قوله سبحانه « ووجدك ضالا فهدى » وقوله « وعلمك مالم تكن تعلم » وقوله « وإن كنت من قبله لمن الغافلين »

(١) هذا الحديث باطل والله لم يخلق آدم ولا غيره من أجل أحد وإنما خلق الكل لعبادته كما قال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) كما لا يجوز أن يسأله الله بحق أحد من خلقه فلا حق لأحد على الله .

صلى الله عليه وسلم فإنى رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم إنى طفت السموات فلم أرفى السموات موضعا إلا اسم محمد مكتوباً عليه وإن ربى اسكننى الجنة فلم أرفى االجنة قصر اولا غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورقى داودقصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها[١] .

وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن أنس قال قال رسول الله صلى عليه وسلم « لما عرج بى رأيت على ساق العرش مكتوبا لا إله محمد رسول الله أيدته بِعَلِيّ »[٢] .

وأخرج ابن عساكر عن على قال قال رسول صلى الله عليه وسلم « ليلة أسرى بى رأيت على العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين »[٣] .

وأخرج أبو يعلى والطبرانى فى (الأوسط) وابن عساكر والحسن بن عرفة فى جزئه المشهور عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أسرى بى عرج بى إلى السماء مامررت بسماء إلا وجدت اسمى فيها مكتوبا محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفى » .

---

(١) ينبغى أن لا يوثق بهذه الإسرائيليات التى ينقلها كعب الأحبار وغيره من مسلمى أهل الكتاب وديننا بحمد الله ليس فى حاجة إليها .

(٢) هذا الحديث من وضع الشيعة لقوله فى آخره (أيدته بعلى) والله عز وجل يقول (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) لم يخص عليا ولا غيره وجميع الأحاديث التى ذكرها فى هذا الباب لا يصح منها شىء ولم يروها أحد من الستة فينبغى أن لا يفرح بها وقدر نبينا صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة إلى أن تختلق له الأحاديث فبحسبه ثناء الله عز وجل عليه فى قوله « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله « ورفعنا لك ذكرك » .

وأخرج البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله.

وأخرج الدارقطني في الأفراد والخطيب وابن عساكر عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «رأيت ليلة أسرى بي في العرش فَرَنْدَةٌ، خَضِرَة فيها مكتوب بنور أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق[1].

وأخرج ابن عساكر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما في الجنة شجرة عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله الا الله محمد رسول الله».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما في الجنة شجرة عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال «أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» قال الذهبي في سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو[2]

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي الزُّبَيْرِ عن جابر قال «بين كتفي آدم مكتوب محمد رسول الله خاتم النبيين».

---

(١) قال الشوكاني في الفوائد إنه موضوع.

(٢) يعني أن الحديث في سنده مجهول ومثله لا يقبل فلا عبرة بتصحيح الحاكم ولا بإقرار السبكي والبلقيني لذلك التصحيح.

باب

أخرج البزار عن أبي ذر رَفَعَه أن الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب مُصْمَتٍ فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ؟ عجبت ممن ذكر النار ثم يضحك ؟ عجبت ممن ذكر الموت ثم غفل لا إله إلا الله محمد رسول الله (١) . وورد مثله عن عمر وعلى أخرجهما البيهقى . وعن ابن عباس أخرجه الخرائطى فى (كتاب قمع الحرص) .

وأخرج الطبرانى عن عبادة بن الصامت قال قال رسول صلى الله عليه وسلم « كان فص خاتم سليمان بن داود سماويا ألقى إليه فوضعه فى خاتمه وكان نقشه أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى » (٢) .

وأخرج العقيلى فى الضعفاء وابن عدى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وأخرج ابن عساكر وابن النجار فى تاريخيهما عن أبي الحسن على بن عبد الله الهاشمى الرَّقِّى قال « دخلت بلاد الهند فرأيت فى بعض قراها شجرة ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك، وقلت إنه معمول فعمدت إلى حبة لم تفتح ففتحتها ، فرأيت فيها كما رأيت فى سائر

---

(١) هذا حديث باطل وهو مناف لظاهر الآية فى أنه كنز حقيقى أراد الله أن يحفظه على اليتيمين حتى يبلغا أشدهما ويستخرجاه لا أنه مجرد موعظة فإن المواعظ تملأ الكتب وتجرى على ألسنة الخلق فلا معنى لان تكنز وتدخر .

(٢) هذا الحديث والذى بعده كلاهما غير صحيح والذى فى الصحيح عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله لما أراد أن يكتب كتبه إلى الملوك فقيل له يقبلون كتابا إلا مختوما .

الورد وفى البلد منه شىء كثير ، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لايعرفون الله عز وجل »[١] .

باب ذكره فى الأذان فى عهد آدم وفى الملكوت الأعلى

أخرج أبو نعيم فى (الحلية) وابن عساكر من طريق عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزل آدم بالهند واستوحش فنزل جبرائيل عليه السلام فنادى بالأذان الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن محمداً رسول الله مرتين قال آدم من محمد ؟ قال آخر ولدك من الأنبياء »[٢] .

وأخرج البزار عن على قال « لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبرئيل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت ، فقال لها جبرئيل

---

(١) هذا كلام يستحى العاقل من ذكره وأن يسود به الأوراق ، ولكن لله فى خلقه شئون .

(٢) ليس بلاء هذه الأمة فى أعدائها بأشد من بلائها فى الأغرار من أبنائها ، فهؤلاء المحدثون الذين لاهم لهم إلا أن يجمعوا المناكير فى كتبهم فى غير اكتراث ولا مبالاة قد جنوا على الدين وعلى السنة أعظم جناية وهم يظنون أنهم يقومون بخدمتها ونصرتها وإلا فما هذه الحشود الهائلة من الأخبار الغريبة التى يرويها أمثال أبى نعيم وابن عساكر مما لا يوجد منه شىء فى الصحاح كهذا الحديث المروى فى الأذان ونحن نعلم أن الأذان على كل هذا الأمة وأنه لم يكن معروفا فى الملل السابقة حتى إن المسلمين هموا أول الأمر أن يتخذوا بوقا كبوق اليهود أو ناقوسا كناقوس النصارى (فرأى بعضهم الأذان فى النوم ثم نزل له الوحى فهو حديث ينادى على نفسه بالوضع ومثله بل وأسوأ حالا منه حديث البزار عن على فإن ركوب البراق كان ليلة الإسراء ومشروعية الأذان كانت بالمدينة .

اسكنى فو الله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذى يلى الرحمن فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا إله إلا أنا فقال الملك أشهد أن محمداً رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمداً قال الملك حى على الصلوة حى على الفلاح قد قامت الصلوة ثم قال الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا إله إلا أنا ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فَأَمَّ أَهْلَ السموات فيهم آدمُ ونوحٌ فيومئذ أكمل الله لمحمد الشَّرَفَ على أهل السموات والأرض .

« باب خصوصيته بأخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به »

قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إِصْرِى قالوا أَقْرَرْنَا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .

أخرج ابن أبى حاتم عن السُّدِّى فى الآية قال « لم يبعث نبى قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج وهو حى وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء » (١) .

---

(١) هذا موافق لما رويناه من تفسير على وابن عباس رضى الله عنهما وقد ذكرنا أن الجمهور تفسيراً آخر للآية وهو أن كل نبى أخذ عليه العهد إن أدرك زمان الذى بعده أن يؤمن به ويتبعه .

وأخرج ابن عساكر من طريق كُرَيب عن ابن عباس قال « لم يزل الله تعالى يتقدم فى النبى صلى الله عليه وسلم إلى آدم فمن بعده ولم تزل الأمم تتباشر به وتستفتح به حتى أخرجه الله فى خير أمة وفى خير قرن وفى خير أصحاب وفى خير بلد فأقام به ماشاء الله وهو حرم إبراهيم ثم أخرجه إلى طَيْبَةَ وهو حَرَمُ محمد فكان مبعثه من حَرَمٍ ومُخْرَجُه الى حَرَم »[1].

باب دعاء إبراهيم عليه السلام به

أخرج ابن جرير فى تفسيره عن أبى العالية قال « لما قال إبراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية قيل له قد استجيب لك وهو كائن فى آخر الزمان .

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنَا دَعْوَةُ أبى إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام[2] » .

وأخرج ابن عساكر عن عبادة بن الصامت قال: قيل يا رسول الله أخبرنى عن نفسك قال « نعم أنا دعوة أبى إبراهيم وكان آخر من بشر بى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام » .

---

(١) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة مابين لابتيها » وفى الصحيفة التى كتبها لعلى قال « المدينة حرام من عائر إلى كذا من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله) .

(٢) المراد بتلك البشارة قوله تعالى من سورة الصف (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وقد اشتملت الأناجيل الموجودة الآن لاسيما إنجيل برنابا على بشارات صريحة بالنبى عليه السلام .

وأخرج ابن سعد من طريق جويبر عن الضحاك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا دعوة أبي إبراهيم قال وهو يرفع القواعد من البيت « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » حتى أتم الآية » .

باب إعلام الله به إبراهيم عليه السلام وآله

أخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : « لما أمر إبراهيم بإخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة إلا قال : أَنْزِلُ ها هنا يا جبريل ؟ فيقول لا حتى أَتَى مَكَّةَ فقال جبريل إنزل يا إبراهيم ؟ قال : حيث لا ضَرْعَ وَلاَ زَرْعَ ؟ قال نعم ها هنا يخرج النبي الأمى من ذرية ابنك الذى تتم به الكلمة العليا[1] » .

وأَخْرَجَ عن الشَّعبي قال فى مَجَلَّة إبراهيم عليه السلام « إنه كائن من وُلْدِك شعوب وشعوب حتى يأتى النبي الأمى الذى يكون خاتم الأنبياء » .

وأَخْرَجَ عن محمد بن كعب القُرَظِي قال (لما خرجت هاجر بابنها إسماعيل تلقاها متلق، فقال يا هاجر إن ابنك أبو شعوب كثيرة ومن شعبه النبي الأمى ساكن الحرم[2] .

---

(١) كان فرعون مصر قد أهدى هاجر إلى سارة زوجة إبراهيم وكانت سارة عقيما لا تلد فوهبت هاجر لإبراهيم ليستولدها فولدت له إسماعيل فوقعت الغيرة فى قلب سارة فأمرته أن يذهب بها هى وولدها إلى مكان بعيد عنها ووافق ذلك من سارة قدر الله عز وجل فى إحياء بلده الأمين وتجديد بيته الحرام فأمر الله إبراهيم أن يهاجر بأم ولده إلى هناك .

(٢) وقد جاء فى التوراة أن الله عز وجل قال لإبراهيم « أما إسماعيل فإنى أسمع لك فيه فأباركه وأكثره اثنا عشر رئيسا يلد »

وأخرج عنه أيضاً قال : « أوحى الله إلى يعقوب إنى أبعث من ذريتك ملوكا وأنبياء حتى أبعث النبي الْحَرَمِيَّ الذى تَبْنِى أمته هَيْكَلَ بيت المَقْدِسِ وهو خاتم الأنبياء واسمه أحمد

باب إعلام الله به موسى عليه السلام

أخرج الطبرانى عن أبى أُمَامَةَ البَاهِلِى[1] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما بلغ وُلْدُ مَعَدِّ بن عَدْنَان أربعين رجلا وقعوا فى عسكر موسى فانتهبوه فدعا عليهم موسى فأوحى الله إليه لا تدع عليهم فإن منهم النبى الأمى النذير البشير ومنهم الأمة المرحومة أمة محمد الذين يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله عنهم بالقليل من العمل فيدخلهم الجنة بقول لا إله إلا الله نبيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المتواضع فى هيئته المجتمع له اللب فى سكوته ينطق بالحكمة ويستعمل الحلم أخرجته من خير جيل[2] من أمة قريش ثم أخرجته صَفْوَةً مِنْ قريش فهو خير من خير إلى خير هو وأمته إلى خير يصيرون[3] » .

---

(١) اسمه صدى بن عجلان وكان فيمن شهد صفين مع على ثم نزل الشام . توفى سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

(٢) صح عنه عليه السلام أنه قال « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

(٣) لاشك أن سمة الوضع بادية على هذا الحديث فأين ولد معد بن عدنان من عسكر موسى حتى يقعوا فيهم وموسى، وقومه حين خرجوا من مصر أقاموا بطور سينا مدة التيه أربعين سنة مات موسى وهارون خلالها ثم دخلوا فلسطين زمان يوشع ابن نون وولد معد إنما كانوا يسكنون الجزيرة هذا فضلا عما فى الحديث من ركاكة فى التعبير .

باب ذكره فى التوارة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة[١]

قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل) وقال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه) الآية .

وأخرج البخارى عن عطاء بن يسار قال : « لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص قلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » وحِرْزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سَمَّيْتُكَ المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخّاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به المِلَّةُ العَوْجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويَفْتَحَ به أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّا وقلوباً غُلْفاً[٢]) .

---

(١) لاشك أن التوراة الإنجيل كانا مشتملين على كثير من نعوته صلى الله عليه وسلم ونعت أمته والكتاب المنزل عليه وكان فيهما تحديد زمان مبعثه حتى إن اليهود والنصارى قبيل البعثة كانوا يبشرون بقرب ظهوره ولكنهم لما بعث حسدوا العرب على ذلك الفضل فجحدوا كثيرا من هذه النعوت ومما جاء فى التوراة (طلع الرب من سينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبل فاران) ومعلوم أن برية فاران هى الحجاز .

(٢) يقال إن عبد الله بن عمرو بن العاص حين فتحت الشام وقع على زاملتين من زوامل أهل الكتاب فكان يجد فيهما كثيرا من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته .

وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبدالله ابن سلام عن جده عبد الله بن سلام أنه لما سمع بِمَخْرَج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فاقيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أنت ابن سَلَام عالمُ أهل يثرب ؟ قال نعم ، قال : نَاشَدْتُكَ بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتى فى كتاب الله ؟ قال انسب ربك يامحمد فَأُرْتِجَ النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مُظْهِرُكَ ومُظْهِرٌ دينك على الأديان وإنى لأجد صفتك فى كتاب الله ، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صما وقلوباً غلفاً[1] ثم أخرج من طريق زيد بن أسلم عن عبد الله بن سلام قال (صفة رسول الله صلى عليه وسلم التوراة إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا فذكره الى آخره) .

وأخرج الدارمى فى مسنده والبيهقى من طريق عطاء بن يسار عن ابن سلام مثله .

---

(١) الذى فى صحيح البخارى وغيره أن إسلام عبد الله بن سلام إنما كان بالمدينة وذلك أنه حين سمع بمقدم النبى صلى الله عليه وسلم جاءه فقال له إنى سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبى فأجابه النبى عنها فأسلم والذى فى الصحيح أيضا أن سورة قل هو الله أحد نزلت لما قال المشركون لرسول الله انسب لنا ربك فاعجب لهذا التلفيق والخلط .

وأخرج الدَّارِمِيُّ فى مسنده وابن عساكر عن كعب[١] قال (فى السطر الأول محمد رسول الله عبدى المختار لا فَظٌّ ولا غليظ ولا سخاب فى الإسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر مَوْلِدُه بمكة وهجرته بِطَيْبَةَ ومُلْكُهُ بالشام وفى الثانى محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل مَنْزِل ويكبرونه على كل شَرَفٍ رُعَاةُ الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة[٢] ويأتزرون[٣] على أوساطهم ويوضئون أطرهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل.

وأخرج الدارمى وابن سعد وابن عساكر عن أبى فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة؟ فقال كعب نجده (محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طَابَةَ[٤] ويكون ملكه بالشام وليس بفَحَّاش ولا بسخاب فى الأسواق ولا يكافى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء، ويكبرون الله على كل نجد يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم فى جو السماء.

---

(١) كان كعب الأحبار يهوديا وأسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه وعامة مايرويه اسرائيليات يجب أن تؤخذ بحذر وقد قال عليه السلام (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) وبعض هذه النعوت وارد فى الصحيح كما فى حديث عبد الله ابن عمر والمتقدم.

(٢) مزبلة.

(٣) يشدون الأزر.

(٤) اسم من أسماء المدينة.

وأخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة وأبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صفتى أحمد المتوكل مولده مكة ومهاجره إلى طيبة ليس بفظ ولا غليظ يجزى بالحسنة الحسنة ولا يكافىء بالسيئة أمته الحمادون يأتزرون على أنصافهم أناجيلهم فى صدورهم يصفون للصلاة كما يصفون للقتال قربانهم الذى يتقربون به إلى دماؤهم رهبان بالليل ليوث بالنهار.

وأخرج ابن سعد والحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم عن عائشة قالت (إن النبى صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الإنجيل لافظ ولا غليظ ولاسخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح).

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن أم الدرداء امرأة أبى الدرداء[1] قالت لكعب: كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة؟ قال كنا نجده موصوفافيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب فى الاسواق وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعيناعورًا ويُسْمِع به آذانا صُمًّا ويُقِيم به أَلْسِنَةً مُعْوَجَّة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له يعين المظلوم ويمنعه من أن يُسْتَضْعف.

وأخرج أبو نعيم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون السابقون[2] فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم المستجيبون والمُسْتَجَابُ لهم فاجعلها أمتى قال تلك

---

(١) هو عويمر بن مالك ويقال عويمر بن زيد من بنى الحارث بن الخزرج وكان آخر أهل داره إسلاما وكان قبل إسلامه تاجرا ومات بالشام سنة ٣٢هـ وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم.

(٢) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم).

أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنه ظاهرا[١] فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى فى بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها أمتى . قال تلك أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، فاجعلها أمتى. قال تلك أمة أحمد. قال يارب إنى إجد فى الألواح أمة إذاهم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت سيئة واحدة[٢] فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يُؤْتَوْن ؟ العلم الأوَّلَ والعلم والآخِرَ فيقتلون قُرُون الضلالة والمسيح الدجال فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب فاجعلنى من أمة أحمد فأعطى عند ذلك خَصْلَتَيْن فقال (ياموسى إنى اصطفيك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت يارب)[٣] .

---

(١) يعنى أنهم يحفظون القرآن ويستظهرونه ثم يقرأون من حفظهم دون نظر فى المصحف .

(٢) الظاهر أن مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر ومجازاة السيئة بمثل حكم عام ليس من خصائص هذه الأمة .

(٣) هذا حديث واضح البطلان فإن موسى عليه السلام أعقل من أن يطلب من الله عز وجل أن يكون نبيا لأمة ستكون بعده وهو يعلم أن هذه صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم والذى يشهد على هذا الحديث بالوضع قوله فى آخره (فأعطى عند ذلك خصلتين الخ) فإن موسى عليه السلام كان رسولا مكلما قبل أن يقرأ فى الألواح ما قرأ وقوله تعالى لموسى (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) إنما كان فى قصة طلب الرؤية فلما منعها أمره الله أن يقنع بما أعطاه وأن يشكره عليه ، ويظهر أن أبا هريرة سمع هذا الحديث من كعب فإنه كثيرا ما يأخذ عنه مثل هذه الإسرائيليات .

وأخرج أبو نعيم عبد الرحمن المُعَافِرِى أن كعب الأحبار رأى حَبْرَ اليهود(١) يبكى فقال له « ما يبكيك ؟ قال ذكرت بعض الأمر فقال له كعب أنشدك بالله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدُقَنِّى قال نعم قال أنشدك هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال رب إنى أجد أمة فى التوراة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتى . قال هم أمة أحمد ؟ قال الحبر نعم » .

قال كعب فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب إنى أجد أمة هم الحمادون رُعَاةُ الشمس المُحَكِّمُون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ؟ قال الحبر نعم .

قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وإذا هبط واديا حمد الله . الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طُهُورُهم بالصعيد كطُهُورِهِم بالماء حيث لايجدون الماء غُرٌّ مُحَجَّلُون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هم أحمد ؟ قال الحبر : نعم .

قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال رب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب واصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا أجد أحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ؟ قال الحبر نعم .

قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب ، إنى أجد فى التوراة أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب

(١) حبر اليهود عالمهم وجمعه أحبار ، وكان يقال لابن عباس حبر الأمة لكثرة علمه .

أهل الجنة يصفون فى صلاتهم كصفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لايدخل النار منهم أحد إلا من برئ من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ؟ قال الحبر نعم .

فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله محمداً وأمته قال ياليتنى من أمة أحمد فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن (ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) الآية فرضى موسى كل الرضاء [1] .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن أبى هلال أن عبد الله بن عمرو قال لكعب الأحبار أخبرنى عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته [2] قال أجدهم فى كتاب الله أن أحمد وأمته حمادون يحمدون الله على كل خير وشر يكبرون الله على كل شرف ويسبحون الله فى كل منزل نداؤهم فى جو السماء لهم دوى فى صلاتهم [3] كدوى النحل على الصخر يصفون فى الصلاة كصفوف الملائكة ويصفون فى القتال كصفوفهم فى الصلاة إذا غزوا فى سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم

---

(١) هذا الحديث يشهد لما قلناه آنفا فى حديث أبى هريرة من أنه مأخوذ من كلام كعب الأحبار وكثيرا ما كان أبو هريرة يلقى كعبا ويأخذ عنه والذى نعلمه يقينا أن نعت هـذه الأمة مذكور فى التوراة كما قال تعالى من سورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة » وأما ماجاء فى كلام كعب وغيره فهو وإن كان صحيحا فى نفسه لاندرى إن كان ورد بهذه الصورة فى التوراة أم لا ولا حاجة لنا به فإن الله أغنانا بكتابه وسنة نبيه عن كل ماسواهما .

(٢) لم يكن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما بحاجة إلى أن يسأل كعبا عن هذا فلعله كان أعلم به منه لما وقع فى يده من زوامل أهل الكتاب كما تقدم .

(٣) لعله فى قراءتهم فإن الصلاة الجهرية لايقرأ فيها سوى الإمام ولعله أراد صلاتهم بالليل فى التهجد .

ومن خلفهم برماح شداد[١] إذا حضروا الصف فى سبيل الله كان الله عليهم مُظِلا ، وأشار بيده كما تظل النسور على وُكورها، لا يتأخرون زحفا أبدا حتى يحضرهم جبرئيل عليه السلام .

وأخرج أبو نعيم فى (الحلية) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله إلى موسى نبىء بنى إسرائيل أنه من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار[٢] قال يارب ومن أحمد ؟ قال ماخلقت خلقا أكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل أن أخلق السموات والأرض، إن الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمته ؟ قال الحمادون يحمدن صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم ، صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله قال اجعلنى نبىَّ تلك الأمة قال نبيها منها قال اجعلنى من أمة ذلك النبى قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال»[٣]

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو نعيم عن وهب بن منبه قال «أوحى الله إلى أشعياء إنى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام عبدى المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار

---

(١) لم يكن الإمداد بالملائكة فى كل الغزوات بل كان فى بدر وأحد والأحزاب وحنين .

(٢) ليس فى هذا خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل من جحد نبوة أحد من الأنبياء فهو فى النار كذلك على أن الرسول لم يكن قد بعث حتى يجب الإيمان به .

(٣) هذا الحديث كما ترى يشبه ماتقدم من كلام كعب الأحبار ، فلعل أنسا هو الآخر لقيه فسمع منه ولقد كان الصحابة يثقون فى كعب ويأخذون عنه ، هذا إنه صح الحديث عن أنس وإلا فأنت تعلم حال مايرويه أبو نعيم .

لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقَلة ويبكى لليتيم فى حِجْر الأرملة ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال بالخنا لو يمر إلى جنب السراج لم يطفه من سكينته ولو يمشى على القصب الرَّعْرَاع - يعنى اليافع - لم يُسْمَع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، أَسَدِّده لكل جميل وأَهَبُ له كل خُلُق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله - والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام مِلَّته وأحمدَ اسمه أهدى به من بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخَمالَة وأسمى به بعد النُّكْرَة ، وأُكَثِّر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العَيْلَة وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب وأهوء متشتته وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس أمرا بالمعروف ونهيا عن لمنكر ، وتوحيداً لى وإيمانا بى وإخلاصا لى وتصديقا لما جاءت به رسلى وهم رعاة الشمس طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح ، التى أخلصت لى الهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومُتَقَلَّبِهِم ومثواهم ، ويصُفُّون فى مساجدهم كما تَصُفُّ الملائكة حول عرشى ، هم أوليائى وأنصارى أنتقم بهم من أعدائى عَبَدَة الأوثان يصلون لى قياما وقعودا ورُكَّعا وسُجَّدا ، ويخرجون من ديارهم وأمو لهم ابتغاء مرضاتى أُلُوفا ويقاتلون فى سبيلى صُفُوفا وزُحُوفا أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان ،فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ولم يدخل فى دينهم وشريعتهم ، فليس منى وهو منى برىء وأجعلهم أفضل الأمم وأجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس إذا غضبوا هللونى، وإذ قُبِضُوا كبرونى، وإذا تنازعوا سبحونى يطهرون الوجوه والأطراف ويَشُدُّون الثياب إلى الأنصاف ويهللون على التلال والأَشْرَاف ،قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار، يناديهم مناديهم فى جو السماء لهم دوى كدوى

الفحل طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم. ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم »[١]

وأخرج البيهقى عن ابن عباس قال : قدم الجارود بن عبد الله فأسلم وقال «والذى بعثك بالحق لقد وجدت وصفك فى الإنجيل ولقد بشر بك ابن البتول»[٢].

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن المُسَيَّب أن العباس قال لكعب الأحبار ما منعك أن تسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حتى أسلمت الآن فى عهد عمر[٣]؟ فقال إن أبى كتب لى كتابا من التوراة فدفعه إلىَّ وقال أعمل بهذا

---

(١) لاشك أن عامة ماجاء فى هذا الحديث من نعت النبي وأمته صحيح وهو مادة دسمة للوعاظ والقصاص ولكن هل هو من وحى الله إلى أشعياء كما زعم وهب علم ذلك عند الله عز وجل والعهدة على الراوى وأشعياء هذا لعله يوشع بن نون فتى موسى والذى صار نبيا بعده ودخل بنو إسرائيل فسلطين فى زمنه ولعل المناسب هنا أن نفسر بعض ألفاظ هـذا الحديث فقوله غلفا ، جمع أغلف وهو المغطى بالغلاف والبهيمة المثقلة التى أثقل ظهرها بالحمل عليه والفظ السيء الخلق الجافى الطبع والصخاب الصياح والخنا الفحش والخمالة الخمول ضد الشهرة ، والعيلة الفقر ورعاة الشمس يعنى يرقبونها ليتحينوا مواقيت الصلاة وزحوفا جمع زحف هو الجيش الزاحف وهللونى قالوا لا إله إلا الله ويطهرون الوجوه والأطراف يعنى يتوضئون ويشدون الثياب إلى الانصاف يعنى أنصاف الساقين والتلال والأشراف الأماكن المرتفعة وقربانهم دماؤهم يعنى أنهم يتقربون إلى الله ببذل دمائهم فى سبيله .

(٢) هو الجارود بن العلاء قدم فى وفد عبد القيس فأسلم وأسلم أصحابه والمراد بابن البتول عيسى عليه السلام ومعنى البتول المتبتلة المنقطعة لعبادة الله وهى مريم عليها السلام .

(٣) يلوح من سؤال العباس أنه كان مرتابا فى إسلام كعب ولهذا اعتذر له كعب بهذا العذر الذى نرجو أن يكون صادقا فيه ، فإن بعض الناس يشكك فى إسلام هذا الرجل ويتهمونه بالمشاركة فى المؤامرة التى دبرت لقتل عمر والعقل يستبعد =

وأتبعه وأخذ على بحق الوالد أن لا أفض هذا الخاتم وختم على سائر كتبه ، فلما رأيت الإسلام قد ظهر ولم أر إلا خيراً قالت لى نفسى لعل أباك قد غيب عنك علما ، ففضضت الخَاتَم، فاذا فيه صفة محمد وأمته فجئت الآن فأسلمتُ .

وأخرج أبو نُعيم من طريق شَهْرِ بْنِ حَوْشَب عن كعب قال إن أبى كان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى وكان لم يَدَّخِر عنى شيئاً مما كان يعلم فلما حضره الموت دعانى فقال لى : يا بُنَيَّ إنك قد علمت أنى لم أدخر عنك شيئاً مما كنت أعامه إلا أنى قد حبست عنك ورقتين فيهما نبى يبعث قد أظَلَّ زمانُه فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه ، وقد جعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطَيَّنْتُ عليهما فلا تَعرَّضَنَّ لهما ولا تنظرن فيهما حينئذ هذا ، فإن الله إن يرد بك خيرا ويخرج ذلك النبى تتبعه ثم إنه قد مات فدفناه فلم يكن شيء أحب إلَيَّ من ان أنظر فى الورقتين ففتحت الكَوَّة ثم استخرجت الورقتين فاذا فيهما محمد رسول الله خاتَم النبيين لا نبى بعده ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة لا فظ ولا غايظ ولا سخاب فى الأسواق ويجزى بالسيئة الحسنة ؟ ويعفو ويصفح أُمَّته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، تذلل ألسنتهم بالتكبير ويُنْصَرُ نبيهم على كل من ناوأه يغسلون فروجهم ويأتزرون على أوساطهم أناجيلهم فى صدورهم وتراحمهم بينهم تراحُمُ بَنِى الأمِّ وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم فمكثت ماشاء الله ثم بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة فأخرت حتى أستثبت ثم بلغنى أنه تُوُفى وأن خليفته قد قام مقامه وجاءتنا جنوده ، فقلت لا أدخل فى هذا الدين حتى أنظر سيرتهم وأعمالهم فلم أزل أدافع ذلك وأؤخره لأستثبت حتى قدم علينا

= أن يوصى يهودى ولده بالخروج من يهوديته والدخول فى دين يناهضها ، بل يظهر من قول كعب فلما رأيت الإسلام قد ظهر أنه كان ينتظر نتيجة الصراع بين الإسلام وخصومه .

عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما رأيت وفاءهم بالعهد وماصنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فوالله إنى ذات ليلة فوق سطحى فإذا رجل من المسلمين يتلو قول الله (ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها) الآية . فلما سمعت هذه الآية خشيت أن لا أصبح حتى يحول الله وجهى فى قفَاىَ ، فما كان شىء أحبَّ إلى من الصباح فغدوت على المسلمين[1] وأخرجه ابن عساكر من طريق المسيب ابن رافع وغيره عن كعب .

وأخرج البيهقى عن وهب بن مُنَبِّه قال : « إن الله أوحى إلى داود فى الزَّبور يا داود إنه سيأتى من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقاً نبياً ، لا أغضب عليه أبداً ، ولا يعصينى أبداً ، وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته أمة مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنى افترضت عليهم أن يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الأنبياء ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل . يا داود إنى فضلت محمداً وأمته على الأمم كلهم ، أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان » الحديث وسيأتى بقيته[2] .

---

(١) هـذا الـكلام يظهر بجلاء أن كعبا قد استأنى بإسلامه حتى يظهر أمر الإسلام وتستقيم ريحه ويغلب على كل أعدائه ولم يتم ذلك إلا فى عهد عمر رضى الله عنه .

(٢) لو صح هذا الحديث لدل بوضوح على أن الوضوء والغسل من الجنابة بل والحج والجهاد من خصائص هذه الأمة ، ولـكن العقل لايطمئن إلى كثير مما يرويه هؤلاء وإن كنا لانـكذبه خشية أن يكون صحيحا .

وأخرج الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر عن الْفَلْتَانِ بن عاصم قال : « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل [١] فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أتقرأ التوراة ؟ قال نعم . قال والإنجيل ؟ قال نعم ، فناشده هل تَجِدُنِى فى التوراة والإنجيل ؟ قال نجد نعتا مثل نعتك ومثل هيئتك ومَخْرَجك وكنا نرجو أن يكون منا فلما خرجت تخوفنا أن تكون أنت هو ، فنظرنا فإذا ليس أنت هو . قال ولم ذلك ؟ قال إن معه من أمته سبعين ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وإنما معك نفر يسير ، قال والذى نفسى بيده لأنا هو إنهم لأمتى وإنهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا » .

وأخرج الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى وأبو نُعَيْم عن عبد الله بن سلام قال « إن الله لما أراد هُدَى زيد بن سُعْنَةَ قال زيد بن سعنة : إنه لم يبق من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه محمد حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما منه ، يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما ، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله ، فابْتَعتُ منه تمراً معلوماً إلى أجل وأعطيته الثمن ، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو بثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ، ثم قلت ألا تقضى يا محمد حقى فوالله إنكم يا بنى عبد المطلب لَمُطْلٌ ولقد كان لى بمخالطتكم علم ، فقال عمر بن الخطاب : أىْ عدوَّ الله أتقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فَوْته لضربت بسيفى رأسك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر بسكون وتُؤَدَة وتَبَسَّم ثم قال : أنا وهو

---

(١) لم يذكر اسم هذا الرجل والظاهر أنه من اليهود بدليل قوله وكنا نرجو أن يكون منا والحديث يبدو عليه سمة الوضع فإنه لم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم أن يسأل أحدا من أهل الكتاب عن نعته فى التوراة أو الإنجيل ولهذا لما نزل عليه (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) قال لا أشك ولا أسأل .

كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التِّبَاعَة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان مارَوَّعْته ، ففعل ، فقلت : يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أَخْبُرْهما منه يسبق حِلْمُه جهْلَه ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد خبرتهما فأُشْهِدُكَ أنى قد رضيت بالله رباًّ ، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً »(١) .

وأخرج ابن سعد عن الزهرى أن يهودياً قال :« ما كان بقى شىء من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة إلا رأيته إلا الحلم ، وإنى أسلفته ثلاثين ديناراً فى تمر إلى أجل معلوم» وذكر نحوه وفى آخره « فقال : يا عمر ماحملنى على ما صنعت إلا أنى قد كنت رأيت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته فى التوراة كلها إلا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته كما وصف فى التوراة فأسلم اليهودى وأهل بيته » .

وأخرج أبو نعيم من طريق يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه قال« إنى أجد فيما أقرأ من الكتب أنه ترفع راية بمكة الله مع صاحبها وصاحبها مع الله يظهره الله على جميع القرى(٢) » .

---

(١) هذا حديث صحيح وفيه دلالة على كمال حلمه صلى الله عليه وسلم ويشبه هذا مارواه أنس« أن أعرابيا لقيه عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه الأعرابى جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ثم قال له يامحمد احمل على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فإنك لاتحمل لى من مالك ولامن مال أبيك . فتبسم عليه السلام»وقوله فى الحديث لمطل جمع أمطل وهو الذى يسوف فى سداد الدين . وقوله بحسن التباعة يعنى المتابعة والمطالبة .

(٢) الواقع أنه لم ترفع بمكة راية للمسلمين بل كانت الدعوة سلمية ، وكان المسلمون مأمورين بالكف عن قتال أعدائهم فلما هاجروا إلى المدينة أذن لهم فى القتال فخرجوا

وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق موسى بن يعقوب الزَّمْعى عن سهل مولى عُتَيْمَة « أنه كان نصرانيا من أهل مريس وكان يتيما فى حجر عمه قال فأخذت الإنجيل فقرأته حتى مرت بى ورقة ملصقة بِغِرًى ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أنه لاقصير ولا طويل ، أبيض ذو ضِفْرَيْن بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحْتِبَاء ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ويلبس قميصا مرقوعا ، ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر ، وهو يفعل ذلك ، وهو من ذرية إسمعيل اسمه أحمد » . قال سهل فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم جاء عمى فلما رأى الورقة ضربنى وقال : مَالَكَ وَفَتْحَ هذه الورقة وقراءتها ؟ فقلت فيها نعت النبى أحمد فقال إنه لم يأت بعد[1] .

وأخرج البيهقى من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سِنَان قال حدثنى بعض عمومتى وآبائى أنه كانت عندهم ورقة يتوارثونها فى الجاهلية حتى جاء الإسلام ، فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أتوه بها مكتوب فيها : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تبَاب . هــذا الذكر لِأُمَّة تأتى فى آخر الزمان يُسْبِلون أطرافهم ويأتزرون على أوساطهم ، ويخوضون البحار إلى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ماأُهْلِكوا بالطوفان، وفى عاد ما أُهْلِكُوا بالريح، وفى ثمودَ

= الرايات والبنود ، فظهور الإسلام إنما كان بالمدينة ولهذا قال عليه السلام فى حقها (أمرت بقرية تأكل القرى) .

(١) لاشك أن أهل الكتاب كانوا يترقبون ظهوره عليه السلام ويبشرون بقرب مقدمه ، وكان اليهود يستفتحون به إذا حاربوا أهل الشرك ، ويقولون لهم لقد أظل زمان نبى وسنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم وكذلك رهبان النصارى قد انتشروا فى أطراف الجزيرة كبصرى وغيرها ، يسألون من يمر بهم علهم أن يسمعوا شيئا من أخباره .

ها أهلكوا بالصيحة، فعجب النبي صلى الله عليه وسلم لِمَا فيها لَمَّا قرئت عليه .

وأخرج ابن مندة فى الصَّحَابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بعثنى الله هدى ورحمة للعالمين وبعثنى لِأَمْحُوَ الْمَزَامِيرَ والمعازف . فقال أَوْسُ بن سَمْعَان : والذى بعثك بالحق إنى لأجدها فى التوراة كذلك » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن كعب الأحبار أنه سمع رجلا يقول «رأيت فى المنام كأن الناس جُمِعُوا للحساب فدعى الأنبياء فجاء مع كل نبى أُمَّته ورأى لكل نبى نُورَيْن،ولكل من اتبعه نورا يمشى به ،فدعى محمدصلى الله عليه وسلم فإذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نورٌ على حِدَة يُثْبِتُه من نظر إليه، ولكل من اتبعه نُورَان يمشى بهما كَنُورِ الأنبياء ، فقال كعب بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيت هذا فى منامك ؟ قال نعم والذى نفسى بيده إنها لَصِفَةُ محمد وأمته وصفةُ الأنبياء وأُمَمِهَا فى كتاب الله لَكَأَنَّما قرأه من التوراة »(١).

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال «خمسة بُشِّرَ بِهِمْ قبل أن يكونوا إسحاق ويعقوب فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» . ويحيى (إن الله يبشرك بيحيى) . وعيسى (إن الله يبشرك بكلمة منه). ومحمد صلى الله عليه وسلم (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) . فهؤلاء أخبر بهم من قبل أن يكونوا (٢).

---

(١) العجب من كعب الأحبار هذا أن يستحلف الرجل أنه رأى ذلك فى منامه فإذا حلف له سارع إلى إدعاء أن ذلك موجود فى التوراة ، وكم حمل كعب وأضرابه كتاب الله ماليس فيه فإن المعروف أن لكل مؤمن نبيا كان أو غيره نورا واحدا إلا أنه يتفاوت قوة وضعفا فيكون لبعض الناس كالشمس ، ولبعضهم كالسراج الخافت، يضىء مرة وينطفىء مرة

(٢) ولك أن تقول أيضاً إن الله بشر الملائكة بآدم قبل خلقه بقوله سبحانه (إنى جاعل فى الأرض خليفة)

وأخرج أبو نعيم فى (الحلية) عن وهب قال « كان فى بنى إسرائيل رجل عصى الله مائتى سنة ثم مات فأخذوه فَأَلْقَوْه على مَزْبَلَة فأوحي الله إلى موسى أن اخْرُجْ فَصَلِّ عليه قال يارب بنو إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائتى سنة فأوحى الله إليه هكذا كان إلا أنه كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قَبَّلَه وَوَضَعَهُ على عينيه وصلى عليه ، فشكرت له ذلك وغفرت ذُنُوبه وزوجته سبعين حَوْرَاءَ »[1] .

وأَخرج ابن سعد عن أبى هريرة قال « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فقال أَخْرِجوا إلى أَعْلَمَكُمْ ، فقالوا عبد الله بن صُورِيَا فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه ، وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من الْمَنِّ والسَّلْوَى ، وظللهم به من الغمام ، أتعلم إنى رسول الله ؟ قال اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لَمُبيَّن فى التوراة ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك أنت ؟ قال أكره خلاف قومى وعسى أن يتبعوك ويُسْلِمُوا فأُسْلِم »[2] .

وأخرج أحمد وابن سعد عن أبى صخر الْعُقَيْلى قال حدثنى رجل من الأعراب قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى معه سِفْرٌ فيه التوراة يقرؤها على ابْنٍ له مريض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يايهودى نشدتك بالذى أنزل التوراة على موسى أتجد فى توراتك نعتى وصفتى ومخرجى فأومأ

---

(١) لانظن أن وهبا تبلغ به الجرأة على الله إلى هذا الحد بل الظاهر أنه من وضع بعض الزنادقة ليهونوا على الناس ارتكاب المعاصى ما دامت تغفر بتقبيل اسم فى كتاب أو صلاة على صاحبه ، ألا لعنة الله على الكاذبين

(٢) المعروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يأتى بيت المدراس ولا يسأله أحدا من اليهود عن نعته ، وإنما كان يفعل ذلك بعض أصحابه كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

برأسه أن لا ، فقال ابنه لكني أشهد بالذى أنزل التوراة على موسى إنه ليجد نعتك وزمانك وصفتك ومخرجك فى كتابه ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقيموا اليهودى عن صاحبكم وقُبِضَ الفتى فصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرج البيهقى نحوه من حديث أنس وابن مسعود [١] .

وأخرج ابن سعد من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال « بعثت قريش النَّضْر بن الحارث وعُقْبَةَ ابنَ أبى مُعَيْطٍ وغيرهما إلى يهود يَثْرِب وقالوا لهم سلوهم عن محمد فقدموا المدينة فقالوا أتيناكم لِأَمْرٍ حَدَثَ فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الرحمن قالوا صِفُوا لنا صفته فوصفوا لهم قالوا فمن تبعه منكم قالوا سِفْلَتُنَا فضحك حَبْرٌ منهم وقال : هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة » [٢] .

وأخرج الحاكم والبيهقى وابن عساكر عن على بن أبى طالب « أن يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فتقاضى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال له ما عندى ما أعطيك قال فإنى لا أفارقك يا محمد حتى تعطينى . قال : إذاً

---

(١) الذى فى البخارى من حديث أنس أنه كان غلام يهودى يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبى يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذى أنقذه بى من النار .

(٢) ورد فى سبب نزول سورة الكهف أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن ثلاث فإن أجاب عنها فهو نبى سلوه عن فتية كانوا فى الزمان الأول وسلوه عن رجل ملك المشارق والمغارب وسلوه عن الروح فسألوه فقال سأخبركم غداً فأبطأ الوحى عليه شهرا ثم نزلت سورة الكهف .

أجلس معك فجلس معه فصلى النبى صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والغداة وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يتهددون اليهودى ويتوعدونه فقالوا يارسول الله يهودى يحبسك ؟ قال منعنى ربى أن أظلم معاهداً ولا غيره ، فلما ترجل النهار أسلم اليهودى وقال شطر مالى فى سبيل الله أما والله مافعلت الذى فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك فى التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ،ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحشاء ولا قوال للخنا »[١] .

وأخرج الترمذى وحَسَّنَه عن عبد الله بن سَلاَم قال « مكتوب فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى ابن مريم يدفن معه » .

وأخرج أبو الشيخ فى تفسيره عن سعيد بن جبير قال « قال الذين آمنوا من أصحاب النجاشى للنجاشى إئذن لنا فلنأت هذا النبى الذى كنا نجده فى الكتاب فأتوا فأسلموا فشهدوا أحداً » .

وأخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن كعب قال « إن فى كتاب الله الذى أنزل على موسى أن الله قال للمدينة ياطَيْبَةُ ياطَابَة يامسكينة ، لا تقبلى الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى » .

وأخرج عن القاسم بن محمد قال بلغنى أن للمدينة فى التوراة أربعين اسما [٢]

---

(١) لعل هذا هو الحديث السابق الذى قال فيه اليهودى للنبى صلى الله عليه وسلم إنكم يابنى عبد المطلب قوم مطل فهم به عمر فمنعه الرسول وأمره أن يقضى له دينه وأن يزيده جزاء ماروعه .

(٢) هذه مبالغة لا مبرر لها والمدينة ليست بأفضل من مكة ومع ذلك لم تبلغ أسماء مكة هذه الكثرة .

باب إخبار الأحبار والرهبان به قبل مبعثه

أخرج الحاكم والبيهقى عن سلمان الفارسى[١] «أنه سئل كيف كان أول إسلامك ؟ قال كنت يتيما من رَامَ هُرْمُزَ وكان أبى دُهْقَان[٢] رام هرمز يختلف إلى مُعَلِّم يعلمه فَلَزِمْته لأكون فى كَنَفِه[٣]، وكان لى أخ أكبر منى وكان مستغنياً بنفسه وكنت غلاماً فقيراً فكان إذا قام من مجلسه تفرق من يحفظه فإذا تفرقوا خرج فتقنع بثوبه ثم صعد الجبل فكان يفعل ذلك غير مرة متنكرا[٤]، فقلت له أما إنك تفعل كذا وكذا فلم لاتذهب بى معك ؟ قال أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شىء . قلت لاتخف . قال : فإن فى هذا الجبل قوماً لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة يزعمون أَنَّا عَبَدَةُ النيران وعبدة الأوثان وأَنَّا على غير دين . قلت : فاذهب بى معك إليهم قال حتى أستأمرهم فاستأمرهم فقالوا جىء به فذهبت معه فانتهيت إليهم فإذا هم ستة أو سبعة ، وكَأَنَّ الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا ، فقعدنا إليهم فحمدوا الله وأثنوا عليه ، وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى

---

(١) هو أبو عبدالله سلمان قيل إنه من أهل أصبهان لم يشهد بدر أو أحدا لأنه كان فى زمانهما عبداً وأول غزاة غزاها الخندق وهو الذى أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفره وقد آخى الرسول بينه وبين أبى الدرداء . وفى الحديث (سلمان منا أهل البيت)

مات فى أول خلافة عثمان وقيل فى خلافة عمر بالمدائن .

(٢) الدهقان بضم الدال وكسرها هو رئيس الإقليم أو البلد والجمع دهاقنة ودهاقين والدهقان أيضا بفتح الدال التاجر .

(٣) يعنى فى كفالته وحمايته .

(٤) مغيرا هيئته .

خلصوا[١] إلى عيسى ابن مريم ، قالوا بعثه الله وولد بغير ذكر ، بعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من إحيـاء الموتى وخلق الطـير [٢] وإبراء الأعمى والأكمه [٣] والأبرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا ياغـلام إن لك رباً وإن لك معاداً [٤] وإن بين يديك جنة وناراً ، إليها تصير ، وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لايرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم غدونا إليهم ، فقالوا مثل ذلك وأحسن ، فلزمتهم فقالوا لى : ياسلمان إنك غلام وإنك لاتستطيع أن تصنع مانصنع ، فصل ونم وكل واشرب ، ثم اطلع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده ، فقلت ماأنا بمفارقكم ، فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل(٥) فلما دخلوا حَفُّوا بهم ثم أتاهم رجل من كهف فسلم وجلس فَحَفُّوا به وعظموه فقال لهم أين كنتم ؟ فأخبروه قال ماهذا الغلام معكم ؟ فأثنوا على خيرا وأخبروه باتباعى إياهم ، ولم أر مثل إعظامهم إياه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر من أرسل الله من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم ثم وعظهم ، وقال اتقوا الله والزموا ماجاء به عيسى ولا تخالفوه فيخالف بكم ثم أراد أن يقوم فقلت ما أنا بمفارقك قال ياغلام إنك لاتستطيع أن تكون معى إنى لاأخرج من كهفى هذا إلا كل يوم أحد . قلت ماأنا بمفارقك

---

(١) أى انتهوا . يقال خلص إلى كذا يعنى وصل إليه .

(٢) يعنى أنه كان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .

(٣) هو الذى ولد أعمى.

(٤) مصدر ميمى بمعنى العود وهو الرجوع أى إن لك رجوعا إلى الله بعد الموت.

(٥) هى مدينة فى العراق على نهر دجلة بالقرب منها أنقاض نينوى ومناجم النفط كانت قاعدة بنى ربيعة تناوب فيها الحكم الحمدانيون ثم العقيليون وازدهرت فى أيام السلاجقة وكان صاحبها عماد الدين زنكى .

فتبعته حتى دخل الكهف، فما رأيته نائما ولا طاعما إلا راكعا وساجداً إلى الأحد الآخر (١) فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا إليه فتكلم نحو المرة الأولى ثم رجع إلى كهفه ورجعت معه، فلبثت ماشاء الله. يخرج فى كل يوم أحد ويخرجون إليه، ويعظهم ويوصيهم نخرج فى أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال ياهؤلاء إنى قد كَبِرَ سِنِّى ودَقَّ عظمى واقترب أجلى وإنى لاعهد لى بهذا البيت منذ كذا وكذا ولابد لى من إتيانه. فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى انتهينا إلى بيت المقدس، فدخل وجعل يصلى وكان فيما يقول لى ياسلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج بِتِهَامَة علامته أنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه، الذى يخرج فيه قد تقارب، فأما أنا فإنى شيخ كبير لاأحسبنى أدركه فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه. قلت وإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه؟ قال وإن أمرك، ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مُقْعَدُ فقال نَاوِلْنى يدك فناوله فقال: قم بسم الله فقام كأنما نشط من عِقَال فَخَلَّى عن يده فانطلق ذاهباً وكان لا يَلْوِى على أحد، فقال لى الْمُقْعَدُ ياغلام احمل عَلَىَّ ثيابى حتى أنطلق، فحملت عليه ثيابه وانطلق الراهب لايلوى فخرجت فى أثره أطلبه، وكلما سألت عنه قالوا أمامك حتى لقينى رَكْبٌ من كَلْبٍ فسألتهم فلما سمعوا لُغَتِى أناخ رجل منهم بعيره، فحملنى فجعلنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم فباعونى فاشترتنى امرأة من الأنصار، فجعلتنى فى حائط لها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به فأخذت شيئا من تمر حائطى ثم أتيته فوجدت عنده أناسا فوضعته بين يديه فقال ماهذا؟ قلت صَدَقَة. قال للقوم كلوا ولم يأكل هو، ثم لبثت ماشاء الله ثم أخذت

---

(١) يعنى أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار، وليس المراد أنه كان لا يأكل ولا ينام طول الأسبوع. فهذا ليس فى طاقة البشر، وعلى كل حال فهذه هى الرهبانية التى نهينا عنها فى الإسلام.

مثل ذلك ثم أتيته فوجدت عنده أناساً فوضعته بين يديه فقال ما هـذا ؟ قلت هدية ، قال بسم الله فأكل وأكل القوم . فقلت فى نفسى هذه من آياته فدرت خلفه ففطن بى فأرخى ثوبه فإذا الخاتم فى ناحية كتفه الأيسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله »(١) .

وأخرج ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم من طريق ابن إسحاق قال « حدثنى عاصم بن عمر بن قتـادة عن محمود بن لبيد عن ابن عبـاس قال حدثنى سلمان الفارسى قال: كنت رجلا من أهل فارس وكان أبى دُهْقَان أرضه فـكان يحبنى حباً شديداً حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النـار الذى يوقدها ، فـكنت كذلك لا أعرف من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه ، وكان لأبى ضيعة فيها بعض العمل فدعانى فقال أى بنى ، إنى قد شغلت عن ضيعتى هذه ولابد لى من اطلاعها ، فانْطَلِقْ إليها فَمُرْهُمْ بكذا وكذا ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى شغلتنى عن كل شىء ، فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة النصارى فسمعت أصواتهم فيها فقلت ماهذا ؟ فقالوا هؤلاء النصارى يصلون فدخلت أنظر فأعجبنى مارأيت من حالهم ، فوالله مازلت جالساً عنـدهم حتى غربت الشمس وبعث أبى فى طلبى فى كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى ضيعته فقال أبى : أين كنت ألم أكن قلت لك . فقلت يا أبتاه ، مررت بناس يقال لهم النصارى فأعجبنى صلاتهم ودعاؤهم فجلست أنظر كيف يفعلون . فقال أى بنى ، دينك ودين آبائك خير من دينهم . فقلت : لا والله

---

(١) هذه هى إحدى الروايات فى إسلام سلمان ، وفيها أشياء كثيرة مخالفة للرواية المعروفة كقوله: كنت يتيما من رام هرمز وأن أخاه هو الذى عرفه بهؤلاء النصارى فى الجبل ، وأن الملك لما علم بهم أخرجهم من بلاده ، وأن الذى اشتراه امرأة من الأنصار إلى غير ذلك . والرواية الآتية عن ابن إسحق هى الصحيحة المعول عليها .

ماهو بخير من دينهم هؤلاء قوم يعبدون اللـه ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينـا ، إذا تركناها ماتت فخافنى فجعل فى رجلى حديداً وحبسنى فى بيت عنده ، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أين أصل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكم من هناك ناس فآذنونى . فقالوا : نفعل ، فقدم عليهم ناس من تجارهم فبعثوا إلى أنه قد قدم علينا تجار من تجارنا ، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذنونى[1] فقالوا نفعل فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرحيل بعثوا إلى بذلك فطرحت الحديد الذى فى رجلى ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين ؟ فقالوا الأسقف صاحب الـكنيسة فجئته فقلت له : إنى أحببت أن أكون معك فى كنيستك وأعبد الله فيها معك وأتعلم منك الخير . قال فـكن معى قال فـكنت معه وكان رجل سوء كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها للمساكين فأبغضته بغضاً شديداً لمـا رأيت من حاله فلم يلبث أن مات ، فلما جاءوا ليدفنوه قلت لهم : إن هذا رجل سوء كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين . فقالوا وما علامة ذلك فقلت أنا أخرج لـكم كنزه ، فقالوا فهاته فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقا[2] فلما رأوا ذلك قالوا : والله لا يدفن أبداً . فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فلا والله ما رأيت رجلا قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه أشد اجتهاداً ولا زهادة فى الدنيا ، ولا أدأب ليلا ونهاراً منه ، ما أعلمنى أحببت شيئا قبله حبه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة فقلت يافلان قد حضرك ما ترى من أمر الله وإنى والله ما أحببت شيئا

---

(١) أى أعلمونى بوقت خروجهم لأخرج معهم .

(٢) أى فضة يقال : ورق بتثليث الواو وإسكان الراء . ويقال ورق بفتح فكسر ويقال ورق بفتحتين كل ذلك للدراهم المضروبة من الفضة .

قطُّ حبك فماذا تأمرنى وإلى من توصينى ؟ فقال لى : أى بنى ما أعلم إلا رجلا بالموصل فأْته ، فإنك ستجده على مثل حالى ، فلما مات لحقت الموصل فأتيت صاحبها فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة فى الدنيا ، فقلت له : إن فلاناً أوصى بى إليك أن آتيك وأكون معك . قال : فأقم أى بنى ، فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة . فقلت له : إن فلانا أوصى بى إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصينى ؟ قال : والله ما أعلم أى بنى إلا رجلا بنصيبين ، وهو على مثل ما نحن عليه فالْحَقْ به : فلما دفناه لحقت بالآخر ، فقلت له : يافلان إن فلاناً أوصى بى إلى فلان ، وفلان أوصى بى إليك ، قال : فأقم يا بنى فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة ، فقلت له يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصى بى إلى فلان وأوصى بى فلان إلى فلان ، وأوصى بى فلان إليك فإلى من توصينى ؟ قال أى بنى ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فأْته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه ، فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية فوجدته على مثل حالهم فأقمت عنده ، واكتسبت حتى كانت لى غُنيمة وبقرات ثم حضرته الوفاة فقلت : يا فلان إن فلاناً أوصى بى إلى فلان وفلان إلى فلان وفلان إلى فلان وفلان إليك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما اعلم بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخيل ، وإن فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه ، فلما واريناه أقمت حتى مر بنا رجال من تجار العرب من كَلْب ، فقلت لهم : تحملونى معكم حتى تقدموا بى فى أرض العرب وأعطيكم

غنيمتي هذه وبقراتي ، قالوا : نعم فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي الْقُرَى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يَهُودَ بوادي القرى ، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذي نَعَتَ لي صاحبي وما حقَّت[1] عندي حتى قدم رجل من بني قُرَيْظَةَ[2] (من يهود وادي القرى) فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده ، فخرج بي حتى قدم بي المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعته ، فأقمت في رِقّي مع صاحبي وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة لا يُذْكَرُ لي شيء من أَمْرِ مع أنا فيه من الرِّق ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء وأنا اعمل لصاحبي في نخله ، فوالله إني لفيها إذ جاءني ابن عمٍّ له فقال فلان قاتل الله بني قَيْلَةَ[3] والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة ، يزعمون أنه نبي ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني الْعُرَوَاءُ يقول الرِّعْدَة ، حتى ظننت لأسقطن على صاحبي ونزلت أقول ما هذا الخبر ما هو ؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة ، وقال مالك : ولهذا أقبل على عملك ؟ فقلت لا شيء إنما سمعت خبراً فأحببت ان أعلمه ، فخرجت وسألت فلقيت امرأة من أهل بلادي فسألتها ، فإذا أهل بيتها قد أسلموا فدلتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أمسيت وكان عندي شيء من طعام فحملته وذهبت به إلى

---

(١) يعني لم يثبت عنده أنها البلدة التي وصفها الراهب إلا بعد قدوم القرظي . الخ .

(٢) قبيلة كبيرة من اليهود كانت تسكن في ناحية من المدينة مالئوا قريشا في غزوة الخندق ونقضوا العهد فحاربهم المسلمون وحاصروهم في محلتهم فنزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، فحكم أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى نساؤهم وذراريهم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات .

(٣) يعني الأوس والخزرج فإنهم بنو أم واحدة ، ثم وقع بينهم من الإحن والعداوة ما أزاله الله بالإسلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بِقُبَاء[(١)] فقلت : إنه بلغني أنك رجل صالح وإن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندى شيء من الصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به فها هو ذا فَكُلْ منه . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال لأصحابه : كلوا ولم يأكل ، فقلت فى نفسى هذه خلة[(٢)] مما وصف لى صاحبي ثم رجعت وتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندى ثم جئت به ، فقلت : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ؟ فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل أصحابه . فقلت:هذه خَلتَان ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَتَّبِع جنازة وعليه شملتان، وهو فى أصحابه فاسْتَدَرْت به لأنظر إلى الخاتَم فى ظهره ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسْتَدَرْتُه ، عرف أنى أسْتَثْبِتُ شيئاً قد وُصِف لى، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبي ، فأكببت عليه أقبله وأبكى. فقال : تحوَّل يا سلمان هكذا فتحولت فجلست بين يديه وأحبَّ أن يسمع أصحابه حديثى عنه فحدثته ، فلما فرغت قال كَاتِبْ[(٣)] ياسلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة وأربعين أُوقِيَّة ، وأعانني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل ثلاثين وَدِيَّة[(٤)] وعشرين وَدِيَّة ، وعشر كل رجل منهم على قدر ما عنده ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَرِّهْا[(٥)] فإذا فرغت

---

(١) أقام صلى الله عليه وسلم بقباء نحوا من أربع عشرة ليلة فى بنى عمرو بن عوف وأسس مسجد قباء .

(٢) الخلة بفتح الخاء : الخصلة .

(٣) المكتابة والمكاتبة : أن يتفق العبد مع سيده على قدر معين من المال يؤديه إليه فيعتق ويصير حرا .

(٤) الودى ـ بفتح فكسر مع تشديد الياء ـ هو صغار الفسيل والواحدة ودية .

(٥) أى جعل لها حفرا .

فَآذِنِّى(١) حتى أكون أنا الذى أضعها بيدى ففقَّرتها وأعاننى أصحابى ، يقول حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نحمل إليه الوَدِىَّ ويضعه ويسوِّى عليها(٢) فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدةوبَقِيَتْ عَلَىَّ الدَّرَاهِمُ ، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل بَيْضَةِ الحمامة من ذَهَب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ هذه يا سَلْمَان فأدها مما عليك فقلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما عَلَىَّ ؟ قال فإن الله سيؤدى بها عنكفوالذى نفسى بيده لَوَزَنْتَ لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وبقي عندى مثل ما أعطيتهم .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبىسَلَمَةَ بن عبدالرحمن(٣)عنسلمان قال«كنتُ فيمن ولد بِرَامَ هُرْمُز فكنت أنطلق مع غلمان من قريتنا ، وكان ثَمَّ جبل فيه كهف ، فمررتذات يوم وَحْدى وإذا أنافيه برجلطويل عليه ثياب شعر نَعْلاَه شعر فأَشار إِلَىَّ فدنوت منه فقال لى يا غلام تعرف عيسى بن مريم ؟ قلت لا ولا سمعت به قال أتدرى من عيسى ابن مريَم ؟ هو رسول الله من آمن بعيسى أنه رسول الله وبرسول يأتى من بعده اسمه أحمد أخرجه الله من غم الدنيا إلى رَوْحِ الآخرةونعيمها ، فرأيت الحلاوة والنور يخرج منشفتيه فَعَلِقَهُ فؤادى ، فكان أول ما علمنى شهادة أن لاإله إلاالله وأنعيسى ابن مريم رسولالله ومحمد ، بعده رسولالله ، والبعثبعد الموت ، وعلمنىالقيام فىالصلاة ، وقال إذا قمتفىالصلاة فاستقبلت القبلة فإذااحتوشتكالنار فلا تلتفت ، وإن دَعَتْكأمك وأبوك وأنت

---

(١) أعلمنى .

(٢) أى يسوى التراب عليها ويغرسها .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو تابعى أخذ عن عائشة وابن عباس وغيرهما .

فى صلاة الفريضة فلا تلتفت ، إلا أن يدعوك رسول من رُسُلِ الله ، فإن دعاك وأنت فى فريضة فاقْطَعْهَا ، فإنه لا يدعوك إلا بوَحْيٍ من الله ثم قال إن أدركتَ محمد بن عبدالله الذى يخرج من جبال تِهَامة ، فآمن به واقرأ عليه السلام منى ، قلت صفه لى ، قال إنه نبى يقال له نبى الرحمة محمد بن عبد الله يخرج من جبال تهامة ويركب الجمل والحمار والفرس والبغل والبغلة ، ويكون الحر والمملوك عنده سواء وتكون الرحمة فى قلبه وجوارحه بين كتفيه بيضة كبيضة الحمامة عليها مكتوب باطنها الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، وظاهرها توجه حيث شئت فإنك المنصور . يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ليس بِحَقُود ولا حَسُود ولا يظلم مُعَاهِداً ولا مُسْلِماً[1] .

وأخرج الطبرانى وأبو نُعَيم من طريق شَرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْط عن سلمان الفارسى قال « خرجت أبتغى الدين فوافقت فى الرهبان بقايا أهل الكتاب فكانوا يقولون هذا زمان نبى قد أظل يخرج من أرض العرب له علامات من ذلك شامة مُدَوَّرَةٌ بين كتفيه خاتَم النبوة فلحقت بأرض العرب وخرج النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت ما قالوا كلَّه ورأيت الخاتَم فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله »[2] .

وأخرج البيهقى وأَبُو نُعَيم من طريق بُرَيْدَةَ «أن سلمان كَاتَبَ على كذا وكذا نَخْلَةٍ يغرسها ويقوم عليها حتى تُطْعِمَ فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فغرس النخل

---

(١) هذا أثر منكر ظاهر فيه الافتعال والتكلف ، ولا يخفى أن الصوفية اتخذوا من سلمان رضى الله عنه مادة يسرح فيها الخيال وتنسج حولها الأساطير ، وما ذكر سابقا فى سبب إسلامه هو الصحيح المعول عليه .

(٢) هذا الأثر يعتبر تلخيصا للقصة السابقة .

كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر ، فَأَطْعَمَ النخل كله من سَنَتِهِ إلا تلك النخلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها ؟ قالوا عمر . فنزعها وغرسها بيده فحملت من عامها » .

وأخرج ابن سعد وأبو نُعَيم من طريق أبى عُثْمان النَّهْدِى عن سلمان قال « كاتبت أهلى على أن أغرس لهم خمسمائة فَسِيلَة فإذا عَلِقَتْ فأنا حُرٌّ ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يغرس بيده إلا واحدةً غرسْتُها بيدى فَعَلِقْنَ إلا الواحدة »[1] .

وأخرج الحاكم والبيهقى من طريق أبى الطُّفَيْلِ عن سلمان قال « أعطانى النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذه من ذهب ، وحلّق بإصْبَعِهِ السَّبَّابة على الإبهام ، مثل الدرهم ، قال فلو وضع أُحُدٌ فى كِفَّةٍ ووضعت فى أخرى لرجحت به » .

وأخرج أحمدُ والبيهقى من وجه آخر عن سلمان قال « لما أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذهب ، فقال اقْضِ به ، قلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما علىَّ ؟ فَقَلَبها على لسانه ثم قَذَفها إلىَّ ثم قال انطلق بها فإن الله سيؤدى بها عنك ، فانطلقت فوزنت منها حتى أوْفَيْتُهُمْ منها أربعين أُوقِيَّةً » .

وأخرج ابن إسحاق وابن سعد والبيهقى وأبو نُعَيْم من طريقه قال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة حدثنى من سمع عمر بن عبد العزيز قال حدثت عن سلمان « أن صاحب عَمُّورِيَّةَ قال لسلمان حين حضرته الوفاة إيت غَيْضَتَيْن من أرض الشام ، فإن رجلا يخرج من إحداهما إلى الأخرى فى كل سنة ليلة يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شفى فاسأله عن هذا الدين الذى تسألنى

---

(١) هذا الأثر والذى قبله معارض لما سبق فى الرواية الصحيحة من أنها كانت ثلاثمائة نخلة وأن النبى عليه السلام هو الذى غرسها كلها بيده .

عنه فخرجت حتى أقمت بها سنة حتى خرج تلك الليلة فأخذت بمنكبه ، فقلت رحمك الله الْحَنِيفِيَّةُ دينُ إبراهيم ، قال قد أظلك نبي يخرج عند هذا البيت بهذا الْحَرَمَ يُبْعَثُ بذلك الدين، فلما ذَكَرَ ذلك سلمانُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن كنتَ صَدَقْتَنى يا سلمانُ لَقَدْ رأيتَ عِيسَى ابن مَرْيم »[1] .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى من طريقه قال حدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادَة قال حدثنى أشياخ منا قالوا لم يكن أحدٌ من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وَثَن ، وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا إن نبيا مبعوثاً الآنَ قد أظلّ زمانه ، نتّبعه معكم فنقتلكم قتل عاد وإِرَمَ فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اتَّبَعْنَاه وكفروا به ففيهم أنزل الله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)[2] الآية .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن علىّ الأزدى قال « كانت اليهود تقول اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس » .

وأخرج الحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال « كانت يهود خَيْبَر تقاتل غَطَفَان فلما التقوا هُزِمَتْ يهودُ خيبر فعاذَت اليهود بهذا الدعاء ، فقالت اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلاّ نصرتنا عليهم ، فكانوا إذا التقوا دَعَوْا بهذا الدعاء ، فهزموا غطفان فلما بعث النبي

---

(١) قال السهيلى : هذا حديث مقطوع وفيه رجل مجهول ، ونحن نقول إنه حديث منكر أشد النكارة مخالف لما هو مجمع عليه من رفع عيسى إلى السماء وأنه لن ينزل إلا قرب قيام الساعة ، فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية ، كما صحت بذلك الأحاديث .

(٢) وهذا يفسر لنا سهولة قبول أهل المدينة للاسلام وعدم تصلبهم فى وثنيتهم كأهل مكة ، وذلك لمخالطتهم لليهود وسماعهم منهم .

صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله (وكانوا من قبل يستفتحون) الآية[1].

وأخرج ابن إسحاق وأحمد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى والطبرانى وأبو نُعَيم من طريق محمود بن لَبِيد عن سَلَمَة بن سَلاَمَة بن وَقْشٍ قال «كان بيننا يهودى فخرج على نادى قومه بنى عبد الأشهل[2] ذات غَدَاة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذلك لأصحاب وَثَنٍ لا يرون أن بَعْثاً كائن بعد موت وذلك قُبَيْل مَبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يافلان وهذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم؟ قال نعم والذى يُحْلف به لَوَدِدْت أن حَظِّى من تلك النار أن توقدوا أعظم تَنُّور فى داركم فتَحْمُونَه ثم تقذفونى فيه ثم تطينون علىَّ وأن أنجوَ من النار غداً. قيل يا فلان فما علامة ذلك؟ قال نبى يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا فمتى تراه؟ فرمى بطرفه إلىَّ وأنا أَحْدَثُ القوم فقال إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم، إنه لَحَىٌّ بين أَظْهُرِنا فآمنا به وصدقناه وكفر به بَغْيا وحسداً فقلنا له يافلان ألستَ الذى قلتَ لنا فيه ما قلت وأخبرتنا به؟ قال ليس به[3].

وأخرج البيهقى والطبرانى وأبو نعيم والخرائطى فى الهواتف، عن خليفة ابن عَبْدَةَ قال سألت محمد بن عَدِىٍّ بن رَبِيْعة كيف سَمَّاكَ أبوكَ فى الجاهلية محمداً؟ قال أما إنى سألت أبى عما سألتنى عنه، فقال خرجت رابعَ أربعة من بنى تميم أنا

---

(١) الآية صريحة فى أن اليهود كانوا ينتظرون مبعثه ويتهددون به من يقاتلهم من العرب، ومعنى يستفتحون كما قال ابن جرير يستنصرون بخروج محمد على مشركى العرب فلما بعث الله محمدا ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه.

(٢) بطن من الأوس ينسب إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه.

(٣) هذا أثر صحيح وهو يدل على تعنت اليهود قبحهم الله وحسدهم للعرب على أن كان نبى آخر الزمان منهم مع أنهم يعلمون أنه سيكون من ذرية إسماعيل.

أحدهم وسفيانُ بن مُجَاشِع بن دَارِم ويزيدُ بن عمرَ بنِ ربيعة وأسامةُ بنُ مالك ابن خِنْدَف ، فلما وَرَدْنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات ، فأشرف علينا دِيَرانِيٌّ(١) فقال من أنتم ؟ قانا قوم من مُضَر ، قال أما إنه سوف يُبْعث منكم وَشيكاً نبِيٌّ فَسَارِعُوا إليه، وخذوا بحظكم منه، تَرْشُدُوا فإنه خاتَم النبيين. فقلنا ما اسمه ؟ قال محمد . فلما صرنا إلى أهلنا وُلِدَ لكل واحد منا غلامٌ فسماه محمداً .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المُسَيَّب قال « كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكُهَّان أن نبيا يُبْعَث من العرب اسمه محمد ، فسمَّى من بلغه ذلك من العرب وَلَده محمداً طمعاً فى النبوة(٢) » .

وأخرج ابن سعد عن قتادة بن السَّكَن العُرَنِيِّ قال : « كان فى بنى تميم محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أَسْقُفٌ ، قال لأبيه إنه يكون للعرب نبى اسمه محمد فسماه محمداً » .

وأخرج البيهقى من طريق مَرْوَان بن الحَكَم عن معاويةَ بنِ أبى سفيان قال حدثنى أبو سفيان بنُ حَرْب قال خرجت أنا وأُمَيَّة بن أبى الصَّلْتِ إلى الشام فمررنا بقرية فيها النصارى فلما رَأَوْا أُمَيَّة عظموه وأكرموه وأرادوه على أن ينطلق معهم فقال لى أمية : يا أبا سفيان انطلق معى فإنك تمضى إلى رجل قد انتهى إليه عِلْمُ النصرانية . فقلت لست أنطلق معك ، فذهب ورجع

---

(١) نسبة إلى الدير وهو مكان التعبد لرهبان النصارى وجمعه أديرة وديارات .

(٢) المعروف أن العرب كانوا فى غفلة عن أمر النبوة وقد حكى القرآن عنهم الإنكار الشديد لأن يكون بشر رسولا فكيف يطمعون فى النبوة لأبنائهم ؟ نعم هناك نفر قليل من العرب فارقوا وثنيتهم ودخلوا فى دين النصرانية كأمية ابن أبى الصلت . وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ونحوهم . وكان بعضهم يطمع فى النبوة كأمية فلما فاتته كفر حسدا .

قال تكتم عليّ ماأحدثك به ؟ قلت: نعم قال : حدثنى هذا الرجل الذى انتهى إليه علم الكتاب أن نبيا مبعوثٌ فظننت أننى أنا هو . فقال ليس منكم هو من أهل مكة قلت ما نسبه ؟ قال وسط من قومه . وقال لى آية ذلك أن الشام قد رجفت بعد عيسى ابن مريم ثمانين رجفة وبقيت رجفة يدخل على الشام منها شر ومصيبة ، فلما صرنا قريباً من ثنية[1] إذا راكب قلنا من أين ؟ قال من الشام . قلنا هل كان من حدَث ؟ قال نعم . رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة » .

وأخرج أبو نعيم عن كَعْب ووَهْب بن منبه قالا « رأى بُخْت نَصَّر فى منامه رؤيا عظيمة أفزعته ، فلما استيقظ نسيها فدعا كَهَنَتَه وسَحَرَتَه فأخبرهم بما أصابه من الكرب فى رؤياه ، وسألهم أن يعبروها له ، فقالوا قُصَّها علينا قال قد نسيتها . قالوا فإنا لا نقدر على تأويلها حتى تقصها ، فدعا دانيالَ فأخبره فقال إنك قد رأيت صَنَمَا عظيما رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء أعلاه من ذهب ووسطه من فضة وأَسْفَله من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فَخَّار ، فبينا أنت تنظر إليه قد أعجبك حُسْنه وإحكام صنعته ، فقذفه الله بحجر من السماء فوقع على قُنَّةِ رأسه فَدَقَّهُ حتى طحنه فاختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ، حتى تخيَّل إليك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك، ولو هبَّت ريح لَأَذْرَتْه ونظرتَ إلى الحجر الذى قُذِفَ به يربو ويعظم وينتشر ، حتى ملأ الأرضَ كلها فصرت لا ترى إلا السماء أو الحجر ، قال بُخْتَ نَصَّر صدقتَ هذه الرؤيا التى رأيتُها فما تأويلها ؟ قال أما الصنم فأمم مختلفة فى أول الزمان وفى أوسطه وفى آخره . وأما الحجر الذى قُذِفَ به الصنم فدين الله يقذفه

(١) الثنية الطريق فى الجبل والجمع : ثنايا وثنيات .

به الأمم فى آخر الزمان لِيُظْهِرَه الله عليها ، فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوِّخُ الله به الأمم والأديان ، كما رأيت الحجر دَوَّخ أصناف الصنم ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الارض » .(١)

وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن عيسى بن داب قال: قال أبو بكر الصديق « كنت جالسا بِفِناء الكعبة وزيد بن عَمْرِو بْنِ نُفَيْل(٢) قاعد فمرَّ به أُمَيَّةُ ابن أبى الصَّلْت فقال : أَمَا إن هذا النبى الذى يُنْتَظَر منا أو منكم أو مِنْ أهل فلسطين، قال : ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ولا يُبْعث ، فخرجت أريدُ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَل ، فقصصت عليه الحديث فقال : نعم يا ابن أخى ، أخبرنا أهل الكتاب والعلماء: أن هذا النبى الذى يُنْتظر من أوسط العرب نسباً ولى علم بالنسب وقومك أوسط العرب نسباً . قلتُ : ياعم ومايقول النبى ؟ قال يقول ماقيل له ، إلا أنه لا يَظْلِم ولا يُظَالِم قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه سلم آمنتُ وصدقتُ .

واخرج الطيالسى والبيهقى وابو نُعَيم عن سَعِيدِ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل أن زيد بن عمر بن نفيل وورقة بن نوفل(٣) خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالمَوْصِل

---

(١) قال ابن قتيبة فى كتابه (المعارف) . (وكان فى الأسارى الذين فى يد بختنصر دانيال وعزير ، فأما دانيال فهو الذى عبر رؤياه فنزل منه بأفضل المنازل وكان قبره بناحية السوس ووجده أبو موسى الأشعرى فأخرجه وكفنه وصلى عليه ثم قبره وأما عزير فأقام لبنى إسرائيل التوراة بعد أن أحرقت فصاروا لا يعرفونها حين عاد إلى الشام ، فقالت طائفة من اليهود هو ابن الله) اه .

(٢) قال ابن قتيبة : كان زيد رغب عن عبادة الأوثان وطلب الدين حتى وقع على رجل بالجزيرة فوصف له دين إبراهيم وقال ارجع إلى بلادك فقددنا خروج نبى ، فإذا خرج فاتبعه ثم رجع إلى الشام فقتله النصارى .

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن عم خديجة أم المؤمنين وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فى فيكتب من الأنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ولهذا انطلقت خديجة برسول الله صلى الله =

ففال لزيد من أين أقبلت؟ قال: من بِنَيَّة ابراهيم عليه السلام[1] قال وماتلتمس ؟ قال : ألتمس الدين . قال ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذى تطلب فى أرضك » .

وأخرج أبو يعلى والْبَغَوِىُّ فى مُعْجَمِه والطَّبَرانى والحاكم وصَحَّحَهُ والبيهقى وأبو نُعَيم من طريق أُسَامَةَ بن زيد عن زيدِ بنِ حارثة « أن النبى صلى الله عليه وسلم لَقِيَ زيدَ بْنَ عمرِو بن نُفَيْل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: ياعمِّ مالى أرى قومك قد شنفوك ؟ قال أما والله إن ذلك لَبِغَيْرِ ثائِرَة ، كانت مِنِّى إليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين حتى أتيتُ على شيخ بالجزيرة فأخبرته بالذى خرجت له فقال ممن أنت ؟ قلت من أهل بيت الله قال فانه قد خرج من بلدك نبى أوهو خارج قد طلع نجمه فَارْجِعْ فَصَدِّقْهُ وآمِنْ به فرجعت فلم أُحِسَّ شيئًا بعد قال ومات زيد بن عمرو قبل أن يُبْعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله شَنَفُوكَ بمعجمه و نون وفاء أى أبغضوك[2] .

أخرج ابن سعد وأبو نُعيم عن عامر بن ربيعة قال: لقيتُ زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حِرَاء وإذا هو قد كان بينه وبين قومه سوء ؟ فى صدر النهار فيما أظهر من خلافهم واعتزال آلهتهم ، وما كان يعبد آباؤهم .

= عليه وسلم إليه ليخبره خبر مارآى فى حراء ، فقال له هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى وبشره بأنه نبى هذه الأمة وتمنى لو عاش حتى يقوم الرسول بدعوته لينصره نصرا مؤزرا ولكنه لم يلبث أن توفى .

(١) هى الكعبة المشرفة تنسب إلى بانيها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

(٢) لم يثبت فى الصحيح لقاء بين زيد وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدث زيد عن نبوة منتظرة ولادخل فى يهودية ولانصرانية بل بقى على دين الحنيفية حتى قتل وقد جاء فى الحديث (إنه يبعث أمة وحده) .

فقال زيد : ياعامر إنى خالفت قومى واتبعت ملّة إبراهيم وما كان يعبد فأنا أنتظر نبياً من وَلَد إسمعيل ، ثم من بنى عبدالمطلب اسمه أحمد ، ولاأُرانى أدركه فأنا أو من به وأصدقه وأشهد أنه نبى فان طالت بك مدة فرأيته فَأَقْرِأه منى السلام وسأخبرك ياعامر مانَعْتُه ؟ حتى لا يخفى عليك ، هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس تُفارق عينيه حمرةٌ وخاتَم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد ، وهذا البلد مَوْلِده وَمَبْعَثُه ، ثم يخرجه قومه منها ويَكْرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تخدع عنه فإنى بلغت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، وكلُّ مَنْ أسألُ من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وَرَاءكَ . ويَنْعَتُونه مثلَ مانعَتُّه لك . ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره قال عامر فلما تَنَبَّأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرتُه فترَحَّم عليه وقال : قد رأيته فى الجنة يُسْحَبُ ذَيْلَه » .

وأخرج ابن سعد من طريق الشّعبى عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال : زيدُ بن عمرو بن نُفَيْل « كنت بالشام فأتيتُ راهباً فذكرت له كراهتى عبادةَ الأوثان واليهوديةَ والنصرانية . فقال لى أُراكَ تريد دين إبراهيم ياأخا أهل مكة إنك لتطلب دينا مايؤخذ اليوم به فالحق ببلدك فإن نبيا يبعث من قومك فى بلدك يأتى بدين ابراهيم بالحنيفية وهو أكرم الخلق على الله » .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبى أُمامة الباهلى [1] عن عمرو بن عَبَسَة السُّلمى [2] قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون

(١) هو صدى بن عجلان شهد مع على صفين وهو يعد فيمن تأخر موته من الصحابه توفى سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

(٢) هو من بنى سليم ويكنى أبا نجيح وكان يقال له ربع الإسلام لأنه حين جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قال له : من اتبعك على هذا الأمر ؟ فقال : حر وعبد يعنى أبا بكر وزيد بن حارثة رضى الله عنهما فكان عمرو بن عبسة يقول : لقد رأيتنى وإنى لربع الإسلام .

الحجارة فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين ؟ فقال يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها وهو يأتى بأفضل الدين فإذا سمعتَ به فاتبعه فلم يكن لى هم إلا مكة آتيها ، فاسأل هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون : لا فأنصرف إلى أهلى وأعترض الركبان خارجين من مكة فأسألهم هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون لا ، فإنى لقاعد على الطريق إذ مر بى راكب قلت من أين جئت ؟ قال : من مكة ، قلت : هل حدث فيها خبر ؟ قال نعم رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها ، فقلت صاحبى الذى أريد فأتيته فوجدته مستخفيا قلت ما أنت ؟ قال نبى قلت ما النبى؟ قال رسول قلت ومن أرسلك ؟ قال: الله. قلت بماذا أرسلك ؟ قال أن توصل الأرحام وتحقن الدماء وتؤمن السبل وتكسر الأوثان وتعبد الله لا تشرك به شيئاً قلت نِعْمَ ، ما أرسلك به أشهدك أنى قد آمنت بك وصدقت أفأمكث معك أَوْ مَا تَرى ؟ قال قد ترى كراهية الناس لما جئت به فامكث فى أهلك فإذا سمعت بى خرجت مَخْرَجا فاتبعنى فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرت حتى قدمت عليه » .

وأخرجه ابن سعد من طريق شَهْر بن حَوْشَب عن عمرو بن عَبْسَة به .

وأخرج أبو نُعَيْم وابن عَسَاكِر عن أبى هريرة قال « بلغنى أن بنى إسرائيل لما أصابهم من ظهور بخت نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا وكانوا يجدون محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوتاً فى كتابهم وأنه يظهر فى بعض هذه القرى العربية فى قرية ذات نخل ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يَتعَرَّضون [1] كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه حتى نزل من بنى هارون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة فمات أولئك الآباء وهم

---

(١) يعنى يتأملون القرى التى يجدونها مطابقة لما عندهم من أوصاف القرية التى ستكون إليها هجرة الرسول عليه السلام .

مؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه جاء ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء فأدركه من أدركه من أبنائهم وكفروا به وهم يعرفون » .

وأخرج أبو نعيم عن حسان بن ثابت[١] أنه قال « والله إنى لفى منزلى ابن سبع سنين وأنا أحفظ ما أرى وأعى ما أسمع ، وأنا مع أبى إذ دخل علينا فتى منا يقال له ثابتُ بن الضحاك[٢] فتحدث ، فقال زعم يهودى فى قريظة الساعة وهو يُلاَحِينِى قد أظل خروج نبى يأتى بكتاب مثل كتابنا يقتلكم قتل عاد ، قال حسان فوالله إنى لعلى فارع يعنى أُطُمِ حَسَّان فى السَّحَر إذ سمعت صوتا لم أسمع صوتا قط أنفذ منه فإذا يهودى على ظهر أُطُم من آطام المدينة معه شُعْلَةٌ من نار ، فاجتمع إليه الناس فقالوا : مالك ويلك ؟ قال حسان فأسمعه يقول هذا كوكب أحمد قد طلع هذا الكوكب لا يطلع إلا بالنبوة ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد قال فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما يأتى منه . وكان حسان عاش مائة سنة وعشرين سنة ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الاسلام » .

وأخرج الواقدى وأَبُو نُعَيْم عن حُوَيِّصَةَ بنِ مسعود « قال كنا ويهود فينا كانوا يذكرون نبيا يبعث بمكة اسمه أحمد ، ولم يبق من الأنبياء غيره ، وهو فى كتبنا وما أخذ علينا منه صفته كذا وكذا ، حتى يأتوا على نعته قال : وأنا غلام وما أَرَى أَحفَظُ وما أسمعُ أَعِى إذ سمعت صِيَاحاً من ناحية بنى عبد الاشْهَل

---

(١) أنصارى خزرجى كنيته أبو الوليد وهو متقدم فى الإسلام إلا أنه لم يشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم مشهدا لجبنه وقد عاش مائة وعشرين سنة ستين منها فى الجاهلية وستين فى الإسلام .

(٢) هو والد زيد بن ثابت قتل يوم بعاث قبل قدوم النبى عليه السلام بنحو خمس سنوات وقد أسلم ابنه زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ولهذا استصغر عن غزوة أحد .

فإذا قومى فزعوا وخافوا أن يكون أمر حدث ، ثم خفى الصوت ثم عاد فصاح ففهمنا صياحه يا أهل يثرب هذا كوكب أحمد الذى ولد به ، قال: فجعلنا نعجب من ذلك ، ثم أقمنا دهراً طويلا ونسينا ذلك فهلك قوم وحدث آخرون وصرت رجلا كبيراً فإذا مثل ذلك الصياح بعينه يا أهل يثرب قد خرج محمد وتنبأ وجاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه الصلاة والسلام، فلم نَنْشَبْ أن سمعت أن بمكه رجلا خرج يدعى النبوة وخرج من خرج من قومنا وتأخر من تأخر ، وأسلم فِتْيَانٌ منا أحداث ولم يُقْضَ لى أن أُسْلِم ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس قال «كانت يهود قريظةَ والنَّضِيرِ وفَدَكَ وخَيْبَرَ يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة ، فلما ولد قالت أحبار يهود ولد أحمدُ الليلة هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبأ قالوا قد تنبأ أحمد كانوا يعرفون ذلك و يُقِرُّون به و يَصِفُونَه » .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن أبى نَمْلَةَ قال: «كانت يهود بنى قريظة يَدْرُسُون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمونه الوِلْدَانَ بصفته واسمه ومُهَاجَرِه إلينا المدينة، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدوا وبَغَوْا وأنكروا .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبى سعيد الخُدْرِىِّ قال سمعت أبى مَالِكَ بن سِنَانٍ يقول: جئت بنى عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم فسمعت يُوشَعُ اليهودى يقول «أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم فقيل له ما صفته ؟ قال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يلبس الشَّمْلة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مُهَاجَرُه . فرجعت إلى قومى بنى خُدْرَةَ وأنا أتعجب مما قال فأسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول هذا وحده ؟ كل يهود يثرب تقول هذا ، فخرجت حتى

جئت بنى قريظة فأجد جمعاً ، فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال الزبير ابن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى وظهوره ولم يبق أحد إلا أحمد وهذه مُهَاجَرُه » .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمود بن لبيد عن محمد بن سَلَمة[1] قال « لم يكن فى بنى عبدالأشهل إلا يهودى واحد يقال له : يوشع ، فسمعته يقول : وإنى لَغُلَامَ قد أظلكم خروجُ نبى يبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى مكة فمن أدركه فليصدقه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ، فلم يُسْلم حسداً وبغياً » .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال : « لم يمت تُبّعٌ حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وسلم لِمَا كان يهود يثرب يُخْبِرُونَه » .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس عن أُبَىٍّ بن كعب قال : «لما قدم تُبَّعٌ المدينة ونزل بقَنَاة، بعث إلى أحبار يهود فقال: إنى مُخَرِّب هذا البلد ، فقال له شامُون اليهودى وهو يومئذ أعلمهم ، أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبى من بنى إسماعيل مولده بمكة اسمه أحمد وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتل والجراح أمرٌ كثير فى أصحابه وفى عدوهم ، قال تبع : ومن يقاتله يومئذ ؟ قال يسير إليه قومه فيقتتلون هاهنا ، قال : فأين قبره ؟ قال بهذا البلد ، قال فإذا قوتل لمن تكون الدَّبْرَةُ ؟ قال تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتلوا فى موطن مثلها ، ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه فى هذا الأمر

---

(١) هو محمد بن مسلمة بن سلمة من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج ، كان يقال له فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المشاهد كلها . ومات بالمدينة سنة ست وأربعين أو ثلاث وأربعين .

أحد ، قال وما صفته ؟ قال : رجل لا بالطويل ولا بالقصير فى عينيه حمرة ، يركب البعير ، ويلبس الشملة ، سيفه على عاتقه ، لا يبالى من لاقى حتى يظهر أمره »[١] .

وأخرج ابن سعد من طريق عبدالحميد بن جعفرعن أبيه قال : « كان الزبير ابن بَاطَا وكان أعلم[٢] اليهود يقول : إنى وجدت سِفْرا كان أبى كَتَمَه عَلَىَّ فيه ذكر أحمد نبى يخرج بأرض الْقُيُوظِ[٣] ، صفته كذا وكذا ، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو إلا أن سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة ،عَمِد إلى ذلك السِّفْرفمحاه وكتم شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقال ليس به » .

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن ثابت قال« كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما طلع الكوكب الاحمر أخبروا أنه نبى وأنه لانبى بعده اسمه أحمد مهاجره إلى يثرب ، فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ونزلها أنكروا وبَغَوْا وحَسَدُوا » .

وأخرج أبو نعيم عن زياد بن لبيد أنه حدث « أنه كان على أطم من آطام

---

(١) ذكر ابن قتيبة أن أهل يثرب ممن خرج مع عمرو بن عامر مزيقيا كانوا قد شكوا إلى تبع سوء مجاورة اليهود ونقضهم الشرط الذى شرطوه لهم عند نزولهم ، فأحفظه ذلك وعزم على أخراب يثرب ، فقال له رجل من اليهود إنك لا تستطيع ذلك فقال له ولم ؟ قال إنها مهاجر نبى من ولد إسماعيل يخرج من عند هذه البنية يعنى الكعبة فكف تبع عنها .

(٢) لاشك أن أعلم اليهود هو عبدالله بن سلام رضى الله عنه كما جاء فى قصة إسلامه أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم عنه فقالوا : هو عالمنا وابن عالمنا فلما أخبرهم أنه قد أسلم شتموه وتنقصوه .

(٣) جمع قيظ ، وهو الحرارة الشديدة ويعنى بها مكة .

المدينة سمع يا أهل يثرب قد ذهبت والله نبوة بني إسرائيل ، هذا نجم قد طلع بمولد أحمد وهو نبي آخر الأنبياء مهاجره إلى يثرب[١] » .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه قال : « ما كان في الأوس والخزرج رجل أوْصَفَ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر[٢] الراهب كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه دار هجرته ، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وأن مهاجره يثرب ، فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا على دين الحنيفية ، فأقام مترهباً ولبس المُسُوحَ ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام وأنه ينتظر خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج إليه وأقام على ما كان عليه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسد وبغى ونافق ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم بعثت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية ، فقال: أنت تخلطها بغيرها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أتيت بها بيضاء نَقِيَّةً أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟ قال لستَ بالذي وصفوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبتَ ، فقال: ما كذبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاذب

---

(١) من المعلوم أن أهل يثرب كانوا عباد أصنام فلا يعنيهم ذهاب نبوة ومجيء أخرى كما أنه من المستبعد أن يعلن اليهود في أعدائهم بذهاب النبوة منهم وانتقالها إلى العرب. ولهذا يجب أن تؤخذ هذه الأخبار كما قلنا سابقا بحذر .

(٢) اسمه عبد عمرو بن صيفي وكان رأس الأوس في الجاهلية ولقب بالراهب لكثرة تعبده فلما جاء الإسلام شرق به وجاهر بالعداوة وخرج يؤلب قريشا ويحمسها للأخذ بثأر قتلى بدر وكان شديد النكاية على المسلمين يوم أحد وهو الذي بنى له بعض المنافقين مسجد الضرار ليكون مركزا للتجسس على المسلمين .

أماته الله طريداً وحيداً ، فقال آمين ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه » .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن جعفر بن عبدالله بن أبى الحكم نحوه ، وزاد « نخرج إلى مكة ، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ، فمات بها طريداً غريباً وحيداً » .

وأخرج أبو نُعَيْم عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف قال « كان كعب ابن لؤى بن غالب يجمع قومه يوم الجمعة فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعو وَتَعَلَّمُوا، وافهموا واعلموا ، ليل ساجٍ ونهار ضاحٍ ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والذكر والأنثى ، والروح إلى بِلًى ، فَصِلُوا أرحامكم ، واحفظوا أَصْهَارَكُم ، وثَمِّروا أموالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع ، أو مَيْتٍ نُشِر ، الدار أمامكم ، والظَّنُّ غير ما تقولون ، حرمكم زَيِّنُوه وعَظِّمُوه ، وتمسكوا به فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم[1] .

ثم يقول :

نهار وليل كل أَوْبٍ بحادث ... سواء علينا ليلُها ونهارُها
على غفلة يأتى النبىُّ محمدٌ ... يُخَبِّر أخباراً صدوقٌ خَبيرُها

والله لو كنت ذا سمع وذا بصر وذا . يد وذا رجل لتَنَصَّبْتُ فيها تَنَصُّب الجمل . ولَأَرْقَلْتُ فيها إرقال الفحل .

---

(١) لا يخفى ما فى هذه القصة من الافتعال ، فإن كعب بن لؤى لا يعرف له اتصال بأهل الكتاب حتى يخبر بخروج نبى من مكة وبعض ألفاظ خطبته محفوظ من خطبة قس ابن ساعدة فى سوق عكاظ .

ثم يقول :

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم خَمْسُمائَةَ سنة وستون سنة .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس «أن قُسَّ بن ساعدة كان يخطب قومه فى سوق عُكَاظُ ، فقال فى خطبته : سَيَعُمُّكم حق من هذا الوجه ، وأشار بيده نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه »[1] .

وأخرج الخرائطى فى (كتاب الهواتف) وابن عساكر عن جامع بن جِرَان ابن جُمَيْع بن عثمان بن سِمَال بن أبى الحصن بن السَّمَوْأَل بن عَادِيَا ، قال : لما حضرت الأوْسَ بن حارثة[2] الوفاةُ أوصى ابنه مالكا بوصايا ثم أنشأ يقول :

شهدت السبايا يوم آل مُحَرَّق وأدرك عمرى صيحةَ الله فى الحجر

فلم أر ذا ملك من الناس واحداً ولا سوقةً إلا إلى الموت والقبر

---

(١) روى أهل الأدب أنه كان يقول فى خطبته بعكاظ (يقسم قس بالله قسما لاحنث فيه إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم ونبيا قد حان حينه وأظلكم أوانه فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه .

(٢) هو جد قبيلة الأوس من الأنصار فمن ولده مالك تفرعت كل قبائل الأوس وبطونها وهو أخو الخزرج بن حارثة وأمهما قيلة بنت كاهل التى تنسب إليها القيلتان .

إلى أن قال :

ألم يأت قومى أن لله دعـــوة ... يفوز بهـــا أهل السعادة والبر

إذا بعث المبعوث من آل غالب ... بمكة فيما بين زمزم والحجر

هنالك فابغوا نصره ببـــلادكم ... نى عامر إن السعادة فى النصر

وأخرج ابن سعد عن حَرَام بن عثمان الأنصارى قال «قدم أسعد بن زُرَارَة[١] من الشام تاجرا فى أربعين رجلا من قومه فرأى رؤيا ، أن آتياً أتاه فقال ، إن نبيا يخرج بمكة ياأبا أُمَامَةَ فاتبعه ، وآية ذلك أنكم تنزلون منزلا فيصاب أصحابك فَتَنْجُو أنت وفلان يُطْعَن فى عَينه فنزلوا منزلا فَبَيَّتَهُم الطاعون فأصيبوا جميعا غير أبى أمامة وصاحب له طعن فى عينيه » .

وأخرج ابن أبى الدنيا والبَيْهَقِيُّ وأبو نعيم عن الشعبى قال « حدثنى شيخ من جُهَيْنَةَ أن رجلا منا فى الجاهلية يقال له عُمَيْرُ بنُ حَبِيبٍ مرض فأُغْمِى عليه فسجَّيْناه فظننا أنه مات وأمرنا بحفرته أن تحفر ، فبينما نحن عنده إذ جلس فقال : إنى أُتيتُ حيث رأيتمونى أُغْمِى عَلَىَّ فقيل لى لِأُمِّكَ الْهَبَل . ألا ترى إلى حفرتك تُنْتَثَلْ . وقد كادت أمك تَثْكَلْ . أرأيت إن حولناها عنك بمحول . وقذفنا فيها الْقُصَل ، ثم ملأناها عليه بالجندل ، أتؤمن بالنبى المرسل ؟ وتشكر لربك وتصل ، وتدعُ سبيل من أَشْرك فأضل . قلت نعم فأُطْلِقْتُ فانظروا ماذا فعل الْقُصَل . فذهبوا ينظرون فوجدوه قد مات فَدُفِن بالْحُفرة ، وعاش الرجل حتى أدرك الإسلام »[٢] .

---

(١) أنصارى خزرجى شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، وكان نقيبا لبنى النجار ، وفى الصحيح أنه أول من جمع بالمسلمين فى المدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) هذه حكاية من نسج خيال الشعبى أو الشيخ الذى روى عنه ولو صحت فهى من فعل الجن ، والكلام هنا من قبيل سجع الكهان .

وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن كعب قال: « كان إسلام أبى بكر الصديق سببه بوحى من السماء ،وذلك أنه كان تاجرا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب فقال له من أين أنت؟ قال من مكة . قال من أيها ؟ قال من قريش قال فإيش أنت ؟ قال تاجر قال صدق الله رؤياك فإنه يبعث نبي من قومك تكون وزيره فى حياته وخليفته بعد موته ، فأسرها أبو بكر حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه فقال : يا محمد ما الدليل على ماتدعى ؟ قال الرؤيا التى رأيت بالشام فعانقه وقبل مابين عينيه ، وقال أشهد أنك رسول الله »(١).

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عبد الرحمن الْبَيَاضِي عن أبيه عن جده قال :« قيل لأبى بكر هل رأيت قبل الإسلام شيئاً من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . وهل بقى أحد من قريش أو من غير قريش لم يجعل الله لمحمد فى نبوته حجة بينا أنا قاعد فى شجرة فى الجاهلية إذ تدلَّى عَلَيَّ غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر إليه وأقول ماهذا ؟ فسمعت صوتاً من الشجرة هذا النبى يخرج فى وقت كذا وكذا ، فكن أنت من أَسْعَد الناس به»(٢).

---

(١) هذا ينافى ماجاء فى الحديث الصحيح من قوله عليه السلام (مادعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت له فيه كبوة وتردد إلا أبا بكر) فأبو بكر لم يسأل الرسول آية على صدقه بل دخل فى الإسلام بمجرد دعوته إليه .

(٢) هذه حكاية ظاهر فيها الكذب والافتعال ، وليت شعرى لمصلحة من يروى السيوطى كل هذه الأباطيل ؟ وهل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خفى حتى يحتاج إلى تدعيمه بهذه السنادات الواهية .

« باب »

اختصاصه بذكر أصحابه فى الكتب السابقة ووعدهم بوراثة الأرض

قال الله تعالى (ولقد كتبنا فى الزَّبُور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون).

أخرجَ ابن أبى حاتم فى تفسيره عن ابن عباس فى الآية قال « أخبر الله سبحانه فى التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات الأرض أن يُوَرِّثَ أُمَّةَ محمد الأرض ».

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدَّرْداء أنه قرأ قوله تعالى (إن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فقال نحن الصالحون . قلت : وقد وقفت على نسخة من الزبور وهومائة وخمسون سورة ورأيت فى السورة الرابعة منه مانصه : « ياداود اسمع ما أقول ومُرْ سليمانَ فليقلْه للناس من بعدك إن الأرض لى أُوَرِّثُها محمداً وأمته »

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : « قال أبو بكر الصِّدِّيق : خرجت إلى اليمن قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت على شيخ من الأَزْدِ عالم قد قرأ الكتب ، وأتت عليه أَرْبَعُمائة سنة إلا عشر سنين فقال لى أَحْسَبُك حَرَمِيًّا؟[1] قلت نعم . وأحسبك قرشياً قلت نعم قال وأحسبك تَيْمِيًّا[2] قلت نعم . قال بقيت لى منك واحدة ، قلت ماهى؟ قال تكشف لى عن بطنك قلت لم ذاك؟ قال أجد فى العلم الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يُعَاوِنُ على أمره فَتًى وَكَهْلٌ ،

---

(١) نسبة إلى الحرم ، أى من أهل مكة ، والكلام على الاستفهام ولهذا أجابه أبو بكر رضى الله عنه بنعم .

(٢) أى من بنى تيم بن مرة بطن من قريش ينسب إليهم أبو بكر وطلحة ابن عبدالله .

فأما الفتى فَخَوَّاضُ غَمَرَاتٍ ودَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ . وأما الكهل فأبيضُ نَحِيفٌ على بطنه شَامَة وعلى فخذه اليسرى علامة ، وما عليك أن تُرِيَنِي ؟ فقد تكاملت لى فيك الصفة إلا ماخَفِيَ عَلَيَّ . قال أبو بكر : فكشفت له عن بطنى فرأى شَامَةً سَوْداء فوق سرتى . فقال أنت هو وربِّ الكعبة »[1] .

وأخرج ابن عساكر عن الربيع ابن أنس[2] قال «مكتوب فى الكتاب الأول مَثَل أبى بكر الصديق مَثَلُ القطر أينما يقع نفع »[3] .

وأخرج ابن عساكر عن أبى بَكْرَة[4] قال : أتيت عمر رضى الله عنه وبين يديه قوم يأكلون فرمى ببصره فى مُؤَخَّرِ القوم إلى رجل فقال ماتجد فيما تقرأ قِبَلَكَ من الكتب ؟ قال خليفة النبى صلى الله عليه وسلم صِدِّيقُه » .

---

(١) وهذه أيضا أسطورة من أساطير ابن عساكر فإنه يبعد جداً فى العادة أن يعمر رجل إلى هذه السن ، ولو فرض فإنه يبعد أن يبقى له عقل يعى وعين ترى وأذن تسمع ، كما أنه لامعنى لتخصيص أبى بكر وعلى بالإعانة على أمر الإسلام فهناك كثير غيرهما كعمر الذى أعز الله به الإسلام وحمزة أسد الله وأسد رسوله وطلحة بطل أحد وسعد بطل القادسية الخ من لايقع تحت الحصر من المهاجرين والأنصار .

(٢) كان من أهل البصرة من بنى بكر بن وائل لقى ابن عمر وجابراً وأنس ابن مالك وهرب من الحجاج فأتى مرو وسكن بها ، ومات فى خلافة أبى جعفر المنصور .

(٣) من المستبعد أن يذكر أبو بكر رضى الله عنه فى الكتب السابقة باسمه الصريح ولكن بصفات عامة كما نطق بذلك القرآن على أن هذا المثل ليس بصحيح فإن القطر لاينفع إذا وقع على أرض صلبة أو سبخة ، بل قد يضر كما لو وقع على بعض الأبنية فهدمها .

(٤) هو نفيع ، بن الحارث بن كلدة طبيب العرب تدلى إلى الرسول عند حصار الطائف فأسلم وحسن إسلامه وتوفى سنة إحدى وخمسين وقد اعتزل الفتنة التى كانت بين على ومعاية وروى فى ذلك حديثه المشهور (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار) .

وأخرج الدِّينَوَرِىُّ(١) فى المجالسة وابن عساكر من طريق زيد بن أَسْلَمَ قال أخبرنا عمر بن الخطاب قال « خرجت مع ناس من قريش فى تجارة إلى الشام فى الجاهلية . فلما خرجنا إلى مكة نسيت قضاء حاجة فرجعت فقلت لأصحابى ألحقكم فوالله إنى لفى سوق من أسواقها ، إذا أنا ببِطَرْيق قد جاء فأخذ بعنقى فذهبت أُنَازِعُه فأدخلنى كنيسته ، فإذا تراب متراكب بعضه على بعض فدفع إلى مجرفة وفأسا وزنبيلا وقال: انقل هذا التراب فجلست أتفكر فى أمرى كيف أصنع فأتانى فى الهاجرة فقال لى: لم أرك أخرجت شيئا ثم ضم أصابعه فضرب بها وسط رأسى فقمت بالمجرفة فضربت بها هامته فإذا دماغه قد انتثر ثم خرجت على وجهى ما أَدرى أين أسْلُكْ ؟ ، فمشيت بقية يومى وليلتى حتى أصبحت فانتهيت إلى دير فاستظللت فى ظله فخرج إلىّ رجل فقال ياعبد الله ما يجلسك هاهنا ؟ قلت أضللت عن أصحابى فجاءنى بطعام وشراب وصَعَّدَ فِىَّ النظر وخَفَّضَه ، ثم قال ياهذا قد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم منى بالكتاب وإنى أجد صفتك الذى تخرجنا من هذا الدير وتغلب على هذه البلدة فقلت له أيها الرجل قد ذهبتَ فى غير مَذْهَب .قال ما اسمك ؟ قلت عمر بن الخطاب . قال أنت والله صاحبنا فهو غير شك فاكتب لى على دِيرِى وما فيه قلت : أيها الرجل قد صنعت معروفا فلَا تُكَدِّرْه . فقال اكتبِ لى كتابا فى رَقّ ليس عليك فيه شىء فإن تك صاحبنا فهو ما نريد وإن تكن الأخرى فليس يضرك قلت هَاتِ فكتبت له ثم خَتَمْتُ عليه ، فلما قدم عمر الشام فى خلافته أتاه ذلك الراهب وهو صاحب دِيرِ القُدْس بذلك الكتاب فلما رآه عُمَرُ تعجب منه وأنشأ يحدثنا حديثه فقال أَوْفِ لى بِشَرْطى فقال عمر : ليس لِعُمَرَ ولا لِابن عمر منه شىء » .

---

(١) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المؤلفات المشهورة كأدب الكاتب وتأويل مختلف الحديث والمعارف .

وأخرج ابن سعد عن ابن مسعود قال « رَكَضَ عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نَجْرَان [١] بفخذه شَامَة سوداء فقالوا : هذا الذى كنا نجد فى كتابنا أَنَّه يخرجنا من أرضنا » [٢] .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد من طريق أبى إسحاق عن أبى عُبَيدة قال « ركض عمر فرساً على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فانكشفت فخذه من تحت القَبَاء فأبصر رجل من أهل نجران شامةً فى فخذه ، فقال هذا الذى كنا نجده فى كتابنا يخرجنا من ديارنا » .

وأخرج أبو نعيم من طريق شهر بن حوشب [٣] عن كعب قال « قلت لعمر بالشام إنه مكتوب فى هذه الكتب أن هـذه البلاد مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، سِرُّه مثل عُلانيته ، وقوله لا يخالف فعله ، القريب والبعيد سواء فى الحق عنده ، أتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متباررون . قال عمر : أحق ما تقول ؟ قال أى والله . قال : الحمد لله الذى أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم » [٤] .

---

(١) بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانيها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٢) كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى قبل موته بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وقال (لا يبقى بأرض العرب دينان) وقد تم ذلك على يد الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه ولكن أين رأى نصارى نجران عمر وهو يركض فرسه ؟ لعل ذلك حين قدم وفدهم إلى المدينة .

(٣) قال ابن قتيبة هو من الأشعريين وكان ضعيفا فى الحديث مات سنة ثمان وتسعين وقيل سنة اثنتى عشرة ومائة .

(٤) لا ندرى أى الرجلين افتعل هذا الكذب هل هو شهر أم كعب فإن ما ورد هذا من الصفات عام فى كل مسلم لا يختص به عمر قال تعالى « والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

=

وأخرج ابن عساكر عن عُبَيْدبن آدم وأبى مريم وأبى شعيب بن عمر «أن عمر بن الخطاب كان بالجابية ، فقدم خالد بن الوليد إلى بيت المقدس فقالوا له : ماأسمك ؟ قال خالد بن الوليد . قالوا : وما اسم صاحبك؟ قال عمر بن الخطاب . قالوا انعته لنا فنعته ، قالوا : أما أنت فلست تفتحها ولكن عمر ، فإنا نجد فى الكتب كل مدينة تفتح قبل الأخرى ، وكل رجل يفتحها نعته ، وإنا نجد فى الكتاب أن قِيسَارِيَّةَ تفتح قبل بيت المقدس فاذهبوا فافتحوها ثم تَعَالَوْا بصاحبكم» .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن مُغِيث الأوزاعى أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : « كيف تَجِدُ نعتى فى التوراة ؟ قال خليفة قرن من حديد ، أمير شديد لايخاف فى الله لومة لائم ، ثم يكون من بعدك خليفة تقتله أمة ظالمين له ، ثم يقع البلاء بعده[1] » .

وأخرج ابن عساكر عن الأقرع مؤذن عمر «أن عمر دعا الأسقف[2] فقال: هل تجدونا فى شىء من كتبكم ؟ قال نجد صفتكم وأعمالكم ولا نجد أسماءكم اسما اسما . قال : كيف تجدونى ؟ قال قرناً من حديد قال ماقرن من حديد ؟ قال أمير شديد . قال عمر : الله أكبر قال : فالذى من بعدى ؟ قال رجل صالح يؤثر

= وقال (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون) ولا نظن أن عمر فى حصافته وصدق فراسته كان يخفى عليه أمر كعب .

(١) هذا وصف صحيح لعمر رضى الله عنه وإن كان الخبر مشكوكا فيه ، فإن شدة عمر فى الدين وقوة شكيمته أمر معلوم للخاص والعام .

(٢) هو عالم النصارى ، وجمعه أساقفة . ولسنا ندرى من هذا الأسقف الذى دعاه عمر ولعله أسقف بيت المقدس حين ذهب إليها .

أقرباءه قال عمر : يرحم الله ابن عفان[١] فالذى من بعده ؟ قال صداء حديد[٢] فقال عمر وَادَفْرَاهُ . قال : مَهْلاً يا أمير المؤمنين فإنه رجل صالح ولـكن تكون خلافته فى هَرَاقَةٍ من الدماء والسيف مسلول ».

وأخرج ابن عساكر عن ابن سِيرِين[٣] قال : « قال كعب الأحبار لعمر: يا أمير المؤمنين هل ترى فى منامك شيئا ؟ فانتهره فقال أنا أجد رجلا يرى أمر الأمة فى منامه » .

وأخرج بن رَاهَوَيْهْ فى مسنده بسند حسن عن أفاح مولى أبى أيوب الأنصارى قال « كان عبد الله بن سلام قبل أن يأتى أهل مصر يدخل على رؤس قريش فيقول لهم :لاتقتلوا هذا الرجل ــ يعنى عثمان ــ فيقولون : والله ما نريد قتله ، فيخرج وهو يقول : والله ليقتلنه ثم قال لهم لاتقتلوه فوالله ليموتن إلى أربعين يوما ، فأبوا فخرج عليهم بعد أيام فقال لهم لاتقتلوه فوالله ليموتن إلى خمس عشرة ليلة»[٤] .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن طاوس قال « سئل عبد الله بن سلام

---

(١) كيف عرف عمر من هذا الوصف أنه ابن عفان مع أن إيثار عثمان لقرابته إنما كان فى خلافته بعد مقتل عمر ، ولعل هذا وحده يكفى للدلالة على افتعال الخبر.

(٢) هو كناية عن كثرة حروبه لأنه يضطر إلى لبس الحديد دائماً حتى يصدأ . والمراد به على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٣) تابعى جليل كان أبوه سيرين عبد الانس بن مالك ، كاتبه على عشرين ألف وأداها وكانت أمه صفية مولاة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان محمد كاتب أنس بن مالك بفارس توفى سنة عشر ومائة عن سبع وسبعين سنة .

(٤) هذا خبر عجيب فإن من البعيد أن تكون التوارة قد حددت يوم مقتل عثمان ولو صحت نسبة هذا الخبر إلى عبد الله بن سلام فإنه صدوق وقد بشره الرسول بالجنة ولـكنا نشك فى صحة نسبته إليه .

حين قتل عثمان : كيف تجدون صفة عثمان فى كتبكم ؟ قال نجده يوم القيامة أميراً على القاتل والخاذل »[١] .

وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن يوسف عن جده عبد الله بن سلام أنه دخل على عثمان فقال له ماترى فى القتال والكف ؟ قال الكف أبلغ للحجة وإنا لنجد فى كتاب الله أنك يوم القيامة أمير على القاتل والآمر .

وأخرج من هذه الطريق أن عبد الله بن سلام قال للمصريين « لاتقتلوا عثمان فإنه لايستكمل ذا الحجة حتى يأتى على أجله » .

وأخرج أبو القاسم البغوى عن سعيد بن عبدالعزيز قال « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لذى قربات الحميرى وكان من أعلم يهود ياذا قربات من بعده ؟ قال الأمين ـ يعنى أبابكر ـ قيل : فمن بعده ؟ قال قرن من حديد يعنى عمر . قيل فمن بعده ؟ قال الأزهر يعنى عثمان . قيل : فمن بعده ؟ قال الوضاح المنصور يعنى معاوية »[٢]

وأخرج ابن راهويه والطبرانى عن عبدالله بن مُغَفَّل قال « قال لى عبد الله ابن سلام لما قتل عَلِيٌّ هذا رأس أربعين سنة وسيكون عندها صلح »[٣] .

وأخرج ابن سعد عن أبى صالح قال « كان الحادى يحدو بعثمان وهو يقول :

---

(١) المراد بهم الذين خذلوه وقعدوا عن نصرته .

(٢) عجبا لهذا اليهودى كيف أسقط خلافة على وهى خلافة شرعية تمت ببيعة صحيحة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين وفى الحديث « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضودا » .

(٣) تم الصلح بناء على تنازل الحسن بن على لمعاوية حقناً لدماء المسلمين ، وقد سمى هذا العام عام الجماعة ، وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه سلم قال فى الحسن « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به طا بين فئتين متقاتلتين من المسلمين »

إن الأمير بعده على   وفى الزبير خلف مرضى

فقال كعب : لا بل هو معاوية ، فأخبر معاوية بذلك فقال : «يا أبا إسحاق أنى يكون هذا ، وهاهنا أصحاب محمد على والزبير قال أنت صاحبها » .

وأخرج الدَّارِمى وابن رَاهَوَيْه بسند حسن عن أبي جرير الأزدى عن عبد الله بن سلام أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، إنا نجدك يوم القيامة قائماً عند ربك وأنت مُحْمَارَّةٌ وجنتاك مستحى من ربك مما أحدثت أمتك من بعدك»[1].

وأخرج الطبرانى والبيهقى عن محمد بن يزيد الثقفى قال « اصطحب قيس بن خرشة وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لايهراق ببقعة من الأرض مثله[2] فقال قيس : مايدريك ؟ فإن هذا من الغيب الذى استأثر الله به ، فقال كعب مامن الأرض شبر إلا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى ما يكون عليه ، ومايخرج منه إلى يوم القيامة»[3].

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن الزبير[4] أنه قال « لما أتى

---

(١) كيف يعقل أن يخبر عبدالله ابن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من أمور الآخرة التي هو أعلم الناس بها ، وماذنبه هو فيما جنته أمته من بعده ، حتى يستحي من ذلك عندالله ؟ وكيف يتفق هذا مع قوله « إني مباه بكم الأمم » ؟

(٢) روى أن عدة القتلى بلغت يومئذ ثلاثون ألفا .

(٣) هذا غلو من كعب اليهودى فى تعظيم التوراة حتى جعلها كاللوح المحفوظ فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة .

(٤) هو أحد العبادلة الأربعة وأول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة بويع له بالخلافة فى الحجاز والعراق واليمن ومصر ، ومكثت خلافته تسع سنين إلى أن سار إليه الحجاج فى زمن عبدالملك بن مروان وحاصره بمكة فقتل وصلب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

برأس المختار[1] ماحدثني كعب بحديث إلا وجدت مصداقه إلا أنه حدثني أن رجلا من ثقيف سيقتلني قال الأعمش مادرى أن الحجاج خُبِيءَ له » وأخرج الحاكم في مستدركه عن عبدالله بن عمرو قال « إني أجد مكتوبا في الكتاب رجلا من شجرة معاوية يسفك الدماء ويستحل الأموال وينقض هذا البيت حجرا حجرا ، فإن كان ذاك وأنا حي وإلا فاذكريني يقول لامرأة من بني المغيرة كان منزلها على أبي قبيس ، فلما كان زمن الحجاج وابن الزبير ورأت البيت ينقض قالت رحم الله عبد الله بن عمرو »[2] .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن هِشَام بن خالد الرَّبْعي قال « قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبدالعزيز[1] أربعين سنة » .

وأخرج عن محمد بن فَضَالة أن راهبا قال « إنا نجد عمر بن عبد العزيز من أئمة العدل موضع رجب من أشهر الحرم » .

وأخرج عن الوليد بن هشام بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط قال « نزلنا أرض كذا فقال رجل ألا تسمع مايقول هذا الراهب ، زعم أن سليمان[2] أمير المؤمنين

---

(١) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي خرج بالعراق بعد موت يزيد وغلب على الكوفة وماحولها وقد زعم أنه نبي يوحى إليه وقد سير إليه عبدالله بن الزبير جيشا بقيادة أخيه مصعب فقتله وأتى برأسه .

(٢) الذي نقض البيت وضربه بالمنجنيق هو الحجاج في زمن عبدالملك بن مروان وهو من من شجرة بني أمية وليس من أولاد معاوية أو لعله يريد بالشجرة البيت الأموي كله .

(٣) هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان أشج بني أمية وأفضل خلفائها وخامس الخلفاء الراشدين ملأ الأرض عدلا ورد المظالم إلى أهلها وسار في الناس سيرة جده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه توفي بدير سمعان من أرض حمص سنة إحدى ومائة والعهدة في هذا الخبر على هشام هذا فإن في النفس منه شيئا .

(٤) هو سليمان بن عبد الملك بويع له بالخلافة بعد أخيه الوليد وكان من أجل الناس أبيض جَعْدا فصيحا توفي بدابق سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة.

توفى قال فمن استُخْلِف بعده ؟ قال الأشج عمر بن عبد العزيز فلما قدمت الشام إذا هو كما قال، فلما كان العام الرابع نزلنا ذلك المنزل فأتاه ذلك الرجل فقال : يا راهب الحديث الذى حدثتناه وجدناه كما قلت ، قال : فإنه والله قد سُقِىَ عمرُ السُّمَّ فأتيناه فوجدناه كذلك » .

وأخرج ابن عساكر من طريق المغيرة بن النعمان عن رجل من أهل البَصْرة « خرجت أريد بيت المقدس فلوانى المطر إلى صومعة راهب فأشرف علىّ فقال إنا نجد فى كتابنا أن قوما من أهل دينكم يقتلون بعَذْرَاء لا حساب عليهم ولا عذاب ، فما مكثت إلا يسيراً حتى جِيءَ بحُجْر بن عدى[1] وأصحابه فقتلوا بعذراء » .

وأخرج البيهقى عن كعب قال « تظهر رايات سُودٌ لبنى العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم[2] » .

وأخرج الدُّولاَبى فى الكُنَى من طريق حَمَّاد بن سَلَمة عن يَعْلَى بن عطاء عن بُجَيْر أبى عُبَيد عن سَرْح الْيَرْمُوكِى ـ وكان من أهل الكتاب ـ قال « أجد فى الكتاب أن فى هذه الأمة اثنى عشر رئيسا نبيهم أحدهم فإذا وَفَت الْعِدَّة طَغَوْا وبغوا وكان بأسهم بينهم[3] » .

---

(١) هو الذى قتله معاوية ويكنى أبا عبد الرحمن وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم وشهد القادسية والجمل وصفين مع على فقتله معاوية بمرج عذراء مع جماعة سنة ٥٣ .

(٢) لا شك أن هذه الرايات السود لم تكن فى مصلحة الإسلام بل كانت نكبة على الإسلام فقد قامت دولة بنى العباس على أكتاف الفرس فأصبح لهم النفوذ فى الدولة وذل العرب وفشت الزندقة والإلحاد وترجمت كتب الفلسفة فى عهد المأمون فدخل منها على الإسلام بلاء عظيم فمثل هذا الخبر مما يقوى الشبهة حول كعب .

(٣) هذا موافق للحديث الصحيح « لا يزال أمر الناس قائما ما بقى فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » .

باب إخبار الكهان[١] به قبل مبعثه

أخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق إسمعيل بن عَيَّاش عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله بن الدَّيْلَمى عن ابن عباس «أن رجلا أتاه فقال : بلغنا أنك تذكر سَطِيحًا الكاهنَ تزعم أن الله تعالى لم يخلق من وُلْد آدم شيئا يشبهه ، قال : نعم الله خلق سطيحا لحمًا على وَضَم وكان يحمل على وَضمِه فيؤتى به حيث يشاء ولم يكن فيه عظم ولا عَصَب إلا الْجُمْجُمَة والعنق والكفين ، وكان يطوى من رجليه إلى تَرْقُوَتِه كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضمه فأتى به مكة فخرج إليه أربعة نفر من قريش عبدُ شمس وعبدُ مناف ابنا قصى والأحوص بن فِهْر وعَقِيل بن أبى وقَّاص فانتموْا إلى غير نسبهم فقالوا نحن أناس من جُمَح أتيناك لنزورك لمَّا بلغنا قدومك ورأينا أن إتياننا إياك حقا واجبا لك علينا وأهدى له عقيل صفيحة هندية وصُعْدة رُدَيْنية ، فوضعتا على باب البيت الحرام لينظروا هل يراهما سطيح أم لا ؟ فقال ياعقيل ناولنى يدك فناوله يده فقال وَالْعَالِم الْخَفِيَّة ، والغافر الْخَطِيَّة ، والذِّمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك لَلْجَاىء بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية ، قالوا صدقت ياسَطِيح فقال واللات بالْفَرح ، وقوس قُزَح ، والسابق الْقُرَّح ، واللَّطيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيثما طار سَنَح ، وأخبر أن القوم ليسوا من جمح[٢] ، وأن نسبهم من قريش ذى الْبُطح ، قالوا

---

(١) الكهان جمع كاهن والكهانة هى الإخبار بالأمور المستقبلة وكان للعرب فى الكهان اعتقاد عريض فى الجاهلية ، لزعمهم أنهم يعلمون الغيب فلما جاء الإسلام أبطل الكهانة والعرافة والتنجيم وزجر الطير والسحر ، وعد ذلك كله من الأمور الشركية التى تنافى التوحيد .

(٢) من المعروف أن جمح بطن من قريش من أولاد هصيص بن كعب بن لؤى ومنهم أبى بن خلف قتيل رسول الله وأخوه أمية الذى قتله بلال يوم بدر ومنهم فى الإسلام عثمان بن مظعون وأخواه عبد الله وقدامة وابنه السائب .

صدقت ياسطيح نحن أهل البلد أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون فى زماننا وما يكون من بعده إن يكن عندك فى ذلك علم . فقال : الآن صدقتم خذوا منى ومن إلهام الله إياى[١] انتم الآن يامعشر العرب فى زمان الْهَرَم ، سواء بصائركم وبصيرة الْعَجَم ، لاعلم عندكم ولا فَهْم ، وينشأ من عقبكم دَهْم ، يطلبون أنواع العلم ، يكسرون الصَّنَم ، يبلغون الرَّدْم[٢] يقتلون العجم ، يطلبون الْغُنُم[٣] ، قالوا ياسطيح ممن يكون أولائك ؟ قال : والبيت ذى الأركان ، والأمن والسلطان ، لينشأ عن عَقِبكم وِلْدَان ، يكسرون الأوثان ، ويتركون عبادة الشيطان ، يوحدون الرحمن ، ويَسُنُّون دين الديان ، ويُشْرِفونِ البنيانِ[٤] ، ويسبقون الْعُمْيان ، قالوا ياسطيح فَمِنْ نسل من يكون أولائك ؟ قال وأشْرَفِ الأشْراف ، والْمُحصى الإسراف والمزعزع الأحقاف ، والْمُضْعف الأضْعَاف ، لينشئون آلاف ، من بنى عبد شمس ومناف ، يكون فيهم اختلاف ، قالوا ياسطيح ماتخبرنا بأمرهم ومن أى بلد يخرج ؟ قال والباقى الأبَد ، والبالغ الأمَد ، ليخرجَنَّ من ذا البلد ، نبى مهتد ، يهدى إلى الرُّشْد ، يرفض يَغُوثا والفَنَد ، يبرأ من عبادة الصَّدَد ، يعبد ربًا انفرَد ، ثم يتوفاه الله محمودا ، ومن الأرض مفقودا ، وفى السماء مشهودا ، ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صَدَق ، وفى رد الحقوق لاخرَق ولانَزَق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف

---

(١) لوصح أن كلام الكهان من قبيل الإلهام لاقتضى أن يكونوا أنبياء وهم أبعد مايكون عن النبوة وإنما جل أخبارهم مما توحيه إليهم الشياطين كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) .

(٢) الظاهر أن المراد به ردم السد الذى بناه ذو القرنين والمراد بذلك اتساع الفتوح .

(٣) جمع غنيمة وهى ما يؤخذ من الكفار فى الحرب .

(٤) يرفعونها . والشرف المكان المرتفع .

المضيف ، وأحكم التحنيف ، ثم يلى أمره دارع لأمره مجرب[١] ، فيجتمع له جُمُوعٌ وعُصَبٌ ، فيقتلونه نقمة عليه وغضب ، فيؤخذ الشيخ فيذبح أَرِباً ، فيقوم له رجال خُطَبَا ، ثم يلى أمره الناصر[٢] ، يخلط الرأى برأى ماكر ، يظهر فى الأرض العساكر ، ثم يلى أمره من بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده ويأخذ المال فيأكل وحده ويكنز المال لعقبه بعده ثم يلى من بعده ملوك ، لاشك أن الدم فيهم مسفوك ، ثم يلى أَمْرَه من بعده الصُّعْلُوك يطأهم كَوَطْأَة الدُّرْنُوك ، ثم يلى عَضُوض أبو جعفر[٣] يقصى الحق ويُدْنى مُضَرْ ، يفتتح الأرض افتتاحا منكر ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة ، يموت موت السلامة ، ثم يأتى قليل ماكر ، يترك الملك مجلى بائر ، ثم يلى أخوه بِسُنَّتِه سائر ، يختص بالأموال والمنابر ، ثم يلى أمره من بعده أَهْوَج صاحب دنيا ونعيم مُخْلَج ، يشاوره مُعَاشِرُه وذووه ، ينهضون إليه ويخلعوه ، يأخذون الملك ويقتلوه ، ثم يلى من بعده السابع ، فيترك الملك مُخَلًّى ضائع ، يسور فى ملــكه سورة جائع ، عند ذلك يطمع فى الملك كل عريان ، فيلى أمر الناس اللهفان ، يوطى نِزَار[٤] جَمْعَ قَحْطَان ، إذا التقى بدمشق جَمْعان ، بين مِيسَان ولُبنَان يصنف اليمن يومئذ صِنْفين صنف مُشَوَّه وصِنْف مخذول ، لاترى إلا خِبَاء مخلولا ، ولواء محلولا ، وأسيرا مغلولا ، بين الفرات والجبول عند ذلك تخرب المنابر وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل ، وتظهر

---

(١) يعنى عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(٢) يعنى به معاوية يخلط رأيه برأى ماكر وهو عمرو بن العاص داهية قريش .

(٣) هو أبو جعفر المنصور ولى الخلافة وهو ابن اثنتين وأربعين سنة بويع بالأنبار يوم مات أخوه أبو العباس ومكث خليفة اثنتين وعشرين سنة ومات على بئر ميمون عن ثلاث وستين سنة .

(٤) نزار هو ابن معد بن عدنان وإليه تنسب ربيعة ومضر وأما قحطان فتنسب إليه القبائل اليمنية فإنه ولد يعرب وولد يعرب يشجب فولد يشجب سبأ بن يشجب فولد سبأ حمير وكهلان وعمرو والأشعر وأنمار وعاملة ومر الخ .

الزلازل ، ويطلب الخلافة وائل[١] ، فعند ذلك تغضب نزار ، وتُدْنى العبيد والأشرار ، ويُقْصى النُّسَّاك والأخيار ، تجوع الناس وتغلو الأسعار ، وفى صَفَر من الأَصْفَار يقتل كل جبار ممن تَشَرَّف إلى خنادق وأنهار ، ذات أسْعَال وأشجار ، تُغْمَدُ لهم الأَغْمَار ، تهزمهم أول النهار ، يظهر لأمره الأخبار ، فلا ينفعهم نوم ولا قرار حتى يدخل مصراً من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار ، ثم تجىء الرُّمَاة ، تزحف مُشَاة ، لقتل الْكُمَاة ، وأسر الْحُماة ، وجهل الْغُوَاة ، هنالك يدركه بأعلى المياه ، ثم يبور الدين وتَقَلَّبُ الأمور ، ويكفر الزَّبُور ، وتقطع الْجُسُور ، ولا يغلب إلا من كان فى جزائر البُحُور ، ثم يثور الْجَنُوب ، وتظهر الأعاريب ، ليس فيهم معين على أهل الفسوق والأحاريب ، فى زمان عصيب لو كان للقوم حياء وما يغنى المنى ، قالوا ثم ماذا ياسَطِيح ؟ قال ثم يظهر رجل من اليمن ، أبيض كالشَّطَن ، يخرج من بين صَنْعَاء وعَدَن ، يسمى حسين أو حسن ، يُذْهِبُ الله على رأسه الفِتَن[٢] .

الْوَضَم : كل شىء يحمل عليه اللحم من خشب أو بَارِيَة ، والصَّعْدَة القناة المستوية ، ورُدَيْنَةُ اسم امرأة كانت تُقَوِّم الْقَنَا فنسب إليها الرماح الرُّدَيْنِيَّة ، والقُرَّح : بضم القاف وفتح الراء المشددة جمع قارح وهو الفرس إذا استكمل خمس سنين وانتهت أسنانه ، واللطيم : من الخيل الذى سالت غرته فى أحد شقيى وجهه ، والدهم بفتح الدال وسكون الهاء العدد الكثير ، والمزعزع بزايين معجمتين

(١) قال ابن قتيبة (وأما وائل بن معن فمنهم بنو سلمة وبنو هلال ابن عمرو وبنو زيد وبنو عامر بن عوف وبنو عصية .

(٢) لاشك أن هذا الأثر قطعة فنية رائعة ولكنه فى باب البحث العلمى لايساوى شيئا فمن هو سطيح هذا ؟ وكيف تبلغ به كهانته إلى حد أن يخبر عن كل ماسيقع لهذه الأمة من أحداث وكل من سيلى أمرها من الخلفاء والملوك ، مع أن الكهانة إنما تقوم كما جاء فى الحديث على ما يلقيه الشيطان إلى الكاهن مما استرقه من السمع من كلمة أو كلمتين فيضيف إليهما مائة كذبة .

المحرك ، والصدد من أسماء الحجر ، والخرق بفتح الراء ضد الرفق ، والنزق بفتح الزاى الخفة والطيش ، والوصف منهما بكسر الراء والزاى ، والغطريف بكسر الغين المعجمة والراء السيد ، والدرنوك بضم الدال المهملة والراء نوع من البسط ، ومحاج بحاء مهملة وآخره جيم من الحايجة ، وهى عصارة نحى أو لبن تقع فيه تمر .

وأخرج ابن عساكر من طريق ابن اسحاق عن بعض أهل الرواية أن ربيعة ابن نصر اللَّخْمِى رأى رؤيا هَالَتْه وفُظِـع بها فبعث إلى أَهل الْحُزَاة[١] من أهل مملكته فلم يدع كاهنا ولاساحرا ولا عَائِفا ولا مُنَجِّمًا إلا جمعهم إليه فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى فأخبرونى بتأويلها قالوا : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال إنى إنْ أخبركم بها لم أطمئن إلى تأويلها إنه لايعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل من القوم إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح وَشِقٍّ فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانك . فقدم إليه سَطيح قبل شق ، ولم يكن فى زمانهما مثلهما من الكهان فقال له ياسطيح إنى رأيت رؤيا هالتنى فاخبرنى بها قال رأيت حُمَمَة[٢] ، خرجَتْ من ظلمة فوقعت فى أرض تِهَامة[٣] ، فأكلت منها كل ذات جُمْجَمة ، قال الملك ما أخطأت منها شيئا فما عندك فى تأويلها ؟ قال أحلف بما بين الحَرَّتَيْن من حَنَش ، ليهبطن أرضكم الْحَبَشُ ، فليملِكُنَّ ما بين أَبْـيَنَ إلى جُرَش ، قال الملك : إن ذلك لغائظ مُوجِـع فمتى هو كائن أفى زمانى أو بعده ؟ قال بل بعده بحين ، أكثر من ستين أوسبعين ، تمضى من السنين . قال : فهل يدوم

---

(١) الحزاة جمع حازى وهو الذى ينظر فى الأعضاء والغضون يتكهن ومنه قولهم (على الحازى سقطت) تفسير الغريب من كلام سطيح .

(٢) الحممة هى الفحمة والرماد وكل ما احترق بالنار .

(٣) تهامة بلاد جنوبى الحجاز والنسبة إليها تهامى .

ذلك من مُلْــكهم أو ينقطع ؟ قال ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعين ، ويخرجون هاربين ، قال الملك : ومن الذى يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال يليه إرَمُ ذى يَزَن[1] ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن ، قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، قال ومن يقطعه ؟ قال نبى زَكِىٌّ ، يأتيه الْوَحْى ، من قِبَل العلى ، قال : وممن هذا النبى ؟ قال من وُلْد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، قال وهل للدهر من آخِر ياسَطِيح ؟ قال نعم . يوم يُجْمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون ، قال أَحَقٌّ ما تخبرنى به ياسطيح ؟ قال نعم والشَّفَق[2] والْغَسَق والْفَلَق ، إن ما نبأتك به لحق ، فلما فرغ سطيح من قوله قدم عليه شِق فقال ياشق : رأيتُ رؤيا هالتى وكتمه ماقاله سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان ؟ قال نعم رأيت حُمَمَه ، خرجَتْ من ظلمة ، فوضعت بين روضة وأَكَمَة ، فأكلت منها كلُّ ذاتِ نَسَمة ، قال وما عندك فى تأويلها ؟ قال أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لتردن أرضكم السودان ،[3] فليغلِبُنَّ على كل ذى طَفْلَة[4] البنان ، وليملكن ما بين أَبْيَنَ إلى نَجْران . قال الملك إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن فى زمانى أم بعده ؟ قال بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن يذيقهم أشد الهوان ، قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟

---

(١) هو سيف بن ذى يزن لما ساءت سيرة الحبشة فى اليمن أتى كسرى أنو شروان وشكا إليه ما هم فيه تحت حكم الحبشة ، فبعث معه جيشا تحت قيادة وهرز فحاربوا الحبشة حتى هزموهم وفرقوهم وسبوا نساءهم وذراريهم .

(٢) الشفق هو الحمرة التى تظهر فى الأفق بعد غروب الشمس والغسق هو ظلمة الليل والفلق هو الصبح قال تعالى (فالق الإصباح) .

(٣) المراد بهم الأحباش وسماهم سودان لسواد بشرتهم .

(٤) أى ناعمة أطراف الأصابع والمعنى أنهن يسبين النساء ذوات الخدور الناعمات .

قال غلام ليس بِدَنِىّ[١] ولا مُدْنٍ ، يخرج من بيت ذى يزن ، قال فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال بل ينقطع برسول مُرْسل ، يأتى بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم[٢] الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال يوم يُجْزَى فيه الولاة . يُدْعى من السماء دَعَوات . يسمع منها الأحياء والأموات . ويجمع فيه الناس للميقات . يكون فيه لمن اتقى الله الفوز والخيرات . قال ابن عساكر : بلغنى أن سَطِيحًا وُلِدَ فى أيام سيل العرم[٣] . وتوفى فى العام الذى وُلِدَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنه عاش خمسمائة سنة . وقيل ثلاثمائة سنة .

وأخرج أبوموسى الْمَدِينى فى الذَّيْل عن ابن الكلبي عن عَوَانَة[٤] قال «قال عمر لجلسائه : هل فيكم أحد وقع له خبر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ؟ فقال طُفَيْلُ بن زيد الحارثى وكان قد أتت عليه ستون ومائةُ سنة : نعم ياأمير المؤمنين كان المأمون بن معاوية على مابلغك من كَهَانته فذكر الحديث فى إنذاره بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ياليت أَنى ألحقه وليتنى لا أسبقه

قال طفيل : فأتانا خبر النبى صلى الله عليه وسلم ونحن بتِهَامة فقلت: يانفس

---

(١) الدنى اسم فاعل من الدناءة وهو الضعيف الساقط المروءة والمدن اسم مفعول وهو الضعيف من الرجال وأصله مدنى .

(٢) يوم القيامة وسمى يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين الخلائق .

(٣) هو السيل الذى ذكره الله فى سورة سبأ بقوله (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) وإضافة سيل العرم من إضافة الموصوف إلى الصفة أى السيل الشديد وهوالذى هدم سد مأرب وبدل جنات سبأ وقضى على حضارتها بسبب إعراضهم عن آيات الله ولاشك أن ما يرويه ابن عساكر هنا عن سطيح يجعله شخصا أقرب إلى الخرافة منه إلى الحقيقة .

(٤) اسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء البزار وهو وابن الكلبي ضعيفان .

هذا ذاك الذى أنذر به المأمون قال وترخت الأيام إلى أن وفدت فأسلمت [١] .

باب

ماوجد على الحجارة القديمة من نقش اسمه صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن عساكر من طريق الحسن عن سليمان قال «قال عمر بن الخطاب لكعب أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده [٢] قال نعم ياأمير المؤمنين قرأت فيما قرأت أن إبراهيم الخليل وجد حَجَراً مكتوبا عليه أربعةُ أسطر . الأول : أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى . والثانى : إنى أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولى طوبى لمن آمن به وأتبعه . والثالث : إنى أنا الله لاإله إلا أنا من اعتصم بى نجا . والرابع: إنى أنا الله لاإله إلا أنا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى أمن عذابى » .

وأخرج البخارى فى التاريخ والبيهقى من طريق محمد بن الأسود بن خلف ابن عبد يغوث عن أبيه « أنهم وجدوا كتابا بأسفل المقام فدعت قريش رجلا من حِمْير، فقال إن فيه لَحَرْفا لو أُحَدِّثُكُمُوه لقتلتمونى فظننا أن فيه ذكر محمد فكتمناه» [٣]

---

(١) هذه قصة أبطالها كلهم مجاهيل فلا ندرى من طفيل بن زيد ولا من المأمون بن معاوية ولانعرف أحداً من الصحابة أسلم وهو فى هذه السن الكبيرة جداً .

(٢) عمر رضى الله عنه أجل وأعقل من أن يسأل مثل كعب عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أعلم بها منه ، ولقد أصبح اسم كعب رمزا على الافتراء والكذب فكل من يريد أن يخلق فرية ينطق بها كعبا فهو يشبه شخصية جحا فى هذه الأيام .

(٣) لايعقل أن تتواطأ قريش كلها على كتمان هذا الكتاب ولعلهم كانوا أحرص الناس على علم مافيه بدليل أنهم استقدموا رجلا من حمير لحل طلاسمه .

وأخرج أبو نعيم من طريق حُرَيش بن أبى حريش عن طلحة قال « وجد فى البيت حجر منقور فى الْهَدْمَة الأولى فَدُعِى رجل فقرأه فإذا فيه عبدى المنتخب المتوكل المنيب المختار مولده بمكة ومهاجره طيبة لايذهب حتى يقيم السنة العوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله أمته الحمادون يحمدون الله بكل أَكُمَة يأتزرون على أوساطهم ويطهرون أطرافهم »[(١)] .

أخرج ابن عساكر عن أبى الطيب عبد المنعم بن غَلْبَون المقرى قال : « لما فتحت عَمُّورية[(٢)] وجدوا على كنيسة من كنائسها مكتوبا بالذهب شر الخلْف خلْف يشتم السَّلَف . واحد من السلف ، خير من ألف من الخلْف . ياصاحب الغار نلت كرامة الافتخار . إذ أثنى عليك الملك الجبار . إذ يقول فى كتابه المنزل على نبيه المرسل (ثانى اثنين إذ هما فى الغار) ياعمر ما كنت واليا . بل كنت والدا . ياعثمان قتلوك مقهورا . ولم يزوروك مقبورا . وأنت ياعلى إمام الأبرار ، والذَّابُّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار . فهذا صاحب الغار . وهذا أحد الأخيار . وهذا غِيَاث الأمصار . وهذا إمام الأبرار . فعلى من ينتقصهم لعنة الجبار . قال فقلت لصاحب له قد سقط حاجباه على عينيه من الْكِبَر مُنذ كَمْ هذا على باب كَنِيسَتِكم مكتوبا ؟ قال من قبل أن يُبعث نبيكم بألفى عام[(٣)] .

---

(١) لو وجد مثل هذا الحجر لتوفرت الهمم على حفظه ولكان حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع بها لجاجة قريش فى عدوانها ولكن قاتل الله الكذب .

(٢) مدينة بيزنطية فى الأناضول فتحها العرب أيام المعتصم تحت قيادة (أفشين) بعد حصار دام ثلاثة عشر يوما .

(٣) هذه قصة تنادى على نفسها بالكذب والافتعال فعباراتها ركيكة متكلفة ومشتملة على بعض آية من القرآن ومعلوم أنه لم ينزل من القرآن شىء قبل البعثة أصلا ، وهى تذكر الخلفاء الراشدين بأسمائهم وهم لم يذكروا فى الكتب السالفة إلا بأوصافهم وأعمالهم وفيها معان شركية صارخة كقوله فى عثمان (ولم يزوروك =

أخرج أبو محمد الجوهرى فى أماليه عن يحيي بن اليَمَان قال : أخبرنى إمام مسجد بن سُلَيم قال : « غزا أشياخٌ لنا الرُّومَ فوجدوا فى كنيسة من كنائسهم :

أترجو أُمَّةٌ قتلت حُسَيناً ... شفاعةَ جده يوم الحساب

فقالوا : منذ كَمْ وجدتُمُ هذ الكتاب فى هذه الكنيسة ؟ قالوا قبل أن يخرج نبيكم بستمائة عام[1] » .

باب
اختصاصه صلى الله عليه وسلم بطهارة نسبه
وأنه لم يخرج من سِفَاح من لَدُن آدم

أخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرجت من لدن آدم من نكاح غَيْرِ سفاح » .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماولدنى من سفاح الجاهلية شيء وماولدنى ، إلا نكاح كنكاح الإسلام » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرجت من نكاح غير سفاح » .

وأخرج ابن سعد وابن أبى شيبة فى المصنف عن محمد بن على بن حسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم لم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شيء ولم أخرج إلا من طُهْرَة » .

= مقبورا وهذا غياث الأمصار) الخ فليت الذين يضعون هذه الأكاذيب فطنوا إلى افتضاح كذبهم ولكنهم وجدوا من الأغرار والحمقى من ينخدع بهم ويصدقهم .

(١) شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وإثم قتل الحسين على من قتلوه فما ذنب الأمة حتى تحرم من شفاعة نبيها بما ارتكبه سفهاء منها ؟ وحال هذه القصة فى الكذب كحال التى قبلها فكن فطنا .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن الكلبي قال « كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية» .

وأخرج الْعَدَنى في مسنده والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر عن على بن طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء»[1] .

وأخرج أبو نعيم من طرق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مُصَفًّى مُهَذَّبا لاتتشعب شعبتان إلا كنت فى خَيْرِهما » .

وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير العرب مُضَر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان منذ خلق اللهُ آدم إلا كنت فى خَيْرِهما »[2] .

---

(١) هذا الحديث مروى عن على بن أبى طالب من رواية محمد بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين فهو نفس سابقه وهذه الطرق وإن كانت ضعيفة إلا أنها إذا اجتمعت يقوى بعضها بعضا .

(٢) اتفق النسابون على انتهاء نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان وعلى أن عدنان من ولد إسماعيل ثم ولد عدنان معدا وولد معد نزار وولد نزارا مضر وربيعة وأنمارا وولد مضر إلياس وولد إلياس مدركة وولد مدركة خزيمة وولد خزيمة كنانة وولد كنانة النضر وولد النضر مالكا وولد مالك فهرا ومنه تفرقت قبائل قريش كلها وولد فهر غالبا وولد غالب لؤيا وإليه ينتهى عدد قريش وشرفها وولد لؤى كعبا وولد كعب مرة وولد مرة كلابا وولد كلاب قصيا واسمه زيد وكان يسمى مجمعا لأنه جمع قبائل قريش من خزاعة وأنزلها مكة وبنى دار الندوة وغلب خزاعة على مفاتيح الكعبة وولد قصى بن كلاب عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وولد عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا وولد هاشم عبد المطلب وأسدا أما أسد فولد حنينا وفاطمة أم على بن أبى طالب وليس لحنين عقب فليس فى الأرض هاشمى إلا وهو من ولد عبد المطلب .

وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (وتقلبك فى الساجدين) . قال « مازال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب فى أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه » .[1]

وأخرج البخارى عن أبى هريرة أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » .

وأخرج مسلم عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

وأخرج الترمذى وحسنه والبيهقى وابو نعيم عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله حين خلقنى جعلنى من خَيْرِ خلقه[2]

---

(١) لانظن أن هذا الأثر صحيح عن ابن عباس ، وعكرمة ضعيف الحديث فإن من آبائه عليه السلام من ليس بنبى بل منهم من هو مشرك فأبوه عبد الله وآباؤه من عبد المطلب إلى إسماعيل بن إبراهيم ليس فيهم نبى وآزر أبو إبراهيم كان من طغاة المشركين . وفى صحيح مسلم أنه قال للرجل الذى سأله أين أبوه؟ أبى وأبوك فى النار . ولما عرض الاسلام على عمه أبى طالب حين حضرته الوفاة كان آخر كلمة قالها هو على دين الشيوخ ، أو هو على ملة عبد المطلب . على أن هذا التفسير بعيد جداً عن سياق الآية فهى تدعوه عليه السلام إلى إدامة التوكل على ربه العزيز الرحيم الذى هو بعينه فى كل أحواله يراه قائما وساجدا ويرعاه ويكلأه . قال الحافظ ابن كثير قال قتادة (الذى يريك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) قال فى الصلاة يراك وحدك ويراك فى الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء والحسن البصرى . وقال البغوى يعنى يرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقال الحسن أى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك الخ . وهذا مايفهم من معنى التقلب ولو كان ما رواه عكرمة هو المقصود لقال وتنقلك ولم يقل وتقلبك .

(٢) بل هو خير خلقه على الإطلاق كما دلت على ذلك خصائصه الكثيرة ومعجزاته العديدة ولقد قال هو عن نفسه (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) .

ثم حين خلق القبائل جعلنى من خيرهم قبيلة وحين خلق الأنفس جعلنى من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفساً ».

وأخرج البيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم فأنا من خيار إلى خيار » .

وأخرج البيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهما قسما ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلنى فى خيرها ثلثا ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة ، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلنى فى خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الآية[1] » .

وأخرج البيهقى وابن عساكر من طريق مالك عن الزهرى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماافترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شىء من عهر[2] الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبى وأمى فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً » .

وأخرج البيهقى عن محمد بن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) لايخفى أن الآية إنما نزلت فى شأن أمهات المؤمنين والأمر فيها متوجه اليهن قال تعالى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله)

(٢) العهر الزنى ، والعاهر الزانى ، وفى الحديث « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

« إن الله اختار فاختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى هاشم » .

وأخرج البيهقى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لى جبرائيل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم » .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ولدتنى بَغِىٌّ قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تَنَازَعُنى الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حَيَّيْن من العرب هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ »[1] .

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ بفتح الفاء ، وقال أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح » .

وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده عن ابن عباس « أن قريشاً كانت نُورًا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يُسَبِّح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صُلْبه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطنى الله إلى الأرض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح ، وقذف بى فى صلب إبراهيم ، ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أَبَوَىَّ لم يلتقيا على سفاح قط[2] » .

---

(١) هو زهرة بن كلاب جد بنى زهرة وهم أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمه آمنة منهم وكان يقال لسعد بن أبى وقاص خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) حاشا لحبر الأمة أن يقول مثل هذا الهراء وهو يعلم أن قريشا قبل أن يشرفها الله بالإسلام كانت تعبد الطواغيت والأصنام ولكن مثل هذه الأقاصيص الفارغة من وضع غلاة الصوفية قبحهم الله ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وما ذكره =

ويشهد لهذا ما أخرج الحاكم والطبرانى عن خَرِيم بن أَوسٍ قال : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفه من تَبُوكَ فسمعت العباس يقول : «يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ، قال : قل لا يَفْضُضِ الله فاك ، فقال » :

من قبلها طِبْتَ فى الظلال وفى مُسْتَوْدَع حيث يُخْصف الورق
ثم هبطتَ البــلادَ لا بشر أنت ولا مُضْغَــة ولا عَلَقُ
بل نُطْفَــة تركب السَّفين وقد أَلْجَمُ نَسْرا وأهــلَه الغَــرَقُ
تُنْقَــلُ من صالب إلى رَحِمٍ إذا مضى عالَمَ بدأً طَبَقُ
وردت نارا الخليــل مستــتراً فى صُلْبه أنت كيف يَحْتَرِق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليــاء تحتهــا النطق
وأنت لمـا ولدت أشرقت ال أرض وضاءت بنورك الأُفق
فنحن فى ذلك الضيــاء وفى النور وسبل الرشــاد تخترق

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لمـا خلق الله آدم أراه بنيه فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض فرأى نوراً ساطعاً فى أسْفاهم ، فقال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك أحمد

= المؤلف هذا الحديث فى اللآلىء وقال عنه إنه موضوع وصفه بعض القصاص وقال إنه هنا دالايوثق به ، ولعله من وضع شيخه أوشيخ شيخه وما ذكره من الشاهد لهذا من حديث خريم بن أوس هو أكذب منه ، فإنه لايعقل أن يجرى مثل هذا الكلام على لسان العباس ولا أن يسمح له الرسول بذلك ، ولم يعرف عن العباس أنه كان يقول الشعر ، وظاهر من معانى هذا الشعر أنه من وضع المحدثين وفى سند هذا الحديث زكريا بن يحي بن عمر بن حصن الطائى قال عنه الدارقطنى إنه متروك يحدث بأحاديث ليست مضيئة .

وهو أول وهو آخر وهو أول شافع»[1] . قال أبو نعيم وجه الدلالة على نبوته من هذه الفضيلة أن النبوة مُلْك وسياسة عامة والملك فى ذوى الأحساب والأخطار من الناس ، لأن ذلك أدعى إلى انقياد الرعية له وأسرع إلى طاعته ولذلك سأل هِرَقْل أبا سفيان كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب ، قال هرقل : وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها[2] .

باب رؤيا عبد المطلب

أخرج أبو نُعَيم من طريق أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجَهْم عن أبيه عن جَدِّه قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المُطَّلب قال : «بينا أنا نائم فى الحِجْر رأيت رؤيا هالَتْنى ففزعت منها فزعاً شديداً ، فأتيتُ كاهنة قريش فقلت لها : إنى رأيت الليلة كأن شجرة نبتت قد نال رَأْسُها السماء وضرب بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أَظْهَرَ منها أعظمُ من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين ، وهى تزداد كل ساعة عِظَماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى وساعة تظهر ، ورأيت رَهْطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها ،

---

(١) الذى ورد فى الصحيح أن آدم لما عرض عليه ذريته رأى من بينهم رجلا أزهر فقال من هذا يارب ؟ فقال هذا ابنك داود فقال يارب أعطه من عمرى أربعين سنة فلما حضرت آدم الوفاة قال ألم يبق من عمرى أربعون سنة؟ فقال له الله عزوجل ألم تهبها لابنك داود ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته وقوله فى الحديث « وهو أول » يجب أن تحمل الأولية إن صح الحديث بها على الأولية فى الفضل أو فى القيام من القبر أو فى الشفاعة ودخول الجنة . كما قال عليه السلام (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة) .

(٢) هذا قطعة من حديث طويل رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان حدثه بذلك فليرجع إليه .

ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دَنَوْا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسنَ منه وجهاً ولا أطيبَ منه ريحاً ، فيكسر أَظْهُرَهم ويقلع أعينهم ، فرفعت يدى لأتناول منها نصيباً فلم أَنَلْ ، فقلت: لِمَن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها ، فانتبهت مذعوراً فَزِعاً فرأيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ثم قالت : إن صَدَقَتْ رؤياك ليخرجن من صُلْبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس ، ثم قال لأبى طالب : لعلك أن تكون هذا المولود ، فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم[1] الأمين ، فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول السُّبَّةُ والعار » .

باب ما وقع فى حمله صلى الله عليه وسلم من الآيات

أخرج الحاكم والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم من طريق أبى عَوْن مولى الْمِسْوَر[2] بن مَخْرَمَة عن الْمِسْوَر بن مَخْرَمَةَ عن ابن عباس عن أبيه قال:قال عبد المطلب «قدمنا اليمن فى رحلة الشتاء فنزلت على حَبْر من اليهود ، فقال رجل

---

(١) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فإن هذه كنيته ، وقد أخطأ أبو طالب فى تعبير الرؤيا فإن الشجرة هى الإسلام الذى أظل بنوره مشارق الأرض ومغاربها ، والشاب الذى كان يذودعنها هو النبى صلى الله عليه وسلم ، ولانظن أمر هذه الرؤيا صحيحا فهى كسوابقها من الأخبار التى لم يصح سندها ، ولا ندرى لماذا اختص أبوجهم بسماع هذه الرؤيا من أبى طالب ؟ ونفوض علم ذلك كله إلى الله .

(٢) هو المسور بن مخرمة ابن نوفل بن عبد مناف بن زهرة أمه أخت عبد الرحمن ابن عوف وكان يعدل بالصحابة وليس منهم . قبض النبى (ص) وهو ابن ثمان سنين ومات سنة أربع وستين عن ثمانين سنة كان مع ابن الزبير بمكة وهو محصور فأصابه حجر فمات .

من أهل الزَّبُور – يعنى الكتاب – : ممن الرجل ؟ قلت : من قريش ، قال : من أيِّهم ؟ قلت : من بنى هاشم ، قال : أتأذن لى أن أنظر إلى بعضك ؟ قلت : نعم مالم يكن عورة ، قال : ففتح إحدى مِنْخَرَىَّ فنظر فيه، ثم نظر فى الأخرى فقال : أشهد أن فى إحدى يديك ملكا وفى الأخرى نبوّة [١] وأرى ذلك ، وفى لفظ: وإنا نجد ذلك فى بنى زهرة فكيف ذاك ؟ قلت لاأدرى قال هل لك من شاعة ؟ قلت : وما الشاعة ؟ قال : الزوجة ، قلت : أما اليوم فلا ، قال : فإذا رجعت فتزوج منهم . فرجع عبد المطلب إلى مكة فتزوج هاَلة بنت وهب ابن عبد مناف ، فولدت له حمزة وصفية ، وتزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: فَلَجَ عبدُ الله على أبيه » .

وأخرجه أبو نعيم من طريق حُمَيْدِ بن عبد الرحمن عن أبيه أن عبد المطلب فذكره .

وأخرجه ابن سعد فى الطبقات من طريق جعفر بن عبد الرحمن بن المسور ابن مخرمة عن أبيه عن جده قال : وإن عبد المطلب . . . فذكره . وفيه فنظر إلى الشعر فى منخريه فقال : أرى نبوة وأرى ملكا وأرى أحدهما فى بنى زُهْرة . وفى آخره ... فجعل الله فى بنى عبد المطلب النبوة والخلافة .

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن أبي وقاص قال : أقبل عبدالله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء له وعليه أثر الطين والْغُبَار ، فمر بليلى الْعَدَوِيَّة ، فلما رأته ورأت ما بين عينيه دعته إلى نفسها، وقالت له : إن وقعت بى فَلَكَ مائة من الإبل ، فقال لها عبد الله بن عبد المطلب : حتى أغسل عنى

---

(١) لاندرى كيف جعل الله فى منخرى عبد المطلب علامات على النبوة والملك ، وكيف وجد ذلك فى الكتب السابقة؟ وأمر النبوة ظاهر ، وأما الملك فلعله يريد أبناءه من ولده العباس .

هذا الطين وأرجعَ إليك ، فدخل عبد الله على آمنةَ بنت وَهْبٍ فوقع بها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى ليلى فقال لها : هل لك فيما قُلْتِ ؟ قالت : لا ، قال : ولم ؟ قالت : لأنك مررت بى وبين عينيك نور ، ثم رجعت إلىَّ وقد انتزعته آمنة منك » . وفى لفظ لقد دخلت بنور ما خرجت به ولئن كنت ألْممْتَ بآمنة لَتَلِدَنَّ مَلِكاً(١) » .

وأخرج أبو نعيم والخرائطى وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مرَّ به على كاهنة من أهل تَبالَة ، مُتَهَوِّدة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مُرٍّ الخثعمية فرأت نور النبوة(٢) فى وجه عبد الله فقالت له : يا فتى هل لك أن تقع علىَّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف لى الأمر الذى تبغينه يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه فزوَّجه آمنَةَ بنتَ وَهْب فأقام عندها ثلاثا ثم إن نفسه دَعَتْه إلى ما دعته إليه الخثعمية(٣) فأتاها فقالتْ : ما صنعتَ بعدى ؟ قال زوجنى أبى آمنة

---

(١) لاندرى أيضا لماذا اختصت ليلى العدوية برؤية ذلك النور الذى كان بين عينى عبد الله حتى جعلت له مائة من الإبل إن هو وقع عليها ، وفى الرواية التى بعدها أنها فاطمة الخثعمية وهكذا الكذب دائماً متردد مضطرب .

(٢) كل الأحاديث التى فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان نورا اشتق منه الخلق أو كان نورا متنقلا فى جبهات آبائه لاأصل لها ولا يعول عليها بل هى مضاهاة للنصارى فى غلوهم فى عيسى وقدر نبينا صلى الله عليه وسلم وشرف منزلته لايحتاج إليها .

(٣) عجباً للباطل كيف يتهافت ؟ شاب تدعوه امرأة إلى نفسها فيعف عنها ويذكرها بأن هذا ، حرام قادح فى العرض والدين حتى إذا مَنَّ الله عليه بالحلال الذى يكفيه نازعته نفسه إلى الحرام حتى ذهب فعلا إلى المرأة فدعاها إلى ما دعته إليه أولا .

بنت وهب فأقمت عندها ثلاثا ،قالت : إنى والله ما أنا بصاحبة رِيبة : ولكنى رأيت فى وجهك نوراً فأردت أن يكون فِىَّ وأبى الله إلا أن يُصَيِّرَه حيث أَحَبّ .
ثم قالت فاطمة :

إنى رأيت مَخِيلَةَ(١) لمعت فتلألأت بحناتم القطر
ظَلْما(٢) بها نور يضيء له ما حوله كإضاءة البدر
ورجوته فخراً أَبُوء(٣) به ما كل قادح زنده يُورِى(٤)
لله مَا زُهْرِيَّةٌ(٥) سابت ثَوْبَيْك ما استلبت وما تدرى.

وقالت أيضاً :

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم أمينة إذ لِلْبَاهِ يَعْتَلِجَان.
كما غادر المصباح بعد خُبُوِّه فَتَائِلَ قد مِيثَتْ له بِدِهان(٦)
وما كل ما يحوى الفتى من تِلَادِه بحزم ولا ما فاته لِتَوانى(٧)
فَأَجْمِلْ إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جَدَّان يصطرعان(٨)

---

(١) هى السحابة للمتهيئة للمطر .
(٢) لعلها : ظلت .
(٣) أى أظفر به وأرجع .
(٤) يقال قدح واقتدح بالزند حاول إخراج النار منه ويورى بمعنى يوقد قال تعالى (أفرأيتم النار التى تورون) .
(٥) تعنى آمنة لأنها من بنى زهرة .
(٦) تعنى أن آمنة حين واقعها عبد الله سلبت النور الذى كان معه فصار كالفتيلة التى غادرها المصباح بعد خبوه أى انطفائه ومعنى ميثت أى خلطت .
(٧) أى ليس كل ماجمعه الفتى من تالد ماله وقديمه بسبب حزمه وحسن تصرفه ولا كل مافاته المال بسبب توانيه وتقصيره ولكن الحظ يلعب دورا كبيرا فى ذلك .
(٨) الإجمال فى الطلب الرفق وعدم التكالب وجدان تثنية جد وهو الحظ ويصطرعان يتغالبان .

سيكفيكه إما يد مُقْفَعِلَةٌ   وإما يد مبسوطة ببنان
ولما قضت منه أمينة ما قضت   نبا بَصَرِى عنه وَكَلَّ لسانى (١)

وأخرجه ابن سعد عن هشام بن الكلبى عن أبى الْفَيَّاض الْخَثْعَمى مُعْضَلاً وفيه «أنه لما رجع إليها قال هل لك فيما قُلْتِ . قالت: قد كان ذاك مَرّةً فاليومَ لا فذَهَبَتْ مثلا » وفى آخره بلغ شبان قريش ما عرضت على عبد الله فذكروا لها ذلك فقالت الأبيات وفيه بعد قوله أقام عندها ثلاثا ،وكانت تلك السُّنَّةُ عندهم إذا دخل الرجل على امرأته فى أهلها . وقال ابن سعد أنا وهب بن جرير بن حازم ثنا أبى سمعت أبا يزيد المدنى قال نبئت أن عبد الله أتى على امرأة من خثعم فرأت بين عينيه نوراً ساطعا إلى السماء فقالت هل لك فِىَّ؟ قال: نعم ، حتى أَرْمِىَ الجمرة ، فانطلق فرمى الجمرة ثم أتى امرأته آمنة ثم ذكر الخثعمية ، فأتاها فقالت هل أتيت امرأة بعدى ؟ قال نعم ، امرأتى آمنة قالت فلا حاجة لى فيك إنك مررت وبين عينيك نور ساطع إلى السماء فلما وقعتَ عليها ذهب فأخبرها أنها قد حَملتْ بِخَيْر أَهْل الأرض » . أخرجه ابن عساكر .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عِكْرِمَةَ عن ابن عباس قال « كانت امرأة من خَثْعَم (٢) تعرض نفسها فى موسم من المواسم وكانت ذات جمال ومعها (٣) أدم تطوف به كأنها تبيعه ، فأتت على عبد الله بن عبد المطلب فلما رأته أعجبها فعرضت نفسها عليه فقال مكانك حتى أرجع إليك

---

(١) تعنى أنه لما أفضى إلى آمنة وذهب ما كانت ترجوه زهدت فيه فأشاحت ببصرها عنه ولم تنبسط لمحادثته .

(٢) خثعم قال ابن قتيبة فى (المعارف) (ونساب مضر تزعم أن خثعما وبجيلة أبناء أنمار بن نزار فجر أنمار بن سبأ نسبهم إلى سبأ باسم أبيهم وقال آخرون خثعم وبجيلة هما أبناء عمرو بن الغوث أخى الأزد بن الغوث .

(٣) الأدمة والأدم باطن الجلد وأما الأدم بالضم فهو مايؤتدم به

فانطلق إلى أهله فبد اله فواقع أهله فحملت بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع إليهاقالت ومن أنت ؟ قال أنا الذى وعدتك قالت لاما أنت هو ولئن كنت ذاك لقد رأيت بين عينيك نوراً ما أراه الآن[١] .

وأخرج البيهقى وأبو نُعَيم عن ابن شهاب[٢] قال « كان عبد الله أَحْسَنَ رجل رُؤِىَ قط خرج يوماً ما على نساء قريش فقالت امرأة منهن أيتكن تتزوج بهذا الفتى فَتَصْطَبُ النور الذى بين عينيه فإنى أرى بين عينيه نور ؟ فتزوجته آمنة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عروة وغيره قالوا إن قُتَيْلَة بنتَ نَوْفَل أخت وَرَقَة بن نوفل[٣] كانت تنظر وتعْتَاف[٤] فمرَّ بها عبد الله فدعته ليستضبع منها ولزمت طرف ثوبه[٥] فأبى وقال حتى آتيكِ وخرج سريعاً حتى دخل على آمنة فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى المرأة فوجدها تَنْظُرُه، فقال لها هل لك فى الذى عرضت علَىَّ ؟ قالت لا مررت

---

(١) هذا الاختلاف بين الروايات يشهد بتهافتها وكذبها .

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب من بنى زهرة بن كلاب ، ويقال إنه أول من دون الحديث وكان عاملا لبنى مروان توفى فى رمضان سنة ١٢٤ هـ .

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد عبد العزى ابن عم خديجة بنت خويلد بن أسد أم المؤمنين وكان تنصر فى الجاهلية وهو الذى سألته خديجة عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه الناموس الذى أنزل على موسى وقال (ياليتنى فيها جذعا) وقال (لئن يدركنى يومك لأنصرنك نصراً مؤزرا) .

(٤) هو من العيافة وهى زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها .

(٥) لاشك أن قُتَيْلَةَ حرة من صميم قريش ولم تكن الحرة تزنى فى الجاهلية ولهذا لما نزلت آية بيعة النساء من آخر الممتحنه وفيها قوله تعالى (ولا يزنين) قالت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان (وهل تزنى الحرة ؟) وهذا مايدل على أن هذه أخبار سوء كلها لم يكن ينبغى للمؤلف ولا لغيره أن يلطخوا بها تلك السيرة العطرة التى تلمع فى تاج الإنسانية كلها .

وفى وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس فيه ذلك النور . فى لفظ مررت وبين عينيك غُرَّة مثل غُرَّة[١] الفرس ورجعت وليس هى فى وجهك » .

أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الْـكَلْبى[٢] عن أبى صالح عن ابن عباس قال « المرأة التى عرَضَتْ على عبد الله ماعرضت ، هى أختُ وَرَقَةَ بن نَوْفل .

وقال ابن سعد أنا الواقدى[٣] حدثنى على بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن رُمْعَةَ عن أبيه عن عمته قالت ، «كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة ، كانت تقول ماشَعَرْت أنى حملت به ولا وجدت ثِقْله ، كما تجد النساء إلا أننى قد أنـكرت رَفْع حيضتى ، وربما كانت ترفع وتعود وأتانى آت وأنا بين النائم واليقظان ، فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فأقول ما أدرى ؟ فقال إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الإثنين ، ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال لى قولى أعيذه بالواحد . من شر كل حاسد. فـكنت أقول ذلك فذكرت ذلك لنسائى، فقلن لى تَعَلَّقِى عليك حَدِيداً فى عَضُدَيْك وفى عقك قالت : ففعلت فلم يكن يُتْرَكُ عَلَىَّ إلا أياما فأجده قد قطع فـكنت لا أتعلقه » .

---

(١) الغرة بياض فى جبهة الفرس وجمعها غرر وفى الحديث (إن أمق يبعثون غرا محجلين من آثار الوضوء) .

(٢) طريق الـكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس من أوهى الطرق وعامتها أكاذيب .

(٣) هو أبوعبد الله محمد ، ولد فى المدينة . من مؤلفاته المغازى وفتوح الشام وفتوح مصر ، وكان بصيرا بالسير وأيام الناس وأنساب العرب ، وله روايات غريبة فى الـكتب تنقل عنه . ونقح كتبه محمد الزهرى المعروف بكاتب الواقدى ، وليس الواقدى بالقوى ولا ثقة فى عامة مايرويه .

وأخرج ابن سعد عن الزُّهْرى قال «قالت آمنة: لقد عَلِقْتُ به فما وجدت له مشقة حتى وضعته» .

وأخرج عن أبى جعفر محمد بن على قال «أُمِرَتْ آمنة وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد »(١) .

وأخرج أبو نُعَيْم عن بُرَيْدَةَ وابن عباس قال « رأت آمنة فى منامها فقيل لها إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين ، فإذا ولدتيه فسميه أحمد ومحمداً ، وعَلِّقى عليه هذه ، فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها أُعيذُه بالواحد . من شر كل حاسد . وكل خلق رائد . من قائم وقاعد . عن السبيل عانِدِ . على الفساد جَاهِدِ . من نَافِثٍ أو عاقد . وكل خَلْق مارد . يأخذ بالمراصد . فى طرق الموارد . أنهاهم عنه بالله الأعلى . وأَحُوطُه منهم باليد العليا . والْكَفِّ الذى لا يُرَى . يد الله فوق أيديهم . وحجاب الله دون عادِيهم . لا يطردوه ولا يضروه فى مَقْعَد ولا مَنَام . ولا سير ولا مُقَام . أول الليالى وآخر الأيام»(٢) .

﴿ فائدة ﴾

أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب وغيره « أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بالمدينة مَرْجِعَه من الشام فى تجارة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حَمْلٌ ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة » قال الواقدى هذا أثبت الأقاويل فى الروايات فى وفاته وَسِنِّه .

---

(١) المشهور أن جده عبد المطلب هو الذى سماه محمدا وختنه يوم سابع مولده وصنع له مأدبه .

(٢) سجع بارد متكلف مهما زوقه الكاذب أو زخرف .

فائدة

قال الواقدى المعروف عندنا وعند أهل العلم أن آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله عليه وسلم .

باب

كيف فعل ربك بأصحاب الفيل عام ولادته صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولبلده

أخرج ابن سعد وابن أبى الدنيا وابن عساكر عن أبى جعفر محمد بن على قال « كان قدوم أصحاب الفيل للنصف من المحرم ، فبين الفيل وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون ليلة »[1] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : «أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم ما جاء بك إلينا ؟ ألا بعثت فنأتيك بكل شىء أردت فقال أخبرت بهذا البيت الذى لا يدخله أحد إلا أَمِنَ ، فجئت أُخِيف أهله . فقال له إنا نأتيك بكل شىء تريد[2] فارجع فأبى إلا أن يدخله ، وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال :

---

(١) المشهور أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلة التاسع أو الثانى عشر من شهر ربيع الأول فإذا صح أن حادثة الفيل كانت للنصف من المحرم كان بين الفيل وبين مولده نحو من أربع وخمسين أو سبع وخمسين ليلة .

(٢) الصحيح أن عبد المطلب إنما طلب من أبرهة أن يرد عليه ابلا له كانت جنده قد أغاروا عليها فقال له أبرهة : لقد كنت أعجبتى حين رأيتك ولكنك زهدتنى فيك حين كلمتنى تطلب الإبل وتترك البيت الذى هو دينك ودين آبائك ؟) فقال له عبد المطلب : أما الإبل فهى لى وأما البيت فله رب يحميه .

اللهم إن لـكل إله حلالا فامنع حلالك   لايغلبن محالهم محـالك

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدالك [١]

فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر ، حتى أظلتهم طيرا أبابيل فجعل الفيل يَعُجُّ [٢] عَجًّا فجعلهم كَعَصْفٍ مأ كول ».

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقى عن عكرمة فى قوله تعالى (طيراً أبابيل) قال « نشأت من قِبَل البحر لها مثل رؤوس السِّباع لم تُرَ قبل ذلك ولا بعده ، فأثرت فى جلودهم أمثال الْجُدْرِى ، فإنه لَأَوَّلُ مارُؤِى الجدرى» [٣] .

وأخرج عن عُبَيْد [٤] بن عُمَيْر الليثى قال: «لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً نشأت من البحر ، كأنها الخطاطيف بلق كل طير منها معه ثلاثة أحجار فى منقاره حجر وحجران فى رجليه ثم جاءت حتى صَفتْ على رؤسهم ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها ، فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، إن وقع على رأسه خرج من دبره ، وإن وقع على شىء من

---

(١) روى أن عبد المطلب لما رأى من أبرهة العزم على دخول مكة وهدم البيت تعلق بالـكعبة وأنشد أبياتا منها :

لاهم إن المرء فايمنـ ـع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليـوم آلك

لايغلبن محـالهم وصليبهم أبدا محالك

(٢) العج رفع الصوت ومنه قوله عليه السلام (أفضل الحج الثج العج) أى إراقة الدماء ورفع الصوت بالتلبية .

(٣) لايلزم من إهلاك الله لأصحاب الفيل بالجدرى أن لا يـكون الجدرى موجودا قبل ذلك فأغلب الظن أن الميـكروبات المسببة للجدرى كانت موجودة من زمان بعيد .

(٤) من كنانة من بنى جندع بن ليث وكان قاضى أهل مكة ، وكان موته قريبا من موت ابن عباس سنة ثمان وستين .

جسده خرج من جانب آخر ، وبعث الله ريحا شديدة فضربت أرجلها فزادها شدة فأهلكوا جميعا .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : «جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصِّفَاح ، فجاءهم عبد المطلب فقال إن هذا بيت الله لم يسلط الله عليه أحداً ، قالوا : لانرجع حتى نهدمه . قال وكانوا لا يُقَدِّمون فِيلَهم إلا تأخر فدعا الله الطير الأبابيل ، فأعطاها حجارة سوداء عليها الطين ، فلما حاذتهم رمتهم ، فما بقى منهم أحد إلا أخذته الحكة فكان لايحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه » .

وأخرج أبو نعيم عن وهب قال : «كانت الْفِيَلَةُ معهم فَشَجُع منها فيل فَحُصِبَ فرجعت الفيلة »[١] .

باب ماوقع فى حفر عبد المطلب زمزم من الآيات

أخرج ابن إسحاق والبيهقى عن على بن أبى طالب قال : « بينا عبد المطلب نائم فى الحجر أُتِيَ[٢] فقيل له: احفر بَرَّةُ ، قال ومابرة ؟ فذهب عنه حتى إذا كان الغد نام فى مضجعه ذلك، فأتى فقيل له : احفر الْمَضْنُونَةَ ، قال : ومامضنونة ؟ فذهب عنه حتى إذا كان الغد فنام فى مضجعه ذلك فأتى فقيل له : احفر طَيْبَةَ قال وماطيبة؟ فذهب عنه فلما كان الغد عاد لمضجعه ، فنام فيه فأتى فقيل له احفر زمزم ، قال وما زمزم؟ قال لا تُنْزَفُ[٣] ولا تُذَمُّ ، ثم نعت له موضعها فقام يحفر حيث نعت له فقالت قريش ما هذا ياعبد المطلب ؟ قال أمرت بحفر زمزم ، فلما كشف عنه وبصروا بالطَّيِّ[٤] قالوا يا عبد المطلب ، إن لنا فيها حقا معك ،

---

(١) ماقصه الله علينا فى سورة أصحاب الفيل على قصرها فيه أعظم العبرة ولا يحتاج معه إلى آثار لاندرى مدى صحتها .

(٢) يعنى أتاه آت فى المنام .

(٣) يعنى لا ينقطع ماؤها بل هى ثرة دائما .

(٤) هو بناء البئر يقال بئر مطويه أى مبنية بالحجارة .

إنها لَشِرْبُ أبينا إسمعيل . قال ما هى لـكم لقد خُصِصْتُ بها دونكم . قالوا نُحَاكِمنا ؟ قال نعم . قالوا بيننا وبينك كاهنة بنى سعد بن هذيم[١] وكانت بأَشْرَاف الشام ، فركب عبد المطلب فى نفر من بنى أبيه وركب معه من كل بطن من أَفْناء[٢] قريش نفر وكانت الأرض مفاوز فيما بين الشام والحجاز ، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد فنى ماء عبد المطلب وأصحابه ، حتى أيقنوا بالهلـكة ، ثم استسقوا القوم قالوا مانستطيع أن نُسْقيكم ، وإنا نخاف مثل الذى أصابكم . فقال عبد المطلب لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا ما رَأْينا إلا تُبعُ لرأيك . قال فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حُفْرته فكلما مات رجل منكم دفعه أصحابه فى حفرته حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه فَضَيْعةُ رجل أهون من ضيعة جميعكم ففعلوا ثم قالوا والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لانضرب فى الأرض ونستقى لعل الله يسقينا لعجز ، فقال لأصحابه ارتحلوا فارتحلوا ، فلما جلس على ناقته فانبعثت به انفجرت عيون تحت خفها بماء عذب[٣] فأناخ وأناخ أصحابه فشربوا واستقوا وسقوا ثم دعوا أصحابهم هَلُمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله فجاءوا واستقوا وسقوا ، ثم قالوا ياعبد المطلب قد والله قُضِىَ لك إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة ، لَهُوَ الذى سقاك زمزم انطلق فهى لك فما نحن بمخاصميك » .

وأخرج البيهقى عن الزهرى قال « أول ماذُكِرَ من عبد المطلب جَدِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا خرجت من الحرم فَارَّةً من أصحاب الفيل وأَجْلَتْ

---

(١) يطن من بطون قضاعة بن مالك من اليمن ، وكان هذيم عبدا حبشيا حضن سعد افنسب إليه .

(٢) أى بطونها وأفخاذها .

(٣) كيف تجرى مثل هذه الآية العظيمة التى تختص بالأنبياء على يد رجل من عباد الأصنام كعبد المطلب ؟ ثم إن الطريق من الحجاز إلى الشام كان معروفا لقريش وقد آلفهم الله رحلة الشتاء والصيف فكيف يضلون فى مفاوزها ؟

عنه قريش فقال : والله لا أخرج من حَرَم الله أبتغي العز فى غيره ، فجلس عند البيت [١] فقال اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك [٢] . فلم يزل ثابتاً فى الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه ، فرجعت قريش وقد عظم فيهم لصبره وتعظيمه محارم الله ، فبينا هو على ذلك أُتِىَ فى المنام فقيل له : احفر زمزم خبِئَةَ الشيخ الأعظم ،فاستيقظ فقال اللهم بيِّنْ لى فأُرِىَ فى المنام مرة أخرى احفر تكتم ، بين الْفَرْث والدم . فى مبحث الغراب الأعصم . فى قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ماسُمِّى له من الآيات، فنُحِرَت بقرة بالحَزْوَرَةَ فانفلتت من جازِرِها بحُشَاشَةِ نفسها ، حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم ،فنحرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها ، فأقبل غراب يَهْوِى حتى وقع فى الفرث ، فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هنالك ، فجاءته قريش فقالت له : ماهذا الصنيع ؟ قال إنى لحافر هذا البير حتى إذا أمكن الحفر واشتد عليه الأذى نذر أن ينحر أحد ولده . ثم حفر حتى أَنْبطَ الماء ثم بنى عليها حوضا يملأه ويشرب منه الحاج فيكسره أناس حَسَدَةٌ من قريش بالليل ، فيصلحه عبدالمطلب حين يصبح فلما أكثروا إفساده ،دعا عبدالمطلب ربه فارى فى المنام فقيل له قل اللهم إنى لا أُحِلُّهَا لمُغْتَسِلِ . ولكن هى لِشَارب حِلٌّ وَبَل [٣] ثم كفيتهم فقام عبدالمطلب فنادى بالذى أرى ثم انصرف ، فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد إلارمى فى جسده بداء ،حتى تركوا حوضه وسِقَايته ثم قال اللهم إنى نذرت لك نحر أحد أولادى،وإنى أُقْرِع بينهم فَأَصِبْ بذلك من شئت، فَأَقْرَعَ : بينهم فصارت القرعة على عبدالله ، وكان أحب ولده إليه ،فقال عبد المطلب:اللهم

---

(١) المعروف أن عبد المطلب هو الذى أمر قريشا أن تخرج من مكة إلى الجبال المحيطة بها حتى لايُوقِـعَ بهم الحَبَشة ، وأن هذا الكلام قاله قبل أن يخرج .

(٢) لعلها رحالك .

(٣) يعنى حلال وشفاء .

هو أحب إليك أم مائة من الإبل . ثم أقرع بينه وبين المائه فكانت القرعة على مائة من الإبل فنحرها مكان عبد الله »[(١)] .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : « لما رأى عبد المطلب قلة أعوانه فى حفر زمزم نذر لئن أكمل الله له عشرة ذكور ، حتى يراهم أن يذبح أحدهم فلما تكاملوا عشرة ذكور جمعهم ثم أخبرهم بنذره فأجابوه وقالوا أوف بنذرك وافعل ماشئت فضرب بينهم القرعة فخرجت على عبد الله فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المدية فبكى بنات عبد المطلب وقالت إحداهن أعذر فى ابنك بأن تضرب فى إبلك السوائم التى فى الحرم فضرب عليه وعلى عشر من الإبل وكانت الدية يومئذ عشرا من الإبل فخرجت على عبد الله فجعل يزيد عشرا عشرا كل ذلك يخرج على عبد الله حتى كملت المائة فخرجت على الإبل فكبر عبد المطلب والناس معه[(٢)] وقدم الإبل فنحرها ، وكان عبد المطلب أول من سَنَّ دِيَةَ النفس مائة من الإبل فَجَرَتْ فى قريش والعرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج الحاكم وابن جرير والأموى فى مغازيه من طريق الصنابجى عن معاوية قال: « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أعرابى فقال يارسول

---

(١) المحفوظ فى كتب السير أن عبد المطلب حين خرجت القرعة على عبد الله هم بذبحه فمنعته قريش وأشارت عليه باستفتاء الكاهنة وأشارت بتقديم عبد الله وعشرة من الإبل فإن خرجت القرعة على عبد الله زيد فى الأبل حتى تخرج عليها القرعة فتؤخذ فتذبح فبلغت الإبل مائه وخرجت عليها القرعة فأخذت وذبحت ففرح الوالد بنجاة ولده وأخذه إلى بيت آمنة بنت وهب فزوجه إياها وعلى كل حال فهذه أخبار يعوزها السند الصحيح ولا يجوز التعويل عليها وأما ماروى من قوله عليه السلام (أنا ابن الذبيحين) فهو حديث غير صحيح .

(٢) هذا صريح الكذب فإن عبد المطلب وعامة قريش كانوا لايعرفون التكبير ولا غيره من أنواع الذكر بل يقولون باسمك اللهم كما حدث فى صلح الحديبية .

الله خلفت الكلأ يابساً والماء عابساً ، هلك العيال وضاع المال ، فَعُدْ عَلَيَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذَّبِيحَيْن ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ، فقال القوم من الذبيحان يا أمير المؤمنين ؟ قال إن عبد المطلب لما أُمِر بحفر زمزم نذر إن سَهُلَ أمرها أن ينحر بعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم وكانوا عشرة فخرج السهم على عبد الله فأراد أن ينحره فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا : أرض ربك وافد ابنك ، ففداه بمائة ناقة . قال معاوية : فهذا واحد والآخر إسمعيل .

باب

ماظهر فى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم من المعجزات والخصائص

أخرج البيهقى وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال إنى لغلام يَفَعَة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة على أُطُمِه: يامعشر يهود، فاجتمعوا إليه وأنا أسمع قالوا : ويلك مالك ؟ قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة [١] .

وأخرج البيهقى والطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر عن عثمان بن أبى العاص قال « حدثتنى أُمِّى أنها شهدت وِلادة آمنة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولَدَتْه [٢] قالت فما شىء أنظر إليه فى البيت إلا نور وإنى لأنظر إلى النجوم

---

(١) هذا موافق لما جاء فى حديث هرقل عند البخارى من أنه كان حزاء ينظر فى النجوم ، وأنه نظر فى السماء ذات ليلة فقال أرى ملك الختان قد ظهر .

(٢) المعروف أن عثمان بن أبى العاص ثقفى وأنه قدم مع وفد ثقيف سنة تسع فأسلم وأمره الرسول على قومه فكيف تأتى لأمه وهى من الطائف أن تشهد ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

تدنو حتى إنى لأقول لَيَقَعُنَّ عَلَىَّ[١] فلما وضعت خرج منها نورٌ أضاء له البيتُ والدارُ حتى جعلتُ لا أَرَى إلا نورا » .

وأخرج أحمد والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن العِرْباض ابن سارية[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنى عبدالله[٣] وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى[٤] التى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام[٥] .

وأخرج ابن سعد وأحمد والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم عن أبى أُمامة قال: قيل يارسول الله ما كان بدء أمرك ؟ قال « دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أمى حين حملت أنه خرج منها نور أضاءت به قصور الشام .

وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى عن خالد بن مَعْدَان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك فقال: « دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت كأنه خرج منها نور أضاءت له بُصْرى من أرض الشام . قلت : قوله حين حملت هى رؤيا نوم وقعت فى

---

(١) عجبا لولادة يتغير لها نظام الكون وتخرج بها النجوم من أفلاكها وليت شعرى ، هل اختصت تلك المرأة برؤية هذا الحادث الفلكى الهائل أم شهده معها غيرها من الناس فما بالهم لم يتحدثوا بمثل ماتحدثت به ألا ايت الكذب يستحى.

(٢) صحابى جليل كان أحد السبعة الذين نزل فيهم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ماينفقون) .

(٣) الصحيح أنها عند بالنون وبإسقاط واو العطف (إنى عند الله لخاتم الخ .

(٤) هذا ظاهر فى أنها رؤيا منام وليست رؤية بالبصر وأنها حدثت بتلك الرؤية من حولها فاشتهرت عنها .

(٥) قوله وأن أم رسول الله الخ مدرج من كلام المؤلف وليس من الحديث.

الحمل . وأما ليلة الولادة فرأت ذلك رؤية عين [١] كما روى ابن إسحاق كانت آمنة تحدث أنها أتيت حين حملت فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمدا »

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس أن آمنة قالت لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فُصِلَ مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء [٢] .

وأخرج ابن سعد من طريق ثَوْر بن يزيد عن أبي العَجْفَاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى » .

وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سَلَمة [٣] عن آمنة قالت « لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها » [٤] .

وأخرج أبو نعيم عن بُرَيْدَة عن مُرْضعته [٥] من بني سعد أن آمنة قالت « رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب أضاء له الأرض حتى رأيت قصور الشام »

---

(١) لادليل على أنها رؤية عين وما رواه عن ابن إسحق غير صحيح .

(٢) كل ما يروى عن آمنة من أحاديث الحمل والوضع موضوع والحق أنها حملت به كما يحمل كل أنثى من الناس ووضعته كذلك .

(٣) واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة هاجرت الهجرتين هي وزوجها أبو سلمة، ولما مات أبو سلمة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي مخزومية .

(٤) كيف روت أم سلمة عن آمنة، وقد ماتت آمنة قبل أن تولد أم سلمة ؟ ألا قاتل الله الوضاعين .

(٥) لاندري هل الضمير في مرضعته لبريدة أم للنبي صلى الله عليه وسلم، والظاهر الثاني لأنه عليه السلام كان مسترضعا في بني سعد .

وأخرج ابن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابى حدثنا هَمَّام بن يحيي عن إسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر ووقع إلى الأرض وهو جالس على الأرض بيده » وقال أنبأنا مُعَاذُ الْعَنْبَرى ثنا ابن عون عن ابن القِبْطِيَّة فى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قالت أمه رأيت كأن شهابا خرج منى أضاءت له الأرض »

وأخرج عن حسان بن عطية أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصا بصره إلى السماء .

وأخرج عن موسى بن عبيدة عن أخيه قال « لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع إلى الأرض وقع على يديه رافعا رأسه إلى السماء ، وقبض قبضة من التراب بيده فبلغ ذلك رجلا من لهب[١] فقال لصاحب الخبر: لئن صدق هذا الفأل لَيَغْلِبَنَّ هذا المولود أهل الأرض .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف[٢] عن أمه الشِّفَاء بنت عمرو ابن عوف قالت « لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهل[٣]

---

(١) بطن من بطون اليمن من بنى عامر بن الأزد وكانوا قافة وفيهم قال الشاعر

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهبى إذا الطير مرت

(٢) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة فهو زهرى ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد الحارث أو عبد عمرو فغيره النبي صلى الله عليه وسلم ، وكنيته أبو محمد وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة وأمه الشفاء زهرية أيضا توفى سنة اثنتين وثلاثين عن خمس وسبعين عاما وصلى عليه عثمان بن عفان .

(٣) الاستهلال هو صوت الصبى بالبكاء عند الولادة وكانت الشفاء هى قابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ابن القيم أن أم أيمن بركة الحبشة كانت هى دايته .

فسمعت قائلا يقول : رحمك الله ورحمك ربك . قالت الشفاء : فأضاء لى مابين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم ، قالت ثم ألبسته ، وأضجعته فلم أَنْشَب أن غشيتنى ظلمة ورعب وقُشَعْرِيرَةٌ عن يمينى فسمعت قائلا: يقول أين ذَهَبْتَ به قال إلى المغرب وأسفر ذلك عنى ثم عاودنى الرعب والظلمة والقشعريرة عن يسارى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال إلى المشرق قلت فلم يزل الحديث منى على بال حتى ابتعثه الله فكنت فى أول الناس إسلاماً » .

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قُتَيْبَةَ قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم[١] قال « لما حَضَرَتْ ولادة آمنة قال الله لملائكته : افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها ، وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر بعضها بعضا ، وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر ، وأُخِذَ الشيطان فَغُلَّ سبعين غُلاًّ[٢] وألقى منكوسا فى لجة البحر الخضراء وغلت الشياطين والمردة[٣] وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيما وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء[٤] فى الهواء ينتظرون ولادة محمد صلى الله عليه وسلم وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا[٥] كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن لا تبقى شجرة إلا حملت ولا خوف إلا عاد أمنا فلما ولد النبى صلى الله عليه

---

(١) إذا كان علم أبيه من هذا النمط فهو إذا وعاء غير نظيف ، فإن كلامه هنا من نسج الخيال وهو أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة .

(٢) هو مايوضع فى العنق .

(٣) جمع مارد وهو العاتى .

(٤) من الحور وهو البياض وهى الشديدة بياض بياض العين الشديدة سواد سوادها .

(٥) هذا من الكذب المفضوح فلا يعقل أن الحوامل فى عام واحد يلدن كلهن ذكورا ولو جرى ذلك لأصبح من الأحداث الهامة التى يؤرخ بها .

وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا وتباشرت الملائكة وضرب فى كل عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهى معروفة فى السماء قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قيل هذا ماضرب لك استبشارا بولادتك وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطىء نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك[١] الأذفر ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة ونكست الأصنام كلها، وأما اللات والعزى فإنهما خرجا من خزانتها وهما يقولان: ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصِّدِّيق لاتعلم قريش ماذا أصابها وأما البيت فأياماسمعوا من جوفه صوتاً، وهو يقول الآن، يرد على نورى الآن يجيئنى: زوارى الآن أطهر من أنجاس الجاهلية، أيتها العزى هلكت ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن، وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٢].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال «كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة فى قريش ولا فى قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لاينطق يومه ذلك ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاله فى كل شهر من شهوره نداء فى الأرض

---

(١) فات هذا الجاهل أن المسك لايؤخذ من ثمار الأشجار.

(٢) فما بال قريش لم تذكر هذا الذى نسجه خياله المحموم، ومحمد عليه السلام قد ولد بين ظهرانيها.

و نداء فى السماء أن أبشروا فقد آن لأبى القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا[١] قال وبقى فى بطن أمه تسعة أشهر كُمّلا لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا مايعرض للنساء ذوات الحمل، وهلك أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا بقى نبيك هذا يتيما ، فقال الله : أنا له وَلِىٌّ وحافظ ونصير ، وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك ، وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه ، فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول : أتانى آت حين مرَّ بى من حمله ستة أشهر فوكزنى برجله فى المنام وقال لى : يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين[٢] طُرًّا ، فإذا ولدتيه فسميه « محمداً » ، فكانت تحدث عن نفاسها[٣] وتقول : لقد أخذنى مايأخذ النساء ، ولم يعلم بى أحد من القوم، فسمعت وَجْبة شديدة وأمراً عظيما فهالنى ذلك ، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى كل رعب وكل وجع ، كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبناً ، وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء منى نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل الطُّوَال كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى ، فبينا أنا أعجب وإذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض ، وإذا بقائل يقول : خذوه من أعين الناس. قالت : ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق فضة ، ورأيت قطعة

---

(١) قال القسطلانى عنه إنه شديد الضعف ، ولكنى أقول إنه كذب مفترى . فما نطقت دواب قريش ولا حيل بين الجن وبين إلقاء السمع إلى الكهان إلا بعد البعثة ، ولانكست عروش الملوك ولا أخرست ألسنتهم ولاانتقل وحش من غابته ولا حوت من بحره الخ . فكل ذلك هذيانات وضعها الكذابون ليحيطوا حادث الولادة بجو من التهاويل .

(٢) ترى مافائدة إخبار آمنة بهذا وقد علم الله أنها ستموت قبل بعثته وأنها لن تنال شرف الإيمان به وقد قدمنا أن جده عبد المطلب هو الذى سماه .

(٣) هو مايأخذ المرأة عند الولادة من المخاض والوجع .

من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرى ، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت ، فكشف الله عن بصرى ، وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات ، علماً فى المشرق ، وعلماً فى المغرب ، وعلماً على ظهر الكعبة ، فأخذنى المخاض فولدت محمداً صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج من بطنى نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فَغُيِّبَ عن وجهى[1] وسمعت منادياً ينادى : طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمى فيها الماحى[2] لا يبقى شيء من الشرك إلا محى فى زمنه ، ثم تجلت عنه فى السرع فإذا أنا به مدرجا فى ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء ، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب ، وإذا قائل يقول : قبض محمد على مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الريح ، ومفاتيح النبوة . ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة ، حتى غشيته فغُيِّب عن عينى ، فسمعت منادياً ينادى: طوفوا بمحمد الشرق والغرب وعلى مواليد النبيين ، وأعرضوه على كل روحانى من الجن والأنس والطير والسباع ؛ وأعطوه صفاء آدم ، ورقة نوح ، وخلة إبراهيم ،

---

(١) تصور أماً فقدت زوجها ولم يطل مقامه معها ، ثم وضعت حملها ووحيدها وهى ترجو أن يكون العوض والعزاء عن أبيه ثم يغيب عنها ساعة وضعه وينتزع من بين يديها ماذا يكون حالها؟ وهل كانت آمنة وحدها فى ذلك الوقت أم كان معها نسوة من قريش ؟ فما بالهن لم يصرخن ويفزعن لهذا الحدث الغريب ، ولكن اقرأ واضحك و ن شئت فابك على مابلغت إليه حال العلماء من تسويد صحائفهم بمثل هذا الهواء.

(٢) صح عنه أنه قال (وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الشرك) ولكن تفسير هذا بأنه لا يبقى شيء من الشرك إلا محى فى زمنه خطأ وخلاف الواقع فقد توفى ولا تزال الأرض مليئة بأمم الشرك التى حاربها أصحابه من بعده .

ولسان إسماعيل ، وبشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وصوت داود ، وصبر أيوب ، وزهد يحيى ، وكرم عيسى ، واغمروه فى أخلاق الأنبياء . ثم تجلت عنه فإذا أنا به قد قَبَضَ على حريرة خضراء مَطْوِيَّة ، وإذا قائل يقول : بخ بخ[١] قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل فى قبضته ، وإذا أنا بثلاثة نفر فى يد أحدهم إبريق من فضة ، وفى يد الثانى طست من زمرد أخضر ، وفى يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه ، فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه فى الحريرة ، ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلى » .

وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف[٢] عن العباس قال « لما ولد أخى عبد الله وهو أصغرنا . كان فى وجهه نور يزهر[٣] كنور الشمس ، فقال أبوه : إن لهذا الغلام لشأناً ، فرأيت فى منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض فطار فبلغ الشرق والغرب ، ثم رجع حتى سقط على الكعبة فسجدت له قريش كلها ، ثم طار بين السماء والأرض ، فأتيت كاهنة بنى مخزوم فقالت : لى لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً ، فلما ولدت آمنة قلت لها ما الذى رأيت فى ولادتك ؟ قالت لما جاءنى الطاق واشتد بى الأمر سمعت جَلَبة وكلاماً لا يشبه كلام الآدميين ، ورأيت عَلَماً من سُنْدُس على

---

(١) معناها حسن حسن وضدها كخ كخ .

(٢) بعد اللتيا والتى وبعد ماروى المؤلف من الغرائب والمناكير والحكايات العجيبة ينبه هنا على ضعف هذا الحديث فهلا التزم ذلك فى كل مايرويه حتى يجعل المؤلفه شيئا من التقدير .

(٣) زهر السراج أو القمر أو الوجه أضاء وتلألأ .

قضيب من ياقوت قد ضُرِب ما بين السماء والأرض ، ورأيت نوراً ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ، ورأيت قصور الشامات كلها شُعْلَةَ نار ورأيت قربى سِرْباً من القَطَاء قد سجدت له ونشرت أجنحتها ، ورأيت تَابِعة سُعَيْرَةَ الأسدية قد مرت وهى تقول : مالقى الأصنام والكهان من ولدك هذا ؟ هلكت سعيرة والويل للأصنام ، ورأيت شاباً من أتم الناس طولا وأشدهم بياضاً فأخذ المولود منى فتفل فى فِيهِ ومعه طاس من ذهب فشق بطنه شقاً ، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ، ثم أخرج صرة من حرير أخضر ففتحها ، فإذا فيها شىء كالذريرة البيضاء فحشاه ، ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة » وألبسه قميصا فهذا ما رأيت .

قلت : هذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة ولم أورد فى كتابى هذا أشد نكارة منها ، ولم تكن نفسى لتطيب بإيرادها لكنى تبعت الحافظ أبا نعيم فى ذلك[١] .

وروى الحافظ أبو زكريا يحيى بن عائذ فى مولده عن ابن عباس أن آمنة كانت تحدث عن يوم ميلاده وما رأت من العجائب ، قالت :« بينا أنا أعجب إذا أنا بثلاثة نفر، ظننت أن الشمس تطلع من خلال وجوههم بيدأحدهم إبريق فضة ، وفى ذلك الإبريق ريح كريح المسك ، وفى يد الثانى طست من زمردة خضراء عليها أربعة نواحى، على كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء . وإذا قائل يقول هذه الدنيا شرقها وغربها وبرها وبحرها ، فاقبض يا حبيب الله على أى ناحية شئت منها، قالت: فَدُرْتُ لأنظر أين قَبَضَ من الطَّسْتِ فإذا هو قدقبض

---

(١) وهذه هى قاصمة الظهر بالنسبة لعلماء هذا العصر أنهم يقلدون أسلافهم تقليدا أعمى ويأخذون عنهم كل ماقالوه دون بحث أو تمحيص فكان ديدنهم هوالجمع والاستيعاب ، فجاءت كتبهم قليلة النفع مليئة بالفضول والحشو والمنكر من القول لاسيما مؤلفنا السيوطى .

على وسطها ، فسمعت القائل يقول : قبض محمد على الكعبة ورب الكعبة أما إن الله قد جعلها له قبلة ومسكناً مباركا ، ورأيت بيد الثالث حريرة بيضاء مطوية طياً شديداً فنشرها ، فإذا فيها خاتم تحار أبصار الناظرين دونه ، ثم جاء إلى فتناوله صاحب الطست فغسل بذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ختما واحداً ولفه فى الحريرة مربوطا عليه بخيط من المسك الأذفر ، ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة » .

قال ابن عباس : كان ذلك رضوان خازن الجنان ، وقال فى أذنه كلاما لم أفهمه ، وقال : أبشر يا محمد فما بقى لنبى عِلْم إلا وقد أعطيته فأنت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا ، معك مفاتيح النصرة قد ألبست الخوف والرعب ، لايسمع أحد بذكرك إلا وجل فؤاده وخاف قلبه[١] وإن لم يرك يا خليفة الله .

قال ابن دِحْيَةَ فى (التنوير) هذا حديث غريب .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن عائشة قالت : « كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها[٢] ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من قريش : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله مانعلمه ، قال: احفظوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات مُتَواتِرات كأنهن عُرْف[٣] فرس لا يرضع لَيْلَتيْن، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل إصبعه

---

(١) ورد فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ونصرت بالرعب مسيرة شهر » .

(٢) لانعلم أن مكة كان بها أحد من اليهود ، ولكن كان فيها غلام نصرانى زعم المشركون أنه هو الذى يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فرد الله عليهم بقوله (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) .

(٣) هو شعر عنقه ، وأما العرف بفتح العين فهو الرائحة الطيبة .

فى فمه فمنعه الرضاع ، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله ، فقالوا : قد ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام سموه «محمداً» ، فالتقى القوم حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر ، قال : فاذهبوا معى حتى أنظر إليه ، فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة ، فقال: أخرجى إلينا ابنك ، فأخرجته وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودى مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا : ويلك مالك ؟ قال : والله ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطُوَنَّ بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب » .

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى الحكم التَّنُوخى قال : « كان المولود إذا ولد فى قريش دُفِـع إلى نسوة من قريش إلى الصبح فَـكَفَأن عليه برمَة[1]، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب إلى نسوة يَكْفِئْنَ عليه بُرْمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين فوجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاهن عبد المطلب فقلن له : ما رأينا مولوداً مثله وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينه شاخصاً ببصره إلى السماء ، فقال : احفظنه فإنى أرجو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب ما سميته ؟ قال : سميته محمداً ، قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيتك ؟ قال: أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الأرض[2] .

(١) وعاء كبير يطبخ فيه .

(٢) قال أبو عمر ابن عبد البر: الحديث فى هذا مسند غريب ، وهو من رواية عطاء عن عكرمة عن ابن عباس « أن عبد المطلب ختن النبى صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا » قال يحي بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبى السرى .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق المسيب بن شريك عن محمد ابن شريك[١] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[٢] قال « كان بِمَرِّ الظَّهْرَان راهب من أهل الشام يدعى عِيصى ، وكان قد آتاه الله علما كثيرا ، وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ، فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته وتالله ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن ، ولا حللت أرض البؤس والجوع والخوف إلا فى طلبه ، فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول : ما جاء بعد ، فلما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصى ، فوقف فى أصل صَوْمَعَته فناداه ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا عبد المطلب ، فأشرف عليه . فقال : كُنْ أَبَاه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم به عنه يوم الاثنين ، وهو يبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين ، وأن نجمه طلع البارحة ، وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكى ثلاثًا ثم يعافى ، فاحفظ لسانك فإنه لم يُحْسَدْ حَسَدَهُ أحدٌ ، ولم يُبْغَ على أحد كما يُبْغَى عليه ، قال : فما عُمُرُه ؟ قال : إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين ، يموت فى وتر دونها فى الستين إحدى وستين ، أو ثلاث وستين أعمار جُلِّ أُمَّته[٣] ، قال : وحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عاشوراء المحرم ، وولد يوم

---

(١) قال الذهبى : ذكره البخارى فيه جهالة . ثم قال : ليس بمجهول وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل .

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص أحد العبادلة الأربعة وأكثر الصحابة رواية للحديث ورواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اعتبرها بعضهم إحدى السلاسل الذهبية فى الحديث .

(٣) ورد عنه عليه السلام أنه قال « أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين » .

الاثنين لثنتى عشرة خلت من رمضان »[١] .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : « كان فى عهد الجاهلية إذا ولد لهم المولود من تحت[٢] الليل رموه تحت الإناء فلا ينظرون إليه حتى يصبحوا[٣] ، فلما ولد النبى صلى الله عليه وسلم طرحوه تحت البرمة ، فلما أصبحوا أتوا البرمة فإذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه إلى السماء فعجبوا من ذلك ، ورفع إلى امرأة من بنى بكر[٤] ترضعه ، فلما أرضعته دخل عليها الخير من كل جانب ولها شُوَيْهَات[٥] فبارك الله فيها فنَمَتْ وزادت » .

وأخرج أبو نعيم عن داود بن أبى هند قال : « لما ولد النبى صلى الله عليه وسلم نارت الظراب لوضعه واتقى الأرض بكفيه، حين وقع وأصبح يتأمل السماء بعينه وكَفَئُوا عليه بُرْمة ضخمة فانفلقت عنه فلقتين » .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضعته تحت برمة فانفلقت عنه، قالت :« فنظرت إليه فإذا هو قد شُقَّ بصره ينظر إلى السماء »[٦] .

---

(١) المشهور بل الصحيح أن ولادته عليه السلام كانت فى ربيع الأول ليلة التاسع أو الثانى عشر .

(٢) لعله يعنى من آخر الليل .

(٣) لو صح الخبر لهذا فلعل الحكمة فيه الخوف على المولود من مس الجن أو نحو ذلك .

(٤) هى ظئره حليمة السعدية من بنى بكر بن سعد .

(٥) هو تصغير شياه والمراد أنها عجاف مهازيل من قلة المرعى .

(٦) قد أكثر المؤلف من رواية البرمة من طرقها المتعددة ولكنها مع ذلك أخبار ضعيفة لا يعول عليها ولا نظن أن قريشا كانت فيها مثل هذه العادة الحمقاء التى ربما قضت على المولود بسبب احتباس الهواء عنه .

وأخرج ابن أبي حاتم فى تفسيره عن عكرمة قال : « لما ولدالنبي صلى الله عليه وسلم أشرقت الأرض نوراً ، وقال إبليس[١] : لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا ، فقال له جنوده : فلو ذهبت إليه نخبلته[٢] ، فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم بعث الله جبرئيل فركضه ركضة فوقع بِعَدَن » [٣] .

وأخرج الزبير بن بكار وابن‌عساكر عن معروف بن خربوذ قال : « كان إبليس يخرق السموات السبع ، فلما ولد عيسى حجب من ثلاث سموات فكان يصل إلى أربع ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه سلم حجب من السبع[٤] ، وقال: وولد يوم الاثنين حين طلع الفجر » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم والخرائطى فى الهواتف وابن عساكر من طريق أبى أيوب يعلى بن عمران البَجَلى عن مخزوم بن هانى المخزومى عن أبيه وأتت له مائة وخمسون سنة[٥] قال « لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مشتق من الإبلاس وهو اليأس والحيرة وجمعه أباليس وأبالسة ، وقد تكرر ذكر إبليس كثيرا فى القرآن مع قصة آدم عليه السلام .

(٢) الخبل هو الجنون وفساد العقل .

(٣) مدينة فى جنوب غربى الجزيرة وهى مرفأ حر على خليج عدن ، احتلها الإنجليز سنة ١٧٣٩ وفيها الآن حركة مقاومة قوية .

(٤) المعروف أن الشياطين إنما تسترق السمع من السماء الدنيا فقط ، كما قال تعالى من سورة الصافات (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد) وقد ورد فى حديث الإسراء أن لكل سماء بابا مغلقا وأنه لا يفتح إلا لمن يعرفه حراسها .

ثم من هو معروف بن خربوذ هذا حتى يؤخذ بقوله فى مثل هذه الأمور الغيبية التى لا تعرف إلا من قبل الوحى ؟ .

(٥) إسناد مظلم كله مجاهيل .

وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة[١] وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف عام وغاضت بحيرة ساوة ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عليه تشجعا فلما عيل صبره[٢] رأى أن لا يستر ذلك عن وزرائه[٣] فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه وأخبرهم بمارأى، فبينما هم كذلك إذ ورد عليه الكتاب بخمود النار فازداد غما إلى غمه فقال له الموبذان[٤] وأنا أصلح الله الملك رأيت فى هذه الليلة إبلا صعابا تقود خيلا[٥] عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فقال أى شىء يكون ياموبذان قال حادث يكون من ناحية العرب، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان الغسانى ، فلما ورد عليه قال له الملك ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال ليخبرنى الملك فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه فأخبره. قال:علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف[٦] الشام يقال له سَطِيح قال: فأْته فأسأله فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح[٧] فسلم عليه فلما سمع سطيح

---

(١) الشرفة من القصر ـ بضم فسكون ـ ما أشرف من بنائه ، وجمعها شرف . وأما شرفة بفتحات فجمعها شرفات وهى مثلثات أو مربعات تبنى متقاربة فى أعلى سور أو قصر ولعلها هى المرادة هنا .

(٢) يعنى قل صبره ونفد .

(٣) عجبا وهل سقوط الشرفات كان سرا مكتوما حتى يحتاج الوزراء إلى من يخبرهم به ؟ وهى أمور يراها جميع الناس .

(٤) عالم المجوس .

(٥) كريمة سالمة من الهجنة .

(٦) هى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ينسب إليها فيما قيل السيف المشرفى .

(٧) الضريح البعيد ويقال للقبر أيضا : ضريح. ولعل المعنى الأول هو المناسب هنا.

سلامه رفع رأسه ، وقال عبد المسيح ، على جمل مُشِيح . وأقبل إلى سَطِيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك مَلِك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المُوبِذَان ، رأى إبلا صِعَابا . تقود خيلا عِرَابًا . قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة . وظهر صاحب الهَرَّاوَةِ[١] . وفاض وادى السماوة . وغاضت بحيرة ساوة . وخمدت نار فارس . فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشُّرُفَات . وكل ماهو آت آت ، ثم قضى سطيح مكانه ، فأتى عبد المسيح إلى كِسْرى فأخبره فقال إلى أن يملك منا أربعةَ عَشَرَ ملكا كانت أمور وأمور ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان . قال ابن عساكر حديث غريب لانعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه تفرد به أبو أيوب البَجَلى هكذا قال فى ترجمة سطيح فى تاريخه . وقال فى ترجمة عبد المسيح بعد أن أخرجه من هذا الطريق ورواه معروف بن خَرْبُوذُ عن بشر بن تيم المكى ، قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه . قلت ومن هذا الطريق أخرجه عُبْدان فى كتاب الصحابة وقال ابن حجر فى الإصابة : إنه مُرْسَلٌ[٢] .

وأخرج الخرائطى فى الهواتف وابن عساكر عن عروة أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نُفَيْل وعُبَيْد الله بن جحش وعثمان بن الْحُوَيْرِث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه فدخلوا عليه ليلة فرأوه مكبوباً على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فقال عثمان بن الحويرث إن هذا لأمر قد حدث

---

(١) الهراوة العصا والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث المرسل ماسقط منه الصحابى ورفعه التابعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحتج بهذه المراسيل إلا إذا وجد لها متابع فى الصحيح .

وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فجعل عثمان يقول شعراً :

أيا صنم العيد الذى صف حوله ... صناديد وفد من بعيد ومن قرب
تَنَكَّسَ مقلوباً فما ذاك؟ قل لنا ... أآذاك شىء أم تَنَكَّسَ للعب
فإن كان من ذنب أسأنا فإننا ... نبوء [٢] بإقرار و نَلْوِى عن الذنب
وإن كنت مغلوبا تنكست صاغراً ... فما أنت فى الأوثان بالسيد الرب

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله ، فلما استوى هتف هاتف من الصنم بصوت جَهِير وهو يقول :

تَرَدَّى [٣] لمولود أنارت بنوره ... جميع فِجَاجِ الأرض بالشرق والغرب
وخرت الأوثان طُرًّا وأَرْعَدَتْ ... قلوب ملوك الأرض طراً من الرعب
ونار جميع الفرس باخت وأظلمت ... وقد بات شاه الفرس فى أعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنُّها ... فلا مخبر منهم بحق ولا كِذْبِ [٤]
فيال قصى إرجعوا عن ضلالكم ... وَهُبُّوا إلى الإسلام والمنزل الرحب

وأخرج الخرائطى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت : كان زيد بن عمرو بن نُفَيل وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا

---

(١) المعروف أن ورقة وزيدا وعبيد الله بن جحش قد فارقوا ديانه قومهم فى الجاهلية وهجروا عبادة الأصنام .

(٢) من البوء وهو الرجوع عن الذنب وفى الحديث « أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » .

(٣) التردى هو السقوط والهلاك .

(٤) يعنى أن الجن لم يعودوا يخبرون الكهان بأمور الغيب حين حيل بينهم وبين خبر السماء .

النجاشي بعد رجوع أَبْرَهَةَ من مكة . قالا ، فلما دخلنا عايه قال : أصدُقانى أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقِدَاح (١) فسلم ونُحِرَت عنه جمال كثيرة ؟قلنا: نعم. قال :فهل لكما عِلْمٌ بهمافعل ؟ قلنا : تزوج امرأة يقالها آمنة تركها حاملا وخرج .قال :فهل تعلمان ولدت أم لا ؟ قال ورقة: أخبرك أيها الملك أنى ليلةً قد بِتُّ عند وَثَن لنا إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول :

ولد النبي فذلت الأملاك(٢) ونأى الضلال وأدبر الإشراك

ثم انتكس الصنم على رأسه . فقال زيد : عندى كخبره أيها الملك إنى فى مثل هذه الليلة خرجت حتى أتيت جبل أبى قُبَيْس (٣) إذ رأيت رجلا ينزل من السماء له جناحان أخضران فوقف على أبى قبيس ثم أشرف على مكة فقال ذَلَّ الشيطان . وبطلت الأوثان . وولد الأمين ثم نشر ثوبا معه وأَهْوَى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جَلَّلَ ماتحت السماء وسطع نور كاد يخطف بصرى ، وهالنى ما رأيت وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة فسطع له نور أشرقت له تِهامة، وقال زَكَت الأرض وأَدَّتْ رَيْعها وأَوْمَي (٤) إلى الأصنام التى كانت على الكعبة فسقطت كلها . قال النجاشي : ويحكما أخبركما عما أصابنى ، إنى لنائم فى الليلة التى ذكرتما فى قُبَّتى وقت خَلْوَتِى إذ خرج على من الأرض عُنُقٌ ورأس وهو يقول: حَلَّ الويل بأصحاب الفيل . رمتهم طير أَبَابِيلُ، بحجارة

---

(١) جمع قدح وهى الأزلام التى كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية .

(٢) يعنى ملوك الدنيا وجبابرتها الذين ثل الإسلام عروشهم وأزال ملكهم .

(٣) هو الجبل المشرف على مكة من جهة الشرق ويقابله جبل قعيقعان ومكة بينهما وهما الأخشبان .

(٤) يقال : أومأ يومئ إيماءة أشار .

من سِجِّيل ، هلك الأشرم ، المعتدى المجرم. ولد النبي الأمى الْحَرَمِيُّ المكى . من أجابه سَعِد ، ومن أباه عند ، ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام ، وَرُمْت القيام فلم أُطق القيام [١] . فأتانى أهلى فقلت احْجِبُوا عنى الحبشة فحجبوهم عنى ثم أُطْلِقَ عن لسانى ورجلى [٢].

باب
الآية فى ولادته صلى الله عليه وسلم مختونا مقطوع السُّرَّة [٣]

أخرج الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كرامتى على ربى أنى ولدت مختونًا ولم ير أحَدٌ سَوْأَتى » . وصححه الضِّياء فى (المختارة) وقال ابن سعد أنا يونس بن عطاء المكى حدثنى الحكم بن أَبَان الْعَدَنى حدثنا عِكْرِمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم مختونًا مسرورًا وأعجب ذلك عبد المطلب وحَظِى عنده وقال ليكونَنَّ [٤] لابنى هذا شأن . فكان له شأن » أخرجه البيهقى وأبو نعيم وابن عساكر .

---

(١) هذه حالة تحصل للنائم ويسمونها الكابوس ولعل سببها النوم مع امتلاء المعدة .

(٢) هذه حكاية مفتعلة أراد بها واضعها أن يستنطق كل واحد من هؤلاء الثلاثة بأسطورة تتعلق بحادث الولادة ولو صح أن ورقة كان يزور الحبشة لأنه نصرانى على دين النجاشى فزيد لم يرتض النصرانية دينا وبقى على ملة إبراهيم .

(٣) حكى الإمام ابن قيم الجوزية فى ذلك ثلاثة أقوال أولها أنه ولد مختونا مسرورا وقال وروى فى ذلك حديث لايصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات وليس فيه حديث ثابت .

(٤) المحفوظ أن هذه الكلمة قالها عبد المطلب حين جلس النبى صلى الله عليه وسلم على تكرمته فلما أراد أعمامه دفعه عنها قال : دعوه فسيكون لابنى هذا شأن .

وأخرج ابن عدى وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً » .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال «ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا» . قال الحاكم فى (المستدرك) تواترت الأحاديث أنه ولد مختونا [١] .
وفى (الوشاح) لابن دُرَيْد قال ابن الكلبي بلغنا عن كعب الأحبار أنه قال « نجد فى بعض كتبنا أن آدم خلق مَخْتُوناً واثنى عشر نبيا من بعده من وُلْدِهِ خلقوا مُخْتَتَنِين[٢] آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود وصالح صلى الله عليهم أجمعين » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر عن أبى بكرة أن جبرئيل خَتَن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه [٣].

باب مناغاته صلى الله عليه وسلم للقمر وهو فى مهده

وأخرج البيهقى والصابونى فى المائتين والخطيب وابن عساكر فى تاريخهما عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعانى إلى الدخول فى دينك

---

(١) عجبا للحاكم يزعم التواتر لأمر لم يصح فيه حديث واحد فهل يريد تواتر الكذب ؟ أم تخيل أن اجتماع مثل هذه الطرق الواهية يحصل به العلم الضرورى بذلك ؟ ألا ليته سمى مستدركه مستتركا .

(٢) هذا ينافى ماورد فى الصحيح من أن إبراهيم عليه السلام كان أول من اختتن وأنه اختتن بقدومه وهو ابن ثمانين سنة .

(٣) هذا هو القول الثانى فى الختان أنه ختن يوم شق قلبه عند ظئره حليمة .

أمارة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير إليه بإصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وَجْبَتَه حين يسجد تحت العرش قال البيهقى تفرد به أحمد بن إبراهيم الحِجْيلى وهو مجهول . وقال الصابونى هذا حديث غريب الإسناد والمتن فى المعجزات حَسَنٌ[1] .

باب كلامه صلى الله عليه وسلم فى المهد

قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى (شرح البخارى) فى سِيَر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم أوائل ماولد وذكر ابن سبع فى الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة ، وأن أول كلام تكلم به أن قال : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا .

باب

ما ظهر فى زمان رضاعه صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات .

أخرج ابن إسحاق[2] وابن راهويه[3] وأبو يعلى[4] والطبرانى والبيهقى

---

(١) كيف يكون هذا حاله ثم يكون حسنا ؟ قاتل الله الهوى .

(٢) هو محمد بن إسحق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن عبد مناف ويقال إنه أتى أبا جعفر بالحيرة فكتب له المغازى فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب وروى أبو حاتم عن الأصمعى عن المعتمر قال . قال أبى لاتأخذ من ابن إسحق شيئا فإنه كذاب .

(٣) هو عالم خراسان ومن أعلام الحفاظ توفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين عن بضع وسبعين سنة ولم يخلف بخراسان مثله .

(٤) هو محمد بن الحسين بن الفراء البغدادى الحنبلى عالم العراق وكان آية فى معرفة مذهب الإمام أحمد وصنف التصانيف الفائقة . توفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن بضع وثمانين سنة .

وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال :
« حُدِّثْتُ عن حليمة بنت الحارث أُمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته قالت : قَدِمْتُ مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرُّضَعَاء فى سنة شَهْبَاء، فقدمت على أتان لى ومعى صبى لنا وشارف(١) لنا والله ماتَبِضُّ بقطرة وماننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك لا يجد فى ثديى مايغنيه ولا فى شارفنا مايغذيه فقدمنا مكة، فوالله ماعلمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل إنه يتيم فوالله مابقى من صَوَاحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى ، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، فذهبت فأخذته ، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رَحْلى، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى رَوِىَ وشرب أخوه حتى روى وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنَّهَا لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى رَوِينا وَ بِتْنَا بخير ليلة : فقال صاحبى ، ياحليمة والله إنى لأراك قد أخذت نَسَمَةً مباركة ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة ؟ حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيراً ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا، فوالله لَقَطَعَتْ أتانى بالركب حتى مايتعلق بها حمار حتى إن صَوَاحِبَاتى يقلن وَيْلَكِ أهذى أتانك الذى خرجت عليها معنا ؟ فأقول نعم ، والله إنها لَهِىَ ، فيقلن والله إن لها لشأناً حتى قدمنا أرض بنى سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أَجْدَبَ منها ، فإن كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فنحن وماشيتنا وما حولنا أحد تبض لها شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جِيَاعاً حتى إنهم ليقولون لِرِعَائِهِم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم حليمة ، فاسرحوا معها فيسرحون مع غنمى حيث تسرح فيروحون أغنامهم جياعاً مافيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعاً لبناً فلم يزل الله يُرِينا البركة

---

(١) أى مسنة هرمة .

ونتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فوالله مابلغ السنتين حتى كان غلاماً جَفِرًا ، فقدمنا به إلى أمه ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة فلما رأته أمه قلنا لها : ياظِئْر دَعِينا نرجعْ بابننا هذه السنة الأخرى فإنا نخشى عليه وَبَاءَ مكة فوالله مازلنا بها حتى قالت : نعم، فسرحته معنا ، فأقمنا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خَلْفَ بيوتنا مع أخ له من الرضاعة فى بُهُم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال : ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه ، فنجده قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه أبوه وقال أَىْ بُنَىَّ ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رَدَّاه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به مانتخوف ، قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به إلى أمه فقالت ماردَّكُما به[1]؟ فقد كنتما عليه حريصين قلنا نخشى الْأَتْلَافَ والْأَحْدَاث ، فقالت ما ذاك بكما فاصدُقانى شأنكما فلم تَدَعْنا حتى أَخبرناها خبره قالت أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه ، لكأن لابنى هذا شأن ألا أُخْبِرُكُما خبره ؟ قالا بلى ، قالت حملت به فما حملت حملا قط أخف منه[2] فأريت فى النوم حين حملت به أنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وَقْعاً ما يقعه المولود معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما .

وأخرج البيهقى وابن عساكر من طريق محمد بن زكريا الغلابى عن يعقوب ابن جعفر بن سليمان عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال :

---

(١) تعنى ماحملكما على الرجوع به .

(٢) معلوم أن آمنة لم تحمل بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لم تتزوج بعد زوجها عبد الله فلعل الرواية حملا بكسر الحاء .

« كانت حليمة تحدث أنها لما فَطَمَتْ(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم(٢) فقال : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا(٣) ، فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيتجنبهم ، فقال لى يوماً : ياأُمَّاه : مالى لا أرى إخوتى بالنهار ؟ قلت : فَدَتْكَ نفسى يَرْعَوْنَ غنما لنا فير وحون من ليل إلى ليل ، قال : ابعثينى معهم . فكان يخرج مسروراً ويرجع مسروراً ، فلما كان يوماً من ذلك خرجوا ، فلما انتصف النهار إذا بابنى ضُمْرَة يَعْدُو(٤) فزعاً وجبينه يَرْشَح باكياً ينادى يا أبت ويا أمه الحقا أخى محمداً فما تلحقانه إلا ميتاً ، قلنا ، وما قصته ؟ قال : بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من أوساطنا وعلا به ذروة(٥) الجبل ، ونحن ننظر إليه حتى شق من صدره إلى عانته(٦) ولا أدرى ما فعل به فأقبلت أنا وأبوه نسعى سعياً فإذا نحن به قاعد على ذروة الجبل شاخصاً ببصره إلى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وَقَبَّلْتُ مابين عينيه وقلت فَدَتْكَ نفسى ما الذى دهاك ؟ قال : خيراً يا أماه بينا أنا الساعة قائم إذ أتانى رَهْطٌ ثلاثة بيد أحدهم إِبْرِيقُ فضة ، وفى يد الثانى طَسْتٌ من زُمُرُّدَة

---

(١) يعنى حجزته عن الرضاع .

(٢) هذا غير صحيح بل الذى ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يتكلم فى المهد إلا عيسى ابن مريم وصاحب جريج العابد والطفل الذى كان فى حجر أمه ترضعه فمر بها رجل ذو شارة حسنه على دابة فارهة فقالت اللهم اجعل ابنى مثله فترك الغلام الثدى وقال اللهم لا تجعلنى مثله الخ الحديث وكذلك الطفل الذى قال لأمه فى قصة أصحاب الأخدود قعى ولا تتقاعسى فإنك على الحق وزاد بعضهم شاهد يوسف ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه تحدث عن نفسه بأنه تكلم فى المهد .

(٣) البكرة أوائل النهار والأصيل أواخره .

(٤) أى يجرى مسرعا .

(٥) أعلى الجبل وجمعه ذرى .

(٦) العانة من الرجل أو المرأة شعر الفرج .

خضراء ملآى ثلجاً فأخذونى فانطلقوا بى إلى ذروة الجبل فأضجعونى على الجبل إضجاعاً لطيفاً ، ثم شق أحدهم من صدرى إلى عانتى وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حساً ولا ألماً ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج أحشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج فأنعم[١] غسلها ثم أعادها وقام الثانى فقال للأول تنَحَّ فقد أنجزت ما أمرك الله به فدنا منى فأدخل يده فى جوفى فانتزع قلبى وشقه فأخرج منه نُكْتَةً سوداء مملوءة بالدم فرمى بها فقال : هذا حظ الشيطان منك ياحبيب الله ، ثم حشاه بشىء كان معه ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور فأنا الساعة أجد بَرْدَ الخاتَم فى عروقى ومفاصلى وقام الثالث فقال تنَحَّيا فقد أنجزتما ماأمركما الله به فيه ثم دنا منى فَأَمَرَّ يده من مَفْرِق صدرى إلى منتهى عانَتِي وقال زنوه من أمته بعشرة فوزنونى فرَجَحْتهُمْ ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجح بهم ثم أخذ بيدى فأنهضنى إنهاضاً لطيفاً فأكبُّوا على وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا يا حبيب الله لن تُرَاعَ ولو تدرى ما يراد بك من الخير لَقَرَّتْ عيناكَ وتركونى قاعداً فى مكانى هذا ثم جعلوا يطيرون حتى دخلوا حيال السماء قالت فاحتملته فأتيت به منازل بنى سعد ، فقال الناس اذهبوا به إلى الكاهن حتى ينظر إليه ويداويه فقال ما بى شىء مما تذكرون إنى أرى نفسى سليمة وفؤادى صحيحاً فقال لى الناس أصابه لَمَمٌ[٢] أو طائِفٌ من الجن فغلبونى على رأيى فانطلقت به إلى الكاهن فقصصت عليه القصة قال دعينى أنا أسمع منه فإن الغلام أبْصَرُ بأمره منكم تكلم ياغلام فقص قصته من أولها إلى آخرها فوثب الكاهن قائماً على قَدَمَيه ونادى بأعلى صوته ياَلَلْعَرَب من شر قد اقترب اقتلُوا هذا الغلام واقتلونى معه، فإنكم إن تركتموه وأدركَ مُدْرَكَ الرجال، لَيُسَفِّهَنَّ أحلامكم ، ولَيُكَذِّبَنَّ أديانكم

(١) أى ، بالغ فى غسلها .

(٢) اللمم . الجنون .

وَلَيَدْعُوَنَّكم إلى رب لا تعرفونه ودين تُنْكرونه . قالت : فلما سمعت مقالته انتزعته من يده وقلت لأنت أَعْتهُ منه وأجن[١] ،ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ،اطلب لنفسك من يقتلك ، فإنا لا نقتل محمداً ،فاحتملته فأتيت منزلى فما أتيت به منزلا من منازل بنى سعد إلا وقد شممنا منه ريح المسك وكان فى كل يوم ينزل عليه رجلان أبيضان فيغيبان فى ثيابه ولا يظهران ، فقال الناس رُدِّيه ياحليمة على جَده واخرجى من أَمَانَتِك. قالت: فعزمت على ذلك فسمعت منادياً ينادى هنيئاً لك يا بَطْحاءَ مكة اليوم ، اليوم يُرَد عليك النور والدين والبهاء والكمال فقد أَمِنْتِ أن تخذلى أو تَخْزَى أبد الآبدين ، قالت حليمة : وحدثت عبد المطلب بحديثه كله فقال : يا حليمة إن لابنى هذا شأناً ، وددت إنى أدرك ذلك الزمان[٢] .

وأخرج البيهقى عن الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى حجر جده عبد المطلب فاسترضعته امرأة من بنى سعد فنزلت به سوق عكاظ فرآه كاهن من الكهان فقال ياأهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فإن له ملكاً فزاغت به أمه التى ترضعه فأنجاه الله ثم شب عندها حتى إذا سعى وأُخْتُه[٣] من

---

(١) أى أشد عتهاً وجنونا .

(٢) لاشك أن فى هذه الرواية زيادات كثيرة على مافى الرواية الأولى ممايدل على تدخل الخيال وتعمد الافتعال ، فيجب أن يقتصر من ذلك على ماصح به الخبر من استرضاعه عليه السلام فى بنى بكر بن سعد وأنه لما تمت مدة رضاعه أرجعته حليمة إلى أمه .

وأما حادثة شق الصدر فقد جاء فى الصحيح أنها كانت ليلة الإسراء ويجوز أن تكون قد حصلت مرتين مرة وهو رضيع فى بادية بنى سعد ومرة ليلة الأسراء .

(٣) هى جدامة بنت الحارث الملقبة بالشيماء وهى التى قدمت عليه فى وفد هوازن فبسط لها رداءه وأجلسها عليه رعاية لحقها فهى أخته وحاضنته

الرضاعة تحضنه جاءت أخته فقالت ياأمتاه إنى رأيت رهطا أخذوا أخى القرشى آنفا فشقوا بطنه فقامت أمه فزعة حتى أتته فإذا هو جالس منتقع لونه لاترى عنده أحداً ، فارتحلت به حتى أقدمته على أمه فقالت لها اقبضى عنى ابنك فإنى قد خشيت عليه . فقالت أمه : لا والله مابابنى مما تخافين لقد رأيته وهو فى بطنى أنه خرج معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء فافتصلت أمه وجده عبدالمطلب ثم تُوُفِّيَتْ أمه فَيَتِمِ فى حجر جده، فكان وهو غلام يأتى وِسَادَةَ جَدِّهِ فيجلس عليها فيخرج جَدُّه وقد كَبِرَ فتقول الجارية التى تقود جده أنزل عن وِسَادَةِ جدك فيقول عبد المطلب : دعوا ابْنى فإنه يُحِسُّ بخير فتوفى جده فكفله أبو طالب فلما ناهز الحُلُمَ ارتحل به أبو طالب تاجراً قبل الشام ، فلما نزل تَيْماء رآه حَبْرٌ من اليهود(١) فقال لأبى طالب ماهذا الغلام منك ؟ قال : هو ابن أخى . قال أشفيق أنت عليه ؟ قال نعم قال : فوالله لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود ، إن هذا عدوهم فرجع به أبو طالب إلى مكة .

وأخرج أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر عن شداد بن أوس أن رجلا من بنى عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحقيقة أمرك ؟ فقال « بَدْءُ شأنى أنى دعوة إبراهيم وبشرى أخى عيسى وأنى كنت بِكْرَ أمى وأنها حملت بى كأَثْقَلَ ماتحمل النساء ، وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثِقْلَ ماتجد، ثم إن أمى رأت فى منامها أن الذى فى بطنها نور ، قالت فجعلت أتبع بصرى النور يسبق بصرى حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم إنها ولدتنى فنشأت ،فلما نشأت بُغِّضَتْ إِلَىَّ أوثان قريش و بُغِّضَ إلى الشِّعْر ، فكنت مُسْتَرْضَعاً فى بنى لَيْثِ

---

(١) المعروف فى السير أنه راهب من رهبان النصارى اسمه بحيرى كان ببصرى من أرض الشام وأنه حذر عمه من أن يذهب به إلى الشام خوفا عليه من اليهود .

ابن بكر (١) فبينما أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن وادمع أتْرَابٍ (٢) لى من الصبيان إذ أنا برهط ثلاثة معهم طَسْت من ذهب مَلِىء ثلجاً فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هِرَاباً مسرعين إلى الحى ، فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض إضجاعاً لطيفاً ، ثم شق مابين مَفْرِق صدرى إلى منتهى عانتى (٣) وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مَسًّا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها ، ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مُضْغَةً سوداء فرمى بها ، ثم قال بيده يمنة ويَسرة كأنه يتناول شيئا فإذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه ، نختم به قلبى فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ، ثم قال الثالث لصاحبه : تنح فأمر يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم (٤) ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضا لطيفاً ثم قال للأول زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى ومابين عينى ثم قالوا ياحبيب الله لم ترع إنك لو تدرى مايراد بك من الخير لَقَرَّت عيناك ، ثم جاء الحى فأخبرتهم فقال بعض القوم إن هذا الغلام أصابه لَمَمٌ أو طائف من الجن ، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه ، فقلت مابى شىء مما تذكرون إنى أرى نفسى سليمة وفؤادى صحيحا ،

---

(١) بل فى بنى سعد بن بكر .

(٢) هو جمع ترب بكسر التاء بمعنى المساوى فى السن .

(٣) هى ماينبت من الشعر حول الفرج أو فوقه .

(٤) يعنى انضم بعضه إلى بعض .

فقال زوج ظئرى : ألا ترون أن كلامه كلام صحيح ؟إنى لأرجو أن لا يكون بابنى بأس ، فذهبوا بى إلى الكاهن فقصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنه أعلم بأمره منكم . فقصصت عليه قصتى فلما سمع قولى وَثَبَ إِلَىَّ فضمنى إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته يال العرب يال العرب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فواللات[1] والعزى لئن تركتموه وأدرك ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم ، وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط ، فَعَمِدَتْ ظئرى فانتزعتنى من حِجْرِه وقالت لأَنْتَ أَعْتَه منه وأَجَنُّ ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيت به إليك فاطلب لنفسك من يقتلك فإنَّا غير قاتلى هذا الغلام، ثم احتملونى فأدونى إلى أهلى وأصبح أثر الشق ما بين صدرى إلى منتهى عانتى كأنه الشِّرَاكُ[2] . قال أبو نُعَيم فى هذا الحديث أن آمنة وجدت الثقل فى حمله وفى سائر الأحاديث أنها لم تجد ثقلا والجمع أن الثقل

---

(١) كانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج فى الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

وأما العزى فكانت شجرة عليها بناء وأستار بوادى نخلة بين الطائف ومكة كانت تعظمها قريش وكانت سدانتها الثقيف وقيل إنهم اشتقوا اسمها من العزيز .

(٢) تأمل هذه الرواية تجدها مطابقة تمام المطابقة لما تحدثت به حليمة فى رواية على بن عبدالله بن عباس فهل هذا من توافق الخواطر أم أراد الواضع أن ينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نطقت به حليمة ؟ تأكيداً للرواية ، والذى رواه أحمد وغيره عن لقمان بن عامر قال سمعت أبا أسامة قال قلت يا رسول الله ما كان أول بدء امرك ؟ قال « دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى بى ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » ، وكذلك روى مثله عن العرباض بن سارية كما تقدم .

به فى ابتداء عُلُوقِهَا به ، وأن الخفة عند استمرار الحمل بها ، فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف (١) .

وأخرج أبو نعيم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر فقالت أمه آمنة لمرضعته : أنظرى ابنى هذا فسلى عنه فإنى رأيت كأنه خرج من فَرْجِي شهاب أضاءت له الأرض كلها حتى رأيت قصور الشام . فلما كان ذات يوم مَرَّت بكاهن والناس يسألونه ، فلما رآه الكاهن أخذ بذراعه فقال أى قوم اقتلوه اقتلوه قالت فوثبت عليه فأخذت بِعَضُدَيْهِ (٢) وجاء ناس كانوا معنا فلم يزالوا حتى انتزعوه منه وذهبوا به .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن يحيى بن يزيد السعدى قال قدم مكة عشر نسوة من بنى سعد بن بكر يطلبن الرُّضَّاعَ فأصبن الرضاع كلهن إلا حليمة فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت تقول يتيم ولا مال له ، وما عست أمه أن تفعل؟ فقال لها زوجها: خذيه عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً ، فأخذته فوضعته فى حجرها فأقبل ثدياها حتى تَقَطَّرَا لبنا فشرب وشرب أخوه ، وكان أخوه لا ينام من الغرث (٣) وقالت أمه ياظئر سلى عن ابنك فإنه سيكون له شأن وأخبرتها بما رأت وما قيل لها فيه حين ولدته ، وقالت قيل لى ثلاث ليال استرضعى ابنك فى بنى سعد بن بكر فى آل أبى ذؤيب . قالت حليمة فإن زوجى أَبُو ذُؤَيْب ثم ركبت أَتَانَهَا وركب زوجها شارِفَه فطلعا على صواحبها بوادى

---

(١) كان أولى بأبى نعيم بدلا من أن يجهد نفسه فى الجمع بين الروايات أن يتقى الله فى رواية هذه الأخبار التى لا فائدة فيها الاسلام وأن يتحرى الصحيح الثابت ففيه لمن عقل كفاية والحمد لله .

(٢) تثنية عضد وهو ماغلظ من الذراع مابين المرفق إلى الكتف وجمعه أعضاد وأعضد .

(٣) الغارث الجائع يقال غرث غرثا إذا جاع فهو غرثان والجمع غرثى .

بوادى السرر وهن مرتعات وهما يتواهقان (١) فقلن ياحايمة ماصنعت ؟ قالت أخذت خير مولود رأيته قط وأعظمه بركة . قالت فما رحلنا من منزلنا ذلك حتى رأيت الحسد فى بعض نسائنا .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواحدى حدثنى عبد الصمد بن محمد السعدى عن أبيه عن جده قال حدثنى بعض من كان يرعى غنم حليمة أنهم كانوا يرون غنمها ماترفع برءوسها وترى الخضر فى أفواهها وأبعارها ماتزيد غنمنا على أن تربض (٢) ماتجد عوداً تأكله ، فتروح الغنم أغرث منها حين غدت ، وتروح غنم حليمة يخاف عليها الحَبَطُ (٣) .قالوا فمكث صلى الله عليه وسلم سنتين حتى فطم وكأنه ابن أربع سنين فقدموا به على أمه زائرين لها ، وهم أحرص شيء على رده مكانه، لما رأوا من عظم بركته . فلما كانوا بوادى السِّدْر لقيت نَفَراً من الحبشة فرافقتهم فسألوها فنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظراً شديداً ثم نظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه وإلى حُمْرَة فى عينيه فقالوا . هل يشتكى عينيه . قالت :لا .ولكن هذه الحمرة لاتفارقه قالوا هذا والله نبى ،فأتت به أمه ثم رجعت به معها فمرت يوماً بذى المجاز (٤) وبه عَرَّاف يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الحمرة فى عينيه وإلى خاتم النبوة صاح يامعشر العرب، اقتلوا هذا الصبى ،فليقتلن أهل دينكم ، وليكسرن أصنامكم،

---

(١) يقال واهق البعير ، البعير إذا مد كل واحد منهما عنقه فى السير يتباريان .

(٢) يقال ربضت الدابة تربض ربضاً وربوضا بركت .

(٣) الحبط البشم والتخمة وفى الحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » .

(٤) هو أحد أسواق العرب المشهورة التى هى عكاظ المجنة وذو المجاز .

وليظهرن أمره عليكم (١) فانسَلّتْ به حليمة وكانت لاتعرضه لأحد من الناس ولقد نزل بهم عراف فَأُخْرِج إليه صبيان الحى فأبت حليمة أن تخرجه إلى أن غفلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج من المِظَلَّة فرآه العراف فدعاه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الخيمة فجهد بهم العراف أن يخرجوه إليه فأبت فقال هذا نبى » .

وأخرج ابن سعد والحسن بن الطّرّاح فى (كتاب الشواعر) عن زيد بن أَسْلَمَ أن حليمة لما أخذت النبى صلى الله عليه وسلم قالت لها أُمُّه : اعلمى أنك قد أخذت مولودا له شأن والله لَحَمَلْتُهُ فما كنت أجد ماتجد النساء من الحمل ولقد أُتيتُ (٢) فقيل لى ستلدين غلاما فسميه أحمد وهو سيد العالمين ، ولقد وقع معتمدا على يديه رافعاً رأسه إلى السماء فخرجت حليمة إلى زوجها فأخبرته فَسُرَّ بذلك وخرجوا على أَتَانِهم منطلقة وعلى شَارِفِهم قد دَرَّت باللبن فكانوا يحلبون منها غَبُوقا (٣) وصَبُوحا ، قالت حليمة : وكنت لاأَرْوِى ابنى ولا يدعنا ننام من الْغَرْث فهو وأخوه يرويان ما أَحَبَّا وينامان ولو كان معهما ثالث لَرَوِىَ ، وأتت عرافا من هُذَيْل فلما نظر إليه صاح يامعشر العرب اقتلوا هذا الصبى فليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فانسلت به حليمة .

وأخرج ابن سعد وابن الطراح عن عيسى بن عبد الله بن مالك قال : جعل الشيخ الْهُذَلى يصيح ياهذيل وآلهته ، إن هذا لينتظر أمراً من السماء وجعل يُغْرِى (٤) بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يَنْشَبْ أن دَلِهَ (٥) فذهب عقله حتى مات

(١) ما للعراف وما لهذا وإنما هى صفات كان يعرفها علماء أهل الكتاب من كتبهم وأما العرافون والكهان فشأنهم غير ذلك . (٢) يعنى فى المنام .

(٣) الغبوق مايحلب فى المساء والصبوح مايحلب فى الصباح .

(٤) يحمس القوم على قتله .

(٥) يقال دله بكسر العين يدله بفتحها دلها ودلها ودلوها وتدله إذا ذهب قلبه من هم ونحوه أو تحير ودهش .

كافرا [١]

وأخرج ابن سعد وابن الطراح عن إسحاق بن عبد الله أن أم النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعته إلى السعدية التي أرضعته قالت لها : احفظي ابني وأخبرتها بما رأت فمر بها اليهود فقالت ألا تحدثوني عن ابني هذا فإني حملته كذا ووضعته كـذا ورأيت كذا كما وصفت أمه ، فقال بعضهم لبعض اقتلوه ، قالوا أيتيم هو ؟ قالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كـان يتيما لقتلناه [٢] .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر وابن الطراح من طريق عطاء ابن أبي رَبَاح [٣] عن ابن عباس قال « كانت حليمة لاتدَعُه يذهب مكاناً بعيداً فغفلت عنه فخرج مع أخته الشَّيْماء في الظَّهِيرَة إلى الْبُهْم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع أخته فقالت في هذا الحر ؟ فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حراً رأيت غَمَامَة تُظِل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهـى إلى هذا الموضع قالت أحقا يابنية قالت أي والله .

وأخرج ابن سعد عن الزهري قال : قدم وفد هَوَازِن على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عَمٌّ له من الرضاعة أبو ثَرْوَانَ ، فقال يارسول الله لقد رأيتك مُرْضَعاً فما رأيت مُرْضَعاً خيراً منك ورأيتك فَطِيما فما رأيت فطيما خيراً منك ثم رأيتك شاباً فمـا رأيت شاباً خيراً منك وقد تـكاملت فيك خلال الخير .

---

(١) ليت شعري من هو ذلك الشيخ الهذلي وما معنى أنه مات كافرا ؟ هل أدرك الإسلام ولم يسلم أو مات قبل البعثة ؟

فهلا سأل رواة هذه الأخبار أنفسهم عما تثيره هذه الأخبار من تساؤلات وعما تتضمنه من متناقضات .

(٢) أين مر بها اليهود ؟ أفي الطريق إلى البادية أم بعد أن بلغت الدار ؟ وعلى كل حال فاليهود أذل وأحقر من أن يقتلوا غلاما من العرب في أرض العرب .

(٣) هو عطاء بن أسلم من ولد الجند وأمه سوداء تسمى بركة نشأ بمكة وتعلم بها ثم صار عالمها ومفتيها وكان أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي بعد ذلك ، مات سنة خمس عشرة ومائة .

فائدة

قال ابن الطراح : رأيت فى كتاب الترقيص لأبى عبد الله محمد بن المُعَلّى الأزْدِى أن من شعر حليمة مما كانت تُرَقِّص به النبى صلى الله عليه وسلم :

يارب إذ أعطيته فَأَبْقِهِ   وأَعْله إلى العُلا وأَرْقِهِ

وادحض أباطيل الْعِدَى بحقه[1]

وذكر ابن سَبُع فى الخصائص أن حليمة قالت : كنت أعطيه الثدى الأيمن فيشرب منه ثم أُحَوِّله إلى الثدى الأيسر فيأبى أن يشرب منه[2]. قال بعضهم : وذلك من عَدْلِه لأنه علم أن له شريكا فى الرضاعة .

ذكر المعجزات والخصائص فى خلقه الشريف صلى الله عليه وسلم

باب ماجاء فى خاتم النبوة

أخرج الشيخان عن السائب بن يزيد قال قمت خلف ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زِرِّ الْحَجَلَةَ .

وأخرج مسلم والبيهقى عن جابر بن سَمُرَة قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده . وأخرجه الترمذى بلفظ حمراء مثل بيضة الحمامة .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن سَرْجَسٍ قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جُمْعا عليه خِيلاَن كأمثال الثآليل. النغض بضم النون وسكون الغين المعجمة وضاد معجمة فرع الكتف . والجمع بضم الجيم

---

(١) هذا البيت الأخير يشهد بأن هذا الشعر محدث منتحل فما الذى كان يدرى حليمة أنه سيكون نبيا يبعث بالحق الذى يدحض أباطيل الخصوم ؟

(٢) هذا مخالف لما سبق من قول حليمة فجئت به رحلى فأقبل عليه ثدياى بماشاء من لبن .

الكتف إذ اجمع خال وهى الشامات السود والثآليل جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد .

وأخرج احمد والبهيقى عن قِرَّة قال قلت يارسول الله أَرِنى الخاتم فقال أدخل يدك فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة .

وأخرج أحمد وابن سعد والبيهقى من طرق عن أبى رمْثَةَ قال انطلقت مع أبى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى مثل السَّلْعة [١] بين كتفيه وفى لفظ لابن سعد : مثل التفاحة ، وفى لفظ لأحمد مثل بيضة الحمامة .

وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى عن أبى سعيد قال: الختم الذى بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم لحمة ناتئة [٢] وأخرجه الترمذى بلفظ كان فى ظهره بَضْعة ناشزة ، وأخرجه أحمد بلفظ لحم ناشز بين كتفيه .

وأخرج البيهقى عن سلمان الفارسى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى إلَيَّ رداءه وقال انظر [٣] إلى ما أُمِرْتَ به فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

وأخرج أحمد والبيهقى عن التَّنُوخى رسول هرقل قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ياأخا تنوخ امض لما أمرت به فَجُلْت فى ظهره فإذا بخاتم فى موضع غُضْرُوف فى الكتف مثل الْمِحْجَمَةَ الضخمة » . قال ابن هشام يعنى

---

(١) السلعة بفتح فسكون والسلعة بفتحات والسلعة بكسر ففتح خراج فى البدن أو زيادة فيه كالغدة بين الجلد واللحم .

(٢) خارجة بارزة .

(٣) الذى فى حديث سلمان أن النبى صلى الله عليه وسلم حين رآه يدور خلفه عرف أنه يريد شيئا فألقى رداءه فلما رأى سلمان الخاتم أكب عليه يقبله ويبكى ولكنه لم يقل له انظر .

أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا [(١)] .

وأخرج الترمذى والبيهقى عن على أنه قال فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين كتفيه خاتم النبوة [(٢)] .

وأخرج الترمذى عن أبى موسى قال : « خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة » .

وأخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححه وأبو يعلى والطبرانى من طريق عُلْبَاء بن أحمر عن أبى زيد قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادن فامسح ظهرى فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم فقيل له ما الخاتم ؟ قال شعر مجتمع عند كتفه » [(٣)] :

وأخرج البيهقى عن سلمان قال : عند غضروف [(٤)] كتفه اليمنى خاتم النبوة مثل بيضة لونها لون جلده .

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : أَرْدَفَنى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فجعلت فَمِى على خاتَم النبوة فجعل يَنْفَح على مِسْكا .

وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن أبى زيد بن أخطب قال : رأيت الخاتم

---

(١) لا نعرف أن هرقل أرسل إلى النبى صلى الله عليه وسلم أحدا يستطلع له خبره ولكن الذى فى الصحيح أنه عليه السلام هو الذى بعث إليه بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام وأنه كاد أن يسلم لولا أنه خاف على ملكه .

(٢) الأحاديث فى وجود خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام صحيحة وهو أمر متفق عليه فكان ينبغى للمؤلف أن يجتزىء ببعضها بدلا من هذا التطويل .

(٣) ليست هذه الشعرات هى الخاتم ولكنها موجودة فيه وأما الخاتم فهو بضعة من اللحم ناتئة مثل ندا زر الحجلة وبيضة الحمامة .

(٤) الغضروف كل عظم لين رخص كمارن الأنف والجمع غضاريف .

على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم مِحْجَمَة ناتئة . وفى لفظ : مثل إنسان مال عليه بظفره يعنى كأنه يختم به .

وأخرج ابن عساكر والحاكم فى تاريخ نيسابور عن ابن عمر قال : «كان خاتم النبوة على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب فيها باللحم محمد رسول الله »[١] .

وأخرج أبو نعيم عن سلمان قال : بين كتفيه بيضة كبيضة الحمامة عليها مكتوب : باطنها الله وحده لاشريك له محمد رسول الله ، وظاهرها توجه حيث شئت فإنك المنصور .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة عن عَبَّاد بن عمرو قال: كان خاتم النبوة على طرف كتفه الأيسر كأنه رُكْبَة عَنْز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يرى الخاتم .

وأخرج ابن أبى خيثمة فى تاريخه عن عائشة قالت: « كان خاتم النبوة كشامة سوداء تَضرِب إلى الصفرة حولها شعرات متراكبات كأنها عُرْف الفرس». قال العلماء اختلفت أقوال الرواة فى خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كُلٌّ شَبَّه بما سنح له ، فواحد قال كَزِرِّ الحجلة وهو بيض الطائر المعروف أو زر البُشْخَانَاة[٢] وآخر كبيضة الحمامة وآخر كالتفاحة وآخر بَضْعة لحم ناشزة وآخر كالمحجمة وآخر كركبة العنز ، وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ، ومن قال : شعر فلأن الشعر حوله متراكب عليه ، كما فى الرواية الأخرى. قال القرطبى فى (الْمُفْهِم)

---

(١) كل ماورد من وجود كتابة فى الخاتم أو غيره بلحم أو بشعر كذب موضوع .

(٢) الحجلة طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين وهو يعيش فى الصرود العالية وهى أيضا ستر يضرب للعروس فى جوف البيت .

دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذا قُلِّل قدر بيضة الحمامة وإذا كُبِّر جمع اليد . قال السُّهيلى : والصحيح أنه كان عند نُغْض كتفه الأيسر لأنه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه دخوله . وقد اختلف العلماء هل ولد وهو به أو وضع بعد ولادته وتمسك القائلون بالثانى بما فى حديث شداد بن أوس السابق فى الرضاع وقد ورد أنه رفع عند وفاته كما سيأتى فى الوفاة .

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن وهب بن مُنَبِّه قال : لم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامَة النبوة فى يده اليمنى ، إلا نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه شامة النبوة كانت بين كتفيه .

باب المعجزة والخصائص فى عينيه الشريفتين

قال الله تعالى (مازاغ البصر وماطغى) [1] . وأخرج ابن عدى والبيهقى وابن عساكر عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرَى فى الظلماء كما يَرَى فى الضَّوْء » [2] .

وأخرج البيهقى عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء » .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هل

---

(١) الزيغ الميل والطغيان مجاوزة الحد ، والمعنى كما قال ابن عباس . ماذهب يميناً ولا شمالا وماجاوز ما أمر به .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس وابن عدى عن عائشة وضعفه ابن دحية فى كتاب (الآيات البينات) وقال البيهقى : ليس بقوى .

ترون قبلتى هاهنا؟ فوالله مايخفى على ركوعكم ولا سجودكم إنى لأراكم من وراء ظهرى »[١].

وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى ».

وأخرج عبد الرزاق فى جامعه والحاكم وأبو نعيم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنى لأنظر إلى ما ورائى كما أنظر إلى مابين يدى ».

وأخرج أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى[٢] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى أراكم من وراء ظهرى ».

وأخرج الْحُمَيْدِى فى مسنده وابن المنذر فى تفسيره والبيهقى عن مجاهد فى قوله (الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مَنْ خَلْفَه من الصفوف كما يرى من بين يديه[٣]. قال العلماء هذا الإبصار إدراك حقيقى خاص به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيه العادة ، ثم يجوز أن يكون برؤية عَيْنِيَّةٍ انخرقت له فيه العادة أيضاً فكان يرى بهما من غير مُقَابَلَةٍ لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها المقابلة عقلا[٤] ولذا حكموا بجواز

---

(١) قيل إن ذلك مخصوص بحال الصلاة لأن الأحاديث واردة فيه .

(٢) هو سعد بن مالك منسوب إلى خدرة وهم باليمن وكان من حفاظ الصحابة توفى سنة أربع وسبعين .

(٣) هذا المعنى بعيد عن مفهوم الآية فإن التقلب ليس من معانيه الرؤية وقد تقدم الكلام على الآية .

(٤) بل الرؤية البصرية لابد فيها من المقابلة وأن يكون الشىء المرئى فى جهة من الرائى ولهذا لما نفى المعتزلة الجهة عن الله عز وجل نفوا رؤيته يوم القيامة ، وأما أهل السنة أعنى أهل الحديث والأثر ومعهم الأشعرى وقدماء أصحابه فإنهم يثبتون الجهة ويثبتون تبعا لها الرؤية .

=

رؤية الله تعالى فى الآخرة ، وقيل : كانت له صلى الله عليه وسلم عَيْنٌ خلف ظهره يرى بها من ورائه دائماً[١] . وقيل كان بين كتفيه عينان مثل سَمِّ[٢] الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره .

باب
الآيات فى فمه الشريف وريقه وأسنانه صلى الله عليه وسلم

وأخرج أحمد وابن ماجة والبيهقى وأبو نعيم عن وائل بن حِجْر قال : أُتِيَ النبى صلى الله عليه وسلم بِدَلْوٍ ماء فشرب من الدَّلو ثم صَبَّ فى البئر أو قال ثم مَجَّ فى البئر ففاح منها مثلُ رائحة المسك[٣] .

وأخرج أبو نُعَيْم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم : بزق فى بئر فى داره فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها[٤] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن رَزِينَةَ[٥] مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله عليه وسلم يوم عاشوراء كان يدعو بِرُضَعَائه ورُضَعَاء ابنته فاطمة فيتفل

= وأما المتأخرون من الأشعرية كإمام الحرمين والغزالى والرازى ، فإنهم لما نفوا الجهة تبعا للمعتزلة حاروا فى إثبات الرؤية فمنهم من قال : يرى من كل جهة ومنهم من أثبت نوعا من الكشف ونفى الرؤية بالبصر الخ .

(١) هذا قول بعيد جدا ولو ثبت شىء من ذلك لتحدث به الواصفون له كما تحدثوا عن الخاتم وغيره .

(٢) هو ثقب الإبرة .

(٣) الذى فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ومج فى بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء .

(٤) لا نعلم أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم بئر فى داره .

(٥) كانت مولاة لصفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين .

فى أفواههم ويقول للأمهات: لا تُرْضِعْنَهم إلى الليل فكان ريقه يَجْزِيهم.[١]

وأخرج الطبرانى عن عُمَيْرَة بنت مسعود أنها دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم هى وأخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قَدِيدَة[٢] فمضغ لهن قديدة ثم ناولنى القديدة فمضغتها كل واحدة قطعة قطعه فَلَقِينَ الله وما وُجد لأفواههن خُلُوف[٣].

وأخرج الطبرانى عن أبى أمامة أن امرأة بَذِيَّة[٤] اللسان جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديداً فقالت ألا تطعمنى؟ فناولها مما بين يديه قالت لا إلا الذى فى فيك فأخرجه فأعطاها فألقته فى فمها فأكلته فلم يعلم من تلك المرأة بعد ذلك الأمر الذى كانت عليه من الْبَذَاء والذَّرَابه[٥].

وأخرج البيهقى من طريق عمر بن شَبَّة عن أبى عُبَيْد النحوى أن عامر بن كُرَيْز أتى بابنه عبد الله النبىَّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فتفل فى فيه فكان لو قَدَحَ حجراً أَمَاهَه يعنى يخرج من الحجر الماء من بركته.

وأخرج البيهقى عن محمد بن ثابت[٦] بن قيس بن شماس أن أباه فارق جميلة بنت عبد الله بن أبى[٧] وهى حامل بمحمد فلما ولدته حلفت أن لا تلبنه من لبنها

---

(١) لم يصح فى عاشوراء حديث إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصيامه.

(٢) القديدة مايقدد من اللحم أى يجفف فى الشمس.

(٣) هو تغير رائحة الفم من الجوع وفى الصحيح «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

(٤) من البذاءة وهو سلاطة اللسان وفحشه.

(٥) يقال لسان ذرب أى فصيح أو فاحش.

(٦) هو خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المبشرين بالجنة والشهادة.

(٧) كان سيد الخزرج فى الجاهلية وهو رأس المنافقين بالمدينه وابنه عبد الله صحابى جليل.

فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبزق فى فيه وقال اختَلِفْ[1] به فإن الله رازقه فأتيته به اليوم الأول والثانى والثالث ، فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس فقلت لها ماتريدين ؟ قالت رأيت فى منامى هذه الليلة كأنى أرضع ابنا له يقال له محمد ؟ قال : فأنا ثابت وهذا ابنى محمد .

وأخرج ابن عساكر عن أبى جعفر قال : « بينما الحسن[2] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطش فاشتد ظمأه فطلب له النبى صلى الله عليه وسلم ماء فلم يجد فأعطاه لسانه فَمَصَّه حتى رَوِىَ » .

وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن أبى هريرة قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا ببعض الطريق سمع صوت الحسن والحسين يبكيان وهما مع أمهما فأسرع السير حتى أتاهما فسمعته يقول ما شأن ابنى؟ فقالت : العطش ، فطلب الماء فلم يجد أحد قطرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى أحدهما فناولته إياه من تحت الخِدْر فأخذه فضمه إلى صدره وهو يَضْغُو[3] ما يسكت فأَدْلَع له لسانه[4] فجعل يمصه حتى هدأ وسكن فلم أسمع له بكاء والآخر يبكى كما هو ما يسكت فقال : ناولينى الآخر فناولته إياه ففعل به كذلك ، فسكتا فما سُمِع لهما صوتا » .

وأخرج الدارمى والترمذى فى الشمائل والبيهقى والطبرانى فى الأوسط وابن

---

(١) أى إئت به مرة بعد مرة

(٢) هو الحسن بن على وهو وأخوه الحسين سيدا شباب أهل الجنة وقد تنازل عن الخلافة لمعاوية حقنا لدماء المسلمين .

وفى الحديث « إن ابنى هـذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين متقاتلتين من المسلمين »

(٣) يقال ضغا يضغو ضغوا وضغاء إذا صاح .

(٤) أى أخرجه واندلع اللسان خرج

عساكر عن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفْلَجَ[١] الثَّنيتين إذا تكلم رُؤى كالنور يخرج من بين ثناياه »[٢].

وأخرج الطبرانى عن أبى قُرْصَافَةَ قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمى وخالتى ، فلما رجعنا قالت لى أمى وخالتى : يابنى ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهاً ولا أنقى ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كأن النور يخرج من فيه » .

باب الآية فى وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن عساكر عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « جاءنى جبريل فقال : إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك حبيبى إنى كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت حسن وجهك من نور عرشى » . قال ابن عساكر فى سنده مجهول والحديث منكر[٣].

وأخرج ابن عساكر عن عائشة قالت : « كنت أخيط فى السَّحَر فسقطت منى الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة بشُعَاع نُور وجهه فأخبرته فقال : ياحُمَيْراء الويل ثم الويل ثلاثا لمن حُرِمَ النظر إلى وجهى»[٤]

---

(١) الفلج تفرج مابين الأسنان وهو من صفات الجمال .

(٢) هى أسنان مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل .

(٣) وناهيك بحديث يحكم عليه ابن عساكر بالنكارة وقد علمت حال مايرويه . والحديث رواه الخطيب عن جابر مرفوعا . قال الشوكانى هو موضوع .

(٤) هذا الحديث أشد نكارة من سابقه فما لابن عساكر قد سكت عنه وليت شعرى لقد رآه أبوجهل وغيره من المشركين ورآه ابن أبى ، وصلى معه فما أغنى عنهم ذلك وآمن به كثير ولم يروه فلم يضرهم .

باب الآية فى إبطه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن أنس قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدعاء حتى يُرَى بَيَاضُ إبطيه »[١].

وأخرج ابن سعد عن جابر قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سجد يُرَى بياض إِبطَيْه »[٢]. وقد ورد ذكر بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة . قال المحب الطبرى : من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع النـاس متغير اللون غيْرَه . وذكر القرطبى مثل ذلك وزاد وأنه لاشعر فيه .

باب الآية فى لسانه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج أبو أحمد الغِطْرِيف فى جزئه وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن بُرَيْدَة عن عمر بن الخطاب قال: « قلت يارسول الله مالك أَفْصَحُنَا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : « كانت لغة إسمعيل عليه السلام قد درست فجاء بها جبرئيل فحفظنيها »[٣] . وفى بعض طرقه عن بُرَيْدَةَ قال سمعت عمر بن الخطاب يقول يارسول الله الخ فجعله فى مُسْنَد بريدة .

---

(١) لعل ذلك فى الاستسقاء فإنه كان يبالغ فى رفع يديه فيه ما لايبالغ فى غيره .

(٢) لأنه كان يرفع ذراعيـه عن الأرض جدا حتى لو أرادت بهمة أن تمر من تحت ذراعه لفعلت .

(٣) لغة إسماعيل هى العربية وكان العرب قبيل البعثة قد بلغوا فى الفصاحة شأوا بعيدا ، وكانت لهم أسواق يتبارون فيها فى الخطابة وإنشاد الشعر مثل عكاظ وذى المجاز ، ولهذا جعلت معجزته من جنس ما برع فيه قومه فكيف يصح القول بان لغة إسماعيل اندرست فالواقع خير شاهد على هذا الحديث بالوضع .

وأخرج البيهقى فى (شُعَبِ الإيمـان) وابن أبى الدنيا فى (كتاب المطر) وابن أبى حاتم والخطيب[١] فى (كتاب النجوم) وابن عسـاكر عن محمد بن إبراهيم التيمى قال: قالوا يارسول الله مارأينا الذى هو أفصح منك قال: «مايمنعنى؟ وإنما أُنْزِلَ القرآن بلسانى بلسان عربى مبين».

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيـه عن جده قال: «قال رجل يارسول الله أَيُدَالِكُ الرجل امرأته؟ قال: نعم إذا كان مُلفحا[٢] فقال له أبوبكر يارسول الله ماقال لك وما قلت له؟ قال إنه قال أيماطل الرجل أهله؟ قلت له نعم إذا كان مفلسا قال أبوبكر: يارسول الله لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك؟ قال أدبنى ربى[٣] ونشأت فى بنى سعد ابن بـكر».

وأخرج ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أَعْرَبُـكُمْ أنا من قريش ولسانى لسان بنى سعد بن بكر».

وأخرج الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أعرب العرب ولدت فى قريش، ونشأت فى بنى سعد، فأَنَّى يأتينى اللحن؟».

باب ماجاء فى قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم

قال الله تعـالى (ألم نشرح لك صدرك) أخرج البيهقى من طريق إبراهيم

---

(١) هو فخر الدين الرازى ألف كتابا سماه «السر المكتوم فى مخاطبة النجوم» فيه توسلات شركية على طريقة الصابئة، ويقال إنه تاب منه فالله أعلم

(٢) لعلها مفلجا

(٣) قال الشوكانى فى الفوائد: لايعرف له إسناد ثابت

ابن طَهْمَان قال سألت سعداً عن قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) فحدثنى به عن قتادة عن أنس « قال شُقَّ بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه فاسْتُخْرِجَ منه قلبه فَغُسِلَ فى طَسْت من ذهب ثم ملىء إيماناً وحكمة ثم أعيد مكانه[1] .

وأخرج أحمد ومسلم عن أنس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبرئيل ذات يوم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه[2] فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه عَلَقة[3] فقال هـذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طسْت من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَه فأعاده فى مكانه وجعل الغلمان يسعون إلى أمه يعنى ظئره فقالوا : إن محمداً قد قتل فجاءوا وهو منتقع اللون » . قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره[4] .

وأخرج أحمد والدارمى والحاكم وصححه والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن عتبةَ بن عَبْدٍ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر فانطلقت أنا وابنٌ لهـا فى بُهْم لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت : يا أخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخى ومكثت عند البهم فأقبل إلىَّ طيران أبيضان كأنهما نسْرَان فقال أحدهما : لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يبتدرانى فأخذانى

---

(١) شق الصدر ثابت بالأحاديث الصحيحة فلامرية فيه ، ولكن المراد من الآية والله أعلم ليس ذلك الشق الحسى بل اتساع صدره عليه السلام ورحابته وعدم ضيقه وبرمه بما كان يلقاه من أذى قومه فى سبيل الدعوة إلى الله ، ويجوز أن يراد من الآية الأمران معا .

(٢) يعنى أضجعه اضجاعا رفيقا كما ورد فى الروايات الأخرى لا أنه أخذه بعنف وشدة .

(٣) هى الطور الثانى من أطوار خلقة الجنين حين يكون قطعة متجمدة من الدم .

(٤) قدمنا الكلام فى حادثة شق الصدر والذى ورد عن أنس فى الصحيحين وغيرهما أن ذلك كان ليلة الإسراء كما سيأتى .

فبطحانى لِلْقفَا فَشَقَّا بطنى ثم استخرجا قلبى، فشقاه فأخرجا منه عَلَقَتَيْن سوداوين فقال أحدهما لصاحبه : إيتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى ثم قال إيتنى بماء برد فغسلا به قلبى ، ثم قال إيتنى بالسكينة فَذَرَّاها فى قلبى ثم قال أحدهما لصاحبه حصه[١] فخاصه وختم عليه بخاتم النبوة فقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كِفَّة واجعل ألفاً من أمته فى كفة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى أُشْفِق أن يخر على بعضهم ، فقالا : لو أن أمته وُزِنَتْ به لمال بهم ثم انطلقا وتركانى وفرقت[٢] فرقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمى فأخبرتها بالذى لقيت وأشفقت أن يكون قد التبس فقالت أعيذك بالله ورَحَّلتْ بعيراً لهـا فجعلتنى على الرحل وركبت خلفى حتى بلغنا أمى فقالت أديت أمانتى وذمتى وحَدَّثتهَا بالذى لقيتُ فلم يَرُعْهَا ذلك وقالت : إنى رأيت أنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام » .

وأخرج البيهقى عن يحيى بن جَعَدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ملكين جاءانى فى صورة كرْكِيَّيْن[٣] معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح أحدهما صدرى ومج الآخر بمنقاره فيه فغسله » .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن حِبَّان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء (فى المختارة) من طريق معاذ بن محمد بن معاذ بن أُبَيٍّ ابن كعب عن أبيه عن جده عن أبى بن كعب أن أباهريرة قال : « يارسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟ قال : إنى لفى صحراءَ أمشى ابن عشر حِجَج إذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال: نعم فأخذانى فلصَقَانى لِحَلاَوَة القفا[٤] ثم شقا بطنى فـكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من

---

(١) لعلها خطة من الخياطة .

(٢) فزعت من الفرق بفتح الفاء والراء بمعنى الرعب والفزع .

(٣) تثنية كركى وهو طائر معروف والجمع كراكى .

(٤) لوسط القفا .

ذهب والآخر يغسل جوفي . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فإذا صدري فيما أرى مفلوقاً لا أجد له وجعاً ، ثم قال : اشقق قلبه فشق قلبي ، فقال : أخرج الغل والحسد منه ، فأخرج منه شبه العلقة فنبذ به ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة في قلبه ، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ثم أخرج ذَروراً كان معه فذَرَّه عليه ثم نقر إبهامي ثم قال : اغدُ ، فرجعت بما لم أغـد به من رحمتي للصغير ورأفتي على الكبير . قال أبو نعيم : تفرد به معاذ[1] عن آبائه وتفرد بذكر السن .

وأخرج الدارمي والبزار وأبو نعيم وابن عساكر عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله : كيف علمت أنك نبي وبما[2] علمت حتى استيقنت[3] ؟ قال : « أتاني آتيان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض . فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم هو هو : قال فزنه برجل فوزنني برجل فرجحته ، قال : زنه بعشرة فوزنني فرجحتهم قال زنه بمائة فوزنني فرجحتهم ، قال زنه بألف فوزنني فرجحتهم ثم جعلوا يتساقطون على من كفة الميزان ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل المُلاَء ثم قال أحدهما لصاحبه خِطْ بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وَوَلَّيَا عني وكأني أرى الأمر مُعَاينة » .

وأخرج أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال : قال رسول الله

---

(١) ومعاذ هذا قال عنه الدارقطني أنه مجهول .

(٢) الصحيح (وبم) بدون ألف لأن ما الاستفهامية إذا جرت حذفت منها الألف للفرق بينها وبين الموصولة .

(٣) لا يعقل صدور هذا السؤال عن أبي ذر .

والرسول عليه السلام كان لا يعلم أنه نبي قبل نزول الملك عليه بحراء ، كما قال تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب الإيمان) .

صلى الله عليه وسلم : « أتانى ملك بَطسْت من ذهب فشق بطنى فاستخرج حَشْوَة جوفى فغسلها ثم ذر عليه ذروراً ثم قال قَلْبٌ وَكِيع يَعِى ماوقع فيه عيناك بصيرتان وأذناك تسمعان وأنت محمد رسول الله الْمُقَفَّى(١) الحاشر(٢) قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قَيِّم أنت قثم(٣) ».

وأخرج الدارمى وابن عساكر عن ابن غُنْم قال أنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق بطنه ثم قال جبرئيل قلب وكيع فيه أذنان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المقفى الحاشر خلقك قيم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

وأخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُتيت وأنا فى أهلى فانْطُلِق بى إلى زمزم فشُرِح صدرى ثم غُسِل بماء زمزم ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئاً إيماناً وحكمة فحشى بها صدرى» وقال أنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا أثره فعَرَج بى الملك إلى سماء الدنيا وذكر حديث المعراج(٤) . قال البيهقى يحتمل أن شق الصدر كان مرات ، مرة عند مرضعته حليمة ومرة عند المبعث ومرة ليلة المعراج .قلت قد تقدم فى الرضاع شق صدره من

---

(١) المقفى اسم مفعول من قولهم قفاه به إذا أتبعه إياه وسمى نبينا صلى الله عليه وسلم بالمقفى لأن الله عز وجل قفا به الرسل أى بعثه على أثرهم .

(٢) ومعنى الحاشر الذى يحشر الناس على قدمه كما ورد فى الحديث .

(٣) معنى قثم المعطى بكثره وهو معدول عن قاثم وهذا حديث مرسل تلوح عليه أمارات الوضع فلا يعقل أن يخاطبه الملك بوصف الرسالة قبل أن ينزل عليه الوحى .

(٤) المعراج هو آلة العروج والواجب هو الإيمان به لورود الخبر دون البحث فى كيفيته .

عدة طرق[١] وسيأتى فى أحاديث المبعث وأحاديث الإسراء ذلك أيضاً والتحقيق فى الجمع بينها الحمل على التعدد ووقوع ذلك ثلاث مرات ، وممن صرح بوقوعه مرتين السهيلى وابن دِحْية وابن الْمُنِير وممن صرح بالثلاث ابن حَجَر[٢] وأبدى لذلك معنى لطيفاً وهو المبالغة فى الإسباغ والتطهير بالتثليث كما هو فى شرعه صلى الله عليه وسلم فى الطهارة واختصت الأوقات الثلاث بذلك لينشأ من الطفولية على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان وليتلقى عند البعث ما يوحى إليه بقلب قوى وليتأهب عند الإسراء للمناجاة ، وقد اختلف هل شق الصدر وغسله مخصوص به أو وقع لغيره من الأنبياء ؟ قال ابن المنير : شق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابْتُلِي به الذبيح وصَبَرَ عليه بل هذا أشق[٣] وأَجَلُّ لأن تلك معاريض وهذه حقيقة ، وأيضاً فقد تكرر ووقع له وهو رضيع يتيم بعيد من أهله صلى الله عليه وسلم .

باب

الآية فى حفظه صلى الله عليه وسلم من التثاؤب

أخرج البخارى فى التاريخ وابن أبى شيبة فى المصنف وابن سعد عن يزيد ابن الأصم قال « ما تثاءب النبى صلى الله عليه وسلم قط » .

---

(١) قد علمت حال هذه الطرق .

(٢) هو الحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب كتاب فتح البارى فى شرح صحيح البخارى الذى يعتبر قاموس السنة .

(٣) هذا غير صحيح فإنه لم يجد للشق ألما إلا أنه ريع منه ولم يرد من ذلك الابتلاء وإنما أريد التطهير والانتقاء أما الذبح فكان ابتلاء شديداً للوالد والولد على السواء ولهذا قال عنه القرآن (إن هذا لهو البلاء المبين) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مَرْوان قال « ما تثاءب نبي قط »[1] .

باب

الآية فى سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج الترمذى وابن ماجة وأبو نعيم عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطَّت[2] السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله » .

وأخرج أبو نعيم عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه إذ قال لهم لاتسمعون ما أسمع[3]؟ قالوا : مانسمع من شىء قال إنى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط مافيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » .

باب

الآية فى صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لايبلغه صوت غيره

أخرج البيهقى وأبو نعيم عن البراء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن[4] .

وأخرج أبو نعيم عن بُرَيْدَة قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم يوما ثم

---

(١) لو صحت هذه الآثار فالعلة فى نفى التثاؤب عن الأنبياء أنه علامة الكسل والفتور وهو من الشيطان كما ورد فى الحديث وليس للشيطان سلطان على الأنبياء .

(٢) يقال أط الرجل يئط أطيطا إذا صوت من ثقل الراكب والمراد أن السماء قد ازدحمت بمن فيها من الملائكة حتى صار لها أطيط كأطيط الرحل .

(٣) الكلام هنا على الاستفهام والتقدير أتسمعون ؟

(٤) جاء فى الصحيح عن جابر « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب علا صوته واشتد غضبه كأن منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم » .

انفتل[١] فنادى بصوت أسمع العواتق فى أجواف الخدور

وأخرج أبو نعيم عن أبى برزة قال « خرج علينا رسول الله عليه وسلم بالهاجرة العليا فخطبنا بصوت يسمع العواتق فى خدورهن »[٢].

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس « اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة[٣] وهو فى بنى غُنْم فجلس فى مكانه ».

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن معاذ التَّيْمى قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِنى فَفُتِحَتْ أسماعنا وفى لفظ ففتح الله أسماعنا حتى إن كنا لنسمع مايقول ونحن فى منازلنا[٤].

وأخرج ابن ماجة والبيهقى عن أم هانى قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عَرِيشى[٥].

باب الآية فى عقله صلى الله عليه وسلم

أخرج أبو نعيم فى (الحلية) وابن عساكر ، عن وهب بن منبه قال قرأت أحداً وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقل محمد صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من

---

(١) يعنى انصرف من الصلاة.

(٢) الظاهر أن هذا الخروج كان لصلاة الجمعة لأنها تصلى بالهاجرة أى وقت اشتداد الحر فى الظهيرة.

(٣) أنصارى خزرجى وأحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم قتل فى غزوة مؤته :

(٤) كانت خطبته عليه السلام يوم النحر بمنى فى حجة الوداع وصية جامعة وتأكيداً للحقوق التى قررها الإسلام.

(٥) يعنى سطح بيتها .

بين جميع رمال الدنيا وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأرجحهم رأيا »[١] .

باب الآية فى عرقه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج مسلم عن أنس قال : « دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال[٢] عندنا فعَرِق ، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تَسْلِتُ[٣] العرق فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت : عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب » .

وأخرج من وجه آخر عن أنس «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى أم سليم فيقيل عندها فتبسط له نِطْعاً فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير فقال يأم سليم ماهذا قالت عرقك أدُوف[٤] به طيبى» .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن سيرين عن أم سُلَيْم قالت « كان رسول الله عليه وسلم يَقِيل عندى على نِطْع فإذا عرق أخذت سكاً[٥] فعجنته بعرقه .

وأخرج الدارمى والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال (كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه

---

(١) لا شك أنه صلى الله عليه وسلم أوفر الناس عقلا وأرشدهم رأيا ولكن مايزعم وهب أنه قرأه فى واحد وسبعين كتابا مبالغة غير مقبولة لا سيما وفى الناس رسل وأنبياء وهبوا من العقل والذكاء ما يتناسب مع مناصبهم الشريفة .

(٢) هو من القيلولة وهى النوم وقت الظهيرة .

(٣) يعنى بيدها سيدها أو بخرقة ثم تعصره فى القارورة .

(٤) يعنى أخلطه به وأذيبه فيه .

(٥) هو نوع من الطيب .

قد سلكه من طيب عرقه أو عَرْفه[١] ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له» .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أنس قال «كنا نعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل بطيب ريحه» .

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب . وقالوا : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق .

وأخرج الدارمى عن إبراهيم[٢] النخعى قال« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بالليل بريح الطيب » .

وأخرج الخطيب وابن عساكر وأبو نعيم والديلمى من طريقين عن محمد ابن إسمعيل البخارى ثنا عمرو بن محمد بن جعفر ثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت« كنت قاعدة أغزل والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فَبُهِتُّ[٣] فقال مالك بهت ؟ قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الْهُذَلى لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول:

ومبرأ من كل غُبَّر[٤] حيضة وفساد مُرْضعة وداء مُغِيل[٥]

---

(١) الظاهر أن أو هنا شك من الراوى والعرف هو الرائحة مطلقا ولكن أكثر استعماله فى الطيبة .

(٢) تابعى جليل وهو من مولى النخع من اليمن رهط علقمة والأسود مات سنة ست وتسعين عن ست وأربعين سنه وصلى عليه عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد .

(٣) اى تحيرت ردهشت .

(٤) والغبر البقية من الشىء والجمع غبرات .

(٥) يقال غالت المرأة ولدها تغيل غيلا وأغالته إغالة فهى غائل ومغيل ومغيله إذا أرضعته لبنها وهى حامل . وفى الحديث « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة » .

وإذا نظرت إلى أَسِرَّة[١] وجهه   بُرُقت بروق العارض المتهلل[٢]

فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فى يده وقام إلى فقبل مابين عينى وقال جزاك الله ياعائشة خيرا فما أذكر أنى سررت كسرورى بكلامك».

قال أبو على صالح بن محمد البغدادى لا أعلم أن أبا عبيدة حدث عن هشام بن عروة شيئا قال لكن الحديث حسن عندى حين صار مخرجه محمد بن إسمعيل البخارى.

وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر » .

وأخرج أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر عن أبى هريرة قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى زوجت ابنتى وأحب أن تعينني قال ماعندى شىء ولكن إيتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة فأتاه بهما فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلات القارورة قال فخذها ومُر ابنتك أن تغمس هذا العود فى القارورة وتطيب به فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فَسَمُّوا بيت المُطَيَّبِين »[٣] .

وأخرج الدارمى عن رجل من بنى حريش قال كنت مع أبى حين رجم

---

(١) الأسرة والأسارير محاسن الوجه .

(٢) يعنى لمعت لمعان السحاب المتلألىء .

(٣) قال الشوكانى فى الفوائد : رواه الخطيب عن أبى هريرة مرفوعا وهو موضوع .

وقال المؤلف فى اللالىء موضوع آفته حليس . قلت هذا منكر جدا وحليس قال ابن عدى منكر الحديث . وقال الدارقطنى : متروك .

النبي صلى الله عليه وسلم مَاعزَ بن مالك فلما أخذته الحجارة أرعبت فضمني النبي صلى الله عليه وسلم إليه فسال على من عرق إبطه مثل ريح المسك ، وأخرجه عبدان فى الصحابة فقال عن : حُرَيْشٍ .

وأخرج البزار عن معاذ بن جبل قال« كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ادن مني فدنوت منه فما شممت مسكا ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

باب الآية فى طوله صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن خيثمة فى تاريخه والبيهقى وابن عساكر عن عائشة قالت «لم يكن رسول الله عليه الصلاة وسلام بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة[١] إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلاَّ طَالَه[٢] رسول الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلام إلى الربعة» . وذكر ابن سبع فى الخصائص ذلك وزاد . أنه كان، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين.

باب الآية فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى له ظل

أخرج الحكيم الترمذى عن ذكوان أن رسول الله صلى عليه وسلم لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر قال ابن سبع من خصائصه أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان نوراً إذا مشى فى الشمس أو القمر لا يُنْظَر له ظل[٣] . قال بعضهم :

---

(١) يقال رجل ربع بفتح فسكون وربع بفتحتين وربعة أيضاً إذا كان بين الطويل والقصير وفى وصف أم معبد فى حديث الهجرة « لا تقتحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول » .

(٢) أى ساواه فى الطول أو صار أطول منه .

(٣) لم ترد هذه الخصوصية فى شىء من الصحيح ولا نظنها صحيحة فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان جسداً يأكل ويشرب وله صفات الأجساد ، وإذا فرض أنه لم يكن لجسده ظل فما بال ثيابه ؟ أم إنه كان يمشى عاريا حتى لا يرى له ظل .

لا بحول ربنا الرحيم

ويشهد له حديث قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « واجعلنى نوراً » .

باب

ذكر القاضى عياض فى الشفاء والْعَزَفِىُّ فى مَوْلده : أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينزل عليه الذباب وذكره ابن سبع فى الخصائص بلفظ أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط وزاد أن من خصائصه أن القمل لم يكن يؤذيه .

باب الآية فى شعره الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد[٢] فقد قَلَنْسُوَةً له يوم الْيَرْمُوك فطلبها حتى وجدها وقال « اعتمر[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيَته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى إلا رُزِقْتُ النصر » .

---

(١) كلام لا إسناد له ولا دليل عليه ولو صح هذا لكان . من الشهرة بحيث لا يخفى على كل من رآه .

(٢) هو سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى أسلم سنة ثمان هو وعمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة ومات سنة إحدى وعشرين بالمدينة وقيل بحمص .

وكان خالد يقول « لقد شهدت كذا وكذا زحفاً فما فى يدى موضع ألا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنذا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

(٣) لم يعين خالد هذه العمرة ولكنها ليست عمرة القضاء قطعا لأن خالدا لم يكن أسلم بعد . وليست كذلك العمرة التى اعتمرها من الجعرانة بعد غزوة حنين فإنها كانت ليلا ولم يشهدها أحد معه فلعلها العمرة فى حجة الوداع مع أن المعروف أنه فى هذه المرة أعطى شق شعره الأيمن لأبى طلحة وأمره أن يوزع على الناس الشق الآخر .

باب الآية فى دمه صلى الله عليه وسلم

أخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى والحاكم والبيهقى عن عبد الله بن الزبير أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال «ياعبدالله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد فشربه فلما رجع قال : يا عبد الله ما صنعت ؟ قال جعلته فى أخفى مكان علمت أنه مخفى عن الناس قال لعلك شربته ؟ قلت نعم قال : ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون أن القوة التى به من ذلك الدم .

باب الآية فى قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج البيهقى عن أبى هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا وطىء بكلها ليس له إخْمَصُ » .

وأخرج ابن عساكر عن أبى أمامة الباهلى قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم لا إخمص له يطأ على قدمه كلها » .

وأخرج البيهقى عن جابر بن سمرة قال « كانت خنصر رسول الله صلى الله وسلم مس رجله متظاهرة » .

وأخرج أحمد عن ابن عباس « أن قريشاً أتوا كاهنة فقالوا لها : أخبرينا بأقربنا شبهاً بصاحب هذا المقام[١] : فقالت إن أنتم جررتم كساء على هذه السَّهْلَةَ ثم مَشَيتم عليها أنبأتكم فَجَرُّوا ثم مشى الناس عليها فأبصرت أثر محمد صلى الله

---

(١) يعنون إبراهيم الخليل عليه السلام والمراد بالمقام الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء الكعبة وقد أثر فيه قدماه قال تعالى (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) وعن عمر أنه قال :قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مقام أبينا أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزل قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

عليه وسلم فقالت هذا أقربكم شبها به فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو قريبا من عشرين سنة ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب الآية فى مشيه صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن سعد عن أبى هريرة قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فكنت إذا مشيت سبقنى فالتفت إلى رجل جنبى فقلت تُطْوَى له الأرض وخليل الله إبراهيم[1] » .

وأخرج ابن سعد عن يزيد بن مَرْثَد قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع حتى يُهَرْوِل الرجل وراءه فلا يدركه » .

باب الآية فى نومه صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن عائشة قالت : يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال « ياعائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبى » .

وأخرج أبو نعيم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنام عينى ولا ينام قلبى » .

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) .

وأخرج ابن سعد عن عطاء عن النبى صل الله عليه وسلم قال « إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا » .

---

(١) الظاهر أن الواو هنا واو القسم ولا ندرى كيف أقسم أبو هريرة بالمخلوق مع نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وتسميته إياه شركا ومع قول أبى هريرة « لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا ولعل هذا مما يرشح أن يكون هذا الأثر موضوعا » .

وأخرج عن الحسن مرفوعا « تنام عيناى ولا ينام قلبى ».

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد الله « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان تنام عيناه ولا ينام قلبه » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال « حضرت عصابة من اليهود يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم أَنْشُدُكم[١] بالله الذى نَزَّل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى[٢] تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم أشهد » .

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه »[٣] .

باب الآية فى جماعه صلى الله عليه وسلم

أخرج البخارى من طريق قتادة عن أنس قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة . قلت لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين » .

وأخرج ابن سعد عن سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت «طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلة »[٤] .

وأخرج ابن سعد أنا عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى جبرئيل بِقِدْرٍ فأكلت منها

---

(١) يعنى أسألكم ومنه نشدان الضالة بمعنى طلبها والسؤال عنها .

(٢) يعنى الموجود عندكم نعته .

(٣) كان أولى به أن يكتفى بما رواه الشيخان بدلا من هذا التطويل .

(٤) وورد فى الصحيح عن أبى رافع : أنه طاف على نسائه يوما واغتسل عند كل واحدة منهن فقال له أبو رافع : كان يكفيك غسل واحد قال هذا أطهر وأطيب .

فأعطيت قوة أربعين رجلا فى الجماع »[١] .

وأخرج ابن عدى من طريق سَلاَّم بن سليمان عن نَهْشَل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا مثله والطريق الأولى جَيِّدَةٌ على إرسالها بخلاف هذه فإنها واهية . وقال ابن سعد أنا الواقدى حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت من أَقَلِّ الناس فى الجماع حتى أنزل الله عَلَيَّ الْكَفِيتَ[٢] فما أريده من ساعة إلا وجدته وهو قِدْرٌ فيها لحم ، وقال أنا الواقدى ، حدثنا ابن أبى سُبْرَة وعبد الله بن جعفر عن صالح بن كِيسَان مثله . وقال أنا الواقدى ، حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيت كأنى أُتِيتُ بِقِدْرٍ فأكلت منها حتى تَضَلَّعْتُ فما أريد أن آتى النساء أى ساعة إلا فعلت منذ أكلت منها »[٣] .

وأخرج ابن سعد عن مجاهد وطاوس قالا « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا فى الجماع » .

وأخرج الحارث بن أبى أسامة عن مجاهد قال « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة بضع وأربعين رجلا كل رجل من أهل الجنة » .

وأخرج عن ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت قوة أربعين رجلا فى البطش والنكاح » .

---

(١) كل حديث فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بقدر أو بهريسة أو بقطف من قطوف الجنة فهو موضوع لا يصح وقوته عليه السلام على الجماع أو الصراع لا تحتاج إلى أكلة يأتيه بها جبريل وإنما هو شىء فى أصل خلقته وتكوينه بفضل الله عز وجل .

(٢) الكفيت يطلق على الجراب وعلى ما يجعل فيه من الطعام .

(٣) ظاهر قوله : رأيت كأنى أتيت أن ذلك كان مناما وأنت تعرف حال هذه الأخبار فلا نزيدك بها بصيرة .

وأخرج الطبرانى والإسماعيلى فى معجمه وابن عساكر عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش »[١] .

باب الآية فى حفظه صلى عليه وسلم من الاحتلام

أخرج الطبرانى من طريق عكرمة عن أنس ابن عباس والدِّينَوَرِىُّ فى (المجالسة) من طريق مجاهد عن ابن عباس قال « ما احتلم نبى قط وإنما الأحتلام من الشيطان »[٢] .

باب المعجزة فى بوله وغائطه صلى الله عليه وسلم

أخرج البيهقى من طريق حسين بن علْوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل الغائط دخلتُ فى إِثْرِه فلا أرى شيئا إلا كنتُ أشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال : أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة فما خرج منها من شىء ابتلعته الأرض» ؟ . قال البيهقى هذا الحديث من موضوعات ابن عُلْوان ، قلت : كلا ليس كما قال فإن الحديث له . طريق آخر[٣] . عن عائشة قال ابن سعد أخبرنا إسمعيل بن أبَان الوراق حدثنا عِنْبِسَةِ بن عبدالرحمن القرشى عن محمد بن زاذان[٤] عن أم سعد

---

(١) لا شك أن فضله على الناس لا يختص بهذه الأربع بل هو أفضل من كل أحد فى كل خلق كريم .

(٢) المراد من الاحتلام الجنابة فى النوم .

(٣) عجبا للسيوطى يتحمس لتصحيح هذا الخبر العجيب ويسارع إلى تخطئة البيهقى ويأخذ فى سرد طرق ليست بأحسن منه حالا ونسى أن الكذب لا يجدى فيه العلاج .

(٤) قال البخارى : لا يكتب حديثه . وقال الترمذى : منكر الحديث . وقال الدارقطنى . ضعيف .

عن عائشة قالت : قلت يارسول الله تأتى الخلاء فلا يُرَى منك شيء من الأذى قال « أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ولا يرى منه شيء » أخرجه أبو نعيم من هذا الطريق ، وله طريق ثالث ، قال أبو نعيم حدثنا محمد ابن إبراهيم حدثنا على بن أحمد بن سليمان المصرى حدثنا زكريا بن يحيى البلخى حدثنا شهاب بن معمر العوفى حدثنا عبد الكريم الخزاز[١] حدثنا أبو عبد الله المدينى عن ليلى مولاة عائشة قالت « قلت يارسول الله إنك تدخل الخلاء فإذا خرجت دخلت إثرك « فما أرى شيئا إلا أنى أجد رائحة المسك قال إنا معشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح أهل الجنة فما خرج منها من شيء ابتلعته الأرض » وله طريق رابع ، قال الحاكم فى (المستدرك) أخبرنى مخلد بن جعفر حدثنا محمد بن جرير[٢] حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا المنهال بن عبيد الله عمن ذكره عن ليلى مولاة عائشة عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجته فدخلت فلم أر شيئا ووجدت ريح المسك فقلت يارسول الله إنى لم أر شيئا قال إن الأرض أمرت أن تَكْفِتَه مِنَّا معاشر الأنبياء ، وله طريق خامس ، قال الدارقطنى فى (الأفراد) حدثنا محمد بن سليمان الباهلى حدثنا محمد بن حسان الأموى[٣] حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قلت يارسول الله إنى أراك تدخل الخلاء ثم يجيء الذى بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثر فقال «يا عائشة أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما خرج من الأنبياء ، هذا الطريق أقوى طرق الحديث قال ابن دحية فى الخصائص بعد إيراده هذا سند ثابت محمد بن

---

(١) قال الأزدى : واهى الحديث جداً .

(٢) رافضى خبيث رماه بالرفض عبد العزيز الكنانى .

(٣) قال ابن الجوزى : فى الأحاديث الواهية : ابن حسان كذاب .

حسان بَغدَادِى ثقة صالح ، وعَبْدَةُ من رجال الشيخين ، وله طريق سادس مُرْسَل . أخرج الحكيم الترمذى من طريق عبد الرحمن بن قَيْس الزعفرانى[١] عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد عن ذكْوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يُرَى له ظل فى شمس ولا قمر ، ولا أثَرُ قضاء حاجة ، وله طريق سابع يأتى فى باب وفد الجن .

باب الاستشفاء ببوله صلى الله عليه وسلم

أخرج الحَسَنُ بن سُفْيَان فى مسنده وأبو يعلى والحاكم والدارقطنى ، وأبو نُعَيم عن أمِّ أيْمَن قالت : قام النبى صلى الله عليه وسلم من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فيها ، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها ، فلما أصبح أخبرته فضحك وقال : إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا أبدا[٢] .

وأخرج عبد الرزاق عن ابن جُرَيْج قال : أُخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قَدَح من عِيدان ثم يوضع تحت سريره ، فجاء فإذا القدح ليس فيه شىء ، فقال لامرأة يقال لها بركة ، كانت تخدم أمَّ حَبِيبَةَ جاءت معها من أرض الحبشة : أين البول الذى كان فى القدح ؟ قالت : شربته ، قال : صِحَّةً يا أم يوسف ، وكانت تُكْنى أمَّ يوسف ، فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه . قال ابن دحية : هذه قضية أخرى غير قضية أم أيمن ، وبركة أم يوسف غير بركة أم أيمن[٣] .

---

(١) كذبه ابن مهدى وأبو زرعة ، وقال البخارى : ذهب حديثه وقال أحمد : لم يكن بشىء .

(٢) إذا صح هذا الحديث فهو خصوصية له صلى الله عليه وسلم للاجماع على نجاسة بول الآدمى وغائطه .

(٣) بل الظاهر أنها قصة واحدة وأن ذلك من وهم الرواة بسبب اتحاد الاسم

باب جامع فى صفة خَلْقِهِ صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن الْبَرَاء قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خَلْقًا ، ليس بالطويل الذَّاهب ولا بالقصير » .

وأخرج البخارى عن البراء أنه سُئِل : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا ولـكن كان مثل القمر[١] .

وأخرج مسلم عن جابر بن سَمُرَة أنه سئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا قال : لا ، بل مِثْلُ الشمس والقمر مستديرا .

وأخرج الدارمى والبيهقى عن جابر بن سَمُرة قال « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة إضْحِيَانَ وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فهو كان أحسن فى عينى من القمر » . فى الصحاح ليلة إضحيان بكسر الهمزة والحاء لا غيم فيها .

وأخرج البخارى عن كعب بن مالك[٢] قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه » .

وأخرج أبو نعيم عن أبى بكر الصديق[٣] رضى الله عنه قال « كان

= فنسبوا إلى أم أيمن ما حصل من أم يوسف .

والطريق الأولى عن أم أيمن فيها أبو مالك وهو ضعيف ، ونبيح العنزى ولم يلحق أم أيمن قاله الشوكانى فى نيل الأوطار .

(١) يعنى أنه لم يكن مستطيلا ولـكن كان مستديرا كصفحة القمر .

(٢) أنصارى خزرجى وأحد الثلاثة الذين خلفوا فى غزوة تبوك وهم كعب وهلال ابن أمية ومرارة بن الربيع توفى حوالى سنة ٤٩ هـ .

(٣) هو عبدالله بن أبى قحافة التيمى يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرة ابن كعب كان أول من أسلم من الرجال وثانى اثنين فى ، الغار وأفضل هذه الأمة بعد =

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كَدَارة الْقَمر .

وأخرج البيهقى عن أبى إسحاق عن امرأة من همدان[١] قالت « حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم قلت لها شَبِّهِيه قالت كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله » .

وأخرج الدارمى والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن أبى عبيدة قال : قلت للربيع بنت معوذة صفى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

وأخرج مسلم عن أبى الطفيل[٢] أنه قيل له : صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان أبيض مليح الوجه .

وأخرج الشيخان عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعَةً من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، أَزْهَرَ اللون ليس بالآدَمِ ولا الأبيض الأمهق[٣] ، رَجْلُ الشَّعَر ليس بالسَّبْط ولا بالجَعْد الْقَطَطِ » البائنُ الطويل فى نحافة ، والآدَمُ شديد السُّمْرة ، والأمهق الشديد البياض الذى لا يخالطه شىء من الحمرة ، وليس بِنيِّر والسَّبْط الذى ليس فيه تَكَسُّر ، والْقَطط الشديد الجعودة ، والرَّجْل بينهما كأنه مُشِط فتكسر قليلا .

= تبيها بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اجتماع السقيفة ، توفى سنة ثلاث عشرة ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ومات عن ثلاث وستين سنة .

(١) قبيلة من قبائل اليمن من أولاد أوسلة بن ربيعة ابن خيار بن مالك لما جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم خبر إسلامهم قال السلام على همدان وسجد لله شكراً .

(٢) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة كان آخر الصحابة موتا وشهد مع على المشاهد كلها ، وكان مع المختار بن أبى عبيد صاحب رايته .

(٣) يعنى أنه لم يكن شديد السمرة ولا شديد البياض بل كان أمغر يعنى أبيض مشربا بحمره .

وأخرج البيهقى عن على قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْرَباً بِحُمْرَة » .

وأخرج ابن سعد والترمذى والبيهقى عن أبى هريرة قال : « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع فى مشيه منه ، كأن الأرض تُطْوَى له ، إنا لَنُجْهَد وإنه غير مكترث » .

وأخرج ابن سعد عن قتادة وابن عساكر من طريق قَتَادة عن أنس قال : « ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حَسَن الوجه ، حسن الصوت ، حتى بَعَث نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت » .

وأخرج ابن عساكر عن على بن أبى طالب قال : « ما بعث الله نبياً قط إلا صبيح الوجه[1] كريم الحسب، حسن الصوت، وإن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان صبيح الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت » .

وأخرج الدارمى عن ابن عمر قال : « ما رأيت أحداً أشجع ولا أجود ولا أوضأ[2] من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال :« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَلِيع الْفَمِ ، أَشْكَلَ العينين ، مَنْهُوس العقبين » الشُّكْلَة كهيئة الحمرة ، تكون فى بياض العين بخلاف الشُّهْلة ، فإنها حُمْرة فى سوادها ، وضليع الفم : واسعه ، ومنهوس العقبين : قليل لحم الْعَقِب .

وأخرج البيهقى عن على قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَبَ الأشفار ، مُشْرَبَ العين بِحُمْرَة » .

---

(١) ولا ينافى صباحة الوجه أن بعضهم كان آدم شديد السمرة كموسى عليه السلام .

(٢) من الوضاءة وهى الحسن والتهلل .

وأخرج الترمذى والبيهقى من وجه آخر عن على ، « أنه نَعَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم يكن بالطويل الْمُمَغَّط ، ولا بالقصير الْمُتَرَدِّد ، كان رَبْعةً من القوم ، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط ، كان جعداً رجلا ، ولم يكن بالْمُطَهَّم ولا بالْمكَلْثَم ، كان فى وجهه تدوير أبيضُ مُشْرَب ، أَدْعَجُ العينين ، أَهْدَبُ الأشفار ، جليل الْمُشَاش والْكتَد ، أجْرَدُ ذو مَسْرَبة ، شَثْنُ الْكَفَّيْن والقدمين، إذامشى تَقَلَّع كأنما يمشى فى صبب[١] ، وإذا التفت التفت معاً[٢] ، بين كتفيه خاتم النبوة » الممغط الطويل البائن ، والمتردد الذى تردد خَلْقُه بعضه على بعض فهو مجتمع ، والمطهم المسترخى اللحم ، والمكلثم الْمُدَوَّرُ الوجه ، أى لم يكن شديد تدوير الوجه بل فى وجهه تدوير قليل ، والمشرب : الذى فى بياضه حمرة ، والأدعج : الشديد سواد الحدقة ، والأهدب الطويل الأشفار وهى شعر العين ، والمشاش رؤس العظام كالركبتين والمرْفقَين الْمنْكِبَيْن ، وجليلها : عظيمها ، والكتد : بفتحتين مجتمع الكتفين ، والأجرد الذى لا شعر على بدنه ، والمسربة خيط شعر بين الصدر والسرة ، وشثن الكفين : غليظ الأصابع .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسودَ الحدقة ، أهْدَبَ الأشفار وأخرج البيهقى عن أبى هريرة قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم مُفَاضَ الجبين ، أَهْدَب الأشفار ، مفاض واسع .

وأخرج الطيالسى والترمذى وصححه والبيهقى عن على بن أبى طالب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالقصير ولا بالطويل ، ضخم الرأس واللحية ، شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس ، مُشْرَباً وجهُه حمرةً ، طويل الْمَسْرُبة إذا مشى تَكَفَّأ[٣] تكفُّأ ، كأنما ينحط من صَبَبٍ ، لم أر قبله ولا بعده مثله » الكراديس : رؤس العظام كالمشاش.

---

(١) الصبب : ما انحدر من الأرض .
(٢) أى بجسمه كله دون أن يلوى عنقه .
(٣) تكفأ فى مشيته : ماد وتمايل متقلقا .

وأخرج الطيالسى وأحمد والبيهقى عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شبح الذراعين [١] ، بعيد ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين، لم يكن سَخَّاباً فى الأسواق ، ولا فحاشاً ولا متفحشاً ، كان يُقْبِلُ جميعاً ويُدْبِرُ جميعاً » .

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الثَّغْر [٢] » .

وأخْرَجَ عن أنس أنه سُئِلَ هل شاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : « ما شَانَه [٣] اللهُ بالشيب ، ما كان فى رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء » .

وأخرج الشيخان عن الْبَرَاء قال : « كان رسول الله مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، يبلغ شعره شَحْمة أُذُنَيْه ، ما رأيت شيئاً أحسن منه » .

وأخرج أحمد والبيهقى عن مُحَرِّش الكعبى قال : «اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم من الجِعِرَّانَةِ [٤] ليلا ، فنظرت إلى ظَهْرِه كأنه سَبِيكَةُ فِضَّة » .

وأخرج الطَّيَالسى وابن سعد والطبرانى وابن عساكر عن أم هانىء [٥]

---

(١) طويلهما أو عريضهما .

(٢) الثغر : الفم أو مقدم الأسنان .

(٣) من الشين بمعنى العيب يقال : شانه يشينه أى عابه ، وليس الشيب عيبا ، فقد ورد أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب فى رأسه قال : ما هذا يارب ؟ قال : وقار ، فقال اللهم زدنى وقاراً .

(٤) كانت هذه العمرة بعد غزوة حنين ، وفى الجعرانة قسم الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم حنين .

(٥) هى بنت أبى طالب وأخت على ، وهى التى كان الرسول فى بيتها ليلة الإسراء ، وقد أجارت رجلا من أحمائها عام الفتح ، وقال لها النبى عليه السلام « قد أجرنا من أجرت يا أم هانى » .

قالت : ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرت القراطيس المُثَنيَّ بعضها على بعض .

وأخرج الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض ، كأنما صيغ من فضة ، رَجْلَ الشعر مُفَاض البطن ، عظيم مُشَاش المنكبين يطأ بقدمه جميعاً[1] إذا أقبل أقبل جميعاً وإذا أدبر أدبر جميعاً » .

وأخرج البخارى عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس والقدمين سبْط الكفين » .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين حسن الوجه ، لم أر بعده مثله » .

وأخرج الطبرانى والبيهقى عن ميمونة بنت كَرْدَم قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول إصْبَع قَدَمِه السَّبَّابة على سائر أصابعه .

وأخرج البيهقى عن رجل من الصحابة من بالعدويه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الأنف دقيق الحاجبين ، وإذا مِنْ لَدُنْ نَحْرِه إلى سُرَّتِه كالخيط الممدود شعره .

وأخرج البيهقى عن على قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو إلى الطول أقرب ، وكان شثن الكف والقدم ، وكان فى صدره مسربة وكأن عَرَقَه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ، كأنما يمشى فى صَعَد » . التكفؤ : الميل إلى سنن الممشى .

وأخرج البيهقى عن على قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا ، وفوق الربعة ، إذا جاء مع القوم غمرهم[2] أبيض ضخم الهامة أغر أبلج[3] ،

---

(١) يعنى ليس له أخمص .

(٢) زاد عليهم فى الطول .

(٣) من الغرة وهى بياض الجبهة ، والأبلج : المنير المسفر .

أهدب الأشفار شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى يتقلع كأنما ينحدر فى صبب ، كأن العرق فى وجهه اللؤلؤ ، لم أر قبله ولا بعده مثله » الهامة : الرأس .

وأخرج مسلم عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ » .

وأخرج البزار والبيهقى عن أبى هريرة قال: « كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، كان ربعة وهو إلى الطول أقرب ، بعيد ما بين المنكبين أسيل[1] الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين ، أهدب إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ، ليس له إخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه ، فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك يتلألأ فى الجدر لم أر مثله قبله ولا بعده » .

وأخرج الشيخان عن أنس قال : « ما مسست حريراً ولا ديباجاً أَلْيَنَ من كف رسول الله صلى لله عليه وسلم ، ولا شممت مسْكاً ولا عنبر ، أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : « مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم خدى فوجدت لِيَدِه بَرْداً وريحاً ، كأنما أخرجها من جُونَةِ[2] عطار » .

وأخرج البيهقى عن يزيد بن الأسود قال :« ناولنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فإذا هى أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك » .

وأخرج الطبرانى عن المستورد بن شداد عن أبيه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فإذا هى ألين من الحرير وأبرد من الثلج ».

---

(١) يقال : أسل يأسل أسالة فهو أسيل بمعنى لان واستوى ، وصار أملس وبمعنى طال أيضا .

(٢) الجونة سليلة مغشاة بالأدم ، تكون عند العطارين وجمعها : جون .

وأخرج أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : « اشتكيت بمكة[١] ، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلتُ يُخَيَّلُ إلى إني أجد بَرْدَ يده على كَبِدِي حتى الساعة » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشرباً بحمرة ، شثن الأصابع ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالسبط ولا بالجعد ، إذا مشى هَرْوَلَ الناس وراءه لا يرى مثله أبداً » .

وأخرج أبو موسى المديني في (كتاب الصحابة) عن أَمَدِ بْنِ أَبَدَ الْحَضْرَمِيِّ قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت قبله ولا بعده مثله »[٢] .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن بريدة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن البشر قَدَماً » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مشرباً حمرة أدعج العينين دقيق المسربة دقيق الْعِرنين سهل الخدين كَثَّ اللِّحْيَة ذا وَفْرَةٍ كأن عُنُقه إبريق فضة له شعر يجرى من لبته إلى سرَّتِه كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره كأن عرقه فى وجهه اللؤلؤ وَلَرِيحُ عَرَقِهِ أطيبُ من المسك الْأَذْفر . والعرنين أعلى الأنف . والوفرة الشعر إلى شحمة الأذن . والأذفر بالذال المعجمة .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي قال : بعثني النبي صلى الله عليه

---

(١) كان ذلك فى حجة الوداع ، وقد دعا له الرسول بالشفاء وبشره بأنه سيبل من مرضه وأنه سيخلف حتى ينتفع به أقوام ويضر به آخرون .

(٢) لاشك أن الله عز وجل قد جمع لنبينا صلى الله عليه وسلم من جمال الخلق والخلق مالم يجمع لأحد من الناس .

وسلم إلى اليمن فإنى لَأَخْطُبُ يوما على الناس وحَبْر من أحبار يَهُودَ واقف فى يده سفرٌ ينظر فيه ، فلما رآنى قال : صِفْ لنا أبا القاسم ، فقلت : « ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير وليس بالجعد القطط ولا بالسبط ، هو رَجْلُ الشعر أسود ضخم ارأس ، مشرب لونه حمرة ، عظيم الكراديس ، شثن الكفين والقدمين ، طويل المسربة ، أهدب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، صَلْتُ الجبين، بعيد مابين المنكبين إذا مشى يتكفأ ، كأنما ينزل من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله . قال على ثم سكَتُّ فقال لى الحبر وماذا؟ قلت: هذا مايحضرنى قال الحبر : فى عينيه حمرة حسن اللحية ، حسن الفم تام الأذنين يقبل جميعاً ويدبر جميعاً قال على هذه والله صفته . قال الحبر : وشىء آخر ، قلت : وماهو قال : وفيه جَنَأ[1] قلت : هو الذى قلت لك ، كأنما ينزل من صبب . قال الحبر : فإنى أجد هذه الصفة فى سفر آبائى ونجده يبعث من حرم الله وأمنه ، وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو[2] ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذى حرم الله . ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوما من وُلْدِ عَمْرو بن عامر أهل نخل ، وأَهْلُ الأرض قبلهم يهود ، قال على : هو هو . قال الحبر : فإنى أشهد أنه نبى وأنه رسول الله إلى الناس كافة » .

القرن : اتصال شعر الحاجبين ، وصلْت الجبين : واضحه .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال أقبل قوم من اليهود فَأَتَوْا عليا فقالوا صف لنا ابن عمك فقال على لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم بالطويل الذاهب ولا بالقصير المتردد كان فوق الربعة أبيض اللون مشرب الحمرة جعداً ليس بالقطط يَفرِقُ شعره إلى أذنيه صلْتُ الجبين واضح الخدين أدْعَجُ العينين مَقْرُونُ

---

(١) يقال جنى يجنأ جناء ، فهو أجنأ ، إذا أكب وحدب أى أشرف كاهله على صدره .

(٢) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة ما بين لا بيتها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها .

الحاجبين ، سبط الأشفار ، أقنى الأنف دقيق المسربة براق الثنايا ، كث[1] اللحية ، كأن عنقه إبريق فضة كأن الذهب يجرى فى تراقيه[2] ، له شعرات من لبته إلى سرته ، كأنهن قضيب مِسْكٍ أسود ، لم يكن فى جسده ولا فى صدره شعرات غيرهن بين كتفيه كدارة القمر ليلة البدر ، مكتوب بالنور سطرين ، السطر الأعلى : لا الله إلا الله وفى السطر الأسفل محمد رسول الله[3] » . الأقنى : السائل الأنف المرتفع وسطه .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال « أتى حَبْر من أحبار بيت المقدس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على فقال : صف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير ، كان ربعة من الرجال أبيض مشرباً بحمرة ، جعد المَفْرِق شعره الى شحمة أذنيه ، صلت الجبين ، واضح الخدين ، مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، سبط الأشفار ، أقنى الأنف ، دقيق المسربة ، مُفَلَّجُ الثنايا ، كث اللحية ، كأن عنقه إبريق فضة ، كأن الذهب يجرى فى تراقيه عرقه فى وجهه كاللؤلؤ ، شثن الكفين والقدمين ، له شعرات ما بين لبته إلى صدره ، يجرى كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها ، يفوح منه ريح المسك إذا قام غمر الناس ، وإذا مشى فكأنما يتقلع من صخرة ، إذا التفت التفت جميعاً ، وإذا انحدر كأنما ينحدر من صبب قال الحبر : إنى أصبت فى التوراة هذه الصفة ، أشهد أنه رسول الله .

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن مقاتل بن حيان قال : أوحى الله الى عيسى ابن مريم جِدَّ فى أمرى ، ولا تهزل واسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول[4] إنى

---

(١) يعنى كثير شعر اللحية .
(٢) جمع ترقوة وهى العظم النانىء فى العنق .
(٣) قوله بين كتفيه إلخ زيادة غير صحيحة ، وقد سبق أن نبهنا على ذلك .
(٤) البكر التى لم يطأها بشر ، والبتول المنقطعة لعبادة الله

خلقتك من غير فحل ، فجعلتك آية للعالمين، فإياى فاعْبُدْ وعَلَيَّ فتوكل ، فَسِرَّ إلى أَهْل سور[١] أن أنى أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول صدقوا النبي الأمى العربى صاحب الجمل والمِدْرَعة والعمامة ، وهي التاج، والنَّعْلَين والهِرَاوَة . وهى القضيب . الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين ، الأنجل العينين ، الأهدب الأشفار ، والأدعج العينين ، أقنى الأنف الواضح الخدين ، الكث اللحية ، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجرى فى تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سرته يجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر ، غيره شثن الكف والقدم ، إذا جاء مع الناس غمرهم ، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر فى صبب ذو النَّسْل القليل[٢] الأنجل الواسع شق العين . والتراقى : ما بين ثُغْرَة النحر والعاتق .

وأخرج ابن سعد والترمذى فى الشمائل والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم وابن السكن فى المعرفة وابن عساكر عن الحسن بن على قال « سألت خالى هند ابن أبى إهالة عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وكان وصافا فقال : كان فخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المُشَذَّب عظيم الهامة رَجِل الشعر، إن انفرقت عَقِيقَتُهُ فَرَقَ وإلا فلا . يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أَزَجُّ الحواجب سوابغ من غير قَرَن بينهما له عِرْق يُدِرُّه الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يَحْسَبُه من لم يتأمله أشم كَثُّ اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دُمْيَة[٣] فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق بادنا متماسكا ، سواء البطن والصدر ، مُشِيح الصَّدْر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس، أنور المُتَجَرَّد موصول ما بين اللَّبة والسرة ،

---

(١) لعلها صور بالصاد ، وهى مدينة من مدن لبنان على الساحل

(٢) يعنى أن ذريته عليه السلام من بناته لبيت كثيرة .

(٣) هى الصورة المزينة فيها حمرة كالدم ، والجمع دمى

بشعر يجرى كالخط عارى الثديين ، مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين ، وأعالى الصدر ، طويل الزَّنْدَيْن رَحْبُ الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف سبْط القَصَب خَمْصان الأَخْمَصَين ، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ، ويخطو تكفأ ويمشى هونا ذريع المِشْيَة كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام ، قلت صف لى منطقه قال : كان متواصل الاحزان دائم الفكر ، ليست له راحة لا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير ، دَمِثاً ليس بالجافى ولا المَهين ، يُعَظِّم النعمة ، وإن دَقَّت لا يذم منها شيئا ، لم يكن يَذُم ذَوَاقا ولا يمدحه ، ولا يقام لِغَضَبه إذا تُعُرِّض للحق بشىء ، حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قَلَبَهَا وإذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى بطن راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح فإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويَفْتَر عن مثل حب الغمام ، الفخم المعظم ، والمشذب بمعجمتين مفتوحتين ثانيتهما مشددة كالبائن ، والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت بنفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ، وأزهر اللون نيره وقيل حسنه ، الحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر ، والأشم الطويل قصبة الأنف ، والشَّنَب رَوْنَقُ الأسنان وماؤها وقيل رِقَّتُها وتَحْزِيزُها ، والفَلَجُ فَرْقٌ بين الثنايا ، والجِيدُ العنق والدُّمْيَةُ الصورة من العاج ، والبادن ذو اللحم ، والمتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً وسواء البطن والصدر مستويهما ، ومشيح الصدر يروى بضم الميم وبمعجمة أى بادى الصدر غير قعس من أشاح بمعنى أقبل وبالفتح ومهملة أى عريض ، والزندان عظما الذراعين ورحب الراحة واسعها ، وسائل الأطراف طويل الأصابع ، والسبط الممتد بلا تعقد ، والقصب بقاف ومهملة كل عظم أجوف ، وخمصان الأخمصين

متجافيهما وهما بطن القدمين الذى لا تناله الأرض من غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسيح القدمين بالمهملة أملسهما ، والتقلع رفع الرِّجلِ بقوة ، والهون الرفق والوقار ، والذريع الواسع الخطو أى أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه خلاف مِشْيةِ المختال ، ويقْصِدُ سَمْتَهُ كل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب ، وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أى لسعة فمه والعرب تمدح به ، وتذم بصغر الفم ، والدَّمِثُ سهلُ الخلق ، والمُهِين بالضم من الإهانة وبالفتح من المهانة وهى الحقارة ، وأشاح انقبض ، ويفتر يبدى أسنانه ضاحكا ، وحب الغمام البرد .

باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بكثرة الأسماء الدالة على شرف المسمى

قال بعض العلماء : للنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم[1] بعضها فى القرآن والحديث وبعضها فى الكتب القديمة .

وأخرج الشيخان عن جُبَيْرِ بن مُطْعِم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن لى أسماء أنا محمد[2] وأنا أحمد[3] وأنا الماحى الذى يمحو الله بى

(١) مبالغة سمجة وكلام لا دليل عليه وكثرة الصفات لا توجب كثرة الأسماء فليس كل من اتصف بصفة يجوز أن يشتق له منها اسم وإلا لم تنحصر الأسماء .

(٢) قال ابن القيم فى الزاد أما محمد فهو اسم مفعول من (حمد) إذا كان كثير الخصال التى يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود فإن محمودا من الثلاثى المجرد ومحمداً من المضاعف للمبالغة ولهذا سمى به فى التوراة لكثرة الخصال المحمودة التى وصف بها هو ودينه وأمته فى التوراة .

(٣) قال ابن القيم ما ملخصه وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضاً من الحمد وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول ؟ فقالت طائفة =

الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى .

وأخرج أحمد والطيالسى فى مُسْنَدَيْهما ، وابن سعد والحاكم والبيهقى عن جبير سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحى والخاتَمُ والعاقب .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحى) .

وأخرج أحمد ومسلم عن أبى موسى الأشعرى قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا ومنها ما لم نحفظ ، قال : أنا محمد وأنا أحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة[1] ونبى الرحمة .

وأخرج أحمد وابن أبى شيبة والترمذى فى (الشمائل) عن حذيفة قال : لقيت النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض طرق المدينة فقال : (أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبى الرحمة ونبى التوبة وأنا المقفى وأنا الحاشر ونبى الملاحم .

وأخرج أبو نعيم وابن مردويه فى تفسيره والديلمى فى (مسند الفردوس) عن أبى الطفيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لى عشرة أسماء عند

= هو بمعنى الفاعل أى حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه . وقال آخرون هو بمعنى المفعول ومعناه أحق الناس وأولاهم بأن يحمد فيكون كمحمد فى المعنى إلا أن الفرق بينهما أن محمداً هو كثير الخصال التى يحمد عليها وأحمد هو الذى يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد فى الكثرة والكمية وأحمد فى الصفة والكيفية .

(١) الملحمة معناها المعركة حين يلحم بعضهم بعضاً وإنما سمى بذلك لأنه بعث بالجهاد وقتال المشركين .

ربى أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وأبو القاسم[١] والحاشر والعاقب والماحى ويس وطه[٢] .

وأخرج ابن سعد عن مجاهد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أنا محمد وأحمد وأنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة أنا المقفى والحاشر ، بعثت بالجهاد ، ولم أبعث بالزراع[٣] .

وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسمى فى القرآن محمد وفى الإنجيل أحمد وفى التوراة أحيدو إنما سميت أحيد لأنى أحيد أمتى عن نار جهنم . قال الشوكانى فى إسناده وضاع .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمى فى الكتب القديمة أحمد، ومحمد ، والماحى، والمقفى ونبى الملاحم وحِمْطَايا وفَارَقْلِيط ومَاذْ مَاذَ .

وأخرج ابن فارس عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اسمى فى التوراة أحمد الضحوك[٤] القتـــال يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزىء

---

(١) هذه كنية وليست أسما وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى .

(٢) الصحيح أن طه ويس ليسا من أسمائه عليه السلام ولكنهما من جملة الفواتح التى افتتح الله بها بعض سور كتابه فهما كحم وطس وألم الخ .

(٣) يعنى أنه لم يبعث بالزراعة وفلاحة الأرض فإن ذلك يفضى إلى الدعة والإخلاد إلى الأرض وترك الجهاد وفى الحديث (لا تتخذوا الضيعات فترغبوا فى الدنيا) .

(٤) قال ابن القيم فى الزاد (وأما الضحوك القتال فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر فإنه ضحوك فى وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم .

بالْـكِسْرَةَ[١] سيفه على عاتقه . قلت : وقد ألفت كتابا فى شرح أسمائه الكريمة ، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسما ، مأخوذة من القرآن والأحاديث والـكتب القديمة .

باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بما سمى به من أسماء الله تعالى

قال القاضى عِيَاضُ : قد خص الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأَنْ سَمَّاه من أسمائه بنحو من ثلاثين اسما[٢] وهى الأكرم ، والأمين ، والأول ، والآخر ، والبشير ، والجبار ، والحق ، والخبير ، وذو القوة ، والرؤف ، والرحيم ، والشهيد والشكور ، والصادق ، والعظيم ، والْعَفُوُّ ، والعالم ، والعزيز ، والْفَاتِـحُ ، والـكريم ، والمُبِين ، والمُؤْمن ، والمُهَيْمن ، والمقدس ، والمَوْلَى ، والْوَلِيُّ ، والنُّورُ ،

---

(١) يعنى يكتفى بالقليل من الطعام .

(٢) أين سماه الله بهذه الأسماء وليس فى الـكتاب ولا فى السنة منها إلا شىء يسير جداً ، على أن هذه ليست خصوصية فإن هناك أسماء كثيرة مشتركة بين الله عز وجل وبين خلقه ، لـكن هذا الاشتراك إنما هو فى جنس ما دلت عليه هذه الأسماء دون الخصوصيات ، فإذا سمى الله بها كان معناها مختصاً به ، لا يشاركه فيه غيره ، وإذا سمى المخلوق بها دلت على معنى مناسب للمخلوق لا يتصف به الخالق ، ولنناقش ما ذكره هنا من أسماء ، فالأكرم على الإطلاق هو الله عز وجل ، فلا يجوز أن يوصف به غيره ، وأما الأمين فليس من أسماء الله تعالى والأول والآخر لا يطلقان على غير الله ، إلا مقيدين والبشير ليس من أسماء الله والجبار لا يجوز وصفه به عليه السلام قال الله تعالى (وما أنت عليهم بجبار) والحق ليس مختصا به والخبير مختص بالله وذو القوة إنما هو وصف الله والشهيد والشكور والصادق ليست مختصة به والعظيم لا يجوز وصف مخلوق به على إطلاقه وهكذا باقى الأسماء إما مشترك بينه وبين غيره وإما مختص بالله لا يجوز إطلاقه على غيره .

والْهَادِى، وطه ويس. قلت : وقد وقع لنا عِدَّةُ أَسْمَاءٍ أُخَرَ زيادةً على ذلك(١) وهى : الْأَحَدُ والأَصْدَقُ والأَحْسَنُ والأَجْوَدُ والأَعْلَى والآمر والناهى والباطن والبر والبرهان والحاشر والحافظ والحفيظ والحسيب والحكيم والحليم والحى والخليفة والداعى والرافع والواضع ورفيع الدرجات والسلام والسيد والشاكر والصابر والصاحب والطيب والطاهر والعدل والعلى والغالب والعفو والغنى والقائم والقريب والماجد والمعطى والناسخ والناشر والوفى وحم ونون .

باب

باختصاصه صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه الشريف الشهير من اسم الله تعالى

قال حسان بن ثابت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

أَغَرُّ عليه للنبوة خاتَمُ ... من الله من نورٍ يلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الإله اسْمَ النبى إلى اسْمِه ... إذا قال فى الخمس الْمُؤَذِّنُ أشهد
وشق له من إسمه ليُجِلَّه ... فذوالعرش محمود وهذا محمد(٢)

---

(١) وكذلك حال هذه الأسماء التى وقع عليها المؤلف لايخرج معظمها عن واحد من هذين الأمرين، فهو إما مشترك بينه وبين غيره ، وإما مختص بالله لايطلق على غيره، فالأحد والأصدق كلاهما وصف الله المختص به ، وكذلك الأعلى والباطن والبر والحافظ والحفيظ والحسيب والرافع والواضع والسلام والعدل والعلى والغفور والغنى والقريب والمعطى . وأما حم ، ن فهما من فواتح السور فليستا من أسماء الله ولا من أسماء نبيه ، ولست أدرى ما الذى يدعو إلى هذا الغلو الذى أفضى بمن قبلنا إلى الوقوع فى حمأة الشرك ، والذى نهانا عنه هو صلى الله عليه وسلم حيث قال : « لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» .

(٢) الزعم بأن محمداً مشتق من محمود جهل باللغة ، فإن كلاهما اسم مشتق من المصدر وهو الحمد ، على أن محمداً كما قلنا أبلغ من محمود لأن هذا من الثلاثى وذلك من المضعف وذلك بالنسبة للمخلوق ، وأما الله عز وجل فله الحمد المطلق الذاتى ، فالحمد كله ثابت له سواء حمده الخلق أم لم يحمدوه .

وأخرج البيهقى وابن عساكر من طريق سفيان بن عيينة عن على بن زيد ابن جُدْعان قال : اجْتَمعُوا فتَذَاكَرُوا أىُّ بيْتٍ أحْسَنُ فيما قالته العرب ؟ قالوا قوله : وشَقَّ له من اسمه البيت .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : «لما ولد النبى صلى الله عليه وسلم عَقَّ[1] عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمداً فقيل له : يا أبا الحارث ماحملك على أن سميته محمدا ولم تُسَمِّه باسم آبائه ؟ قال : أردت أن يحمده الله فى السماء ، ويحمده الناس فى الأرض » .

باب

ماظهر من الآيات عندقُدُومه صلى الله عليه وسلم مع أُمِّه المدينة لزيارة أخواله

أخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزُّهْرى وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، دَخَلَ حديثُ بعْضِهِم فى بعض قالوا : «لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سِتَّ سنين خرجت به أمه إلى أخْوَالِهِ[2] بنى عَدِىٍّ بن النجار بالمدينة ، تزورهم ومعه أمُّ أَيْمَنَ[3] ، فنزلت به فى دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت فى مُقَامِهِ ذلك ونظر إلى الدار فقال هاهنا نزلت بى أمى وأحْسَنْتُ العوم فى بئر بنى عَدِىّ بن النجار[4] ، وكان

---

(١) العقيقة هى الذبيحة عن المولود .

(٢) هم أخوال أبيه عبد الله ، فإن أمه منهم .

(٣) هى بركة الحبشية حاضنته ، وقد أسلمت وزوجها النبى صلى الله عليه وسلم من مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد ، وكان النبى عليه السلام يقول « لها أنت أمى بعد أمى » .

(٤) لانظن أن البئر مهما اتسعت تصلح أن تكون مجالا للسباحة .

قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه[1] . قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول هو نبى هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به إلى مكة ، فلما كانت بالأبواء[2] تُوُفِّيَتْ » .

وأخرج أبو نُعَيْم من طريق الواقدى عن شيوخه مثله . وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى رجل من اليهود يَخْتَلِفُ ينظر إلى فقال لى ياغلام : ما اسْمُكَ؟ قلت أحمد : ونظر إلى ظَهْرِى فأسْمَعُه يقول: هذا نبى هذه الأمة ، ثم راح إلى أخْوَالى فأخبرهم فأخبروا أُمِّى فخافت عَلَىّ وخرجنا من المدينة وكانت أم أيمن تحدث تقول :أتانى رجلان من يهود يوماً نصف النهار بالمدينة ، فقالا : أَخْرِجِى لنا أحمد ، فأخرجته فنظرا إليه وَقَلَّبَاه مَلِيًّا ، ثم قال أحدهما لصاحبه هذا نبى هذه الأمة ، وهذه دار هجرته وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبى أمْرٌ عظيم . قالت أم أيمن : ووعيت ذلك كله من كلامهما .

باب ماوقع عند وفاة أمه صلى الله عليه وسلم من الآيات

أخرج أبو نعيم من طريق الزهرى عن أمِّ سمَاعَةَ بنت أبى رُهْم عن أُمِّها قالت « شَهِدْت آمنة أمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عِلتها التى ماتت فيها[3] ، ومحمد غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ، ثم قالت :

---

(١) يبعد أن يلتفت اليهود إلى غلام صغير فى حجر أمه يقيم عند قوم وثليين فى زيارة قصيرة .

(٢) مكان بين مكة والمدينة وقد ورد أنه عليه السلام زار قبر أمه بعد النبوة فبكى وأبكى من حوله ثم قال « استأذنت ربى أن أزور قبر أمى فأذن لى واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لى فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة » رواه مسلم .

(٣) المعروف أن آمنة توفيت بالأبواء عند عودتها من المدينة ، وأنه لم يكن معها إلا طفلها وحاضنته أم أيمن .

بارك فيك الله من غلام يا ابن الذى من حَوْمَةِ الحِمَام[1]
نجا بعون الملك المِنْعَام فُودِيَ غَدَاة الضَّرْبِ بالسهام[2]
بمائة من إبِل سَــوَّام إن صَحَّ ما أبصرتُ فى المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذى الجلال والإكرام
تُبْعَثُ فى الحل وفى الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البَرِّ إبْرَاهَام فالله أَنْهَاكَ عن الأصنام[3]

* أن لاتُوَالِيَهَا مع الأقوام *

ثم قالت : كل حى مَيِّتٌ ، وكل جديد بَالٍ ، وكل كبير يفْنَى ، وأنا ميتة وذِكْرِى باق ، وقد تركت خَيْرًا ، وولدت طُهْرًا . ثم ماتت : فكنا نسمع نَوْحَ الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاةَ الْبرَّةَ الأمينة ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة أم نبى الله ذى السكينة
وصاحب المِنْبَرِ بالمدينة صارت لدى حُفْرَتِهَا رَهِينَة[4]

---

(١) من ساحة الموت .

(٢) يعنى فداه أبوه بمائة من الإبل حين أقرع بينه وبينها فخرجت القرعة عليها .

(٣) هل يعقل أن آمنة التى شبت على عبادة الأصنام وتعظيمها تنهى طفلها عن موالاة الأصنام وعبادتها ؟ كل ذلك شاهد صدق على أن هذا شعر محدث مفتعل من وضع القصاص الكذابين ليستثيروا به عواطف العامة ، ويستدروا به ما فى الجيوب .

(٤) ما الذى أدرى الجن أن آمنة أم نبى الله وهو لم ينبأ إلا بعد موتها بنحو خمس وثلاثين سنة . وما الذى أدراهم أن ذلك النبى سيكون له منبر بالمدينة ، وهو لم يتخذ المنبر إلا بعد زمن من الهجرة ، وكان قبله يخطب على جذع ؛ ولكن الكذب لابد أن يفتضح .

باب

استسقاء أهل مكة بجَدِّه صلى الله عليه وسلم وهو معه ، وسقياهم وما ظهر فيه من الآيات

أخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر من طرق عن مخرَمَة بْنِ نوْفَل عن أُمِّه رقيقة بنت صيْفِي وكانت لِدَةَ[1] عبد المطلب قالت « تتابعت على قريش سِنُون جدبه أقحلت الجلد وأدقت العظم[2] فبينا أنا نائمة أو مهومة[3] إذا هاتف يصرخ بصوت صَحْلٍ[4] يقول : يامعشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظَلَّكُم أيامه، وهذا إبَّانُ مَخْرَجه[5] فحيَّ هلاً بالحياء والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وَسيطا عُظَاماً جُساماً ، أبيض بضًا ، أوْطَفَ الأهداب ، سهل الخدين ، أشَمَّ العرنين، له فخر يكظم عليه ، وسنة يهدى إليه فَلْيَخْلُص هو وَوُلْدِه وَوُلْدُ وُلْدِه ، وليهبط إليه من كل بَطْن رجل ، فَلْيَشِنُّوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن وليطوفوا بالبيت سبعا ، ثم ليرتقوا أبا قُبَيْس فليستسق الرجل ولْيُؤَمِّنَ القوم ، فغِثْتُم ماشئتم إذاً قالت : فأصبحتُ مذعورة قد اقْشَعَر جلْدِي وَوَلِهِ عقلي، واقْتَصَصْت رؤياى، فقمت فى شِعَاب مكة فما بقى بها أبْطَحِيٌّ، إلا قالوا: هذا شَيْبَة الحَمْدِ، وتتامَّتْ إليه رِجَالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل ، فَشَنُّوا من الماء ومَسُّوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارْتَقَوْا أبا قُبَيس، حتى إذا استووا بذِرْوةِ الجبل، قام عبد المطلب ومعه رسول الله

---

(١) لدة الرجل من يولد معه فى عام واحد والجمع : لدات .

(٢) يعنى أيبست الجلد ورققت العظم وأوهنته .

(٣) يقال هوم تهويما أى خفق رأسه إذا نعس وهو النوم الخفيف .

(٤) يقال صحل الصوت صحلا من باب تعب إذا بح وخشن ، فهو صحل وأصحل .

(٥) أى زمان خروجه .

صلى الله عليه وسلم غلام قد أيفَعَ أوْ كَرَبَ ، فقال عبد المطلب : اللهم سادَّ الخَلةِ(١) وكاشف الـكربة . أنت عالم غير مُعَلَّم . ومسئول غير مُبَخَّل . وهذه عُبدَاؤُكَ وإماؤُكَ بِعذِرات(٢) حرمك يعنى أفنية حرمك يشكون إليك سنَتَهُم أذْهَبت الخُف والظِّلف(٣) اللهم فأمطرن غيثا مغدقا ومريعا(٤) فما راموا(٥) حتى انفجرت السماء بمائها وألظَّ الوادى بِثَجيجِه فَلَسَمِعْتُ شِيخانَ قريش يقولون لعبد المطلب هنيئاً أبا البطحاء هنيئاً أى عاش بك أهل البطحاء . وفى ذلك تقول رُقَيقَةِ :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا لمـــا فقدنا الحيا واجلوَّذَ المطر(٦)

فجاد بالماء جوْنِيٌّ له سبَلٌ سحًّا فعاشت به الأنعام والشجر

مَنًّا من الله بالميمون طائرُهُ وَخيْرُ مَنْ بشَّرَتْ يوما به مُضر

مبارك الأمر يُسْتَسْقى الغمام به مافى الأنام له عِدْلٌ ولاخطرُ(٧)

رُقَيقة بضم الراء : ولدة الرجل ترْبه. وأقْحَلت بقاف وحاء مهملةأيبَسَت. ومحل بمهملتين ولام فيه بحَّة . وإبان الشىء بالكسر والتشديد وقته . وفلان وسيط فى قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلا . وعُظاماً بضم العين بمعنى عظيم . وجساماً بضم الجيم بمعنى جسيم . وبضا بموحدة وضاد معجمة رقيق الجلد ممتلئا . والوطَفُ : كثرة شعر العين والحاجبين. وتتامَّ القوم: جاءوا كلهم وتموا

---

(١) أى مزيل الفقر والحاجة .

(٢) جمع عذرة وهى فناء الدار .

(٣) يعنى ذوات الأخفاف وهى الأبل والأظلاف وهى الغنم .

(٤) يعنى كثيراً مخصباً .

(٥) أى انتقلوا من مكانهم يقال : رام يريم .

(٦) الحيا للطر وأجلوذ يعنى غاب وذهب .

(٧) العدل النظير .والخطر القدر والشرف .

العذرة : فناء الدار . والمِلْطَاط : حافَّةُ الوادى وساحل البحر . والسَّبلُ بالتحريك المطر . وعِذْل بكسر العين .

باب

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب فى حاجة لجدِّه إلا أنْجَحَ فيها[1]

أخرج البخارى فى تاريخه وابن سعد وأبو يعلى والطبرانى وابن عدى والحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم وابن منده من طريق كَنْدِير بن سعيد عن أبيه قال : حججت فى الجاهلية فرأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول :

رد إلى راكبي محمداً يارب رُدَّه واصطنع عندى يَدَا

قلت : من هذا ؟ قالوا عبدالمطلب بعثَ بابن له فى طلب إبل له ولم يبعثه فى حاجة قط إلا أنجح فيها ، وقد أبطأ عليه فلم يلبث حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم والإبل .

وأخرج البيهقى وابن عدى عن بَهْزِ بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حَيْدة قال: خرج حَيْدةُ بن معاوية فى الجاهلية معتمراً فإذا هو بشيخ يطوف ويقول :

رد إلى راكبي محمداً يارب رده واصطنع عندى يداً

قلت: من هذا ؟ قالوا : سيد قريش عبدالمطلب له إبل كثيرة ، فإذا ضل منها شىء بعثَ فيها بنيه يطلبونها، فإذا أعْيي بنُوهُ بعث ابن ابْنِهِ ،وقد بعثه فى ضالة أعيي عنها بنوه ، وقد احْتَبس عنه فما بَرِحْتُ حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم وجاء بالإبل[2].

---

(١) يقال: أنجح الرجل إذا صار ذا نجاح ، وأنجح الله حاجته قضاها ، وأنجحت حاجته قضيت فهو منجح ، والجمع مناجح ومناجيح .

(٢) هل يعقل أن يبعث عبدالمطلب طفلا فى السادسة ليبحث عن إبله فى المتاهات والمفاوز ، وهو الذى كان حريصا عليه أشد الحرص .

باب معرفة عبد المطلب بشأن النبي صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نُعَيم من طريقه قال : حدثنى العباس بن عبدالله بن مَعْبدعن بعض أهله قال : كان يُوضَعُ لعبد المطلب فِرَاشٌ فى ظل الكعبة و كان لايجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يُؤَخرونه فيقول جدُّه دعوا ابنى فيمسح على ظهره ويقول : إن لابنى هذا لشأنا ، فتُوُفى عبد المطلب والنبى صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين[١] وأوصى به أبا طالب .

وأخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس مثله وزاد دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشىْء وأرجو أنه يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن الزهرى ومجاهد ونافع بن جبَيْر قالوا : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس على فِرَاش جده فيذهب أعمامه ليؤخروه فيقول :عبد المطلب دعوا ابنى إنه لَيُؤْنس[٢] ملكا . قال قوم من بنى مُدْلج[٣] لعبد المطلب احتفظ به فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم التى فى المقام منه . وقال عبد المطلب لأم أيمن يابركة لاتغفُلى عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نَبِىُّ هذه الأمة[٤] .

---

(١) فتكون كفالة جده له نحوا من سنتين

(٢) يقال آنس الشىء يؤنسه بمعنى أبصره ومعنى يؤنس ملكا يحس من نفسه زعامته .

(٣) بطن من كنانة من بنى عبد مناة وكانوا مشهورين بالقيافة .

(٤) ما نظن أن هؤلاء الجاهليين كان بينهم حديث عن النبوة أصلا بل كانوا فى غفلة من هذه الأمور ولهذا عجبوا أشد العجب حين جاءهم الإسلام .

وأخرج أبو نعيم من طريق الوَاقدِى عن شيوخه ، قالوا : بينا عبد المطلب يوماً فى الحِجْر ، وعنده أسقُف نجْرَان ، وكان صديقاً له وهو يحادثه ، ويقول : إنا نجد صفة نبىّ بقى من وُلْد إسمعيل ، هذا البلد مولده من صفته كذا وكذا ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره ، وإلى قدميه ، فقال : هو هذا ،ماهذا منك ؟ قال ابنى ، قال الأسقف : لا مانجد أباه حياً قال هو ابن ابنى ، وقد مات أبوه وأمه حُبْلَى به . قال : صدقت ، قال عبد المطلب لبنيه : تحفَّظُوا بابن أخيكم ألا تسمعون مايقالُ فيه [١] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عَفِير بن زُرْعة بن سيْف ابن ذِى يَزَنٍ عن أبيه قال: «لما ظهر سيْفُ ابنُ ذى يزنٍ على الحبشة [٢] وذلك بعد مولده صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب لتهنِّيه ، وأتاه وفْدُ قريش منهم عبد المطلب . فقال له سيف : ياعبد المطلب إنى مُفْضٍ إليك من سر عِلمِى أمراً لو غيْرُكَ يكون لم أبُحْ له به [٣] ولكنى رأيتك مَعْدِنه فأطلعتك طِلعه [٤] ، فليكن عندكَ مَخْبِيًّا [٥] حتى يأذن الله فيه إنى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم

---

(١) ما الذى يجمع بين رجل من عبدة الأوثان وبين رجل نصرانى وهو أسقف نجران ؟ وإذا كان أعمامه عليه السلام قد سمعوا مقالة الاسقف فيه ، ووصية أبيهم به ، فلماذا تخلف أكثرهم عن الدخول فى دينه لاسيما عمه أبو طالب الذى كان من أشد الناس حدباً عليه ، أيظن هؤلاء الرواة أن ليست لنا عقول ؟ .

(٢) وذلك بمعونة كسرى ملك الفرس ، حيث أرسل معه جيشاً طرد الأحباش واستعمل كسرى سيف بن ذى يزن على اليمن .

(٣) لم يكن سيف بن ذى يزن رجلا من أهل الكتاب ولا عنده علم بشىء مما هو موجود من البشارات فى التوراة أو الإنجيل ،فمن أين جاءه هذا العلم المخزون والسر المضنون ؟

(٤) يقال أطلعه طلع أمره : كشفه له .

(٥) مكتوما مستورا .

المخزون الذى ادَّخَرْناه لأنفُسِنا ، واحتجبناه دون غيرنا خيّراً عظيما ، وخطراً جسيما فيه شرَف الحياة ، وفضيلة الوَفَاة للناس عامة ، ولرهطك كافّةً ، ولك خاصة. فقال عبدالمطلب ماهو؟ قال إذا وُلِدَ بتهامة وَلَدٌ بين كتفيْه شامَةَ كانت له الإمامة ولكم به الزَّعامة إلى يوم القيامة . ثم قال هذا حِينُه الذى يولَدُ فيه أوقد وُلِدَ اسمه محمد يموت أبوه وأُمُّه ويكفله جده وعمه ، وقد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهارا ، وجاعل له منا أنصارا ، يعز بهم أولياءه ، ويذل بهم أعداءه ، ويصرف بهم الناس عن عَرَض ، ويستفتح بهم كرائِم أهل الأرض ، يعبد الرحمن[١] ، ويَدْحرُ الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل . يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، والبيت ذى الحجب[٢] والعلامات على النُّقُب[٣] ، إنك جده ياعبد المطلب غيرَ كَذِب . فهل أحْسَسْتَ بشىء مما ذكرت لك . قال نعم أيها الملك إنه كان لى ابن وكنت به مُعْجَباً وعليه رفيقا وإنى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام فسميته محمداً مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . فقال له سيف : إن الذى قلت لك كما قلت فاحفظه واحْذَرْ عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه[٤] لسرت بخَيْلى وَرَجلى

---

(١) لم يكن اسمه تعالى الرحمن معروفا فى الجاهلية ولهذا قال تعالى (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟) وفى صلح الحديبية لما أمر النبى عليه السلام عليا أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أمسك سهيل بن عمرو يده وقال : لانعرف رحمانا ولارحيما أكتب باسمك اللهم ولكنه الكذب والافتعال لابد أن يظهر فى خلال المقال .

(٢) يقسم بالكعبة ذات الأستار .

(٣) جمع نقاب وهو الطريق الوعر فى الجبل .

(٤) ومن أين علم سيف أن الموت سيجتاحه قبل بعثه والآجال غيب كما قال الله (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) .

حتى أُصَيِّرَ يثرب دار مُلْكى ، فإنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استِحْكَام أمره ، وأهْلَ نَصْرِه ، وموضِعَ قَبْرِه [١].

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : حدثنى شُيُوخٌ من قومى أنهم خرجوا عماراً وعبد المطلب يومئذ حَىٌّ بمكة ، ومعهم رجل من يهود تَيْماء صحبهم للتجارة يريد مكة أو اليمن، فنظر إلى عبد المطلب فقال : إنا نجد فى كتابنا الذى لم يُبَدَّلُ أنه يخرج من ضِئْضِىء هذا [٢] نبى يقتلنا وقومه قَتْلَ عادٍ .

وأخرج ابن سعد عن أبى حازم [٣] قال : قدم كاهن بمكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس سنين ، فنظر إليه الكاهن مع عبد المطلب فقال : يامعشر قريش اقتلوا هذا الصبى فإنه يقتلكم ويفرِّقكم فلم تَزَل قريش تَخْشَى من أمْرِه ما كان الكاهن حَذَّرَهُمْ .

باب ماظهر من الآيات وهو فى كفالة عمه أبى طالب

أخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال : كان بنو أبى طالب يصبحون غُمْصًا [٤] رُمْصاً ويصبح محمد

---

(١) وهكذا تمت تلك الأسطورة المسجوعة التى نمقها الوضاعون ، ليلبسوا بها على السذج وليس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى أن يتكلفوا له ذلك كله فهو أوضح من الشمس فى رائعة النهار .

(٢) الضؤضؤ والضئضىء الأصل والمعدن .

(٣) هو سلمة بن دينار مولى لبنى ليث بن بكر بن عبد مناة ، وكان أعرج وكان قاصا يقص فى مسجد المدينة ، توفى فى خلافة أبى جعفر بعد سنة أربعين ومائة .

(٤) جمع أغمص وهو من بعينيه غمص ، وهو وسخ أبيض يكون فى مجرى الدمع من العين ومثله الرمص .

صلى الله عليه وسلم صقيلا[1] دهيناً . قال : وكان أبو طالب يقرِّبُ إلى الصبيان بِصَحْفتهم فيجاسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهِبُ معهم فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حِدَة .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس ومن طريق مجاهد وغيره قالوا : « كان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان إذا أراد أن يُغَدِّيهم أو يعشِّيهم قال كما أنتم حتى يحضر ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فَيُفْضِلُون من طعامهم[2] وإن لم يكن معهم لم يشبعوا وإن كان لبناً شرب أوَّلَهُمْ ثم يتناول الْقَعْب[3] العيال فيشربون منه فيروون عن آخرهم من القعب الواحد وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده فيقول إنك لمبارَكْ وكان الصبيان يصبحون رُمْصاً شُعْثاً[4] ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهيناً كحيلا » .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدي حدثني محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أهله عن أم أيمن قالت « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعاً قط ولا عطشاً وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول لا أريد أنا شبعان » .

وأخرجه ابن سعد من وجه آخر عنها « وفيه لا صغيراً ولا كبيراً »

---

(١) أملس مجلواً .

(٢) أى يبقى من طعامهم فضلة .

(٣) إناء أو قدح يشرب فيه .

(٤) جمع أشعث وهو المتفرق الشعر وفى الحديث « الحج أشعث أغبر » .

وأخرج ابن سعد عن ابن القبطية قال : كان أبو طالب تُوضَع له وِسادَة بالبَطْحاء ، مَثْنِيَّةُ يتكىء عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فبسطها ثم استلقى عليها فجاء أبو طالب فأُخبِرَ فقال وَحِلٍّ[1] البطْحاءِ إن ابن أخي هذا لَيُحِسُّ بنعيم.

وأخرج مثله عن عمرو بن سعيد .

وأخرج الطبراني عن عمار قال : « كان أبو طالب يصنع الطعام لأهل مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل لم يجلس حتى يأخذ شيئاً فيضعه تحته فقال أبو طالب : إن ابن أخي ليحس بكرامة » .

باب

سفر النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام وما ظهر فيه من الآيات وإخبار بحيرا عنه

أخرج ابن أبي شَيبةَ والترمذي وحسَّنهُ والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم والخرائطي في الهواتف عن أبي موسى الأشعري[2] قال: خرج أبو طالب إلى الشام فخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت لهم ، فجعل يتخلَّلهُم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا سيِّدُ العالمين * هذا رسول رب العالمين * هذا يبعثه الله رحمة للعالمين * فقال له أشياخ قريش ما علمكَ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العَقَبة لم يَبْقَ

(١) الحل ضد الحرم والبطحاء مكة والواو للقسم والمراد بالحل النزيل .

(٢) هو عبد الله بن قيس من الأشعريين وأول مشاهده خيبر كان نحيف الجسم قصيراً حسن الصوت بالقرآن توفى سنة ثنتين وخمسين وقيل سنة أربع وأربعين وهو ابن نيف وستين .

بشجرة ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غُضْرُوف كتفه مثل التُّفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو فى رَعيَّة الإبل قال: أرسلوا إليه فأقْبلَ وعليه غمامة تُظِلُّه فقال انظروا إليه عليه غمامةتظله فلما دنا من القوم وجدهم قـد سبقوه إلى فىء[١] الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه قال انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لايذهبوا به إلى الروم[٢] فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بتسعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ماجاء بكم ؟ قالوا جئنا إلى هذا النبي الذى هو خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنا أُخبِرَنا خبرَه فَبُعِثْنَا إلى طريقك هذا قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه ؟ قالوا لا قال فَبَايَعوه وأقاموا معه فأتاهم فقال أيكم وليُّه ؟ قالوا أبو طالب فلم يزل يناشِدُه حتى رده وبعثَ معه أبو بكْر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت قال البيهقى هذه القصة مشهورة[٣] عند أهل المغازى . قلت : ولها شواهد عدة سأوردها تقضى بصحتها[٤] إلا أن الذهبى ضعف الحديث لقوله فى آخره وبعث معه أبو بكر بلالا فإن أبا بكر لم يكن إذ ذاك متأهِّلا ولا اشترى بلالا[٥] وقد قال ابن حجر فى الإصابة الحديث

---

(١) الفىء الظل سمى بذلك لأنه يفىء أى يرجع من ناحية إلى أخرى .

(٢) هم قوم قيصر ويلقبون ببنى الأصفر .

(٣) بل المشهور المحفوظ رواية ابن اسحق التى أوردها عن البيهقى فهى أصح وأضبط ، وليس فيها من النكارات والغرائب مافى هذه الرواية .

(٤) إنما تقضى الشواهد بصحة ما يتفق معها من أحداث هذه القصة وأما مافيها من الزيادات فليس هناك ما يشهد له .

(٥) وصدق الذهبى فإن أبا بكر كان عمره إذ ذاك نحوا من عشر سنين و هل بلالا لم يكن قد ولد بعد .

رجاله ثقات ، وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة[١] فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وَهْماً من أحد رُوَاته .

وأخرج البيهقى عن ابن إسحاق قال كان أبو طالب هو الذى يَلِى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدِّه فخرج فى رَكْب من الناس إلى الشام وخرج به معه فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له (بحيرا) فى صومعة له وكان أعلَمَ أهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصَّومعة قَطُّ راهب إليه يصير علمهم[٢] عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يَعْرِضُ لهم حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شىء رآه وهو فى صومعته فى الركْب حين أقبلوا وغمامة بيضاء تُظِلُّه من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتَهَصَّرَت[٣] أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رآى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال إنى قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش وأنا أحب أن تحضروا

---

(١) لا بل هناك كثير غيرها مثل قوله فى وجه الركب هذا سيد العالمين الخ ولما سألوه ما علمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له فكيف لاحظ ذلك الراهب من صومعته ولم يلاحظه القوم وهم فى معيته ؟ وقوله لهم حين أقبل انظروا كيف تظله الغمامة؟ وقوله انظروا كيف مالت الشجرة بأغصانها عليه فكيف يرى القوم هذه الآيات الصارخة ولا يتحدثون بها بعد عودتهم إلى مكة وراوى الحديث وهو أبو موسى الأشعرى من أهل اليمن ولم يسلم إلا سنة ثمان من الهجرة .

(٢) أى لم يزل يكون فى هذه الصومعة راهب ينتهى إليه علم النصرانية .

(٣) يعنى امتدت ومالت .

كلكم صغيركم وكبيركم وحُرُّكم وعَبدُكم ، فقال له رجل منهم يابحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى،وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ فقال بحيرا: صدقتَ ، قد كان ماتقول ولكنكم ضيفٌ ،وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم، فاجتمعوا إليه وتخلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثَة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، فقال :يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا ، قالوا له : يابحيرا ماتخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام هو أَحدثُ القوم سِنًّا ، تخلف فى رحالهم ، قال :فلا تفعلوا أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش مع القوم واللَّات والعُزَّى، إن هذا لَلُؤْم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ، قال : ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يَلحظُه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده فى صفته حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ،قام بحيرا فقال له : ياغلام أسألك باللات والعزى ، إلاَّ ماأخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرا ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: له لا تسألنى باللات والعزى شيئا ،فو الله ماأبغضت بُغضَهما شيئا ، فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال سلنى عما بَدَالك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته ، وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فوافق ذلك ماعند بحيرًا من صفته، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده .

قال فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب ، فقال له :ماهذا الغلام منك ؟

فقال ابنى فقال له بحيرا : ماهو بابنك وماينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال له :فإنه ابن أخى،قال :فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ،قال : صدقت

ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ماعرفت لَيَبْغُنَّه[١] شراً ، فإنه كائن لإبن أحيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيراً وتمَّاماً ودرِيساً وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك السَّفَر الذى كان فيه مع عَمِّه أبى طالب أشياء فأرادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله ومايجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه[٢] حتى عرفوا ماقال لهم وصدَّقوه بما قال : فتركوه وانصرفوا وقال أبو طالب فى ذلك أبياتاً منها :

فما رجعوا حتى رأوْا من محمد ... أحاديث تجلو غمَّ كل فؤاد[٣]

وحتى رأوا أخبارَ كل مدينة ... سجوداً له من عُصبةٍ وفُرَادِ

زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً ... دريساً وهُمُّوا كلهم بفساد

فقال لهم قولا بحيرا وأيقنوا ... له بعد تكذيب وطول بعاد

كما قال للرهط الذين تهوَّدوا ... وجاهدهم فى الله كلَّ جهاد

فقال ولم يترك له النُّصح رُدَّهُ ... فإن له أرصادَ كلِّ مُصاد

فإنى أخاف الحاسدين وإنه ... لفى الكتب مكتوب بكل مِدادٍ[٤]

---

(١) يقصدن به أذى ، يعنى يقتلونه .

(٢) يعنى أنهم إن عزموا على تنفيذ ما أرادوا من قتله لم يستطيعوا الوصول إليه لأن الله لم يكن ليسلطهم عليه .

(٣) تذيله وتذهبه .

(٤) لا ندرى ما مدى صحة نسبة هذا إلى أبى طالب ولكن يبدو والله أعلم أنه شعر محدث مأخوذ من فحوى القصة .

وأخرج أبو نُعيم عن الواقدى عن شيوخه مثْلَه ،وفيه وجعل ينظر إلى الحمرة فى عينيه، ثم قال لقومه: أخبرونى عن هذه الحمرة تأتى وتذهب أولا تفارقه؟ قالوا : ماراَيناها ، فارقته قط ، وسأله عن نومه فقال : تنام عيناى ولا ينام قلبى[1] وفيه بعد قوله كأن لابن أخيك ، هذا شأن نجده فى كتبنا وماورثنا من آبائنا ، وقد أخذ علينا مواثيق قال أبو طالب : من أخذ عليكم المواثيق ؟ قال الله أخذ علينا نزل به عيسى ابن مريم .

وأخرج ابن سعد مثله بطوله عن داود بن الحصين وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ابن ثنتى عشرة سنة » .

وأخرج أبو نعيم عن على قال « خرج أبو طالب فى تجارة إلى الشام فى نَفَر من قُرَيش وأخذ معه النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أشرفوا على بحِيرا الراهب فى وقت قيْظ وحرٍّ رفع الراهب بصره فإذا غمامة تُظِل النبى صلى الله عليه وسلم من بين من معه من الشمس فصنع بحيرا طعاماً ودعاهم إلى صومعته فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم الصومعة أشرقت الصومعة نوراً[2] » فقال بحيراً : « هذا نبى الله الذى يُرْسله من العرب إلى الناس كافة » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عبدالله بن محمد بن عقيل « قال سار أبو طالب إلى الشام والنبى صلى الله عليه وسلم معه ، فنزلوا على صاحب ديرٍ[3]

(١) هذا أمر حصل بعد النبوة ونزول الوحى عليه .

(٢) كل مافيه وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنور الحسى كذب وغلو ممقوت بل إنما هو نور فى الهداية والبيان ولقد ورد فى الصحيح عن عائشة « أنها فقدت رسول الله ذات ليلة فخرجت تبحث عنه فى ظلمة الليل حتى وقعت يدها على قدمه وهو ساجد وهى لاتراه » فلو كان كما يزعم هؤلاء الغلاة نوراً حسياً لأضاء المسجد فرأته عائشة .

(٣) الدير فى الأصل دار الصلاة والتنسك للرهبان وكان الشرق الأدنى آهلا بالأديرة منذ أوائل النصرانية إلى ما بعد الفتح الإسلامى

فقال صاحب الدير : ماهذا الغلام منك ؟ قال ابنى قال ماهو بابنك ولاينبغى أنه يكون له أب حى قال ولم؟ قال لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبى قال وماالنبى ؟ قال الذى يوحى إليه من السماء فينبىء به أهل الأرض قال الله أجل مما تقول قال فاتّقِ عليه اليهود ، قال : ثم خرج حتى نزل براهب أيضاً صاحب دير ه فقال :ماهذا الغلام منكقال ابنىقالماهو بابنك: وماينبغىأن يكون له أب حى قال ولم ذلك قال لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبى قال سبحان الله . الله أجل مما تقول قال يا ابن أخى ألا تسمع مايقولون ؟ قال : أى عمِّ لاتنكر لله قُدْرة[١]

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبْزَى قال : قال الراهب لأبى طالب لاتخرجن بابن أخيك إلى ماهاهنا فإن يهود أهْلُ عَداوة وهذا نبى هذه الأمة وهو من العرب ويهود تحسده تريد أن يكون من بنى إسرائيل فاحذر على ابن أخيك[٢] .

وأخرج ابن سعد و بن عساكر عنأبى مِجْلز[٣]أنَّ أبا طالب سافر إلى الشام وأخذ معه النبى صلى الله عليه وسلم فنزل منزلا فأتاه فيه راهب فقال إن فيكم رجلا صالحا ثم قال أين وَلِيُّ هذا الغلام ؟ قال أبو طالب ها أنا ذا قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسَّدٌ وإنى أخشاهم عليهفردَّه[٤]

---

(١) لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه إلى الشام إلا مرة واحدة وهى التى لقى فيها بحيرا الراهب فهذه الأخبار التى يرويها المؤلف مهما اختلفت إنما تعود إلى وصف تلك الرحلة وإلا فهى كذب وهراء .

(٢) لا شك أن المراد بالراهب هنا هو بحيرا.

(٣) هو لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان نزل خراسان وعقب بها وتوفى فى خلافة عمر بن عبدالعزيز قبل وفاة الحسن البصرى وكان عاملا على بيت المال وعلى ضرب السكة .

(٤) اختلفت الروايات فى ذلك فبعضها يقول إن أبا طالب رجع بابن أخيه ولم يتم رحلته و بعضها يقول إنه أرسله مع بعض من كان معه من عشيرته .

وأخرج ابن مندة بسند ضعيف عن ابن عباس أن أبا بكر الصديق صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام فى تجارة حتى إذا نزل منزلا فيه سدرة[1] قعد فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له : من الرجل الذى فى ظل الشجرة ؟ قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال : هذا والله نبي ما استَظَلَّ تحتها بعد عيسى ابن مريم إلا محمد ووقع فى قلب أبى بكر الصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه . قال ابن حجر فى (الإصابة) إن صحَّتْ هذه القصة فهى سفرةٌ أخرى بعد سفْرَة أبى طالب[2] .

باب استسقاء أبى طالب به صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن جَلْهمة بن عَرْفطة قال : قدمت مكة وهم فى قحط ، فقالت قريش يا أبا طالب أقْحَط الوادى وأجْدب العيال فهلُمَّ واستسْقِ وخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنٍ[3] تجلت عنه سحابة قتماء[4] وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه الغلام وما فى

---

(١) هى شجرة النبق وجمعها سدر .

(٢) هذه قصة غير صحيحة ولم يسافر النبي صلى الله عليه وسلم الشام إلا مرتين مرة مع عمه وعمره اثنتا عشر سنة ومرة حين سافر بتجارة خديجة إلى بصرى وكان عمره خمسا وعشرين سنة .

وهل من المعقول أن تكون سدرة فى الطريق ثم لايأوى إليها أحد بعد عيسى إلا محمداً ثم هل من المعقول أن تعيش شجرة ما يقرب من ستمائة سنة ؟

(٣) الدجن : المطر الكثير والغيم المطبق : يقال يوم دجن ويوم دجن إذا كان كثير المطر .

(٤) سوداء مغبرة .

السماء قَزَعةٌ[1] فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا ، وأغدق وأغدودق وانفجر له الوادى وأخصب البادى والنادى ففى ذلك يقول أبو طالب .

وأبيَض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالَ[2] اليتامى عِصْمة لِلأَرامل
يلوذ به الهلاّكُ من آل هاشم فهم عنده فى نعمَةٍ وفواضِل

باب

أخرج أبو نعيم من طريق ابن عونٍ عن عمْرو بن سعيد قال : جاء يهود إلى أبى طالب يشترون منه متاعاً فدخل عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام فلما بصرُوا به تركُوا ما كانوا فيه وخرجُوا هاربين فقال أبو طالب لرجل عنده إذهب فعارِضْهُمْ من موضع كذا وكذا فإذا لقوك فاضرب بإحدى يديك على الأخرى وقل رأيتُ العجَبَ كلَّ العَجب وانظر ماذا يرُدُّون عليك فذهب ففعل ذلك فقال اليهود وأىَّ عجب رأيت ؟ قد رأينا نحن أعجب مما رأيت قال وأى شىء رأيتم ؟ قالوا رأينا الساعة محمداً يمشى على وجه الأرض[3] .

باب

أخرج ابن عساكر عن أبى الزِّناد «قال اصطرع أبو طالب وأبو لهَب فصرع أبو لهب أباطالب وجلس على صدره فمدَّ النبى صلى الله عليه وسلم بذُؤابة أبى لهب والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غلام ، فقال له أبو لهب . أنا عمك وهو عمك .

---

(١) القزع قطع من السحاب صغار متفرقة .
(٢) ثمال القوم غياثهم الذى يقوم بأمرهم .
(٣) يظهر أن واضع هـذه القصة لم يكن خبيراً بفن اختراع القصص ، ولهذا جاءت أكذوبته سمجة .

فلم أعنته على؟ قال لأنه أحبُّ إلىَّ منك، فمن يومئذ عادى أبو لهب النبى صلى الله عليه وسلم واختبأ له هذا الـكلام فى نفسه[١] .

باب

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى ، أن أباطالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب ،فقـال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ، وما اتبعتم أمره فـاتبعوه وأعينُوه ترشُدوا[٢]

وأخرج مسلم عن العباس بن عبد المطاب قال قلت يارسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشىء فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : نعم ، هو فى ضحضاح من النار ولولا أنا لـكان فى الدرك الأسفل من النار[٣] .

وقال ابن سعد أنبأنا عفَّان بن مسلم حدثنا حمَّاد بن سلمة عن ثابت البُنَانى عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العباس : يارسول الله أترجو لأبى طالب ؟ قال : كلُّ الخير أرْجو من رَبى . أخرجه ابن عساكر .

وأُخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه

---

(١) وهذه حكاية أسمج من سابقتها فإن أبا طالب انتهت إليه رياسة بنى هاشم بعد أبيه ، فلا يعقل أن يسىء إليه أحد أخوته بكلمة نابية فضلا عن أن يصرعه ويجثم على صدره كما لا يعقل أن يعين النبى أحد أعمامه على الآخر ، فإن النظام القبلى يقوم أساسا على احترام الأصغر الاكبر .

(٢) الذى فى الصحيح أن أبا طالب لما حضرته الوفاة قعد النبى صلى الله عليه وسلم عند رأسه وعرض عليه الإسلام وقال له : ياعم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، وكان عنده رجلان من المشركين ، فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فكان آخر كلمة قالها : هو على ملة عبد المطلب ، فكيف يرغب هو عن الاسلام ثم يدعو غيره إلى اتباعه ؟

(٣) وورد فى بعض الروايات أنه يلبس نعلين من نار يغلى منهما دماغه .

يقول إن لأبى طالب عندى رِحماً سأَبلُّها ببِلالِها(١) .

وأخرج تمام فى فوائده وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة شفعْتُ لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخٍ لى كان فى الجاهلية » قال تمام فى إسناده الوليدبن سلمة منكر الحديث(٢) .

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « شفعتُ فى هؤلاء النفر فى أبى وعمى أبى طالب وأخى من الرضاعة يعنى ابن سعْدِية ليكونوا من بعد البعث هَبَاء »(٣) وقال الخطيب فى إسناده خطَّاب بن عَبد الدئم الأرسوفى وهو ضعيف يعرف بروايةِ المناكير عن يحيى بن المبارك الصَّنعانى ، وهو مجهول عن منصور بن المعتمر ، عن ليث بن أبى سُليم ومنصور لا يروى عن ليث وليث فيه ضعف .

باب

أخرج ابن عساكر من طريق الحسن بن عِمارَة عن رجال سماهم أن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ذهبا إلى قبر أبى طالب ليستغفرا له فأنزل الله

---

(١) لفظ الحديث عند أحمد وغيره « إن آل فلان ليسوا بأوليائى ولكن أوليائى المتقون إلا أن لهم رحما سأبلها ببلالها » دون ذكر أبى طالب .

(٢) وهو حديث ينادى على نفسه بالسقوط فإن الشفاعة لا تكون لمشرك كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) .

وشفاعته عليه السلام لعمه إنما هو فى تخفيف العذاب عنه لا فى الخروج من النار .

(٣) كيف طوعت للمؤلف نفسه أن يروى مثل هذا الحديث الذى يهدم قاعدة الجزاء وينافى عدل الله عز وجل وحكمته والله عز وجل يقول (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقد علم من الدين بالضرورة أن كل واحد من بنى آدم مجزى بعمله ، فإما فى الجنة أو فى النار .

﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية . فاشتد على النبى صلى الله عليه وسلم موت أبى طالب على الكفر فأنزل الله تعالى(إنك لا تهدى من أحببت) يعنى به أبا طالب ولكن الله يهدى من يشاء ، يعنى به العباس بن عبد المطلب هذا مكان أبى طالب عوضا للنبى صلى الله عليه وسلم من أبى طالب ، وكان العباس أحب عمومة النبى صلى الله عليه وسلم بعد أبى طالب إليه[١] .

باب

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن جعفر قال « لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تُرَابًا فأتته امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكى فجعل يقول أى بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك »[٢] .

باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بحفظ الله إياه فى شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزار[٣] فقال له العباس عمه يا ابن أخى لو حللت

---

(١) بل كان حمزة أسد الله وأسد رسوله أحب إليه من العباس ، وقد حزن عليه حين قتل بأحد حزنا لم يحزنه على أحد قط فإنه كان من السابقين الأولين والعباس لم يسلم إلا قبيل الفتح .

(٢) الذى فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند الكعبة فقال أبو جهل : من منكم يأتى بسلا جزور بنى فلان فيطرحه على محمد وهو ساجد فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبى معيط فأتى بسلا الجزور وطرحه على ظهر النبى وهو ساجد فظل النبى ساجداً حتى أتت فاطمة ابنته فرفعته وأقبلت على القوم تسبهم وهى تبكى فقال لها النبى عليه السلام ذلك .

(٣) هو ما يلف على النصف الأسفل من الجسم .

إزارك فجعلته على منكبيك يقيك الحجارة ، فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيًّا عليه فمارؤى بعد ذلك اليوم عُرْيانًا » .

وأخرج الشيخان عن جابر قال « لما بُنِيت الكعبة[١] ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم « اجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة، ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : إزارى فَشُدَّ عليه إزارُه » .

وأخرج البيهقى وأبو نُعَيم عن العباس قال« كنت أنا وابنُ أخى نحمل على رقابنا وأُزُرُنا تحت الحجارة فإذا غشِينا الناس أتَّزَرْنا فبينا ، أنا أمشى ومحمد صلى الله عليه وسلم أمامى فخر فجئت أبتغى، وهو ينظر إلى السماء ، فقلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره وقال : نُهيتُ أن أمْشى عُرْيانًا فكنت أكتمها الناس مخافة أن يقولون مجنون »[٢] .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم عن أبى الطفيل قال « لما بنت قريش الكعبة نقلوا الحجارة من أجْيَاد الضواحى فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلها إذ انكشفت عورته فنودى يامحمد عورَتك فذلك أوَّل مانودىَ فما رؤيت له عوْرَةٌ بعدُ ولا قبل » .

وأخرج ابن سعد وابن عدى والحاكم وصححه وأبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « كان أبوطالب يعالج زمزم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ إزاره واتقى به الحجارة فغشى عايه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال: أتانى آت عليه ثياب بيض فقال لى استتر فكان أول شىء رأى

---

(١) كان قد جاء سيل فهدمها فقامت قريش بتجديد بنائها

(٢) يعنى أن العباس كان يكتم مقالة النبى صلى الله عليه وسلم وهى قوله « نهيت أن أمشى عريانا مخافة أن يتهمه الناس بالجنون »

رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة أنْ قيل له : استتر وهو غلام[١] قال « فما رؤيت عورته من يومئذ » .

وأخرج ابن سعد عن عائشة قالت : مارأيت ذاك من رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

وأخرج ابن راهويه فى مسنده وابن إسحاق والبزار والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر عن على بن أبى طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما هَمَمْت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمُّون به من النساء[٣] إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله منهما ، قلت ليلة لبعض فِتْيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبى أبصِرْ لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمُرَ بها كما يسمُرُ الفتيان فقال: بلى ، فدخلت حتى إذا جئتُ أول دار من دُور مكة سمعت عزْفا بالْغرَابيل والمزامير ، قلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظُرُ وضرب الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلا مَسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى ، فقال ما فعلتَ؟ قلت : مافعلتُ شيئا ثم أخبرته بالذى رأيت ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ففعل فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى ، إلاَّ مَسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى ، فقال : ما فعلتَ ؟ قلتُ : لاَ شىء ثم أخبرته الخبر فوالله ما هممت ولا عُدْت بعدهما لشىء من ذلك ، حتى أكرمنى الله بنبوته » قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات .

---

(١) المشهور أن ذلك كان فى بناء الكعبة كما رواه الشيخان وكانت سنة إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة أى قبل المبعث بخمس سنين .

(٢) نص الحديث « ما رأيت منه ولا رآى منى » تعنى العورة .

(٣) الصحيح من اللهو أو من السمر .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر عن عمار بن ياسر[١] أنهم قالوا : يا رسول الله هل أتيتَ فى الجاهلية من النِّسَاءِ شيئاً ؟ قال : لا ، وقد كنت منه على ميعادَيْن : أما أحدهما فغلبتني عيناى ، وأما الآخَر : فحال بينى وبينهم سَامِرُ قوم » .

وأخرج الشيخان عن ابن عباس قال : « لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[٢] نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريش بطناً بطناً فقال : « أرأيتم لو قلت لكم أن خَيْلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ما جرَّبْنا عليك كذباً قط ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك ألهـذا جمعتنا ؟ فأنزل الله ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ »[٣] .

وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) هو عمار بن ياسر بن مالك من عنس رهط الأسود العنسى المتنبىء الكذاب قدم أبوه ياسر من اليمن إلى مكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومى فزوجه أمة له يقال لها سمية فولدت له عمارا وقد أسلم آل ياسر كلهم وكانوا يعذبون فى الله عزوجل وكان النبى صلى الله عليه وسلم يمر بهم ويقول « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » . وكان عمار من خيار الصحابة وأشدهم ملازمة لرسول الله وكانت أمه سمية أول شهيدة فى الإسلام وشهد عمار مع على صفين وقتل هناك ودفن وصلى عليه ، ولم يغسله وقد جاء فى الحديث «ويح عمار تقتله الفئة الباغية» .

(٢) المحفوظ أن هذا كان عند نزول قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وأنه عليه السلام وقف على الصفا ونادى بطون قريش كلها فاجتمعوا عليه ، فقال ماقال .

(٣) من التباب وهو الهلاك وأبو لهب هو أحد أعمامه عليه السلام وكان أعتق أمته ثويبة حين بشرته بولادته ولكنه كان أول من عارض دعوته ، فنزلت هذه السورة فيه وفى زوجته أم جميل حمالة الحطب .

سمعت زَيْدَ بن عمْرِو بن نُفيْل ، يعيب أكل ما ذُبح لغير الله ، فما ذقت شيئاً ذبح على النُّصُب حتى أكرمني الله برسالته[١] .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن على قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبَدْتَ وثناً قط؟ قال : «لا، قالوا : فهل شربت خَمْراً قط؟ قال: لا، ومازلت أعرف أن الذى هم عليه كُفر ، وما كنت أدْرِى ماالكتاب ولاالإيمان»[٢] .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : «حدثتنى أم أيمنَ قالت : كان بوانة صنما[٣] يحضره قريش يوما فى السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى ، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عمَّاته غَضِبْنَ عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعان يقلن : إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، وجعان يقلن : يا محمد ما تريد أن تحضر لقومك عيداً ولا تُكَثِّرَ لهم جَمْعاً ، فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع إلينا مرْعوباً فَزِعاً ، فقلن عمَّاته : مادهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لمم ، فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لى رجل أبيض ، طويل يصيح

---

(١) بل الصحيح أن كل أعمال الجاهلية بغضت إليه بسبب سلامة فطرته وعصمة الله إياه ، وأنه لم يكن بحاجة إلى أن يقلد أحداً فى ذلك

(٢) يعنى أن ذلك كان بالهام الفطرة قبل نزول الوحى .

(٣) المعروف أن بوانة اسم مكان لاصنم فقد جاء فى الحديث «أن رجلا نذر أنه ينحر إبلا ببوانة فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال النبى : هل كان فيها صنم يعبد؟ قالوا لا فقال هل كان فيها عيد من أعياد الجاهلية؟ قالوا : لا فقال للرجل أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم .

ويجوز أن يكون اسما لصنم واسما لمكان .

بى : وَرَاءكَ يا محمد لا تمسَّه ، قالت . فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبىء » .

وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت. قال النبى صلى الله عليه وسلم: « مرَّ عَلَىَّ جبرئيلُ وميكائيل وأنا بين النائم واليقظان ، بين الركن وزمزم ، فقال أحدهما للآخر : هو هو ؟ قال : نعم ، ونِعْمَ المرء هو لولا أنه يمْسَح الأوثان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فما مسحْتُهنَّ حتى أكرمنى الله بالنبوة(١) .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق عطَاء بن أبى ربَاح عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قام مع بنِى عمه عند إسافٍ(٢) ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره إلى ظهر الكعبة ساعة ثم انصرف فقال له بنو عمه : مالك يا محمد ؟ قال : « نَهِيتُ أن أقوم عند هذا الصنم » .

وأخرج الحاكم وصحَّحَه وأبو نعيم والبيهقى عن زيد بن حارثة قال : كان صنم من نُحَاس يقال له إسَافٌ أو نائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وَطُفت معه ، فلما مررت مسحْت به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمسَّهُ ، قال زيد : فطفنا به ، ثم قلت فى نفسى : لأمَسَّه حتى أنظر ما يكون ؟ فمسحته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تُنْهَ ؟ قال زيد : فوالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلَمتُ صنماً حتى أكرمه الله بالذى أكرمه وأنْزَل عليه » .

---

(١) حاشاه عليه السلام أن يكون وقع منه مثل هذا الشرك ، وقد وقع الاجماع على أن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها ، وهذا الحديث مناقض للذى قبله مناقضة ظاهرة ، والذى قبله هو الصحيح المعول عليه .

(٢) كان صنماً على الصفا وكان نائلة على المروة وتزعم الرواية أنهما كان رجلا وامرأة زنيا فى جوف الكعبة ، فمسخا حجرين فوضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة .

وأخرج أحمد عن عُرْوَة بن الزبيْر قال : حدثنى جارٌ لخديجة بنت خويلدٍ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لخديجة : أىْ خديجة ، والله لا أعبد اللّات أبداً ، والله لا أعبد العُزّى أبداً » .

وأخرج أبو يعلى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهِدَهم ، فسمع مَلَكيْن خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كيف نقوم خلفه ؟ وإنما عهده باستلام الأصنام قُبَيْل[1] ، فلم يَعُدْ بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم » .

قال الطبرانى والبيهقى قوله : وإنما عهده باستلام الأصنام ، يعنى أنه شهد مع من استلم الأصنام لا أنه استلمها ، والمراد بالمشاهد التى شهدها مشاهد الحِلْف ونحوه ، لا مَشاهِد استلام الأصنام ، وقال ابن حجر فى (المطالب العالية) : هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبى شيبة فبالغوا والمنكر منه قوله عن الملَكَ عهده باستلام الأصنام ، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام وليس ذلك مُراداً ، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم[2] .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن جبَيْر بن مُطْعِم قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقف على بعيرٍ له بعرَفات من بين قومه حتى يَدْفَعَ معهم توفيقاً من الله له[3] .

---

(١) تصغير قبل الذى هو ظرف زمان أى قبل ذلك بزمن يسير .

(٢) ولكن الظاهر من اللفظ أنه باشر الاستلام وأن ذلك هو السبب فى أنهما لم يقوما خلفه .

(٣) يعنى أنه لم يكن يفعل ما ابتدعته قريش من الوقوف بالمزدلفة ويقولون نحن الحمس فلا نخرج من الحرم بل كان يقف مع الناس بعرفات ويدفع معهم إلى المزدلفة قال تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) .

وأخرج الشيخان عن عائشة قالت : « كانت قريش ومن دَانَ دِينَهَا وهم الْحُمس يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الحرم » .

وأخرج الحسن بن سفيان فى مسنده والبغوى فى معجمه ، والباوردى فى الصحابة عن ربيعة الْجُرَشى قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً فى الجاهلية بعرفات ، فعرفت أن الله وَفَّقَه لذلك » .

باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم بتعظيم قومه له فى شبابه وتحكيمهم إياه والتماسهم دعاءه وتسميته بالأمين

أخرج يعقوب بن سفيان والبيهقى عن ابْنِ شِهَاب : أن قريشاً لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن اختصمت فى الركن ، أىُّ القبائل يَلِى رفعه ، فقالوا : تعالوا نحكم أَوَّلَ من يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام(١) ، فحكموه فأمر بالركن فوُضع فى ثوب ، ثم أخرج سيِّد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فوضعه هو ، ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضًى حتى دعوْه الأمين ، قبل أن ينزل عليه الوحى فطفقوا لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها .

وأخرج أبو نعيم وابن سعد عن ابن عباس ومحمد بن جبير بن مطعم قالا : « لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن ذهب رجل من أهل نجْد ليناول النبى صلى الله عليه وسلم حجراً يَشُد به الركن ، فقال العباس : لا ، وناول العباس النبى صلى الله عليه وسلم حجراً فشد به الركن ، فغضب النَّجْدى وقال : وا عجباً لقوم أهْل شَرَف وعُقول وسِنٍ وأموال ، عَمِدوا إلى أصغرهم سناً ، وأقلهم مالاً

---

(١) كانت سنة إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة كما تقدم .

فرَأَسُوه عليهم فى تَكرِمَتِهم وَحِرْزِهِم ، كأنهم خَدَمٌ له ، أما والله لَيفوتنهُمْ سَبْقاً وَلَيقسِمَنَّ بينهم حُظوظاً وجُدُودا فيقال : إنه إبليس لعنه الله .

وأخرج ابن سعد وابن عسا كرعن داود بن الحصين قال: قالوا شَبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْضَلَ قومه مُرُوَّةً، وأحسنهم خُلقا وأكرمهم مُخَالَطَةً وأحسنهم جِوَاراً ، وأعظمهم حِلماً ، وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفَحْش والأذى ماروُى مُمَارِيًا[١] ولا مُلاَحِياً[٢] أحداً حتى سَمَّاه قومه الأمين .

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد[٣] قال حدثنى مولاى عبد الله بن السائب: قال كنت شريك النبي صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ، فلما قدمت المدينة قال «تعرفنى ؟ قلت : نعم كنت شريكى فنعم الشريك لا تُدَارِى [٤] ولا تُمَارِى » .

وأخرج أبو داود وأبو يَعْلَى وابن مندة فى (المعرفة) والخرائطى فى (مكارم الأخلاق) عن عبد الله بن أبى الحَمْساءِ قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبْعَثَ بِبَيْع فبقى له عَلَىَّ شىء فوعدته أن آتيه فى مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم والغد فأتيته فى اليوم الثالث فوجدته فى مكانه ذلك ، فقال « لقد شققت

---

(١) اسم فاعل من المماراة وهى المجادلة .
(٢) من الملاحاة وهى المخاصمة والمنازعة .
(٣) هو مجاهد بن جبر كان مولى لقيس بن السائب المخزومى ، وقال مجاهد فى مولاى قيس بن السائب نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وكان مجاهد إماما فى التفسير حتى قيل فيه إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك، وقال هو عن نفسه : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية أسأله عنها .
مات بمكة سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة .
(٤) من المداراة وهى المواربة والمداجاة .

على أنا هَاهُنَا منذ ثلاث أنتظرك »[١] .

وأخرج ابن سعد عن الربيع بن خثيم قال : كان يتحاكم إلى رسول الله صلى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الإسلام .

باب ماظهر من الآيات فى سَفَرِه صلى الله عليه وسلم لخديجة مع مَيْسَرَة

قال ابن إسحاق : عرضت عليه خديجة أن يخرج فى مالها تاجراً إلى الشام، فخرج ومعه غلامها مَيْسَرَةُ حتى قَدمَ الشام فنزل فى ظِلِّ شجرة قريبة من صَوْمَعَة راهب فاطلع الراهب إلى مَيْسَرَة فقال من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ قال : هذا رجل من قريش من أهل الْحَرَم ، فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قَطُّ إلا نبى[٢] وكان ميسرة فيما يزعمون إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى مَلَكَيْن يُظِلاَّنِهِ من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بما لها باعت مَاجَاء به فَأَضْعَفَ وحَدَّثَهاميسرة من قول الراهب، وما رأى من إظلال الملكين فرغبت فى زواجه . أخرجه البيهقى عنه .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن نفيسة بنت مُنْيَةَ أخت يعلى ابن مُنْية قالت: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، وليس له اسم بمكة إلا الأمين ، خرج فى تجارة لخديجة إلى الشام ، ومعه غلامها ميسرة

---

(١) كان صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فى كل خلق كريم من الوفاء بالوعد، والحلم والشجاعة والصبر الخ. ولقد قال عليه السلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقد جاءت ابنته فاطمة تسأله عبداً من السبى ، وتشكو له أثر الرحا فى يدها ، فيقول لها كيف بموعدى لأبى الهيثم ؟

(٢) يالعجب من شجرة تكون على طريق المسافرين فى هذه الصحارى المحرقة ثم لايأوون إليها حتى يخرج النبى عليه السلام فى سفرته الثانية فينزل تحتها ، ترى هل كان مكتوبا على هذه الشجرة أنها حرام على غير الأنبياء ؟ .

فقدما بُصْرَى فنزلا فى ظل شجرة فقال : نَسْطُورَا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلاَّ نبيٌّ ، ثم قال لميسرة أفى عينيه حُمْرَة ؟ قال : نعم ، لا تفَارِقُه ، قال : هو نبي وهو آخر الأنبياء ، ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تَلاَحٍ ، فقال له : إحلف باللات والعزى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حلفت بهما قط وإنى لَأَمُرُّ فأعرض عنهما » فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة هذا والله نبي تجده أَحْبَارُنَا مَنْعُوتًا فى كتبهم، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يَرَى ملكين يظلانه من الشمس، فوَعَى ذلك كله، ثم رجعوا فدخلوا مكة فى ساعة الظَّهِيرَة، وخديجة فى عُلِّيَّةٍ لها، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يُظِلاَّن عليه فأرته نِسَاءهَا، فَعَجِبْنَ لذلك وأخبرت به ميسرة ، فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بما قال الراهب وبما قال الآخر الذى خالفه فى البيع .

باب الآية فى نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

أخرج ابن سعد من طريق سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس « أن نساء أهل مكة اختلفن فى عيد كان لَهُنَّ فى رجب فبيناهن عُكُوفٌ[١] عند وَثَنٍ مُثِّلَ لهن كرجل حتى صار منهن قريباً ثم نادى بأعلى صوته : يانِسَاءَ تَيْمَاء إنه سيكون فى بلدكُنَّ نبي يقال له أحمد ، يبعث برسالة الله فأيما امرأة استطاعت أن تكون زوجا له فلتفعل فحصبته[٢] النساء وقبحنه[٣] وأغلظن له وأغضت[٤] خديجة على قوله ولم تَعْرِضْ له فيما عَرَض له النساء[٥] .

---

(١) يعنى لابثات مقيمات .

(٢) قذفته بالحصباء وهى الحجارة الصغيرة .

(٣) أى قلنا له قبحك الله .

(٤) من الإغضاء وهو إغماض الطرف .

(٥) يعنى لم تتناوله بالتقبيح والسب كما فعل غيرها .

(باب ماوقع عند المبعث من المعجزات والخصوصيات)

أخرج الشيخان عن عائشة قالت «أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى[١] الرؤيا الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق[٢] الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان يأتى حرَاء[٣] فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالى ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء ، فأتاه الملك فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ماأنا بقارىء[٤] فأخذنى فغطنى[٥] حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجَهْد ثم أرسلنى فقال :اقرأ فقلت ماأنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجَهد ثم أرسلنى فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ (مالم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْجُف فؤادُه حتى دخل على خديجة فقال زَمِّلونى زَمِّلونى[٦] فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٧] فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت: كلا والله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرَّحِم[٨] وتصدق الحديث

---

(١) هو أعلام بالشىء فى خفاء وسرعة ولهذا يطلق على الإشارة والرسالة وإلهام الغريزة ، ويراد به فى لسان الشرع مايلقيه الله إلى أنبيائه بطريق من طرق الوحى المختلفة كالنفث فى الروع ، أو الرؤيا فى النوم أو بواسطة رسول الوحى جبريل أو بتكليم الله له من وراء حجاب .

(٢) فلق الصبح ضوءه والمراد أنها تقع فى اليقظة مطابقة لما رآه فى النوم .

(٣) غار فى الجبل كان يخلو فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

(٤) لا اعرف أن أقرأ لأنى امى لا اقرأ ولا أكتب .

(٥) ضمنى وعصرنى .

(٦) يعنى غطونى بملاءة أو نحوها بسبب ما أخذه من القشعريرة .

(٧) الفزع . (٨) القرابة .

وتحمل الكلّ(١) وتكسب المعدوم وتقرى الضيف(٢) وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربى(٣) ويكتب من الإنجيل بالعربية(٤) ماشاء الله أن يكتب فقالت له خديجة: ياابن عمّ اسمع من ابن أخيك؟ فقال ورقة ماترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم مارآه، فقال له ورقة هذا الناموس(٥) الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا(٦) ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوَ مُخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عُودِي، وإن يُدْرِكْنِي يومك أنصُرْكَ نصراً مُؤزَّراً ثم لم يَنْشَب(٧) ورقة أن توفِّيَ.

وأخرج أحمد والبيهقى من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة نحوه وزاد فى آخره وفتَر(٨) الوحى فترة فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مِرَار الكي يتَرَدَّى(٩) من رؤس شواهق الجبال كلما أوْفَى بذِرْوة(١٠) جبل لكى يلقى نفسه تبدَّى(١١) له جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يامحمد إنك

(١) العاجز: الضعيف.
(٢) تقدم له قراه.
(٣) الذى فى البخارى الكتاب العبرانى.
(٤) الذى فى البخارى أيضاً بالعبرانية.
(٥) يعنى جبريل أو الشريعة
(٦) أى شابا قويا.
(٧) لم يلبث.
(٨) انقطع وتأخر.
(٩) أى يلقى بنفسه.
(١٠) ذروة كل شىء أعلاه.
(١١) أى ظهر له فى صورة رجل وكلمه.

رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه وتقرُّ نفسه ، ويرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فتبدى له جبرئيل فقال مثل ذلك . قال الحافظ ابن حجر في (شرح البخاري) ذكر بعضهم إن هذا الغَطّ الذي وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الوحي من خصائصه إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك ، والحكمة فيه شَغْلُه عن الالتفات لشيء آخر وإظهار الشدة والجِدِّ في الأمر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقى إليه وقيل إبعاد ظن التخيل والوسوسة لأنهما ليسا من صفات الجسم ، فلما وقع ذلك بجسمه عَلِمَ أنه من أمر الله .

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة[1] الوحي ، فقال في حديثه : «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض[2] ، فرعبت منه فرجعت فقلت : زملوني زملوني ، فزملوني

---

(١) اختلف في هذه الفترة على أقوال وقد قدرها بعضهم بثلاث سنين وهو بعيد والصحيح أنها كانت نحوا من ستة أشهر .

(٢) يعني أن جبريل تبدى له هذه المرة على صورته الملكية التي خلق عليها له ستمائة جناح سد بها الأفق وهذه المرة هي التي قال الله فيها من سورة النجم (ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) ثم رآه مرة أخرى على تلك الصورة عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء كما قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) .

فأنزل الله ﴿ يأيها المدثر قم فأنذر ﴾(١) إلى قوله :﴿ والرُّجْزَ(٢) فاهجر ﴾ فَحَمِىَ الوحى وتتابع .

وأخرج أحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان فى تاريخيهما وابن سعد والبيهقى عن الشعبى قال : « نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقُرِن بنبوته إسْرَافيل(٣) ثلاث سنين . فكان يعلمه الكلمة والشىء لا ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قُرِنَ بنبوَّتِهِ جبرئيل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة(٤) .

وأخرج أبو نعيم عن على بن الحسين قال : « إن أول ما أُتِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى شيئاً فى المنام إلا كان كما رأى » .

وأخرج أبو نعيم عن عَلْقمةَ بن قيسٍ قال : إن أول ما يُؤْتى به الأنبياء فى المنام حتى تهْدَأ قلوبهم ثم ينزل الوحى بعد .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم من طريق موسى بنُ عُقْبة عن ابن شهاب قال : بلغنا أن أوَّل ما رآى النبى صلى الله عليه وسلم ، أن الله أراه رؤيا فى المنام فشق ذلك عليه ، فذكرها لخديجة فقالت : أبشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيراً ،

---

(١) ولهذا ورد عن جابر أنه سئل عن أول ما أنزل فقال (يأيها المدثر) . يعنى أن ذلك أول ما أنزل بعد فترة الوحى ، أما أول ما أنزل على الإطلاق فهو (اقرأ) باتفاق. وبهذه الآية صار صلى الله عليه وسلم رسولا كما صار بآية (اقرأ باسم ربك الذى خلق) نبيا .

(٢) الرجز والرجز له معان ، منها القذر والعذاب ، وعبادة الأوثان ، ولعل هذا الأخير هو المراد

(٣) هو أحد الملائكة الكبار وهو الموكل بالنفخ فى الصور .

(٤) الصحيح مارواه الشيخان عن عائشة من أن ابتداء النبوة كان بنزول آيات العلق وأن الذى نزل بها هو جبريل ، وكانت سنه إذ ذاك أربعين سنة .

ثم إنه خرج من عندها ، ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شُقَّ ، ثم طُهِّرَ وغُسِلَ ثم أُعِيد كما كان ، قالت: هذا والله خير فأبشر ، ثم استَعْلنَ[1] له جبرئيل وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلس كريم مُعْجِب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أجلسني على بِساطٍ كهيئة الدُّرْنوك[2] فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشره برسالة الله حتى اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : اقرأ ، فقال : كيف أقرأ ؟ ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾ ، فقَبِلَ الرسول رسالة ربه وانصرف ، فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه ، فرجع مسروراً إلى أهله مُوقِناً قد رأى أمراً عظيما ، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتُكِ الذى كنت أخبَرْتك أنى رأيته فى المنام ، فإنه جبرئيل استعلن لى أرسله إلىَّ ربى ، فأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقْبَل الذى جاءك من الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقاً ، ثم انطلقت حتى أَتَتْ غُلاماً لعُتْبَة بنِ ربيعة بن عَبد شمسٍ نصرانياً من أَهل نِينَوَى يقال له: عَدَّاسٌ[3] ، فقالت له: ياعَدَّاس أُذَكِّرُك بالله إلا ما أَخبرتنى هل عندكم علم من جبْرَئيل ؟ فقال عَدّاس : قُدُّوس قدوس ما شأن جبرئيل يذكر بهذه الأرض التى أَهلها أَهل الأوثان ؟ فقالت أخبرنى بعلمك فيه ، قال : فإنه أَمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى

---

(١) أى ظهر له فى العلانية .

(٢) الدرنوك بالضم : ضرب من الثياب أو البسط .

(٣) الصحيح أنها انطلقت به إلى ورقة بن نوفل كما فى حديث عائشة وأما عداس فإنما لقيه عند منصرفه من الطائف حين أوى إلى ظل حائط كان لعتبة وشيبة فبعثا إليه عداسا بقطف من عنب البستان ، فهذه الرواية فيها تلفيق كثير وادماج قصة فى أخرى .

ثم رجعت خديجة من عنده ، فجاءت ورقة بن نوفل فأخبرته ، فقال : لعل صاحبك النبي الذى ينتظر أهلُ الكتاب الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل، ثم أقسم بالله لئن ظهر دُعاؤه ، وأنا حيٌّ لَأُبْلِيَنَّ الله فى طاعة رسوله وحسنِ مُوَازَرته فمات وَرَقةُ .

ثم أخرج البيهقى وأبو نعيم من وجه آخر عن عروة بن الزبير نحو هذه القصة وفى أولها، بعد فشق عليه ورأى أنه بينما هو فى مكة أُتِى إلى سقف بيته فنزع شَبْحَة شَبْحَةً (١) حتى إذ نزع أدخل فيه سُلَّمٍ (٢) من فضَّة نزل إليه رجلان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أردت أن أستَغِيث فَمُنِعْتُ الكلام، فقعد أحدهما إلى رأسى والآخر إلى جنبى ، فأدخل أحدهما يده فى جنبى فنزع ضِلَعَيْن منه فأدخل يده فى جَوْفى ، وأنا أجد بَرْدَها فأخرج قلبى، فوضعه على كفِّه فقال لصاحبه: نعمَ القلْبُ قلب رجل صالح، ثم أدخل القلب مكانه وردَّ الضلمين ثم ارتفعا ورفعا سُلَّمَهُما فاستيقظت فإذا السقف مكانه كما هو ، فذكرها لخديجة فقالت إن الله لن يفعل بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ورجع فأخبرها أن بطنه شُقَّ ثم طهر وغسل ثم أعيد إلى آخر ماتقدم (٣) وزاد فيه ففتح جبرئيل عيْنا من ماء فتوضأ ومحمد صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح

---

(١) أى عودا عودا .

(٢) ليت شعرى هل كان الملكان فى حاجة إلى سلم لينزلا عليه والملائكة تنزل وتصعد من السماء باستمرار وقد يبرر ذلك أنها رؤيا منام .

(٣) لو صح هذا الأثر فلعل هذا قد حدث فى الفترة التى كانت فيها النبوة بالرؤيا الصادقة ولكننا لا نظنه صحيحا فإن شق الصدر إنما كان ليلة الإسراء على الصحيح وفى بعض الرويات أنه حصل له ذلك فى مرة سابقة عند ما كان مسترضعا فى بنى سعد بن بكر .

برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم نَضَح فرجه وسجد سجدتين مُوَاجهة البيت ففعل محمد كما رأى جبرئيل يفعل (١) .

وأخرجه أبو نعيم من وجه ثالث عن الزهرى عن عروة عن عائشة موصولا بالزيادة الأخيرة ، قال البيهقى : وما ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به فى صباه ويحتمل أن يكون شُقَّ مرة أخرى ثم مرة ثالثة حين عرج به إلى السماء .

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق قال حدثنى عبد الملك بن عبد الله ابن أبى سفيان بن العَلاء بن جارية الثقفى عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسُمِع منه فيتلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحييه بتحية النبوة السلام عليك يارسول الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حِرَاء فى كل عام شهرا من السنة يَتَنَسَّكُ(٢) فيه حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به ما أراد من السنة التى بُعِثَ فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يخرج حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد به ، جاءه جبرئيل بأمر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى وأنا نائم فقال : اقرأ قلت ما أقرأ ؟ فغطنى — حتى ظننت أنه الموت ثم كشفه عنى

---

(١) الظاهر أن مشروعية الوضوء إنما كانت بعد أن صار رسولا ونزلت آيات المدثر فلا محل لإيرادها هنا .

(٢) يتعبد فيه .

فقال اقرأ قلت وما(١) أقرأ فعاد لى بمثل ذلك ثم قال اقرأ قلت وما أقرأ فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق) إلى قوله (مالم يعلم) ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما صُوِّرَ فى قلبى كتاب ولم يكن فى خلق الله أبغَضُ إلى من شاعرٍ أو مجنون فكنت لا أطيق أنظر إليهما فقلت إن الأبْعَدَ يعنى نفسه لشاعِرٌ أو مجنون (٢) ثم قلت لا يتحدث عنى قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالقٍ (٣) من الجبل فلأطرحن نفسى منه فلأقتلنها فَلأَسْتَرِيحَنَّ (٤) فخرجت ماأريد غير ذلك فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مُنادياً من السماء يقول يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صافٌّ قدميه فى أفق السماء يقول يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل وشغلنى ذلك عما أريد فوقفت وماأقدر على أن أتقدم ولا أتأخر وما أصْرِف وجهى فى ناحية من السماء إلا رأيته فيها فما زِلتُ واقفا حتى كاد النهار يتحول ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا إلى أهلى فجلست إليها ، فقالت : أين كنت؟ قلت: إن الأبعَدَ لشاعر أو مجنون(٥) قالت : أعيذك بالله من ذلك ، ما كان الله لِيَفعَل بك ذلك ، مع ما أعلم من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ، فأخبرتها الخبر

---

(١) ما هنا يحتمل أن تكون نافية فتتفق مع رواية البخارى عن عائشة وأن تكون استفهامية يعنى أى شىء أقرأ وهذا هو الظاهر .

(٢) لم يشك الرسول عليه وسلم فى أن الذى جاءه فى الغار هو الحق وأنه من عند الله وقوله لخديجة لقد خشيت على نفسى فى رواية عائشة : إنما أراد أن يستطلع رأيها ليطمئن إلى موافقتها له، ولهذا نحن نستبعد ماجاء فى هذه الرواية من قوله عن نفسه إنه شاعر أو مجنون .

(٣) الحالق كالشاهق ما ارتفع من الجبل .

(٤) إنما كان ذلك بسبب فتور الوحى وانقطاعه فشق ذلك عليه جداً .

(٥) هل يعقل صدور ذلك منه بعد قول جبرئيل له أنت رسول الله وأنا جبرئيل .

فقالت ابشر يا ابن عم واثبت له فإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته فقال إن كنت صدقتني إنه لنبي هذه الأمة وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى (١).

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما تثبته يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم ، قالت إذا جاءك فأخبرني فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاءه جبرئيل فقال ياخديجة هذا جبرئيل قالت أتراه الآن ؟ قال نعم . قالت فاجلس إلى شقي الأيمن فتحول فجلس قالت هل تراه الآن ؟ قال نعم . قالت فاجلس في حجري فتحول فجلس . قال هل تراه الآن قال نعم فحسرت عن رأسها فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها . قالت هل تراه الآن؟ قال لا . قالت ماهذا شيطان ، إن هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت أن الذي جاء به الحق . قال ابن إسحاق فحدثت عبد الله بن الحسن (٢) بهذا الحديث فقال قد سمعت فاطمة بنت الحسين تحدث به عن خديجة إلا أني

---

(١) الذي هنا أن خديجة انطلقت وحدها إلى ورقة تسأله ورواية عائشة تقول إنها انطلقت برسول الله وقالت له ياابن عم اسمع من ابن أخيك فلعل الأمرين حصلا معا فتكون ذهبت أولا وحدها لكي تطمئن على زوجها ، ثم أراد ورقة أن يستطلع منه جلية الخبر فانطلقت به إليه .

(٢) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان يكنى أبا محمد وكان خيراً وكان مع أبي العباس السفاح وكان له مكرما وأولاده محمد وإبراهيم وإدريس أما محمد وإبراهيم فقد ثارا على أبي جعفر وغلبا على مكة والمدينة والبصرة فبعث إليهما فقتل محمداً بالمدينة وكان يقال له النفس الزكية وقتل إبراهيم بالكوفة وأما إدريس ففر إلى شمال أفريقيا وأسس دولة هناك .

سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبرئيل » .

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم من وجه آخر عن إسمعيل بن أبى حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام عن أم سلمة عن خديجة به .

وأخرج البيهقى وأبو نُعَيم عن أبى ميسرة عَمْرِو بن شرَحْبِيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة « إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً ، فقالت مَعاذَ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتَصْدُقُ الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت له اذهب مع محمد إلى وَرَقة فانطلقا إليه فَقَصَّا عليه فقال : إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يامحمد يامحمد فَأَنْطَلِقُ هاربا فى الأرض فقال لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع مايقول ثم ائتنى فأخبرنى . فلما خلا ناداه قال يامحمد : إشْهَدْ أن لا إله إلا الله واشْهَدْ أن محمداً عبده ورسوله . ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين[1] . ثم قال قل لا إله إلا الله فأتى وَرَقة فذكر ذلك له فقال له ورقه أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذى بَشَّرَ به ابنُ مريم وأنك على مثل نامُوس مُوسى ، وأنك نبى ، وأنك

---

(١) فعلى هذا تكون فاتحة الكتاب أول سورة أنزلت وقد علمت أن أول ما أنزل على الإطلاق هى آيات العلق باتفاق ثم آيات المدثر بعد فترة الوحى .

فهذه الروايات فيها من الخلط والكذب ما يوجب عدم الالتفات إليها ومن العجب أن يوحى إليه بأعظم سورة فى القرآن وهو لا يزال شاكا فى أمر نفسه .

سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا وإن يُدْرِكْنى ذلك لَأجاهِدَنَّ معك . فلما تُوُفِّىَ ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت الْقَسَّ عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى يعنى ورقة »[1] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم من وجه آخر عن أبى ميسرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا بَرز سمع من يناديه يا محمد فإذا سمع الصوت انطلق هارباً فأسر ذلك إلى أبى بكر وكان نديماً له فى الجاهلية » .

وأخرج أبو نعيم بسند موصول عن بُرَيْدَةَ مِثْلَه .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن شداد قال : قال ورقة لخديجة : هل رأى زوجك صاحبه فى خضر؟ قالت نعم قال فإن زوجك نبى وسيصيبه من أمته بلاء

وأخرج أبو نعيم من طريق عُرْوَة عن عائشة قالت قال ورقة لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبْرَئيل سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ[2] وما لجبرئيل يذكر فى هذه الأرض التى تعبد فيها الأوثان جبرئيل أمين الله تعالى بينه وبين رسله اذهبى به إلى المكان الذى رأى فيه ما رأى فإذا رآه فَتَحَسَّرى[3] فإن يكن من عند الله لا يراه ففعلت فلما تحسَّرَتْ تَغَيَّبَ جبرائيل فلم يره فرجعت فأخبرت ورقة فقال إنه ليأتيه الناموس الأكبر[4] ثم أقام ورقة ينتظر إظهار الدعوة فقال فى ذلك :

---

(١) اختلف فى إسلام ورقة ، فزعم بعضهم أنه مات مسلما محتجا بهذا الحديث وبما جرى على لسانه من كلمات تدل على تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون إنه مات قبل أن يؤمر النبى بالتبليغ والدعوة إلى الإسلام وعلى كل حال فهو ممن يرجى لهم الخير .

(٢) السبوح مبالغة من التسبيح وهو من أسمائه تعالى كالقدوس باعتبار أنه يسبح ويقدس .

(٣) أى تكشفى .

(٤) يعنى جبريل عليه السلام .

﴿ شعر ﴾

لَجِجتُ(١) وكنتُ فى الذكرى لُجوجا ... لِهَمٍّ طالما بلغ : (٢) النَّشِيجَا(٣)

ووَصفٍ من خديجة بَعْدَ وصف ... فقد طال انتظارى ياخديجَا

بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ على رجائى ... حديثك أن أرى منه خُرُوجَا

بِما أخبرتِنَا من قول قَسٍّ ... من الرهبان أَكْرَهُ أن يَعُوجَا(٤)

بأن محمداً سيسود قوماً ... ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهر فى البلاد ضياء نور ... تقام به البرية أن تَعُوجَا(٥)

فيلقى من يُحارِبُهُ خَسَاراً ... ويلقى من يُسَالِمُهُ فُلُوجاً (٦)

فياليتى إذا ما كان ذاكم ... شهدت وكنتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجاً (٧)

وُلُوجاً فى الذى كَرِهَتْ قريش ... ولو عجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجًا(٨)

أرجى بالذى كرهوا جميعاً ... إلى ذى العرش إن سلفوا(٩) عروجا(١٠)

---

(١) من اللجاجة وهى العناد فى الخصومة ويقال لج فى الأمر لازمه ولج على فلان فى المسألة بالغ فى طلبها وألح فى سرعة قضائها .

(٢) فى بعض النسخ بعث .

(٣) هو أن يغص بالبكاء من غير انتحاب .

(٤) يقال عاج يعوج عوجا بالمكان أقام به . وعاج إليه مال به وعطف . وعاج السائر وقف .

(٥) تميل وتنحرف .

(٦) أى ظهوراً ونصراً

(٧) دخولا .

(٨) العجيج : رفع الصوت .

(٩) فى بعض النسخ : سفلوا

(١٠) عروجا أى صعوداً وارتقاء

وهل أمر السَّفَاهَةِ غيرُ كفر … بمن يَختارُ من سَمكَ البُرُوجا[١]

فإن يبقوا وأبق تكن أمور … يضج الكافرون لها ضَجِيجَا[٢]

وإن أهلك فكل فتى سيلقى … من الأقدار مُتلِفَةً خَرُوجَا[٣]

قوله ببطن المكتين قال العيني فى (شواهده الكبرى) سمّى كُلاًّ من جانِبَىْ مكة أو كلا من أعلاها وأسفلها مكة فلذلك ثَنَّاهَا .

وأخرج الطيالسى والحارث بنُ أبى أُسَامَة وأبو نعيم من طريق يزيد بن بابَنُوسَ عن عائشة «أن النبى صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فسمع السلام عليك فقال فظننتها فجْأَةَ الجِنِّ فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ماشأنك ؟ فأخبرتها ، فقالت أبشر فإن السلام خير ثم خرجت مرة أخرى فإذا بجبرائيل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فَهِلْتُ[٤] منه فجئت مسرعا فإذا هو بينى وبين الباب فكلمنى حتى آنست به ثم وعدنى موعدا فجئت له فأبطأ على فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سد الأفق فهبط جبرئيل وبقى ميكائيل بين السماء والأرض فأخذنى جبرئيل فألقانى لِحَلاَوَةِ[٥] القَفَا . ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ماشاء الله أن يستخرج ثم غسله فى طَسْتٍ من ذَهَبٍ

---

(١) جميع برج وهى منازل الشمس والقمر ، أو هى الكواكب الكبار وسمكها رفعها

(٢) ضج يضج ضجيجا إذا صاح وأجلب لفزعه من شىء أخافه

(٣) أى مهلكة عاتية

(٤) أى خفت وفزعت

(٥) وسط القفا

بماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه[١] ثم أكفأنى[٢] كما يكفأ الإناء ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى ثم أخذ بحلقى حتى أجهشت[٣] بالبكاء ثم قال اقرأ ولم أك قرأت كتاباً قط فلم أقدر ثم قال اقرأ قلت ما أقرأ ؟ قال اقرأ باسم ربك حتى انتهى إلى خمس آيات ثم وزننى برجل فوزنته[٤] ثم وزنى بآخر فوزنته حتى وزنت بمائة رجل فقال ميكائيل تبعته أمته ورب الكعبة ، فجعل لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يارسول الله .

وأخرج أحمد وابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إنى أسمع صوتاً وأرى ضوءاً فذكرت ذلك لورقة قال : هذا ناموس موسى فإن يبعث وأنا حى فسأعزره[٥] وأنصره وأعينه » .

وأخرج أبو نعيم من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه «أن جبرئيل أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فيه اللؤلؤ والياقوت فقال له جبرئيل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) إلى قوله (ما لم يعلم) ، ثم قال لا تخف يا محمد فإنك رسول الله فأقبل راجعاً فجعل لا يمر بشجرة ولا حجر إلا وهو ساجد يقول السلام عليك يارسول الله فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه » .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : قال ورقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك جبرئيل ؟ فقال : « يأتينى من السماء جناحاه لؤلؤ

---

(١) يقال لأم الجرح ضمه وشده .

(٢) أى قلبنى فجعل بطنى إلى الأرض وظهرى إلى أعلى .

(٣) أى رفعت الصوت بالبكاء .

(٤) رجحت عليه فى الوزن .

(٥) أقويه وأؤيده .

وباطنُ قدمَيْه أخضر » (١) .

وأخرج ابن رِسْتَة فى (كتاب المصاحف) عن الزهْرِى « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذ أتاه مَلَكٌ بنَمَطٍ من ديباج فيه مكتوب (اقرأ باسم ربك الذى خلق) إلى قوله (ما لم يعلم) »

وأخرج عن عُبيد بن عُمَير قال : « جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بنمط فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال (اقرأ باسم ربك) »

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو بأجْياد (٢) إذ رأى مَلَكاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى (٣) فى أفق السماء يصيح يامحمد أنا جبرئيل فذُعِر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء فرجع سريعاً إلى خديجة فأخبرها خبره وقال والله ياخديجة ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا الكهان وإنى لأخشى أن أكون كاهِناً (٤) ، قالت كلا لاتقل ذلك فإن الله لايفعل ذلك بك أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وإن خُلُقَك لكريم ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو أول مرة أتته فأخبرته ما أخبرها به فقال والله إنه لصادق وإن هذا لَبَدْؤُ نبوة وإنه ليأتيه الناموس الأكبر فمُرِيه أن لايجعل فى نفسه إلا خيرا » .

---

(١) لاشك أن جبريل لما جاءه بحراء أول مرة كان على هيئة رجل ولما تبدى له بعد فترة الوحى على صورته الملكية له جناحان سد بهما الأفق وهو مستو على كرسى لم يكن ورقة إذ ذاك موجودا مما يدل على أن هذه كلها أخبار وروايات من صنع الخيال.

(٢) موضع بمكة .

(٣) بعيد على جبريل الأمين أن يجلس جلسة المتكبرين ثم يخاطب سيد المرسلين .

(٤) لم يشك الرسول كما قدمنا فى أن الذى نزل عليه هو الحق من عند الله ولكنه أراد أن يعرف رأى خديجة ويطمئن إلى تأييدها .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحى بحراء مكث أياما لا يرى جبرئيل فحزن حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى ثُبَيْر[١] مرة وإلى حِرَاء مرة أخرى يريد أن يلقى نفسه منه فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عامداً لبعض تلك الجبال إذ سمع صوتاً من السماء فرفع رأسه فإذا جبرئيل على كرسى مُتَرَبِّعاً عليه يقول يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبرئيل فانصرف وقد أقرّ الله عيْنه وَرَبَّط[٢] جأشه ، ثم تتابع[٣] الوحى بعد وحى » .

وأخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعية[٤] . قال : قال ورقة بن نوفل فيما كانت خديجة ذكرت له من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا لَلرِّجالِ وَصَرْفِ[٥] الدهر والقدر — وما لشىء قضاه الله من غِيَرِ[٦]
حتى خديجة تدعونى لأخبرها — وما لها بخفى الغيب من خُبُرِ[٧]
جاءت لتسألنى عنه لأخبرها — أمراً أراه سيأتى الناس من أخر
وخبرتنى بأمر قد سمعت به — فيما مضى من قديم الدهر والْعُصُرْ
بأن أحمد يأتيه ويخبره — جبرئيل أنك مبعوث إلى البشر

(١) جبل من جبال مكة .
(٢) سكن روعه .
(٣) نزل بكثرة .
(٤) شديد الحفظ .
(٥) أحداثه وخطوبه .
(٦) إى تغير وتبديل .
(٧) أى خبرة ومعرفة .

فقلت عَلَّ الذى تَرْجِين يُنجِزه[١] لك الإله فَرَجِّى الخير وانتظرى
وأرسلته إلينا كى نُسَائِلَه عن أمره مايرى فى النوم والسَّهَرِ
فقال حين أتانا منطقاً عجباً يَقِفُ[٢] منه أعالى الجِلْد والشعر
إنى رأيتُ أمين الله وَاجَهَنى فى صورة أُكْمِلَتْ من أَهْيَبِ الصُّوَرِ
ثم استمر فكان الخوف يُذْعِرُنى مما يُسَلِّمُ ماحَوْلى من الشجر
فقلت ظنى وما أدرى أيصدقنى أن سوف تُبْعَث تتلو منزل السور
وسوف آتيك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا مَنٍّ ولا كَدَرِ[٣]

وأخرج الطيالسى والترمذى والبيهقى عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن بمكة لَحَجَراً كان يُسَلِّمُ عَلَىَّ لَيَالِىَ بُعِثْتُ إنى لأعرفه إذا مررت عليه » .

وأخرجه مسلم بلفظ : « إنى لأعرف بمكة حجراً كان يسلم عَلَىَّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن »[٤] .

وأخرج الدارمى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه والطبرانى وأبونعيم والبيهقى عن على رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرج فى بعض نَوَاحيها فما استقبله شَجَرٌ ولا مَدَرٌ ولا جَبَلٌ إلا قال له عليك السلام يارسول الله وأنا أسمعه[٥] » .

---

(١) يقضيه ويتمه .
(٢) يقال قف الشعر إذ قام من شدة الفزع .
(٣) شعر ركيك وضعه أحد المتشاعرين على لسان ورقة ثم نسبه إليه .
(٤) نطق الجمادات له عليه السلام من جملة معجزاته الثابتة فى الصحيح ، فقد حن له الجذع الذى كان يخطب عليه وسبح الحصى فى كفه وأخبرته الذراع أنها مسمومة .
(٥) الحديث المحفوظ ليس فيه هذه الزيادة .

وأخرجه البيهقي من وجه آخر بلفظ « لقد رأيتُنِي أدخلُ معه الوادى فلا يمر بحجر ولا شجرٍ إلا قال السلام عليك يارسول الله وأنا أسْمَعُه » .

وأخرج البزار وأبو نعيم عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أوحى الله تعالى إلىَّ جعلت لا أَمُرُّ بحجر ولاشجر إلا قال السلام عليك يارسول الله» .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن بَرَّةَ بنت أبي تَجْرَاة قالت :« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد[1] حتى لايرى بيتا ويُفضِى إلى الشِّعَاب[2] وبُطُون الأودية فلا يمُرُّ بحجر ولاشجر إلا قال السلام عليك يارسول الله فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلايرى أحدا » .

وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر بمثله ، وزاد في آخره ، « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم وعليك السلام وكان جبرئيل عَلَّمَه التّحِيَّة » .

وأخرج ابن سعد والبيهقي من طريق إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : قال طلحة بن عبيدالله[3] «حضرت سوق بُصْرَى فإذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل فيهم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد بعد ؟قلت ومن أحمد؟ قال ابن عبدالله بن عبدالمطلب هذا شهره الذى

---

(١) ذهب إلى مكان بعيد .

(٢) جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل .

(٣) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم يكنى أبا محمد وكان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وهو من السابقين الأولين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى ولم يحضر يوم التشاور وثبت مع الرسول يوم أحد ووقاه يومئذ من ضربة قصد بها إليه فشلت يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم «قد أوجب طلحة» قتل يوم الجمل وهو ابن ستين سنة وقيل أربع وستين .

يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومُهاجَرُه إلى نخل وَحَرَّة وسِباخ فإياك أن تُسْبَقَ إليه قال طلحة فوقع فى قلبى ماقال فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدَث ؟ قالوا نعم محمد بن عبدالله الأمين قد تنبأ وقد تبعه ابن أبى قحافة[1] فخرجت حتى دخلت على أبى بكر فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر حتى دخل عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فَسُرَّ بذلك وأسلم طلحةُ فأخذ نَوْفَلُ بن العدويَّة أبا بكر وطلحة فشدَّهما فى حبل واحد فلذلك سميا القَرِينَيْنِ » .

وأخرج أبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « قال العباس خرجت فى تجارة إلى اليمن فى رَكْبٍ فيهم أبو سفيان بن حرب فَورد كتاب من حنظلة ابن أبى سفيان فيه أن محمداً قام بالأبطح فقال أنا رسول الله أدعوكم إلى الله ففشا ذلك فى مجالس اليمن فجاءنا حَبْرٌ من اليهود فقال بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى قال ماقال قال العباس فقلت نعم قال أنشدك هل كانت لابن أخيك صَبْوَةٌ[2] وَسَفْهَةٌ ؟[3] قلت لا وإلَهِ عبدالمطلب ولا كَذَبَ ولا خَانَ وإنْ كان اسمه عند قريش الأمين قال فهل كتب بيده؟ قال العباس فظننت أنه خير له أن يكتب ، فأردت أن أقول نعم فخشيت من أبى سفيان أن يُكَذِّبنِى ويرُدُّ على قلت لا يكتب فوثبَ الحبر وترك رِدَاءَهُ وقال ذُبِحَتْ يهود وقُتِلَتْ يهود قال العباس فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان ياأبا الفَضْلِ إن اليهود تَفْزَعُ من ابن أخيك قلت قد رأيتَ ما رأيتَ فهل لك يا أباسفيان فيه أن تؤمن[4] به ؟ فإن كان حقاً

---

(١) كنية والد أبى بكر واسمه عثمان .

(٢) الصبوة جهلة الفتوة يقال صبا يصبو صبوة وتصبى تصبيا وتصابى تصابيا ماله إلى اللهو واللعب . (٣) خفة وطيش .

(٤) كيف يدعو العباس أبا سفيان إلى الإيمان ولما يزل هو مشركا ؟ فإنه لم يسلم إلا قبيل الفتح .

كنت قد سبقت وإن كان باطلا فمعك غيرك من أَكْفَائِكَ[١] قال لا أومن به حتى أرى الخيل قد طَلَعَتْ فى كَدَاء[٢] قلت ما تقول ؟ قال كلمة جاءت على فِمِى ، إلا إنى أعلم أن الله لايترك خيْلاً تطْلُعُ على كَدَاء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أباسفيان تذكر الكلمة ؟ قال أى والله إنى لذَكِرُهَا »[٣] .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن هشام بن مسلم المخزومى عن معاويه ابن أبى سفيان عن أبيه قال خرجت أنا وأُمَيّةُ بن أبى الصلت تُجَّاراً إلى الشام فقال لى هل لك فى عالم من علماء النصارى إليه يَتَناهى علم الكتاب نسأله ؟ قلت لا أَرَبَ[٤] لى فيه فذهب ثم رجع فقال لى إنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت أخبرنى عن هذا النبى الذى ينتظر قال هو رجل من العرب قلت من من أى العرب ؟ قال من أهل بيت تحجه العرب من إخوانكم من قريش قلت فصفه لى قال رجل شاب حين دخل فى الكهولية بدأ[٥] أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو سجوح[٦] كريم الطرفين[٧] متوسط فى العشيرة أكثر جنده الملائكة فقلت وما آية ذلك ؟ قال قد رجفت الشام منذ

---

(١) نظرائك وأضرابك .

(٢) بفتح الكاف والمد الثنية التى بأعلى مكة عند الحجون وأما كدى بضم الكاف والقصر والتنوين فهى الثنية السفلى مما يلى باب العمرة .

(٣) لم يرد فى إسلام أبى سفيان شىء من ذلك ولم يكن أبو سفيان كاهنا يرجم بالغيب والخبر كله تبدو عليه سمة الاختلاق والكذب .

(٤) الأرب بفتحات الحاجة وأما الإرب بكسر فسكون فهو العضو والحاجة أيضاً .

(٥) يعنى ظهرت دعوته .

(٦) سهل الخلق لينه .

(٧) يعنى الأبوين .

هلك عيسى ثلاثين رجفة كلُّها مصِيبةٌ وبقيت رجْفة عامة فيها مصائب قال أبو سفيان فقلت هذا والله الباطل قال أُمَيّة والذى حلفت به إن هذا لهكذا ثم خرجنا فإذا براكب من خلفنا يقول أصاب أهل الشام بعدكم رجْفَةٌ دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عامة قال أبو سفيان فأقبل عَلَىَّ أمية فقال كيف ترى قول النصرانى ؟ قلت أرى والله إنه حق وقدمت مكة فقضيت ما كان معى ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فمكثت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فجاء الناس يسلمون علىّ ويسألون عن بضائعهم ثم جاءنى محمد صلى الله عليه وسلم فَسَلَّم عَلَىَّ ورحَّب بى وسألنى عن سفرى ومقامى ولم يسألنى عن بضاعته ثم قام فقلت لهند والله إن هذا ليعجبنى مامن أحد من قريش له معى بضاعة إلا وقد سألنى عنها وما سألنى هذا عن بضاعته قالت وما علمت شأنه إنه يزعم رسول الله فوقذتنى وذكرت قول النصرانى قلت لهو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله إنه ليقول ذلك [١].

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من طريق عروة بن الزبير عن معاوية بن أبى سفيان عن أبيه قال «كنا بغَزَّةَ أو بإيلِياء [٢] فقال أمية بن أبى الصلت ياأبا سفيان إيه [٣] عن عُتْبة بن رَبيعة [٤] قلت إيه عن عتبة بن ربيعة قال كريم الطرفين ويجتنب

---

(١) ذكر المؤلف هذه القصة سابقا من طريق مروان بن الحكم عن معاوية عن أبيه وفيها أن الشام رجفت بعد عيسى ثمانين رجفة والقصة هنا فيها زيادة كثيرة .

والعجب كيف يصدق أبو سفيان قول الراهب ويرى أنه حق ثم يكون منه تلك العداوة الشديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أى بضاعة كانت لرسول الله مع أبى سفيان حتى يجىء فيسأله عنها ؟ اللهم إلا أن تكون بضاعة لخديجة .

(٢) هى بيت المقدس .

(٣) إيه اسم فعل للاستزادة من حديث أو فعل .

(٤) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف كان هو وأخوه وابنه الوليد خرجوا للمبارزة يوم بدر فقتلوا جميعاً وكانوا من أشد الناس عداوة للرسول عليه السلام .

المظالم والمحارم ؟ قالت نعم وشريف مُسِنٌّ قال السن أزْرَى به(١) قلت كذبت بل ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا قال لاتعجل على حتى أخبرك إنى أجد فى كتبى نبياً يبعث من حَرَّتِنا هذه فكنت أظن أنى هو فلما دَارَسْت أهل العلم إذ هو من بنى عبد مناف فلم أجد أحداً يصْلُح لهذا الأمر غير عُتْبَة بن ربيعة فلما أخبرتنى بِسِنِّهِ عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يُوح إليه قال أبو سفيان فرجعت وقد أُوحى إلى رسول الله صل الله عليه وسلم فخرجت فى رَكْبٍ فى تجارة فمررت بأمية فقلت له كالمستهزىء به قد خرج النبى الذى كنت تنعته قال أما إنه حق فاتَّبِعْه(٢) وكأنى بك ياأبا سفيان إن خالفْتَه رُبِطْتَ كما يربَطُ الجَدْىُ حتى يُؤْتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد » .

وأخرج الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن عكرمة بن خالد أن ناساً من قريش ركبوا البحر عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فألقتهم الريح إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا فيها رجل فقال من أنتم ؟ قالوا نحن ناس من قريش قال وما قريش؟ قالوا أهل الحرم وأهل كذا فلما عَرَفَ قال نحن أهلها لا أنتم فإذا هو رجل من جُرْهُم(٣) قال أتدرون لأى شىء سُمِّىَ أَجْيَادٌ ؟ كانت خيولنا جياداً

---

(١) أى عابه ونقصه .

(٢) وكيف ينصح أمية أبا سفيان باتباع النبى صلى الله عليه وسلم وهو نفسه لم يسلم حين أكل الحسد قلبه مع علمه بذلك وبشارته به حتى قيل إن قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية نزلت فى أمية .

(٣) كانت ولاية البيت أولا فى إسماعيل وذريته ثم غلبهم عليه أخوالهم من جرهم ثم بغوا بمكة وظلموا من دخلها فرق أمرهم فوثب عليهم بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وغبشان من خزاعة فطردوهم ثم غلبت خزاعة على البيت حتى جاء قصى بن كلاب فقاتلهم بمن معه حتى تداعوا إلى الصلح فحكموا بينهم يعمر بن عوف من بنى بكر فقضى بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة فوليها قصى وبنوه إلى أن جاء الإسلام .

عطفت عليه فقالوا له إنه قد خرج فينا رجل يزعم أنه نبي وذكروا له أمره فقال اتبعوه فلولا حالى التي أنا عليها لحقْتُ معكم به(١) .

وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن حُميْد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال « سافرت إلى اليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة فنزلت على عَسْكَلَان بن عوَاكِنَ الحِمْيَرِى وكان شيخاً كبيراً وكنت لا أزال إذا قدمت إلى اليمن نزلت عليه فيسألنى عن مكة والكعبة وزمزم ويقول هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر(٢) هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم ؟ فأقول لا حتى قدمت القَدْمَةَ التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته(٣) وقد ضَعُفَ وثَقُلَ سمعه فنزلت عليه فاجتمع عليه ولده وولد ولده فأخبروه بمكانى(٤) فَشُدَّتْ عِصَابَةٌ على عينيه وأُسْنِد فقعد وقال لى انتسب ياأخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زُهْرَة قال حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة وهى خير لك من التجارة ؟ قلت بلى قال أنبئك بالمُعْجِبَة. وأبشرك بالمُرَغِّبَةِ ؟ إن الله قد بعث فى الشهر الأول من قومك نبياً . ارتضاه صفياً . وأنزل عليه كتاباً . وجعل له ثواباً . ينهى عن الأصنام . ويدعوا إلى الإسلام . يأمر بالحق ويفعله . وينهى عن الباطل ويبطله . فقلت ممن هو ؟ قال لا من الأزد ولا ثماله(٥) . ولا من السرو(٦) ولا تباله . هو من

---

(١) هذه قصص خيالية تشبه قصة السندباد البحرى .

(٢) الذكر النباهة الشرف .

(٣) يعنى وصلت إليه وبلغته .

(٤) أى بعقدى وحضورى .

(٥) الثمالة بقية الشراب فى الإناء .

(٦) نوع من الشجر قويم الساق حسن الهيئة واحده سروة فيه يقول الشاعر :

فى شجر السرو منهم شبه   له رواء وما له ثمر

بنى هاشم وأنتم أخواله . ياعبد الرحمن إخْفِ الوَقْعَةُ(١) . وعَجِّل الرجعة ـ ثم امض وَوَازِرْهَ(٢) وصَدِّقْهُ واحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذى المعالى	وفالق الليل والصباح
إنك فى السَّرْوِ(٣) من قريش	ياابن المُفَدَّى من الذِّباح(٤)
أأُرْسِلْت تدعو إلى يقين	ترشد للحق والفـــلاح
أشهد بالله رب موسى	أنك أرسلت بالْبِطَاح(٥)
فـكن شفيعى إلى مليك	يدعو البرايا إلى الفلاح

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وأسرعت فى تَقَضِّى حوائجى وانصرفت. فقدمت مكة فلقيت أبا بكر فأخبرته الخبر . فقال هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله رسولا إلى خلقه فآته فأتيته وهو فى بيت خديجة فلما رآنى ضحك ، وقال : «أرى وجها خلقاً أرجو له خيراً ماوراءك ؟ قلت وماذاك يامحمد ؟ قال حملتَ إلىَّ وديعة أم أرسلك مُرسل إلىَّ برسالة ، هاتها فأخبرته ، وأسلمت فقال أما إن أخا حمير من خواص المؤمنين ثم قال رُبَّ مؤمن بى ولم يرنى ومصدق بى وما شهدنى أولائك إخوانى حقا »(٦) .

---

(١) أى أكتم ما حدثتك به .

(٢) أعنه وأيده .

(٣) فى مكان الشرف والرفعة .

(٤) أى من الذبح ويعنى به عبد الله والد الرسول عليه السلام .

(٥) أى بطاح مـكة .

(٦) وهكذا يأبى الوضاعون إلا أن يفتعلوا لـكل سابق إلى الإسلام قصة تـكون سبب إسلامه فقصة لطلحة وقصة لعبد الرحمن وهكذا والحق أن هؤلاء جميعاً أسلموا حينما دعاهم أبو بكر إلى الإسلام وكان لهم من صفاء فطرهم ورجاحة حلومهم ما جعلهم يسارعون إلى الدخول فيه .

باب ماسمع من الكهان والأصوات بظهور النبى صلى الله عليه وسلم عند بعثته

أخرج البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مَرَّ به رجل فسأله قال: «كنت كاهنهُمْ فى الجاهلية قال فما أعجبُ ماجاءتك به جنِّيَّتُكَ ؟ قال بينا أنا يوما فى سوق جاءتنى فيها أعرف الفزع قالت:

ألم تر الجن وإبْلَاسها(١) ويَأْسها من بعد إنْكَاسِها(٢)

ولحوقها بالقلاص وأَحْلَاسها(٣)

قال عمر صدق بينا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ منه صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول ياجَلِيح، أمر نَجِيح، رجل نصيح، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى كذلك الثانية، والثالثة فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبى(٤).

وأخرج ابن‌سعد والبيهقى عن مجاهد «قال إن بنى غِفَارٍ»(٥) قَرَّبُوا عجلا

---

(١) الإبلاس الحيرة واليأس.

(٢) أى قلبها رأسا على عقب والمراد الأصنام.

(٣) القلاص جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القوائم أو الشابة منها أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إناثها والجمع قلائص وقلاص وقلص وقلصان والأحلاس جمع حلس بكسر فسكون أو حلس بفتحتين وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل.

(٤) رواه البخارى عن عمر فى باب إسلام عمر.

(٥) هم رهط أبى ذر رضى الله عنه وفى الحديث الصحيح «غفار غفر الله لها».

ليذبحوه على نُصُب(١) من أنصابهم فبينما هو موقوف(٢) إذ صاح فقال يا لذريح(٣)، أمر نجيح، صائح يصيح، بلسان فصيح، يدعو بمكة أن لا إله إلا الله فكفوا عنه وذهبوا ينظرون فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث»(٤).

وأخرج أحمد والبيهقي عن مجاهد قال حدثنا شيخ أدرك الجاهلية قال «كنت أسوق لآل(٥) لنا بقرة فسمعت من جوفها يالذريح، قول فصيح، رجل يصيح، أن لا إله إلا الله فقدمنا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة».

وأخرج البيهقي عن الْبَرَاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لسواد بن قارب «حدثنا بِبَدْء إسلامك قال كان لي رئيي(٦) من الجن فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني قال قم فافهم واعقل، إن كنت تعقل قد بعث رسول من لُؤَيّ(٧) بن غالب ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وأنجاسها(٨) وشدها العيس(٩) بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما مومنوها مثل أرجاسها(١٠)

---

(١) هي حجارة كانت تنصب حول الكعبة فيهل عليها ويذبح لغير الله.

(٢) أي محبوس ليذبح قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار).

(٣) اسم كاهن من كهان الجاهلية.

(٤) هذا الأثر موافق لحديث عمر الذي قبله فلعل القصة واحدة إلا أنه بدله جليح هناك بذريح هنا والأمر هين وهما متقاربان في النطق.

(٥) هو لغة في أهل وقيل الآل لا يكون إلا للشريف العظيم.

(٦) رئي القوم الذي يرجعون إلى رأيه.

(٧) لؤي هو الجد الثامن لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٨) جمع نجس وهو الكافر منهم.

(٩) العيس هي الإبل البيض.

(١٠) جمع رجس وهو الكافر.

فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

ثم أنبهني وأفزعني وقال يا سواد بن قارب إن الله تعالى بعث نبيا فانهض إليه تهتد وترشد فلما كانت فى الليلة الثانية أتانى فأنبهني ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتَطْلَابِها (١) وَشَدِّها الْعِيس بأَقْتَابِها (٢)

تهوى (٣) إلى مكة تبغى الهدى ما صادقوا الجن كَكذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قُدَّامُها كأَذْنابها (٦)

فلما كان فى الليلة الثالثة أتانى فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وَتَجْسَارِها (٥) وَشَدِّها العيس بأَكْوَارِها (٤)

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس ذوو الشر كأخيارها

فانهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنوا الجن ككفارها

قال فلما سمعته يكرر على ليلة بعد ليلة وقع فى قلبى حب الإسلام فانطلقت حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال مرحبا بك يا سوادُ بنَ قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه منى فقلت :

أتانى رئيي بعد ليل وَهَجْعَة (٧) ولم يك فيما قد بلوت (٨) بكاذب

---

(١) هو مصدر كالطلب .

(٢) جمع قتب وهو الرحل .

(٣) تسير بسرعة .

(٤) يعنى ليس السابق إلى الإسلام كالمتأخر فيه .

(٥) الجسارة الجرأة والشدة .

(٦) جمع كور وهو الدور من العمامة وفى الحديث « أعوذ بك من الحور بعد الكور » والمراد به هنا الرحل .

(٧) نوم وسكون .

(٨) اختبرت وامتحنت .

ثلاث ليـال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤى بن غالب

فشمرت عن ساقى الإزار ووسطت بى الذِّعْلِبُ الْوَجْناء(١) عند السَّبَاسِبِ(٢)

فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين شفاعة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطائب(٣)

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذَّوائبِ(٤)

وكن لى شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب(٥)

هذا الحديث له عدة طرق فأخرجه ابن شاهين فى الصحابة من طريق الفضل ابن عيسى الرقاشى عن العلاء بن زيدل ، عن أنس بن مالك قال : دخل سواد بن قارب على النبى صلى الله عليه وسلم فذكر القصة بطولها، وأخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده من طريق الحسين بن عمارة عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : دخل سواد بن قارب على عمر فذكر الحديث بطوله ، وأخرجه البخارى فى تاريخه والبغوى والطبرانى من طريق عَبَّاد بن عبد الصمد سمعت سعيد بن جبير أخبرنى سواد بن قارب قال كنت نائما فذكره بطوله. وأخرجه الحسن بن سفيان وأبو يعلى والحاكم والبيهقى والطبرانى من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى عن محمد بن

---

(١) الناقة الشديدة .

(٢) جمع سبسب وهى المفازة أو الأرض البعيدة المستوية .

(٣) جمع أطيب وهو الشريف النسب .

(٤) جميع ذؤابة وهى الناصية أو شعر مقدم الرأس وذؤابة كل شىء أعلاه .

(٥) لا يجوز أن تطلب الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل إنما تطلب من الله عز وجل فإن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه بأن يقول الطالب للشفاعة اللهم شفع فينا نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم .

كعب القرظى قال دخل سواد على عمر فذكره بطوله .

وأخرجه ابن أبى خيثمة والرويانى فى مسنده والخرائطى من طريق أبى جعفر الباقر قال دخل سواد بن قارب على عمر فذكره(١) .

وأخرج البيهقى عن هشام بن محمد الكلبى قال حدثنى شيوخ من شيوخ طى أن مازنا الطائى كان بأرض عُمَان وكان يَسْدُنُ(٢) الأصنام لأهله وكان له صنم يقال له ناجز قال مازن فَعُتِرَتْ ذات يوم عَتِيرَةً(٣) وهى الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم يقول : يا مازن أقبل إلى أقبل ، تسمع مالا يجهل ، هذا نبى مرسل ، جاء بحق منزل ، فآمن به كى تعدل ، عن حر نار تشعل ، وقودها بالجندل(٤) . قال مازن ، فقلت إن هذا والله لعجب ، ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا أبين من الأول وهو يقول يا مازن أسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث

---

(١) أطال المؤلف فى ذكر الطرق التى روى منها هذا الحديث ورغم ذلك ففى النفس منه شىء فقد جاء فى بعض الروايات أن عمر كان يخطب فقال أفيكم سواد بن قارب ؟ فلم يجبه أحد تلك السنة وفى السنة التى بعدها قال مثل ذلك فقال له البراء وما سواد بن قارب ؟ فقال عمر إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً فلم يلبث أن طلع سواد بن قارب فسأله عمر عن بدء إسلامه إلخ الحديث .

فإذا كان سواد بن قارب قد وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى قصته العجيبة فكيف جهلها الصحابة حتى يقول البراء ما سواد بن قارب ؟ ثم يأتيه سواد فيحدث عن قصته كأنهم لم يسمعوها قبل .

وفى بعض الروايات أنه كان بالهند فأتاه الرئى ولعل سواد بن قارب هذا هو الكاهن الذى جاء فى حديث عمر . ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره .

(٢) أى يخدمها ويقوم على شئونها .

(٣) العتيرة شاة كان العرب يذبحونها لآلهتهم فى شهر رجب وجمعها عتائر وفى الحديث « لا عتيرة فى الإسلام » .

(٤) الوقود ماتوقد به النار والجندل الحجارة الغليظة .

نبي من مُضَر، بدين الله الأكبر، فدع نَحِيتاً(١) من حجر، تسلم من حرِّ سقَر.
قال مازن فقلت والله إن هذا لعجب وإنه لخير يراد بي، وقدم علينا رجل من
الحجاز فقلنا ماالخبر وراءك؟ قال خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله
يقال له أحمد فقلت هـذا والله نبأ ماسمعت(٢) فرحلت حتى أتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشرح لي الإسلام فأسلمت . فقلت يا رسول الله إني امرؤ
مُولَعٌ بالطرب وشرب الخمر ولَهَلُوك من النساء(٣) وألَحَّتْ علينا السُّنون(٤)
فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب
عني ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وآته بالحياء (٥) وهب له ولداً قال مازن
فأذهب الله عني كل ما كنت أجد وأخصبت عُمان وتزوجت أربع حرائر ووهب
الله لي حيان بن مازن، وأخرجه الطبراني وأبو نعيم من طريق هشام بن الكلبي
عن أبيه عن عبد الله العماني قال كان رجل منا يقال له مازن يَسْدِنُ صنما قال
مازن فعترت عتيرة فذكر نحوه .

وأخرج ابن سعد وأحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم عن جابر
ابن عبد الله قال: «أول خبر قدم المدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة من
أهل المدينة كان لها تابع فجاء في سورة(٦) طائر حتى وقع على حائط دَارِهم
فقالت له المرأة إنزل قال لا إنه بعث بمكة نبي منع منا الْقَرار وحرَّم علينا الزنا،

---

(١) النحيت بمعنى المنحوت كقتيل بمعنى المقتول .
(٢) يعني مصداق ماسمعته من جوف الصنم .
(٣) هي الفاجرة ،سنبقة والجمع هلك بضمه .
(٤) اشتد بنا الجدب والقحط .
(٥) هو المطر ويستعمل ممدودا ومقصورا .
(٦) لعلها صورة بالصاد بمعنى الشكل والهيئة .

وأخرجه ابن سعد والبيهقى من وجه آخر عن على بن حسين مرسلا .

وأخرج أبو نُعيم عن أرطأة بن المنذر قال سمعت ضمرة يقول كانت امرأة بالمدينة يَغشاها(١) جانٌّ فغاب فلبث ما لبث فلم يأتها ثم أطلع من كُوَّةٍ(٢) فقالت ما كانت لك عادة تطلع من كوة قال إنه خرج نبى بمكة وإنى سمعت ما جاء به فإذا هو يحرم الزنا فعليك السلام .

وأخرج أبو نعيم عن عثمان بن عفان قال « خرجنا فى عِيرٍ إلى الشام قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كنا بأفْواه(٣) الشام وبها كاهنة فتعرضتنا وقالت أتانى صاحبى فوقف على بابى فقلت ألا تدخل ؟ قال لا سبيل إلى ذلك خرج أحمد جاء أمر لا يطاق ثم انصرفت فرجعت إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله تعالى »(٤) .

وأخرج ابن شاهين فى الصحابة وابن منـــدة فى دلائل النبوة والمعافى فى الجليس عن أبى خَيْثَمة عن عبد الرحمن بن أبى سُبْرة قال حدثنى ذُباب بن الحارث الصحابى رضى الله عنه قال كان لابن وَقْشَة رئى من الجن يخبره بما يكون فأتاه ذات يوم فأخبره بشىء فنظر إليه فقال ياذباب ياذباب ، إسمع العَجب العُجاب ، بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب ، فقلت له ما هـذا ؟ قال لا أدرى كذا قيل ، فلم يكن إلا قليل ، حتى سمعت بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت .

---

(١) يقع عليها ويزنى بها .

(٢) هى بضم الكاف وقد يفتح الخرق فى الحائط يدخل منه الشمس والهواء .

(٣) يعنى بمشارفها وحدودها .

(٤) المعروف أن عثمان وبقية العشرة إنما أسلموا على يد أبى بكر رضى الله عنه .

وأخرج عمر بن شبّة عن الجُموح بن عثمان الغفارى قال كنا بمنازلنا فى الجاهلية فإذا صائح يصيح من الليل فذكر رَجَزاً(١) ثم عاد الليلة الثانيـة ثم الثالثة فلم ننشب إذ جاءنا ظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن يزيد بن رُومان قال خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عُبيد الله فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وقال عثمان يارسول الله قدمت حديثا من الشام فلما كنا بين مَعَان(٢) والزَّرْقاء(٣) فنحن كالنيام إذا مناد ينادى أيها النيام هُبُّوا فإن أحمد قد خرج بمكة فقدمْنا فسمعنا بك .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن سفيان الهُذَلى قال خرجنا فى عيرٍ لنـا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومعان قد عَرَّسنا(٤) من الليل إذا بفارس يقول أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رُقَادٍ قد خرج أحمد وطُرِدَت الجن كل مُطرد(٥) ففزعنا ونحن رُفْقَة حَزَاوِرَةٌ(٦) كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينـا فإذا هم يذكرون اختـلافا بمكة بين قريش بنبى خرج فيهم من بنى عبد المطلب اسمه أحمد .

وأخرج أبو نعيم عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التَّيْمِى أن رجلا مر على

---

(١) هو بحر من بحور الشعر يقال رجز وارتجز فهو راجز ورجاز إذا أنشد شعراً من هذا البحر .

(٢) بلدة فى الأردن بينها وبين المدينة ٤٣٠ ك. م. .

(٣) بلدة فى سوريا على بعد ١١٠٠ ك م من المدينة .

(٤) التعريس هو النزول من آخر الليل .

(٥) يعنى حيل بين الشياطين وبين اختراق السمع ورموا بالشهب .

(٦) الحزور والحرور الغلام اذا اشتد وقوى .

عمر فقال أكاهن أنت متى عهدك بصاحبتك؟ قال قبيل الإسلام أتتنى فصرخت ياسلام ياسلام الحق المبين والخير الدائم غير حلم النائم الله أكبر فقال رجل من القوم يأمير المؤمنين أَمَا أُحَدِّثك مثل هذا والله إنا لنسير دَوِيَّة مَاساء(١) لانسمع فيها إلا الصِّدَاء(٢) إذ نظرنا فإذا راكب مقبل فقال يا أحمد يا أحمد الله أعلى وأمجد آتاك ما وعدك من الخير يا أحمد ثم ذهب فقال رجل من الأنصار أنا أحدثك مثل هذا انطلقت إلى الشام فلما كنا بِقَفْرَة(٣) من الأرض إذا هاتف من خلفنا يقول :

قد لاح(٤) نجم فأضاء مَشْرِقه يخرج من ظَلْمَاءعَسُوف مُوبِقَه(٥)
ذاك رسول مُفْلِحٌ من صَدَّقه الله أعلى أمره وحققه

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قُبَيْس بمكة فقال :

قَبَّحَ الله رَأْىَ كعب بن فِهر(٦) ما أَرَقَّ(٧) العقول والأحلام
دِينُها أنهـــا يُعَنِّفُ فيها دِين آبائها الحماة الْكِرَام(٨)

---

(١) يعنى برية مستوية .
(٢) هو ما يرده الجبل أو نحوه إلى المصوت مثل صوته .
(٣) القفرة هى الأرض اليابسة التى لا نبات فيها .
(٤) لاح يلوح إذا ظهر ضوءه .
(٥) يعنى يخرج من مفازة شديدة الظلام يسلك فيها السارى على غير معلم ولا أثر ، موبقة أى مهلكة .
(٦) يعنى بذلك بطون قريش كلها لأنها تفرعت من كعب .
(٧) من الرقة بمعنى الخفة والطيش .
(٨) يعنى أن الدين الجديد الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قام على تجهيله آبائهم وتسفيه أحلامهم وشتم آلهتهم .

حالف الجن حين يقضى عليكم ورجال النخيل والآطام[١]

يوشك الخيل أن تراها تهادى تقتل القوم فى البلاد العظام

هل كريم منكم له نفسُ حُرٍّ ماجد الوالدين والأعمام

ضارب ضربة تكون نكالاً[٢] ورَوَاحاً[٣] من كُرْبَةٍ واغْتِمام

فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة وأصبح المشركون يتناشدونه بينهم وهَمُّوا بالمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شيطان يكلم الناس فى الأوثان يقال له مِسْعَر والله يخزيه فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا مِسْعرًا لما طَغَى واستكبرا

وسَفِهَ الحق وسَنَّ المنكرا قَنَّعْتُه سيفاً جَرُوفاً مُبْتِرَا

بشتمه نبينا المطهرا[٤]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلكم عفريت[٥] من الجن يقال له سمحج سميته عبد الله آمن بى فأخبرنى أنه فى طلبه منذ أيام .

وأخرج الفاكهى فى أخبار مكة من حديث ابن عباس عن عامر بن

---

(١) جمع أطم وهو الحصن. (٢) تكون عبرة للغير .

(٣) يعنى راحة وسرورا وهو فى هذين البيتين يستثير نخوة قريش فى الدفاع عن دين آبائها .

(٤) هذه الأبيات ومايجىء بعدها نقلت كما وجدت فى النسخ الموجودة وصححه العلامة السيد أبو بكر بن شهاب الدين الحضرمى هكذا :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى وسفه الحق وسن المنكرا

قنعته سيفاً جروفاً مبتراً بشتمه نبينا المطهرا

(٥) العفريت النافذ فى الأمر مع دهاء من الإنس والجن والشياطين .

ربيعة[١] قال بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فى بدء الإسلام إذ هتف هاتف على بعض جبال مكة فحرض على المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا شيطان ولم يعلن شيطان بتحريض على نبى إلا قتله الله تعالى فلما كان بعد ذلك قال لنا النبى صلى الله عليه وسلم قد قتله الله تعالى بيد رجل من عفاريت الجن يدعى سمحجا وقد سميته عبد الله فلما أمسينا سمعت هاتفا بذلك المكان يقول :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا
وصغر الحق وسن المنكرا بشتمه نبينا المطهرا

وأخرج أبو نعيم والفاكهى فى أخبار مكة عن عبد الرحمن بن عوف قال، لما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رجل من الجن على أبى قُبَيْس يقال له مسعر فقال ، قبح الله رأى كعب بن فهر ، الأبيات وأصبحت قريش تقول توانيتم[٢] حتى حَرَّضكم الجن فلما كانت القابلة قام فى مقامه رجل من الجن يقال له سمحج فقال :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا
بشتمه نبينا المطهرا أوردته سيفا جروفا مبترا
إنا نذود من أراد البطرا[٣]

وأخرج أبو سعد فى (شرف المصطفى) عن جَنْدَل بن نَضْلة أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان لى صاحب من الجن فأتانى فَدَهَمَنى[٤] وقال :

---

(١) هو ابن حجير بن سلامان العنزى كان حليفاً للخطاب ابن نفيل فكان يقال له عامر بن الخطاب ثم نسب إلى أبيه حين حرم التبنى هاجر الهجرتين وشهد بدرا وتوفى سنة ٣٢ هـ .

(٢) يعنى أبطأتم وقصرتم فى محاربة الإسلام .

(٣) البطر جحد الحق والطغيان .

(٤) أى فاجأنى .

هُبَّ(١)فقد لاح سراج الدين لصادق مُهَـــذَّب أمين
فارحل على نَاجِيةٍ أَمُون(٢) تمشى على الصَّحْصَح والحُزُون(٣)

فانتبهت مذعوراً فقلت ماذا ؟ قال وَساطح الأرض ، وفَارِض الفرض، لقد بعث محمد فى الطُّول والعَرْض ، نشأ فى الحُرُمات(٤) العظام وهاجر إلى طيبة الأمينة فسرت فإذا أنا بهاتف يقول :

يا أيها الراكب المُزْجِى(٥) مَطِيته نحو الرسول لقد وُفِّقْتُ للرَّشَد

وأخرج ابن الكلبى عن عدى بن حاتم قال كان لى عسيف(٦) من كلب يقال له حابس بن دِغْنَة فبينا أنا ذات يوم بفنائى إذا أنا به مُرَوَّعُ(٧) الفؤاد فقال دونك إبلك قال ماهاجك؟(٨) قال بينا أنا بالوادى إذا بشيخ من شعب جبل تجاهى كأن رأسه رَخَمَة(٩) فانحدر عَمَّا تزل(١٠) عنه العُقَاب(١١) وهو مُتَرَسِّل(١٢).

---

(١) أمر من الهبوب وهو الاستيقاظ وترك الرقاد .
(٢) الناجية السريعة والأمون الوثيقة الخلق .
(٣) الصحصح الأرض المستوية والحزون ضدها .
(٤) يعنى مكة حرم الله الآمن .
(٥) يقال زجاه زجوا وأزجاه إزجاء أوزجاه تزجية إذا ساقه برفق ومنه قوله تعالى (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) .
(٦) يعنى أجيرو الجمع عسفاء .
(٧) مفزوع الفؤاد .
(٨) يعنى أى شىء أغضبك .
(٩) يعنى أنها مبيضة .
(١٠) تسقط وتزلق .
(١١) طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى المخالب له منقار أعقف
(١٢) متمهل فى انحداره

غير مُنْزَعج حتى استقرت قدماه في الْحضِيض(١) وأنا أُعَظِّمَ ما أرى فقال :

يا حابس بنَ دِغْنة يا حابس لاتعرضن إليك الوساوس
هذا سَنَا النُّورِ بكف الْقَابِس(٢) فاجْنَحْ إلى الحق ولاتُوَالِس.(٣)

قال ثم غاب فرَوَّحْتُ إبلى وسَرَّحْتُها إلى غير ذلك الوادى ، ثم اضطجعت فإذا راكب قد رَكَضَنى فاستيقظت فإذا هو صاحبى وهو يقول :

ياحابس اسمع ما أقول ترْشُدِ ليس ضَلُولٌ حائر كمهتدى
لاتتْرُكَنْ نَهْجَ الطريق الأقْصَدَ(٤) قد نُسِخَ الدين بدين أحمد

قال فأُغمِىَ على ثم أفقت بعد زمن وقد امتحن الله قلبي للإسلام .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن عمرو بن مُرَّةَ الجهنى قال : « خرجت حاجا فرأيت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعا من الكعبة حتى أضاء لى جبَلُ يثرب فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحِيْرَة وأبْيَض المدائن فسمعت صوتا فى النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فانتبهت فزعا فقلت لقومى والله ليحدثن فى هذا الحى من قريش حَدَثٌ وأخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا أن رجلا يقال له أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت ثم أسلمت وقلت يارسول الله ابعث بى إلى قومى فبعثنى إليهم فدعوتهم إلى الإسلام فأجابوا إلا رجلا منهم قام فقال ياعمرو بن مرة أمرَّ الله

---

(١) فى أسفل الجبل .

(٢) الطالب المستفيد .

(٣) يعنى اركن إلى الحق ولا تخادع نفسك .

(٤) لا تتركن سلوك الطريق الأقوم .

عيشك[١] أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونخالف دين آبائنا ثم قال :

إن ابنَ مُرَّةَ قد أتى بمقالة ليست مقالة من يريد صلاحا
إنى لأحسب قوله وفعاله يوما وإن طال الزمان رِيَاحا[٢]
أيُسَفِّهُ الأشْيَاخَ ممن قد مضى ؟ مَنْ رَام ذلك لاأصاب فلاحا[٣]

فقال عمرو بن مُرَّة الكاذب منى ومنك أَمَرَّ الله عيشه وأَبْكَم لسانه وأَكْمَهَ بصرَه[٤] فوالله ما مات حتى سقط فُوهُ فكان لايجد طعم الطعام وعمى وخَرِسَ[٥] .

وأخرج أبو نعيم والخرائطى وابن عساكر من طريق ابن خَرَّبُوذَ المكى عن رجل من خَثْعَم قال كانت العرب لاتُحَرِّم حلالا ولا تُحِلُّ حراما ما كانوا يعبدون الأوثان ويتحاكمون إليها[٦] فبينا نحن ذات ليلة عند وَثن لنا جُلُوس وقد تقاضينا إليه فى شىء إذ هتف هاتف وهو يقول :

يا أَيها الناس ذووا الأجسام ومُسْنِدُوا الحكم إلى الأصنام

---

(١) دعاء عليه بأن يجعل الله عيشه مريراً أى شاقا .
(٢) يعنى تذهب هباء وتتلاشى كما تذهب الرياح .
(٣) يعنى أيجهل آباءنا الذين مضوا وينسبهم إلى الضلال فمن قصد ذلك لا أنجح الله قصده فقوله لاأصاب فلاحا جملة دعائية .
(٤) أبكم لسانه أخرسه وأكمه بصره أعماه .
(٥) لقد أطال المؤلف جداً فى ذكر أخبار هذه الهواتف حتى خيل إلينا أن الجزيرة قد انقلبت مسرحاً لأعمال هؤلاء الجن وأنهم نصبوا من أنفسهم دعاة يبثون دعوته عليه السلام فى القبائل وكان جديراً بالمؤلف أن يلتزم ما قاله فى خطبة كتابه من أنه نزهه عن الأخبار الموضوعة وما يرد .
(٦) كيف هذا والقرآن ينسب إليهم أنهم حرموا الحلال وأحلوا الحرام بأهوائهم فقد حرموا البحيرة والسائبة والحامى وأحلوا الشهر الحرام وأرجأوا حرمته إلى شهر آخر وهو النسىء الذى عابه الله عليهم .

ما أنتم وطائش الأحلام هذا نبى سيد الأنام
أَعَدْلُ ذِى حُكم من الأحكام يصدع بالنور وبالإسلام
ويَرْدع[١] الناس عن الآثام مُسْتَعْلِنٌ[٢] فى البلد الحرام

قال ففزعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثا حتى بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة ثم قدم المدينة فجئتُ فأسلمتُ .

وأَخرج ابن سعد والبزار وأَبو نعيم عن جبَيْر بن مُطْعِم قال « كنا جلوساً عند صنم ببُوَانَةَ قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر[٣] نحرنا جَزُورا[٤] فإذا صائح يصيح من جوف الصَّنَم يقول ألا اسمعوا إلى العجب . ذهب استراق السمع للوحى وَيُرْمَى بالشُّهُب . لنبى بمكة اسمه أحمد مُهَاجَرُه إلى يثرب . قال جبَيْر فأمسكنا وعجبنا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج أبو نعيم عن تميم الدَّارِى قال : « كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى بعض حاجتى وأدركنى الليل فقلت أنا فى جِوَار عَظِيم هذا الوادى[٥] فلما أخذت مضجعى إذا أنا بمناد ينادى لا أراه عُذْ بالله فإن الجن لا تُجِير على الله أحداً[٦] فقلت أيم الله ماتقول ؟ قال قد خرج الرسول

---

(١) الردع الزجر والنهى .
(٢) أى ظاهر غير مستخف .
(٣) هذا مناف لما جاء بالحديث الصحيح الذى قدمناه وهو أنه لم يكن ببوانة صنم يعبد ولا عيد جاهلى .
(٤) هو ما يجزر من الإبل والغنم ولكن غلب استعماله فى الإبل كقوله عليه السلام « من أكل لحم جزور فليتوضأ » .
(٥) المعروف أن تميما كان نصرانياً على دين سماوى والاستعاذة بالجن إنما كانت فى عباد الأوثان .
(٦) لا نستطيع أن نحمى من أراده الله بسوء .

الأمين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون[١] فأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن وَرُمِيَتْ بالشهب فانْطَلِقْ إلى محمد رسول رب العالمين فَأَسْلِمْ قال تميم فلما أصبحت ذهبت إلى راهب فأخبرته الخبر فقال قد صَدَقُوك يخرج من الحرم ومُهَاجره الحَرَم وهو خَيْرُ الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه » .

وأخرج أبو نعيم عن خُوَيلِدِ الضَّمْرِى[٢] قال : « كنا عند صنم جلوساً إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح ذهب استراق السمع للوحى ورمى بالشهب لنبى بمكة اسمه أحمد[٣] ومهاجره إلى يثرب[٤] يأمر بالصلاة والصيام ، والْبِرِّ والصِّلاَتِ للأرحام . فقمنا من عند الصنم فسألنا فقالوا خرج بمكة نبى اسمه أحمد » .

وأخرج أبو نعيم وابن جرير والمعافى بن زكريا وابن الطَّرَّاح فى كتاب الشواعر بأسانيدهم عن العباس بن مِرْدَاس[٥] قال : « كان أول إسلامى أن أبى لما حضرته الوفاة أوصانى بِصَنَم يقال له ضُمار فجعلته فى بيت وجعلت آتيه كل يوم فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً من جوف الصنم بالليل وهو يقول:

قل للقبائل من سُلَيْم كُلِّها ... هلك الأنيس وعاش أهل المسجد
أَوْدَى[٦] ضُمار وكان يُعْبَدُ مَرَّةً ... قبل الكتاب إلى النبى محمد

---

(١) بفتح الحاء وضم الجيم الجبل المشرف على مسجد جبل الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد وهى مقبرة أهل مكة .

(٢) نسبة إلى بنى ضمرة وهم من بنى قشير بن كعب بن ربيعة وكان لهم عدد بالبصرة قاله ابن قتيبة فى المعارف .

(٣) لم يكن النبى عليه السلام معروفاً فى مكة بهذا الاسم وإنما سماه الله به فى الإنجيل .

(٤) وما الذى أدرى الجن بذلك وإنما هى علامات يعرفها أهل الكتاب .

(٥) هو العباس بن مرداس السلمى أحد المؤلفة قلوبهم .

(٦) أودى يودى يعنى هلك .

إن الذى وَرِثَ النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال فكتمته الناس فلم أحدث به أحداً فلما رجع الناس من غزوة الأحزاب[١] فبينما أنا فى إبلى بطرفِ العقيق[٢] من ذات عرْقٍ سمعت صوتاً شديداً فرفعت رأسى فإذا برجل على جناحَىْ نعَامة وهو يقول النور الذى وقع يوم الاثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء[٣]. فى ديار بنى أخى العنقاء[٤]، فأجابه هاتف عن شماله لا أبصره فقال: بشر الجن وإبْلاَسَهَا. إن وضعت المَطِىُّ أَحْلاَسَهَا، وبَيَّنَتْ السماء أحْرَاسها. قال فَوَثَبْتُ مَذعوراً وعلمت أن محمداً مُرْسلٌ »[٥].

وأخرج الخرائطى والطبرانى وأبو نعيم من وجه آخر عن العباس بن مرداس: أنه كان يُغَبِّرُ[٦] فى لِقَاحٍ[٧] له نِصْفَ النهار إذ طلعت عليه نعامة بيضاء مثل القطن عليها راكب عليه ثياب بيض مثل القطن فقال ياعباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد حُفَّتْ أحراسها، وأن الحرب جرَّعتْ أنفَاسها، وأن الخيل وضَعَتْ أحلاَسَهَا، وأن الذى جاء بالبر ولد يوم الإثنين فى ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القَصْوَاء،

---

(١) كانت سليم وغطفان قد اشتركوا مع قريش فى حصار المدينة فى هذه الغزوة فردهم الله جميعاً بغيظهم لم ينالوا خيراً.

(٢) واد قريب من المدينة وفى حديث عن عمر « أتانى آت بالعقيق فقال صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ».

(٣) العضباء المشقوقة الأذن.

(٤) العنقاء طائر كانت تتخيله العرب مركبا من رأس إنسان وبدن طائر.

(٥) من رأى ذلك كله ماله لم يؤمن الإيمان كله ولماذا كان من المؤلفة قلوبهم الذين يشترى ولاؤهم للإسلام بالشويهات والدريهمات.

(٦) المغبر الطالب للشىء.

(٧) هى النوق الحلوب الغزيرة اللبن واحدتها لقوح.

فخرجت مرعوبا حتى جئت وثناً يدعى ضمار فإذا صائح من جوفه يصيح : قل للقبائل الأبيات .

وأخرج أبو نعيم من وجه ثالث[١] عن العباس بن مرداس قال « بينا أنا نصف النهار جالس فى فَىْءِ شجرة إذ طلعت على نعامة بيضاء عليها رجل أبيض عليه ثياب بياض فقال : عباس ياعبَّاسَها ، ياابن قَيْل مِرْدَاسِها . ألم تر إلى الجن وإبلاَسها ، والحرب قد جرعت أنفاسها ، وأن السماء منعت أحراسها ، فانصرفت فلم أزل أسأل حتى قدم عَلَىَّ ابن عم لى فأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله مُسْتَخْفِياً » .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن سعيد بن عمرو الهذلى عن أبيه قال: « ذبحت ذبيحة على الصنم فسمعت من جوفه صوتا العجب كل العجب . خرج نبى من بنى عبد المطلب . يحرم الزنا ، ويحرم الذبح للأصنام وحرست السماء ورمينا بالشهب ، فتفرقنا فقدمنا مكة فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم حتى لقينا أبا بكر الصديق فقلنا يا أبا بكر خرج بمكة أحد يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد ؟ قال وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر قال نعم : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو رسول الله » .

وأخرجا من وجه آخر عن عبد الله بن ساعدة الهذلى عن أبيه قال : « كنت عند صنم لنا فسمعت مناديا من جوفه ينادى قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لنبى اسمه أحمد. فانصرفت فلقيت رجلا فخبرنى بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن منده عن بَكْرَةَ بن جَبَلة قال : كان لنا صنم فَعَتَرْنا[٢] عنده فسمعت صوتاً يقول يابكر بن جبلة تعرفون محمدا ؟

---

(١) لو ذكر هذا من مائة وجه فإنه لا يزيده عند ذوى العقول إلا ضعفا .

(٢) يعنى ذبحنا عنده عتيرة وهى الذبيحة فى رجب .

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس «أن رجلا قال يارسول الله خرجت فى الجاهلية أطلب بعيراً لى شَرَدَ فهتف بى هاتف فى الصبح يقول :

يا أيها الراقد فى الليل الأَجَم قد بعث الله نبياً فى الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يَجْلُودُ جُنَّات الدياجى والظُّلَم

فَأَدَرْتُ طَرْفى فما رأيت له شخصاً فقلت :

يا أيها الهاتف فى دَاجى الظُّلَم أهلا وسهلا بك من طَيْفٍ أَلَم(١)
بَيِّنْ هداك الله فى لَحْنِ الكَلِم(٢) ماذا الذى تدعو إليه يُغْتَنَمْ

فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزُّوُر(٣) ، وبعث الله محمداً بالْخُيُور(٤) ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما حَجَّ له رَكْبٌ وَحَثّ(٥)

ثم لاح الصباح فوجدت البعير .

وأخرج أبو سعد فى (شرف المصطفى) عن الجعد بن قيس المرادى قال : خرجنا أربعة أَنْفُس نريد الحج فى الجاهلية فمررنا بِوَادٍ من أودية اليمن فلما أقبل

---

(١) الطيف هو مايتراءى للنائم من الخيال فى النوم ومعنى ألم طرق وهجم .
(٢) لحن الكلام فحواه ومعاريضه .
(٣) الشرك وعمل الجاهلية .
(٤) الخيور جمع خير ضد الشر وهو حصول الشىء على كماله .
(٥) حث أسرع المطى .

الليل استعذنا بعظيم الوادى[١] وعَقَلْنَا رواحلنا فلما هدأ الليل ونام أصحابى إذا هاتف من بعض أرجاء الوادى يقول :

ألا أيها الركب الْمُعَرِّس[٢] بلغوا ... إذا ماوقفتم بالحطيم[٣] وزمزما
محمد المبعوث منا تحيــــــة ... تُشَيِّعُه من حيث سار وَيَمَّمَا[٤]
وقولوا له إنا لدينك شيعة[٥] ... بذلك أوصانا المسيح ابن مريما

وأخرج أبو سعد فى (شرف المصطفى) بسند ضعيف أن جَنْدَع بن الضُّميل أتاه آت فقال له ياجندع بن صميل أسلم تَسْلَمْ و تَغْنَمْ ، من حر نار تُضْرَم ، فقال ما الإسلام ؟ قال الْبَرَاْة من الأصنام[٦] ، والإخلاص للملك العلاَّم . قال كيف السبيل إليه ؟ قال إنه قد اقترب ظهور ناجم[٧] من العرب ، كريم النسب ، غير خامل النسب ، يطلع من الحرم ، تدين له العرب والعجم . فأخبر بذلك ابن عمه رافع بن خداش . فلما بلغه مهاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاء فأسلم .

---

(١) كان من عادتهم فى الجاهلية أنه إذا جن الليل عليهم فى مفازة يقولون نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه قال تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) .

(٢) النازلون من آخر الليل .

(٣) الحطيم مابين الحجر الأسود والمقام وزمزم والحجر سمى حطيما لأن الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا .

(٤) قصد .

(٥) أنصارا .

(٦) التبرىء منها وهجرها .

(٧) يقال نجم الشىء ينجم نجوما إذا ظهر وطلع .

باب

تنكس الأصنام عند بعثته صلى الله عليه وسلم وماجرى على كسرى

أخرج ابن إسحق وأبو نعيم عن وهب بن مُنَبِّه قال : « لما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى وقد انقصمت[١] طاق[٢] ملكه وانخرقت عليه دجلة[٣] فلما رأى ذلك أحزنه وقال قد انقصمت طاق ملكى من غير ثقل وانخرقت على دجلة ، انكسر الملك ، ثم دعا الكهنة والمنجمين والسحرة ،فقال: انظروا فى هذا الأمر فنظروا فأخذ عليهم بأقطار السماء وأظلمت الأرض واسكعوا[٤] فى علمهم فلا يمضى لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ولا لمنجم نجومه وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق[٥] برقا نشأ من قبل الحجاز ثم استطار[٦] حتى بلغ المشرق . فلما أصبح ذهب ينظر إلى ماتحت قدميه فإذا روضة خضراء فقال فيما يعتاف[٧] لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله . فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض[٨] قال بعضهم

---

(١) انكسرت .

(٢) الطاق ماعطف من الأبنية أى جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وماأشبه ذلك والكلمة فارسية والجمع طاقات وطيقان .

(٣) دجلة هو النهر المعروف ومعنى انخراقه فيضانه فى الوادى وذهاب مائه .

(٤) ضلوا وخابوا .

(٥) يطيل النظر .

(٦) انتشر واتسع .

(٧) من العيافة وهو نوع من الكهانة .

(٨) انفردوا يتناجون .

لبعض تعلمون والله ماحيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء وإنه لَنبى قد بُعثَ يَسْلُب هذا المُلْك ويكسره[١] .

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن محمد بن كعب قال: «دخلتُ مدائن كسرى عام ثمانين فنظرت إلى بناء كسرى فعجبت وأخبرنى شيخ لهم قال: إن كسرى أوَّلَ ما أنكر من أمره أنه أصبح فى الليلة التى أُوحِىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودجلته قد انثلمت عليه وطاق ملكه قد انصدع» فذكر نحوه .

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن أبى هريرة قال: «لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين إبليس فأخبروه فقال هذا نبى قد بعث فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمس فوجده بمكة فخرج إلى الشياطين فقال قد وجدته معه جبرئيل»[٢] .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن مجاهد قال: «رَنَّ[٣] إبليس أربع مرات: حين لُعِنَ، وحين أُهْبِطَ، وحين بعث النبى صلى الله عليه وسلم، وحين أنزلت الحمد لله رب العالمين» .

---

(١) لست أدرى لماذا انفرد وهب برواية هذه الأحداث الهائلة التى لو صحت لكانت حديث الدانى والقاصى ومثل هذا ما يروى فى ليلة مولده عليه السلام من سقوط شرفات قصر كسرى وانتكاس إيوانه وفيضان بحيرة ساوة وغيضان وادى سماوة إلخ ماهنا لك من حكايات وأساطير ليس يثبت منها شىء ولا هى مما يزيد شأن نبينا عليه السلام ظهورا فهو الشمس لا تخفى إلا على العميان .

(٢) الذى فى الصحيح عن ابن عباس أن الجن كانوا يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون عليها عشرا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فإذا النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الأرض .

(٣) الصوت الحزين عند المصيبة .

باب

حراسة السماء من استراق السمع بالمبعث الشريف

قال تعالى فيما أخبر عن الجن ﴿ وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ .

أخرج أحمد والبيهقى من طريق سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال : « إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحى فيهبطون إلى الأرض فيزيدون عليها فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فَمُنِعُوا تلك المقاعد فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث فى الأرض حَدَث فبعثهم فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن . قالوا هذا والله الحدث وإنهم لَيُرْمَوْن فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطىء أبداً ولكنه لا يقتله يحرق وجهه وجنبه ويده » .

وأخرج ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس قال « كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى فيخبرون به الكهنة . فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم دُحِرُوا[1] فقالت العرب حين لم يخبرهم الجن هلك من فى السماء فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً وصاحب البقرة ينحر[2] بقرة وصاحب الغنم ينحر شاة ، وقال إبليس لقد حدث فى الأرض حدث فآتونى من تُرْبَةَ كل أرض فأتوه بها فجعل يشمها فلما شم تُرْبَةَ مكة قال من هاهنا جاء الحدث فَنَصُّوا[3] ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُعِثَ » .

---

(١) أبعدوا بقوة قال تعالى (ويقذفون من كل جانب دحورا) .

(٢) النحر إنما هو للابل وأما البقر والغنم فتذبح .

(٣) النص سرعة السير .

وأخرج البيهقي من طريق العوفي عن ابن عباس قال : « لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرَساً شديداً ، ورُجِمَت الشياطين » .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : « لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين السماء ورُمُوا بالشهب فذكروا لإبليس فقال بعث نبي عليكم بالأرض المقدسة فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج إبليس في طلبه بمكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدراً معه جبرئيل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث أحمد ومعه جبرئيل » .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن أبي بن كعب[١] قال : « لم يُرْم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ثم فعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عَبْدَ ياليل[٢] فقال لاتعجلوا وانظروا فإن تكن نجوما تعرف فهو عند فناء من الناس وإن كانت نجوما لاتعرف فهو عند أمر قدحدث فنظروا فإذا هي لاتعرف فأخبروه فقال هذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائف أبوسفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي

---

(١) هو من الأنصار ويكنى أبا المنذر وكان من أقرأ الصحابة للقرآن بل أقرأهم وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف في وقت موته فقال قوم مات في خلافة عمر سنة ثنتين وعشرين فقال عمر اليوم مات سيد المسلمين وقال آخرون مات سنة ثلاثين في خلافة عثمان .

(٢) سيد من سادات ثقيف .

مرسل قال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها »[١].

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن الشعبي قال: « كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فرمى بها فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم فقال عبد ياليل انظروا » وذكر مثله.

وأخرج ابن سعد عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن أخنس قال « إن أول العرب فزع لرمى النجوم ثقيف فأتوا عَمْرَوَ بن أمية فقالوا ألم تر إلى ماحدث؟ قال بلى فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها ويعرف بها أنواء[٢] الصيف والشتاء انتثرت فهو طى الدنيا وذهاب هذا الخلق إن كانت نجوما غيرها فأمر أراد الله ونبى يبعث فى العرب فقد تُحدث بذلك ».

وأخرج الخرائطى فى الهواتف وابن عساكر عن مرداس بن قيس الدوسى[٣] قال: « حضرت النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه فقلت يارسول الله: قد كان عندنا من ذلك شىء أخبرك؟ إن جارية منا يقال لها خَلَصَة لم نعلم عليها إلا خيراً إذ جاءتنا فقالت يامعشر دوس هل علمتم عَلَىَّ إلا خيراً قلنا وما ذاك؟ قالت: إنى لفى غنمى إذ غشيتنى

---

(١) إذا كان عبد ياليل يعرف من الرمى بالشهب أنها لظهور نبى فلماذا نكل عن الإسلام وأغلظ الرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب إلى أهل الطائف

(٢) الأنواء جمع نوء وهو النجم إذا مال للغروب ويقال أيضا للمطر والعطاء وقيل النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب وطلوع رقيبه وهو نجم يقابله من ساعتها فى المشرق وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الغارب نهض الطالع وطلع وكانت الأنواء عندهم ثمانية وعشرين معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها وكانت العرب فى الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون مطرنا بنوء الثريا أو بنوء الدبران.

(٣) نسبة إلى دوس أحدى قبائل اليمن وهم رهط أبى هريرة رضى الله عنه.

ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة فقد خشيت أن أكون قد حبلت حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاما أغضف[١] له أذنان كأذنى الكلب فمكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته ياويله ياويله الخيل والله وراء العقبة فيهن فتيان حِسَانٌ نَجَبَه فركبنا فوجدناهم فهزمناهم وغنمناهم ، وكان لايقول لنا شيئاً إلا كان كما يقــول حتى إذا كان مبعثك يارسول الله صار يخبرنا بشىء فيكذب ، فقلنا له : ويلك ماذا ؟ قال : ماأدرى كَذَبَنى الذى كان يَصْدُقُنى اسجنونى فى بيتى ثلاثاً ثم ائتونى ، ففعلنا به ذلك ثم أتينا بعد ثلاثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه جمرة نار ، فقـال : يامعشر دوس حُرِست السماء وخرج خير الأنبياء ، قلنا : أين ؟ قال بمكة وأناميت فا فنونى فى رأس جبل فإنى سوف أضطرم[٢] ناراً ، فإذا رأيتم اضطرامى فاقذفونى بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فإنى أهدأ وأطفى ففعلنا ذلك وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يارسول الله »[٣] .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن الزهرى قال : « كان الوحى يستمع ، فلما كان الإسلام منعوا ، وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سُعَيْرَةلها تابع من الجن فلما رأى الوحى لايستطاع أتاها فدخل فى صدرها وجعل يصيح وضع العِناق[٤] ورفع الرقاق ، وجاء أمر لايطاق ، أحمد حرم الزنا » .

---

(١) أى مسترخى الأذنين .

(٢) أشتعل

(٣) ترى ما الذى أشعل النار فى ذلك الجسد ؟ وما الذنب الذى جناه حق يفعل به ذلك ؟ وهل زنى حق يقذف بالحجارة وهل كان هذا هو السبب فى إسلام دوس أم كان ذلك حين دعاهم سيدهم الطفيل بن عمرو ودعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أبطأوا على الطفيل وقال « اللهم اهد دوسا » .

(٤) يعنى المعانقة فى الحرام .

وأخرج البيهقى عن الزهرى قال : «إن اللهحجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت الكهنة فلا كهنة » .

وأخرج اواقدى وأبو نعيم عن نافع بن جبير قال : « كانت الشياطين فى الفترة تسمع فلا ترمى ، فلما بعث رسول اللهصلى الله عليه وسلم رميت بالشهب» .

وأخرج الواقدى وأبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « كانت الشياطين يستمعون الوحى ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم مُنِعوا فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فرقى فوق أبى قبيس فرأى رسول الله صلى الله علية وسلم يصلى خلف المقام فقال : أذهب فأكسر عنقه، فجاء وجبرئيل عنده فركضه جبرئيل ركضة طرحه فى كذا وكذا» وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن مجاهد مثله .

وأخرج أبو نعيم من طريق الحجاج الصواف عن ثابت البنانى[1] عن أنس قال . « لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أتاه إبليس يكيده فانقض عليه جبرئيل فدفعه بمنكبه فألقاه بوادى الأردن » .

وأخرح أبو الشيخ فى العظمة والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم من طريق عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ساجداً بمكة فجاء إبليس فأراد أن يطأ عنقه فنفحه جبرئيل نفحة فما استقرت قدماه حتى بلغ الأردن »[2] .

---

(١) هو ثابت بن أسلم وبنانة من قريش وهم بنو سعد بن لؤى وكانت بنانة أمهم فنسبوا إليها ويكنى أبا محمد وهو من أفاضل التابعين توفى فى ولاية خالد ابن عبدالله القسرى بالعراق .

(٢) ليس بعجيب أن يحاول أبليس الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه قد بعث لإبطال كيده ووساوسه .

باب

إعجاز القرآن واعتراف مشركي قريش بإعجازه وأنه لا يشبه شيئاً من كلام البشر ومن أسلم لذلك

قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[١] ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم[٢] من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » . قال العلماء : معناه أن معجزة الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزات القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون يدل على صحة دعواه . وقيل : المعنى إن المعجزات الماضية كانت حسية

---

(١) يعني معينا وناصرا يقال ظاهره على الأمر عاونه وتظاهروا عليه تعاونوا .

(٢) قال ابن كثير «قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قال ناس يشهدون به يعني حكام الفصحاء اهـ .

تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشاهِدِه ، والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً » . قال الحافظ ابن حجر : ويمكن نظم القولين فى كلام واحد ، فإن مُحَصَّلَهما لا ينافى بعضه بعضاً .

وأخرج الحاكم والبيهقى من طريق عِكْرِمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رقَّ له[1] فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عَمِّ[2] إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ؟ قال : لِيُعْطُوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَلَه ، قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم بِرَجَزِه ولا بقصيده منى ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مُغْدِقٌ[3] أسفله وإنه ليعلو وما يُعْلَى وإنه لَيَحْطِم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعنى حتى أفكر فيه فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر يؤثره عن غيره فنزلت ﴿ذرنى ومن خلقت وحيداً﴾[4] .

---

(١) يعنى لان قلبه وقرب من الإسلام .

(٢) فان الوليد بن المغيرة أخو هشام بن المغيرة والد أبى جهل .

(٣) العذق هو العنقود من العنب أو الرطب وهو أيضاً كل غصن له شعب وفى رواية مغدق بالغين المعجمة والدال المهملة أى مخصب كثير الخير .

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره قال « حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبادة بن منصور عن عكرمة » قال ابن كثير : وقد ذكر ابن اسحق وغير واحد نحوا من هذا .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس «أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سنٍّ فيهم وقد حضر الموسم فقال إن وفود العرب ستَقْدَم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذِّب بعضكم بعضاً ويرد قول بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأَقِمْ لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم فقولوا لأسمع، فقالوا نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه، فقالوا: نقول مجنون، فقال: وما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تَخَالُجِه ولا وسوسته، قال فنقول شاعر، قال: فما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قال: فنقول ساحر، قال: فما هو بساحر، قد رأينا السُّحَّار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عُقَده، فقالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمعذق، وإن فرعه لجناة[1] فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر فتقولوا هذا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وبين زوجته وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عند ذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله عز وجل فى الوليد ابن المغيرة وذلك من قوله ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا ـ إلى قوله ـ سأصليه سقر ﴾ وأنزل الله عز وجل فى النفر الذين كانوا معه ويصفون له القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أى أصنافاً ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس، قال: وصدرت العرب من ذلك الموسم

---

(١) كثير الجنى وهو الثمر .

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها[١] .

وأخرج أبو نعيم من طريق العُوفِى عن ابن عباس قال « أقبل الوليد بن المغيرة على أبى بكر يسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجبا لما يقول ابن أبى كبشة[٢] فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا بهُذَاء[٣] مثل الجنون وإن قوله لمن كلام الله » .

وأخرج أبو نعيم من طريق السدى الصغير عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس «أن الوليد قال لقومه إن الناس مجتمعون غداً فى الموسم وقد فشا قول هذا الرجل فى الناس وهم سائلوكم عنه غداً فماذا تردون عليهم ؟ قالوا : نقول مجنون مُخْتَنِق ، قال يأتونه فيكلمونه فيجدونه فصيحاً عاقلا فيكذبونكم ، قالوا : نقول شاعر ، قال : هم العرب وقد رووا الشعر وقوله ليس بنشيد الشعر فيكذبوكم ، قالوا نقول كاهن يخبرنا بما فى غد ، قال : إنهم لقوا الكهان فإذا سمعوا قوله فلم يجدوه يشبه الكهانة فيكذبونكم » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : «قام النضر ابن الحارث بن كَلْدَةَ بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىٍّ[٤] فقال : يامعشر

---

(١) نسب ابن كثير هذا القول فى تفسيره إلى السدى .

(٢) يعنون بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ينسبونه إلى أبيه من الرضاعة لأنه كان من أهل البادية يعيش على رعى الغنم .

(٣) يقال هذى يهذى هذيا وهذيانا تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره فهو هاذ والاسم الهذاء بضم الهاء .

(٤) هو من ثقيف ومن أطباء العرب تعلم الطب عن أبيه الحارث وكان من أشد الناس عداوة واستهزاء بالإسلام يأتى فى أسفاره بكتب فيها بعض الحكايات فيعارض بها القرآن ويقول للناس هذا والله خير مما جاء به محمد .قتل بعد وقعة بدر .

قريش ، إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابْتُليتم بمثله ، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرْضاكم فيكم وأصْدقكم حديثاً وأعْظَمُكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صُدغَيْه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر قد رأينا السَّحرة ونفثهم وعُقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله بشاعر ، لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنْقِه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش ، انظروا فى شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

وأخرج ابن أبى شيبة فى مُسْنده والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : « قال أبو جهل والمَلأ من قريش لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة[1] لقد سمعت قول السحر والكهانة والشعر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى على إن كان كذلك فأتاه فلما أتاه قال عتبة : يا محمد أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه قال : فبم تشتم آلهتنا وتضال آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألْوِيتنا لك فكنت رأْسناَ ما بقيت وإن كان بك الباءة[2] زوجناك عشر نسوة تختار من أى بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستعين بها أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ، فلما فرغ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة

---

(١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف قتل هو وأخوه شيبة وابنه الوليد فى المبارزة يوم بدر .

(٢) الرغبة فى النساء .

مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه ، فأتوه فقال أبو جهل : والله يا عُتْبَةَ ماحسبناك إلا أنك صبوتَ(١) إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً ، قال : ولقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ولكنى أتيته فأجابنى بشىء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ﴾ حتى بلغ ﴿ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم ليكف ولقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى عن محمد بن كعب قال حدثت أن عُتْبَةَ بن ربيعة قال ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد « يامعشر قريش : ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها ويكف عنا ؟ قالوا بلى يا أبا الوليد ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكر الحديث فيما قال له عتبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال فاسمع منى قال فافعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا ﴾ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فلما سمعها عتبة أَنْصَتَ لها وألقى بيديه خلف ظَهْرِهِ معتمداً عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد(٢) فيها ثم قال سمعت يا أبا الوليد ؟ قال

---

(١) أى ملت إليه .

(٢) فى بقية الروايات أن عتبة قام عندما سمع قوله تعالى (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) وأنه خيل إليه أن العذاب نازل بقومه الساعة .

سمعت قال فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنى والله قد سمعت قولا ما سمعتُ بمثْله قط والله ماهو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . يامعشر قريش أطيعونى واجعلوها بى خلُّوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذى سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يَظهَرْ على العرب فملكه مُلككُمْ وعِزُّهُ عزُّكُمْ ، وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي فيكم فاصنعوا مابدا لكم » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن ابن عمر قال: «لما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم ، ياقوم أطيعونى فى هذا اليوم واعصونى بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ماسمعت أذناى قط كلاما مثله وما دريت ما أرُدُّ عليه .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى عن الزُّهْرِى قال: حُدِّثتُ أن أبا جهل وأبا سفيان ، والأخنس بن شُرَيقٍ [1] خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالليل فى بيته وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه وكلٌّ لايعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لاتعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم

---

(١) هو من بنى زهرة وكان منافقا يلقى النبى صلى الله عليه وسلم فيطريه ويلين له الحديث حتى إذا غاب عنه هجاه أقذع الهجاء وهو الذى قال الله فيه (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) .

الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مَرَّة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقالوا لانبرح حتى نتعاهَدَ لانعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال يا أبا ثعلبة لقد سمعتُ أشياءأعرفها وأعرف مايراد بها ، فقال الأخنس وأنا والذى حلفت ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا (١) على الركب وكنا كفرسى رِهانٍ قالوا منَّا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه ؟ والله لانؤمن به أبداً ولانصدقه فقام الأخنس بن شريق .

وأخرج البيهقى عن المغيرة بن شعبة قال : « إن أول يوم عرفْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزِقَّة (٢) مكة ، إذ لقينـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى جهل يا أبا الحكم هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله قال أبو جهل يامحمد : هل أنتَ مُنْتهٍ عن سبِّ آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أنى أعلم أن ماتقول حقاً لا تبعتك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عَلَيَّ فقال فوالله إنِّى لأعلمأن مايقول حق ولكن بنى قُصىٍ قالوا فينا الحجابة (٣) فقلنا نعم ، فقالوا فينا الندوة (٤) فقلنا

(١) فى بعض الروايات تحاذينا يعنى تساوينا .
(٢) جمع زقاق وهو الطريق الضيق .
(٣) سدانة البيت الحرام .
(٤) دار كان قد بناها قصى يجتمعون فيها للتشاور فيما يهمهم .

نعم ، فقالوا فينا اللواء [١] فقلنا نعم ، فقالوا فينا السِّقاية [٢] فقلنا نعم . ثم أطعموا فأطعمنا حتى إذا تحاكت الرُّكَبُ قالوا منا نبي والله لا أفعل .

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال « انطلق أخي أُنَيْس إلى مكة ثم أتاني فقال : لقيت رجلا بمكة يزعم أن الله أرسله ، قلت ما يقول الناس ؟ قال يقولون إنه شاعر وساحر وكاهن ، وكان أنيس أحد الشعراء فقال لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر [٣] فوالله مايلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال أبو ذر فارتحلت حتى أتيت مكة فأقمت بها ثلاثين من بين يوم وليلة ومالى طعام إلا ماء زمزم فسمنْت حتى تكسّرت عُكَنُ بطنى [٤] وما وجدت على كبدى سُخفة جوع [٥]

أخرج أبو نعيم عن الزهرى أن أسعد بن زُرارة قال يوم العقبة للعباس : « نحن قد قطعنا القريب والبعيد وذا الرحم ونشهد أنه رسول الله أرسله من عنده ليس بكذاب وأن ماجاء به لا يشبه كلام البشر » .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثنى إسحاق بن يسار عن رجل من بنى سلمة [٦] قال : « لما أسلم فتيان بنى سلمه قال عمرو بن الجموح لابنه أخبرنى ماسمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه (الحمد لله رب العالمين) إلى قوله (الصراط المستقيم) فقال ما أحسن هذا وأجمله وكل كلامه مثل هذا ؟ قال يا أبتاه وأحسن من هذا » .

---

(١) يعنى راية الحرب وكانت فى بنى عبد الدار .
(٢) يعنى سقاية الحجيج وكانت للعباس بن عبد المطلب .
(٣) يعنى بحوره وأوزانه .
(٤) جمع عكنه وهى ما نطوى وتثنى من لحم البطن .
(٥) السخفة بضم فسكون والسخفة بفتحات الهزال والضعف .
(٦) هم رهط من بنى جشم بن الخزرج .

وأخرج ابن سعد عن يزيد بن رُومَانَ ومحمد بن كعب والشعبى والزهرى وغيرهم قالوا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى سُليم يقال له قيس بن نسيبة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه فأسلم ورجع إلى قومه فقال: قد سمعت ترجمةَ الروم وَهْيَنَمةَ(١) فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مَقَاوِل(٢) حِمْيَر فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم، فأطيعونى وخذوا بنصيبكم منه فقدموا عام الفتح فأسلموا وهم سبعمائة وقيل كانوا ألفا».

فصل

أجمع العقلاء على أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته مع تحدِّيهم بذلك قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فلولا أن سماعه حُجَّةٌ عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة وقال تعالى: (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فأخبر أن الكتاب آية من آياته كاف فى الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء وقد جاءهم به صلى الله عليه وسلم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع(٣) الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقْدِمُوا، وكانوا أحرص شىء على إطفاء نوره وإخفاء أمره. فلو كان فى مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدَّث نفسه بشىء من ذلك ولا رامه بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى

---

(١) الصوت الخفى.

(٢) جمع مقول وهو البين القول الظريف اللسان.

(٣) جمع مصقع وهو البليغ العالى الصوت.

فتارة قالوا سحر ، وتارة قالوا شعر ، وتارة قالوا أساطير[١] الأولين ، كل ذلك من التحير والإنقطاع ، ثم رضوا بتحكيم السيف فى أعناقهم وسبى ذراريهم وحُرَمهم واستباحة أموالهم ، وقد كانوا آنَفَ شىء[٢] وأشدَّه حَمِيَّة فلو علموا أن الإتيان بمثله فى قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم .

قال الحافظ[٣] : « بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً ، وأحكم[٤] ما كانت لغةً وأشد ما كانت عُدَّة ، فدعا أقصاها وأدناها إلى المعارضة ثم نصب لهم الحرب ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وخطبائهم ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض[٥] لقوله وأفسد لأمره وأسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال ، وقد اختلف الناس فى الوجه الذى وقع به إعجاز القرآن على أقوال بينتها مبسوطة فى كتاب (الإتقان)[٦] والملخص أنه وقع بعدة وجوه[٧] .

منها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب[٨] الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

---

(١) جمع أسطورة وأسطيرة وهى الحديث الذى لا أصل له .

(٢) أفعل تفضيل من الأنفة وهى الترفع والكبرياء .

(٣) هو ابن حجر العسقلانى صاحب فتح البارى .

(٤) من الإحكام وهو الإجادة والإتقان .

(٥) من النقض وهو الإبطال والحل .

(٦) هو كتاب المؤلف فى علوم القرآن .

(٧) الأولى أن يقال إن القرآن معجز ولا يشتغل بتحديد أوجه إعجازه كما روى ذلك عن أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٨) هذا كلام ركيك فإن الكلام فى وجوه إعجازه فكيف يجعل هذا من وجوه إعجازه .

ومنها : صورة نظامه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له .

ومنها : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد[١] .

ومنها : ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والشرائع السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ[٢] من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك ، فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب .

ومنها : ما تضمنه من الاخبار عن الضمائر كقوله تعالى : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ .

ومنها : آى وردت بتعجيز قوم فى قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها ، فما فعلوا ولا قدروا كقوله فى اليهود : ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾ .

ومنها : ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشد الحاجة[٣] .

ومنها : الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، والهيبة التى تعتريهم

---

(١) وهذا فى القرآن كثير كقوله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) .

(٢) يعنى النحرير المتفوق .

(٣) لايجوز أن يجعل هذا وجها وجوه الإعجاز لأن ترك المعارضة إنما هو الشعور بالعجز عنها . وقد قال النظام من المعتزلة إن القرآن معجز بالصرفة يعنى أن الله صرف العرب عن تحصيل العلوم التى اشتمل عليها القرآن وقد عد هذا القول من سقطاته .

عند سماع تلاوته ، كما وقع لجبير بن مطعم « أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، قال : فلما بلغ هذه الآية ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ﴾ إلى قوله ﴿ المصيطرون ﴾ كاد قلبي يطير ، قال : وذلك أوَّل ما وَقَر الاسلام فى قلبي » .

ومنها : أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يَخْلَق على كثرة الرد .

ومنها : كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه .

ومنها : جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها أحد فى كلمات قليلة وأحرف معدودة .

ومنها : جمعه بين صفتى الجزالة والعذوبة ، وهما كالمتضادين لا يجتمعان فى كلام البشر غالباً .

ومنها: جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ .

قال القاضى عياض : والوجوه الأربعة الأول هى المعتمد عليها فى الاعجاز والباقى تقدم فى خصائصه ، وبقى من خصائصه كونه نزل على سبعة أحرف ، وكونه نزل مُفَرَّقا مُنَجَّما وكونه مُيَسَّراً للحفظ وسائر الكتب بخلاف ذلك فى الثلاثة ، وقد بسطت الكلام فى الأولين فى (الاتقان) وسألم بشىء من ذلك فى باب الخصائص التي امتاز بها عن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

فصل

قال القاضي عياض : إذا عرفت ما ذكر من وجوه إعجاز القرآن عرفت أنه لا يُحْصَى عَدَدُ معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأنه صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها ، قال أهل العلم : وأقصر السور ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ، ثم فيها نفسها معجزات على ما سبق .

قلت : وإذا عددت كلمات سورة الكوثر وجدتها بضع عشرة كلمة ، وقد عد قوم كلمات القرآن سبعاً وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعاً وثلاثين ، فالقدر المعجز منه يكون فى العدد نحو سبعة آلاف تقريباً تضرب فى ثمانية أوجه الأولان والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر ، تبلغ ستة وخمسين ألف معجزة ، ثم ينضم إلى ذلك فى بعضه من الوجه الثالث والرابع والخامس والسادس جملة وافرة ، فتصل معجزات القرآن بذلك إلى ستين ألف معجزة أو أكثر ومن أراد الوقوف على تفصيل إعجاز القرآن من حيث الوجهان الأولان ، فليمعن النظر فى كتابنا (الإتقان) ، ثم فى كتابنا (أسرار التنزيل) يجد فيهما ما يشفى غليله[1] ، وقد وقع لى أنى استخرجت من آية واحدة مائة وعشرين نوعا من أنواع البلاغة ، وهى قوله تعالى : ﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾ الآية ، وقد أفردتها بتأليف فليراجع[2] .

---

(١) لا يحتاج إعجاز القرآن إلى مثل هذه العمليات الحسابية التى ذكرها المؤلف تبعا للقاضى عياض والسلف رضى الله عنهم وهم أعلم الناس بنواحى إعجازه لم يتكلموا فى شىء من ذلك ، ولهذا كان أحمد رحمه الله إذا سئل عن وجوه إعجاز القرآن قال هو معجز كله .

(٢) الظاهر أن المؤلف إنما كان يفعل ذلك من قبيل إظهار البراعة العلمية وبلاغة الآية الكريمة لا تحتاج إلى كل هذا المعاناة .

فصل

روى أحمد وغيره عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآن فى إهَابٍ ما أكلته النار » . ورواه الطبرانى من حديث سهل بن سعد بلفظ « ما مسته النار »[1] . ورواه من حديث عصمة بن مالك بلفظ « لو جمع القرآن فى إهاب ما أحرقته النار » .

قال ابن الأثير فى (نهايةالغريب) : ذكر بعضهم أن هذا معجزة له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فقط[2] .

باب ما كان يظهر عند الوحى من الآيات

أخرج ابن أبى داود فى (كتاب المصاحف) عن أبى جعفر قال : « كان أبو بكر يسمع مناجاة جبرئيل للنبى صلى الله عليه وسلم ولا يراه » .

وأخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم بسند جيد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى نسمع عنده دوياً كدوى النحل ـ وفى لفظ ـ يسمع عند وجهه كدوى النحل»[3] .

وأخرج الشيخان عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله

---

(١) قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى فى تذكرة الموضوعات فيه عبد الوهاب بن الضحاك قال البخارى عنده عجائب هـ .

(٢) لايخفى أن ما ذكره ابن الأثير عن بعضهم لا معنى له وما دام الحديث موضوعا فلا نشغل أنفسنا بتأويله .

(٣) قال الترمذى منكر لانعرف أحدا رواه غيريونس بن سليم ويونس لانعرفه.

عليه وسلم ، كيف يأتيك الوحى ؟ قال : أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على فيفصم[١] عنى وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » .

وقالت عائشة : « لقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد[٢] عرَقاً » .

وأخرج ابن سعد عن أبى سَلَمة أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحى يأتينى به جبرئيل فيلقيه على كما يلقى الرجل على الرجل فذاك يتفلت منى ويأتينى فى شىء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبى فذاك الذى لا يتفلت منى »[٣] .

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحى كُرِب لذلك وتَربَّدَ له وجهه »[٤] .

وأخرج أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى وجد ثقلا » قال الله تعالى : ﴿ إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ .

وأخرج أبو نعيم عن زيد بن ثابت قال : « كان إذا نزل الوحى على

---

(١) يفارقنى ويزايلنى .

(٢) أى يسيل منه العرق بكثرة .

(٣) حديث منكر وفيه طعن صريح فى النبوة لاسيما إذا علم أن أكثر ما كان يوحيه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمثل رجلا فإذا كان هذا يتفلت منه ولا يثبت فى قلبه فماذا بقى بعد ذلك ، والعجب من المؤلف وأمثاله يوردون مثل هذه الأحاديث التى وضعها الزنادقة ولا يفطنون إلى ما فيها .

(٤) يعنى تغير وعلته الربدة أى الغبرة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقاً كأنه الجمان[١] وإن كان فى البرد »[٢] .

وأخرج الطبرانى عن زيد بن ثابت قال « كنت أكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء[٣] شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سُرِّى عنه، وكنت أكتب وهو يملى على فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشى على رجلى أبداً »[٤] .

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه سلم إذا نزل عليه الوحى عرفوا ذلك فى تربد جلده » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : « كان سول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى تربد لذلك وجهه وجسده ، وأمسك عنه أصحابه ولم يكلمه أحد منهم » .

وأخرج أحمد والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : قلت يا رسول الله هل تحس بالوحى ؟ قال : « نعم أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت بأن نفسى تقبض منه » .

وأخرج أبو نعيم عن الفَلَتان بن عاصم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله تعالى » .

وأخرج الشيخان وأبو نعيم عن يعلى بن أمية قال : نظرت إلى رسول الله

---

(١) الجمان صغار اللؤلؤ .
(٢) وهذا موافق لما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها .
(٣) أى شدة وعناء .
(٤) فى الصحيح أنه نزل عليه الوحى ورجله على فخذ زيد فكادت ترضها .

وهو يوحى إليه وله غطيط كغطيط البَكْر محمرة عيناه وجبينه » .

وأخرج ابن سعد عن أبى أرْوَى الدوسى قال : « رأيت الوحى ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعيها تنفصم فربما بركت[١] وربما قامت مؤتدة[٢] يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحى وإنه لينحدر منه مثل الجمان » .

وأخرج أحمد والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فتضرب بجرانها[٣] من ثقل مايوحى إليه وإن كان جبينه لَيَنْطِف[٤] بالعرق فى اليوم الشاتى إذا أوحى إليه » .

وأخرج ابن سعد عن عائشه رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يَغِطُّ[٥] فى رأسه ويتربد فى وجهه ويجد برداً فى ثناياه ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان .

وأخرج الطبرانى عن أسماء بنت عَمِيس[٦] قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يكاد يغشى عليه » .

---

(١) كما بركت به وهو بعرفات فى حجة الوداع حين نزل عليه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

(٢) الإتاد حبل يضبط به رجل البقرة إذا حلبت .

(٣) أى تبرك وأصل الجران مقدم العنق .

(٤) أى يسيل .

(٥) غط فى نومه يغط غطيطاً نخر فى نومه .

(٦) هى أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر بن أبى طالب هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ومكثت بها حتى قدمت معه سنة سبع ولما استشهد زوجها فى غزوة مؤته تزوجها أبو بكر الصديق فولدت محمداً ولما توفى الصديق تزوجت على بن أبى طالب .

وأخرج أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشُّعَب وأبو نعيم عن أسماء بنت يزيد قالت : « كنت آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت عليه المائدة فكاد أن ينكسر عَضُدها من ثقل السورة »[١] .

وأخرج أبو نعيم عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى صُدِعَ فيغلِّف رأسه بالحناء » .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال : « كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وُقِذَ[٢] لذلك ساعة كهيئة السكران » — وقذه النعاس بذال معجمة غلبه .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه لم يستطع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى ينقضى الوحى » .

باب

اختصاصه صلى الله عليه وسلم برؤية جبرئيل فى صورته التى خلق عليها

أخرج أحمد وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبرئيل فى صورته إلا مرتين ، أما واحدة

---

(١) رواه ابن كثير عن أسماء بنت عميس قالت « حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه بردا كان على »

(٢) يقال وقذه يقذه وقذا أى صرعه أو ضربه ضرباً شديداً حتى أشرف على الموت .

فإنه سأله أن يريه نفسه فأراه نفسه فسد الأفق[١] ، وأما الأخرى فليلة الإسراء عند السدرة[٢] » .

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل فى صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل[٣] والدر والياقوت ما الله به عليم » .

وأخرج أحمد والطبرانى عن ابن عباس قال : « سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبرئيل أن يراه فى صورته فقال : ادع ربك ، فدعا ربه فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر » .

وأخرج الشيخان عن عائشة « أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير جبرئيل فى صورته التى خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض » .

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت جبرئيل منهبطاً قد ملأ ما بين السماء والأرض عليه ثياب سندس[٤] معلقاً به اللؤلؤ والياقوت » .

---

(١) روى البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام لما فتر عنه الوحى كان يجاور بحراء فلما هبط سمع صوتا فرفع رأسه فإذا الملك الذى جاءه بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض قد سد الأفق بأجنحته فهذه هى المرة الأولى التى رأى فيها النبى عليه السلام جبريل على صورته الملكية ولم يكن هو الذى سأله ولكن تجلى له فى الأفق مفاجأة ولهذا قال فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض.

(٢) قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) يعنى رأى محمد جبريل مرة أخرى على صورته عند السدرة .

(٣) التهاويل الأشياء المختلفة الألوان ومنها يقال لما يخرج من الرياض من ألوان الزهر التهاويل .

(٤) السندس ضرب من نسيج الديباج أو الحرير أو هو مارق منه .

وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل « وَدِدْتُ أنى رأيتك فى صورتك فنشر جناحاً من أجنحته فَسَدَّ أفق السماء حتى ما يرى من السماء شيء » .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت جبرئيل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس » .

وأخرج عن ابن مسعود قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل فى حلة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض » .

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود قال : « رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل معلقاً رجليه عليها الدر كأنه[١] قطر المطر على البقل » .

وأخرج أبو الشيخ عن شريح بن عبيد «أن النبى صلى الله عليه وسلم لما صعد إلى السماء رأى جبرئيل فى خلقه منظوم أجنحته من الزبرجد واللؤلؤ والياقوت قال فخيل إلى أن ما بين عينيه قد سد الأفق وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبى[٢] وكنت أحياناً أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال » .

---

(١) هكذا فى النسخ كلها وكتب على هامش نسخة واحدة قبل لفظ عليها بسدرة كما فى رواية فتكون العبارة هكذا معلقا رجليه بسدرة عليها الدر .

(٢) هو دحية بن خليفة بن عامر بن الخزرج وأسلم قديما ولم يشهد بدرا وكان يشبه بجبريل عليه السلام لجماله وحسنه عاش إلى زمان معاوية .

وأخرج ابن سعد والنسائى بسند صحيح عن ابن عمر قال : « كان جبرئيل يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبي » .

وأخرج الطبرانى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان جبرئيل يأتينى على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلا جميلا » .

وأخرج العجلى فى تاريخه عن عوانة بن الحكم قال : « أجمل الناس من كان جبرئيل ينزل على صورته » .

ذكر المعجزات والخصائص

الواقعة بمكة فيما بين المبعث والهجرة

باب سعى الشجرة إليه صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى والدارمى والبيهقى وأبو نعيم من طريق الأعمش[١] عن أبي سفيان عن أنس قال: « جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من مكة[٢] قد خضبه أهل مكة بالدماء قال: مالك؟ قال خضبني هؤلاء بالدماء فعلوا وفعلوا، قال: تريد أن أريك آية؟ قال: نعم، ادع تلك الشجرة، فدعاها، فجاءت تخط الأرض حتى قامت بين يديه، قال: مُرْها فلترجع، قال: ارجعى إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها، قال: حسبي »[٣].

---

(١) هو سليمان بن مهران ويكنى أبا محمد مولى لبنى كاهل من بنى أسد يقال إنه ولد يوم مقتل الحسين بن على يوم عاشوراء ومات سنة ٤٨ هـ وكان مدلسا فى الحديث.

(٢) لم يكن لنبي أن يخرج من بين قومه حتى يأذن الله له فى ذلك وقد قص الله علينا قصة يونس عليه السلام حين ذهب مغاضبا فجرى عليه ما جرى.

(٣) لم يكن صلى الله عليه وسلم فى حاجة إلى أن يريه جبريل آية لتثبته وتقوى قلبه على احتمال أذى قومه فقد كان له من يقينه بالله عز وجل ما يغنيه عن ذلك وقد البزار عن بريدة أن رجلا جاء إلى النبي عليه السلام فقال أرنى آية قال إذهب إلى تلك الشجرة فادعها فذهب إليها فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت على كل جانب منها حتى قلعت عروقها ثم أقبلت الحديث وفيه صالح بن حيان وهو ضعيف.

وأخرج البيهقى عن الحسن قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه فقال : رب أرنى ما أطمئن إليه ويُذْهِبُ عنى هذا الغم ، فأوحى إليه أدع أى أغصان هذه الشجرة شئت فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خدفى الأرض[1] حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إرجع إلى مكانك ، فرجع الغصن نخد فى الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وطابت نفسه ورجع » .

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والبزار والبيهقى وأبو نعيم بسند حسن عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على الْحَجُون كئيباً لما آذاه المشركون ، فقال : « اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذبنى بعدها ، فأمر فنادى شجرة من جانب الوادى فأقبلت تخد الأرض خداً حتى وقفت بين يديه فسلمت عليه ، ثم أمرها فرجعت إلى موضعها ، فقال : ما أبالى من كذبنى بعدها من قومى » .

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال : آذى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبرئيل ، فانطلق به إلى شفير واد فيه شجر كثير فقال : « ادع أى شجرة شئت ، فدعا شجرة منها فأقبلت حتى قامت بين يديه ، فقال له جبرئيل : إنك على الحق»[2] .

---

(١) اى احدث فيها أخدوداً وهو الشق .

(٢) هذه كلها أحاديث لم يصح منها شىء ولم يكن النبى عليه السلام فى شك من أمره حتى يحتاج إلى شجرة تسجد له فتطيب بذلك نفسه ويشتد عزمه فى تبليغ رسالة ربه .

باب در الجذعة باللبن

أخرج الطيالسى وابن سعد وابن أبى شيبة والبيهقى وأبو نعيم عن ابن مسعود قال : « كنت غلاماً يافعاً أرعى غنما لعقبة ابن أبى مُعَيط[١] بمكة فأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد فرَّا من المشركين ، فقالا : يا غلام عندك لبن تسقينا ؟ قلت : إنى مؤتمن ، فقالا : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل[٢] بعد ؟ قلت : نعم ، فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فمسحه ودعا فحفل[٣] الضرع ، فأتاه أبو بكر بصخرة مقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر وسقانى ، ثم قال للضرع اقْلُصْ[٤] فقلص كما كان » .

باب رؤيا خالد بن سعيد بن العاص[٥]

أخرج ابن سعد والبيهقى عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان قال : « كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً ، وكان أول إخوته أسلم ، وكان بدؤ إسلامه أنه رأى فى النوم أنه وقف به على شفير[٦] النار ، فذكر من سعتها

---

(١) هو من بنى عبد شمس وهو الذى أتى بسلا الجزور فوضعه على ظهر رسول صلى الله عليه وسلم وهو ساجد .

(٢) يعنى لم يطرقها .

(٣) أى امتلأ باللبن .

(٤) أى انكمش .

(٥) قال فى المعارف (ذكر أبو اليقظان شخيم بن حفص بن قادم الصيفى وغيره أنه أسلم قبل إسلام أبى بكر وذلك لرؤيا رآها واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى زبيد وقتل يوم اليرموك .

(٦) شفير كل شىء ناحيته وشفير الوادى ناحيته من أعلاه .

ما الله أعلم به ، ويرى فى النوم كان أباه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بحقويه[١] لا يقع ففزع من نومه وقال : أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق فآتى أبا بكر[٢] فذكر ذلك له ، فقال : أريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فأتاه فقال : يا محمد إلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدرى من عبده ممن لم يعبده فأسلم خالد ، وعلم أبوه فأرسل فى طلبه فأنبه[٣] وضربه وقال : والله لأمنعنك القوت ، قال : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به »[٤] .

وأخرج ابن سعد عن صالح بن كيسان[٥] أن خالد بن سعيد قال : « رأيت فى المنام قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ظلمة غشيت مكة حتى ما أرى جبلا ولا سهلا ، ثم رأيت نوراً خرج من زمزم مثل ضوء المصباح كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء لى أول ما أضاء البيت ، ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه ، ثم سطع فى السماء ثم انحدر حتى أضاء لى نخل يثرب فيها البسر ، وسمعت قائلا يقول فى الضوء سبحانه سبحانه

---

(١) تثنية حقو وهو الخصر ويقال للإزار أيضا .

(٢) هذا يدل على تقدم إسلام أبى بكر على إسلام خالد وهو الصحيح .

(٣) من التأنيب وهو الزجر والتوبيخ .

(٤) قال الذهبى فى الميزان « محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانى الملقب بالديباج وهو سبط الحسين رضى الله عنه » .
وثقه النسائى وقال مرة ليس بالقوى وقال البخارى لايكاد يتابع فى حديثه .

(٥) قال فى المعارف « يكنى أبا محمد وولاؤه لامرأة مولاة لآل معيقب بن أبى فاطمة الدوسى فهو مولى مولى مات بعد سنة أربعين ومائة .
وقال عنه فى الميزان أحد الثقات والعلماء رمى بالقدر لم يصح منه ذلك »

تمت الـكلمة[١] وهلك ابن مارد بهضبة الحصا بين أدرج والأكمة سعدت هذه الأمة جاء نبي الأميين ، وبلغ الـكتاب أجله ، كذبته هذه القرية تعذب مرتين تتوب فى الثالثة ثلاث بقيت ثنتان بالمشرق وواحدة بالمغرب ، فقصها خالد بن سعيد على أخيه عمرو بن سعيد فقال : لقد رأيت عجباً وإنى لأرى هذا أمراً يكون فى بنى عبد المطلب إذ رأيت النور خرج من زمزم .

وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد وابن عساكر من طريق الواقدى حدثنى إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة سمعت أم خالد بنت خالد ابن سعيد بن العاص تقول فذكره وفى آخره قال خالد : فإنه لما هدانى الله به للاسلام ، قالت أم خالد : فأول من أسلم أبى[٢] وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا خالد أنا والله ذلك النور وأنا رسول لله فأسلم .

باب رؤيا سعد بن أبى وقاص

أخرج ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص قال : رأيت فى المنام قبل أن أسلم بثلاث كأنى فى ظلمة لا أبصر شيئا إذ أضاء لى قمر فاتبعته فكأنى أنظر إلى من يسبقنى إلى ذلك فأنظر إلى زيد بن حارثة وإلى أبى بكر وكأنى أسألهم متى أتيتم إلى هاهنا ؟ قالوا : الساعة ، وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام مستخفياً فلقيته فى شعب أجياد ، فقلت : إلام تدعو ؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فشهدت[٣] .

---

(١) يعنى كلماته تعالى الدينية قد تمت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فليس ينزل بعدها على عباده أمرا ولا نهيا كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أى صدقا فى أخباره وعدلا فى أحكامه .

(٢) الصحيح ما ذكرناه سابقا وهو أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال .

(٣) الصحيح أن سعدا ممن أسلم على يد أبى بكر رضى الله عنه .

باب

معجزته صلى الله عليه وسلم فى الجفنة[١]
التى أطعم منها أربعين رجلا من قومه

أخرج ابن إسحاق والبيهقى من طريقه حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث ابن نوفل[٢] عن ابن عباس عن على بن أبى طالب قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال : يا على اصنع لنا رِجْلَ شاة على صاع من طعام وأعِدَّ لنا عُسَّ[٣] لبن ، ثم اجمع بنى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا له ، وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة . والعباس ، وأبو لهب فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم حُذَيَّة[٤] ، فشقها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها ، وقال كلوا بسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه[٥] ما نرى إلا آثار أصابعهم والله ، إن كان الرجل منهم يأكل مثلها ، ثم قال اسقهم يا على فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نَهلوا جميعا وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره[٦] أبو لهب إلى الكلام ، فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرقوا ،

---

(١) هى القصعة الكبيرة .

(٢) إن كان هو عبد الله بن الحارث المخزومى المكى فهو ثقة أخذ عنه الشافعى وأحمد وإن كان هو الشيخ المدنى فقد قال الذهبى لا أعرفه .

(٣) العس : هو القدح الكبيرة .

(٤) تصغير حذة بضم الحاء وتشديد الذال القطعة من اللحم .

(٥) شبعوا .

(٦) أى سبقه إلى الكلام .

ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان الغد قال : يا على عُدْ لنا بمثل الذى صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع ، بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نهلوا ، ثم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

أخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم[1] ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل به .

وأخرج ابن سعد من طريق نافع[2] ، عن سالم[3] ، عن على قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فصنعت له طعاما ، ثم قال : ادع لى بنى عبد المطلب ، فدعوت أربعين فقال : هَلُم طعامَك فأتيتهم بثَرِيدَة ، إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها فأكلوا ، ثم قال : اسقهم ، فسقيتهم بإناء هو رى أحدهم فشربوا منه جميعا حتى صدروا[4] ، فقال أبو لهب : لقد سحركم محمد فتفرقوا ، لم يدعهم فلبثوا أياما ، ثم صنع لهم مثله ، ثم أمرنى فجمعتهم فطعموا ، ثم قال لهم : «من يوازرنى على ما أنا عليه؟ فقلت أنا يا رسول الله وإنى لأحدثهم

---

(١) قال فى الميزان « عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصارى رافضى ليس بثقة قال على بن المدينى كان يضع الحديث ويقال كان من رؤس الشيعة » .
روى عباس عن يحيى ليس بشىء إلى أن قال « قال أحمد كان أبو مريم يحدث ببلايا فى عثمان وقال أبو حاتم والنسائى وغيرهما متروك » .

(٢) هو مولى ابن عمر روى عنه مالك كثيرا من أحاديث الموطأ ورواية مالك عن نافع عن ابن عمر هى إحدى السلاسل الذهبية فى الحديث .

(٣) وأما سالم فهو ولد عبد الله بن عمر وهو من التابعين روى عن أبيه كثيرا وكان نافع يأخذ عنه .

(٤) يعنى ارتووا .

سنا وسكت القوم ، ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنك ؟ قال : دعوه فلن يألوا ابن عمه خيرا »[١] . وأخرج أبو نعيم مثله من طريق ربيعة بن ناجد ، عن على[٢] ، ومن طريق ميسرة العبدى عن على ولفظه مُدًّا من طعام .

وأخرج أبو نعيم من طريق الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله الأسدى ، عن على قال : « لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين رجلا من أهل بيته ، إن كان الرجل منهم لشارب[٣] فَرَقا[٤] ، وآكل جذَعَة فقرب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَ شاة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم جئت بقعب من لبن فشربوا حتى رَوَوْا فقال أبو لهب ما رأينا كالسحر اليوم ، ثم قال : يا على اصنع لنا غداء مثل ماصنعت فأكلوا مثل ما أكلوا فى المرة الأولى ، وشربوا مثل ما شربوا ثم عرض عليهم ما عرض»[٥] .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : « لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) يعنى لن يقصر فى نصرته واتباعه .
(٢) قال فى الميزان « ربيعة بن ناجد عن على لا يكاد يعرف » .
(٣) لست أعرف وجها لرفع شارب هنا مع أنه خبر كان وكذا آكل المعطوف عليه .
(٤) الفرق بضم فسكون إناء يكتال به .
(٥) قال فى الميزان « عباد بن عبد الله الأسدى عن على ، قال البخارى سمع منه المنهال بن عمر وفيه نظر قلت روى العلاء بن صالح حدثنا المنهال عن عباد بن عبد الله عن على قال أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا الصديق الأكبر وماقالها أحد قبلى ولا يقولها إلا كذاب مفتر ولقد أسلمت وصليت قبل الناس بسبع سنين . قلت وهذا كذب على على . قال ابن المدينى ضعيف الحديث .

إلى [١] عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا منهم من يأكل المسنة ويشرب العُسَّ فأمر عليا برجل شاة فصنعها لهم ، ثم قربها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ منها بضعة[٢] فأكل منها ، ثم تتبع بها جوانب القصعة ، ثم قال : ادنوا عشرة فدنا القوم عشرة فأكلوا حتى صدروا ، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعاً ، فناولهم ، وقال : اشربوا بسم الله ، فشربوا حتى رووا عن آخرهم ، فقال أبو لهب ما سحركم مثل هذا الرجل ، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ، ثم بدرهم بالكلام » .

باب نبع الماء من الأرض

قال ابن سعد: أنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدثنا عبد الله بن عوف[٣] عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : « كنت بذى المَجَازَ مع ابن أخى ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخى قد عطشت ، وما قلت له ذلك وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع قال: فثنى وِرْكَهَ ، ثم نزل فقال : ياعم أعطشتَ ؟ قلت نعم فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء ، فقال: اشرب ياعم ، قال فشربتُ »[٤] . أخرجه ابن عساكر . وله طريق آخر ، أخرجه الخطيب وابن عساكر من طريق ابن جرير الطبرى ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أزهر بن سعد السمان ، حدثنا ابن عوف عن عمرو بن سعيد به .

---

(١) لعلها آل عبد المطلب .

(٢) هو بفتح الباء القطعة .

(٣) قال فى الميزان « هو عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه ماروى عنه سوى ابنه كثير أحد التلفى .

(٤) لاشك أن نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة صحيحة ولكن هذا الحديث منكر غير صحيح وقد علمت حال راويه وكيف يرى أبو طالب مثل هذه الآية ثم يجحد على شركه ولا يدخل فى الإسلام .

باب دعائه صلى الله عليه وسلم لأبي طالب بالشفاء

أخرج ابن عدى والبيهقى وأبو نعيم من طريق الهيثم بن حماد عن أنس أن أبا طالب مرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا ابن أخى أدع ربك الذى تعبد أن يعافينى ، فقال : اللهم اشف عمى ، فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال ، قال يا ابن أخى : إن ربك الذى تعبد ليطيعك ، قال : وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك » . تفرد به الهيثم وهو ضعيف .

باب استسقاء أبى طالب به صلى الله عليه وسلم

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال : « انتهيت إلى المسجد الحرام وإذا قريش عزين[1] قد ارتفعت له ضوضاء[2] يستسقون فقائل منهم يقول : اعمدوا اللات والعزى ، وقائل منهم يقول : اعمدوا المناة الثالثة الأخرى فقال شيخ منهم ، وسيم قسيم حسن الوجه جيد الرأى أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسمعيل قالوا له كأنك عنيت أبا طالب[3] قال إيهاً فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه مُصَفِّر عليه إزار قد اتشح به[4] فثاروا إليه فقالوا له : ياأباطالب قد أقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق ، فقال دونكم زوال الشمس وهبوب الريح[5]

---

(١) جمع عزة وهى العصبة من الناس يعنى متفرقين .

(٢) الضوضى والضوضاء والضيضاء الجلبة وأصوات الناس فى الحرب أو الزحام .

(٣) لاشك أن قريشا كلها من سلالة إسماعيل فلماذا فهموا أنه يعنى أباطالب لعل ذلك لسنه وشرفه .

(٤) يعنى جعله كالوشاح على كتفيه .

(٥) يعنى راقبوا هذا الوقت وانتظروه .

فلما زاغت الشمس خرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجُنٍّ تجلت عنه سحابة قتما. ، وحوله أغيلمة فأخذه أبوطالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بإصبعه الغلام وبصبصت[1] الأغيلمة حوله وما فى السماء قَزَعة[2] ، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق[3] وانفجر له الوادى وأخصب النادى والبادى ففى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُسْتَسْقى الغمام بوجهه ... ثِمَالَ اليتامى[4] عصمة للأرامل[5]
تطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنـــده فى نعمة وفضائل
وميزان عدل لايخيس[6] شعيرة ... ووزان صدق وزنه غير هائل[7]

باب رؤية حمزة[8] جبرائيل عليه السلام

أخرج ابن سعد والبيهقى عن عمار بن أبى عمار ، أن حمزة بن عبد المطلب

---

(١) يقال بصبص يعنى تملق ومنه تبصبص الكلب إذا حرك ذنبه .
(٢) هى القطعة من السحاب .
(٣) يعنى كثر وغزر .
(٤) يعنى غياثهم الذى يقوم بأمرهم .
(٥) جمع أرمل وهو المسكين ومن لا أهل له ومن ماتت زوجته والمؤنث منه أرملة .
(٦) أى لاينقص منه شيئا ولا مقدار شعيرة وهى أصغر مايوزن به .
(٧) لعلها مائل وهذه بعض أبيات من قصيدة لأبى طالب يقال إنه أنشدها فى المدة التى كان فيها بنوهاشم والمسلمون محاصرين فى شعب أبى طالب وهى قصيدة جزلة بليغة ولست أدرى هل هى لأبى طالب حقا أو قالها بعض الشعراء ثم نحله إياها فإننا لانعرف من حياة أبى طالب أنه كان شاعرا .
(٨) هو سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة أسلم قبل عمر وكان أحد المبارزين يوم بدر وقتل يوم أحد بعد ما أبلى أحسن البلاء رضى الله عنه .

قال يارسول الله أرنى جبرئيل فى صورته قال إنك لا تستطيع أن تراه قال : بلى فأرنيه قال : اقعد فقعد فنزل جبرئيل على خشبة كانت فى الكعبة يلقى المشركون عليها ثيابهم إذا طافوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشيا عليه »[1] مرسل .

باب انشقاق القمر

قال الله تعالى (اقتربت الساعة وإنشق القمر [2]) ، أخرج الشيخان عن أنس قال « إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين »[3] .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال «انشق القمر بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال (انفلق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصار فرقتين فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » .

---

(١) لا يعقل أن يطلب حمزة من رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا كهذا لاسيما وهو يعلم أن جبريل لم يتجل لأحد من الرسل والأنبياء على تلك الصورة الملكية ولم يره عليه السلام عليها إلا مرتين فى مدى ثلاث وعشرين سنة وعمار بن أبى عمار لم يذكره الذهبى فى العمارين .

(٢) الآية صريحة فى أن القمر قد انشق فعلا وهو ما تشهد له الأحاديث الصحيحة المتفق عليها .

(٣) لم يرد فى رواية البخارى لفظ مرتين ولم يرد فى مسلم عن أنس إلا فى هذه الرواية فلعل المراد بمرتين معنى شقتين أو فلقتين حتى تتسق هذه الرواية مع غيرها ، ومعروف أن القمر لم ينشق إلا مرة واحدة كما دلت عليه سائر الروايات .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » » .

وأخرج البيهقى عن ابن مسعود قال : « رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبى صلى الله عليه وسلم[1] شِقة على أبى قبيس وشقة على السويداء فقالوا : سَحَرَ القمر فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن ابن مسعود قال : « انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار أهل مكة : هذا سحر يسحركم به ابن أبى كبشة ، انظروا السُّفَّار فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به فسئل السفار وقدموا من كل وجه وقالوا رأينا »[2] .

وأخرج الشيخان عن ابن عباس « أن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج مسلم عن ابن عمر « أن القمر انشق فلقتين ، فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن جبير بن مطعم قال : « انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل ، فقال الناس : سحرنا محمد فقال رجل : إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم » .

---

(١) لم ترد هـذه الزيادة فى الصحيحين وهى غير معقولة فإن القمر إنما انشق معجزة له عليه السلام فكيف يكون قبل مخرجه ؟ اللهم إلا إذا أريد بالمخرج الهجرة إلى المدينة .

(٢) بل يوجد فى بعض جهات الهند من يؤرخ بحادثة انشقاق القمر إلى اليوم .

وأخرج أبو نعيم من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال : « اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قُبَيْس ونصفاً على قعيقعان ، وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر نصفين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان(١) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اشهدوا » .

وأخرج من وجه آخر عن الضحاك عن ابن عباس « أنه صار فرقتين إحداهما على الصفا ، والأخرى على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ، ثم غاب» . قال العلماء : « إنشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر .

باب ما خصه الله تعالى به من وعده إياه بالعصمة من الناس

أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عائشة قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ، فأخرج رأسه من القبة فقال : لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله .

---

(١) هذا غير معقول فإن أحد الجبلين في شرق مكة والآخر في غربها وهي بينهما فكيف ينشق القمر نصفا على هذا الجبل ونصفا على ذاك ولم يرد هذا في شيء من روايات الصحيحين ولاسيما روايات ابن مسعود وهو ممن شهد الوقعة بنفسه ورآها بعينه . فالصحيح أن أحد الفرقتين كانت فوق أبي قبيس والأخرى كانت دونه .

وأخرج أحمد والطبرانى وأبو نعيم عن جعدة قال « شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وأتى برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن تُرَاع[1] لن تراع لو أردت ذلك لم يسلطك الله على » .

باب عصمته إياه من أبى جهل وما ظهر فيها من المعجزات

أخرج مسلم عن أبى هريرة قال : « قال أبو جهل هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟[2] فقيل نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبية[3] يتقى بيديه فقيل له مالك ؟ قال : إن بينى وبينه خندقاً من نار وهَوْلاً وأجنحة[4] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً وأنزل الله (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال . « قال أبو جهل يامعشر قريش إن محمداً قد أتى ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر فإذا جلس فى صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أخذ حجراً ثم جلس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينظرون فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً منتقعا لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال من قريش فقالوا

---

(١) أى تفزع يقال راع يروع بمعنى فزع وراعه أفزعه .

(٢) يعنى هل يصلى مستعلنا بصلاته بينكم .

(٣) أى رجع القهقرى والعقب مؤخر القدم .

(٤) هى أجنحة الملائكة التى نزلت لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مالك ؟ قال لما قمت به إليه عرض لى دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرَتِهِ[١] ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبرئيل لودنا منى لأخذه » .

وأخرج البخارى عن ابن عباس قال « قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عِيَانا »[٢] .

وأخرج البزار والطبرانى فى الأوسط والحاكم والبيهقى وأبو نعيم من طريق ابن عباس عن أبيه العباس قال « كنت يوماً فى المسجد فقال أبو جهل إن لله عَلَىَّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبى جهل فخرج غضبان حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط فقلت هذا يوم شر فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (اقرأ باسم ربك) فلما بلغ شأن أبى جهل (كلا إن الإنسان ليطغى)[٣] قال إنسان لأبى جهل : هذا محمد . فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى والله لقد سد أفق السماء على » .

---

(١) القصرة بفتحات أصل العنق إذا غلظت والجمع قصر وأقصار وقصرات .
(٢) هو بكسر العين بمعنى المعاينة وهى الرؤية بالعين .
(٣) المعروف أن السورة إنما نزلت فى شأن أبى جهل حين نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند البيت فكيف إذاً خرج النبى عليه السلام والسورة معه وأخذ يقرأها قبل أن ينفذ أبو جهل ماهدد به أو لعلها واقعة أخرى غيرها وقد ذكر المفسرون أن أبا جهل لما رآى النبى عليه السلام يصلى عند البيت قال له ألم أنهك عن الصلاة هاهنا فأغلظ له الرسول القول فقال له أبو جهل أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت السورة .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم من طريقه حدثنى عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى قال « قدم رجل من أراش بإبل له مكة فابتاعها منه أبو جهل ابن هشام فَمَطَلَه بأثمانها فأقبل حتى وقف على نادى قريش فقال من رجل يعدينى على أبى الحكم فإنى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك الرجل؟ يهوون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ناحية المسجد لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة إذهب اليه فهو يعديك عليه فأتاه فذكر له ذلك فقام معه حتى جاءه فضرب على بابه فقال من هذا ؟ قال محمد فخرج إليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال لا تبرح حتى أعطيه الذى له فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف ، فقالوا له ياأبا الحكم جئت عجباً من العجب قال ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابى فملئت رعبا ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسى لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فوالله لو أبيت لأكلنى » .

وأخرج أبو نعيم من طريق سلام بن مسكين قال : حدثنى أبو يزيد المدنى وأبو قزعة الباهلى أن رجلا كان له على أبى جهل دين فلم يعطه فقيل له ألاَ ندلك على من يستخرج لك حقك ؟ قال بلى قالوا عليك بمحمد بن عبدالله فأتاه فجاء معه إلى أبى جهل فقال أعطه حقه قال نعم فدخل البيت فدخل البيت فأخرج دراهمه فأعطاه فقالوا لأبى جهل فرقت[1] من محمد كل هذا ؟ قال والذى نفسى بيده[2] لقد رأيت معه رجالا معهم حراب تلمع لو لم أعطه لخفت أن يبعج بها بطنى[3] .

---

(١) أى خفت .

(٢) هذا قسم لم تكن تعرفه الجاهلية وكان عليه السلام يكثر أن يقسم به .

(٣) لاتروى قصة إلا ويسرح الخيال فيها كل مسرح فهناك فحل من الابل وهنا رجال معهم حراب تلمع ومرة خندق من نار وهول وأجنحة مما يدل على الجنوح =

باب ستره صلى الله عليه وسلم
بالحجاب عن عين العوراء بنت حرب[١]

قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) وقال تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) أخرج أبو يعلى وابن أبى حاتم والبيهقى وأبو نعيم عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) أقبلت العوراء بنت حرب ولها ولوله[٢] وفى يدها فهر[٣] والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يارسول الله قدأقبلت وأنا أخاف أن تراك قال إنها لن ترانى وقرأ قرآنا فاعتصم به فوقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ياأبا بكر إنى أخبرت أن صاحبك هجانى قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت » .

وأخرجه البيهقى من وجه آخر عن أسماء بنحوه وفيه فقال « والله ما صاحبى بشاعر وما يدرى ما الشعر فقال النبى صلى الله عليه وسلم قل لها ترين عندى أحداً فإنها لن ترانى جعل بينى وبينها حجاب فسألها أبو بكر فقالت أتهزأ بى والله ما أرى عندك أحداً » .

= إلى التزيد وحسبنا أن نعلم أن الله قد حمى رسوله من كيد هذا الطاغية بما شاء من أنواع الحياطة والحفظ .

(١) هى أم جميل امرأة أبى لهب واسمها أروى بنت حرب فهى أخت أبى سفيان بن حرب وكانت هى وزوجها من أشد قريش عداوة وإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله فى شأنهما سورة مستقلة من القرآن .

(٢) أى صياح وعويل .

(٣) قال فى القاموس « الفهر بالكسر الحجر قدرما يدق به الجوز أو مايملأ الكف ويؤنث والجمع أفهار وفهور »

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم عن ابن عباس قال «لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) جاءت امرأة أبى لهب فقال أبو بكر : يارسول الله لو تنحيت عنها فإنها امرأة بذية اللسان قال : إنه سيحال بينى وبينها فلم تره فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك ؟ قال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله قالت إنك لمصدق ، فاندفعت راجعة ، فقال أبو بكر يارسول الله ما رأتك ؟ قال : كان بينى وبينها ملك يسترنى بجناحه حتى ذهبت .

باب عصمته صلى الله عليه وسلم من المخزوميين[1]

أخرج البيهقى من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبى صالح[2] عن ابن عباس فى قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سداً) قال كفار قريش غطاء فأغشيناهم يقول ألبسنا أبصارهم فهم لا يبصرون النبى صلى الله عليه وسلم فيؤذونه وذلك أن ناساً من بنى مخزوم تواصوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه منهم أبو جهل والوليد بن مغيرة فبينا النبى صلى الله عليه وسلم قائم يصلى سمعوا قراءته فأرسلوا إليه الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذى هو يصلى فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف إليهم فأعلمهم بذلك فأتوه فلما انتهوا إلى المكان الذى هو يصلى فيه سمعوا قراءته فيذهبون إلى الصوت فإذا الصوت من خلفهم فيذهبون إليه فيسمعونه أيضاً من خلفهم فانصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلا فذلك قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً

(١) يعنى كفار بنى مخزوم وهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وزهير ابن أبى أمية أخو أم سلمة ، وأخوه عبد الله بن أمية والأسود بن عبد الأسد أخو أبى سلمة وغيرهم .

(٢) قد نبهنا على أن رواية السدى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عامتها كذب فلا يجوز التعويل عليها .

فاغشيناهم) الآية قال البيهقى وروى عن عكرمة ما يؤيد هذا . قلت : يشير إلى ما أخرجه ابن جرير فى تفسيره عن عكرمة قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فنزلت (إنا جعلنا فى أعنقهم أغلالا إلى قوله تعالى لايبصرون) فكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو ؟ لا يبصره[١] .

وأخرج أبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المسجد فيجهر بالقراءة حتى تأذى منه ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا هم عمى لايبصرون فجاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ننشدك الله والرَّحِم فدعا النبى صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت (يس والقرآن الحكيم)[٢] الآيات .

وأخرج أبو نعيم من طريق المعتمر بن سليمان[٣] عن أبيه أن رجلا من بنى مخزوم قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده فهر ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتاه وهو ساجد رفع يده فيبست على الحجر فلم يستطع

---

(١) لاشك أن الآيات وإن كانت محتمله لهذا السد الحسى ولعمى البصر وحجابه عن الرؤية فإن المراد بها صرفهم عن الخير وعماهم عن الحق وترددهم فى الضلالات كما روى ابن كثير عن مجاهد أنه قال (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى عن الحق فهم مترددون فى الضلالات وروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال جعل الله هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لايخلصون إليه .

(٢) هذا أثر غريب منكر وهو مخالف للأثر السابق الذى أخرجه ابن جرير فى تفسيره عن عكرمة فلا يلتفت إليه على أن عكرمة من الضعفاء .

(٣) قال فى الميزان التيمى البصرى أحد الثقات الاعلام قال ابن خراش : صدوق يخطى من حفظه وإذا حدث من كتابه فهو ثقة .

قلت هو ثقة مطلقا ونقل ابن دحية عن ابن معين ليس بحجة » اه .

ومهما يكن فإن أثره هذا غريب لم نسمع به إلا عنه . فالله أعلم .

إرسال الفهر من يده فرجع إلى أصحابه فقالوا أجبنت عن الرجل ؟ قال لا ولكن هذا فى يدى لا أستطيع إرساله فعجبوا من ذلك فوجدوا أصابعه قد يبست على الحجر فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا هذا شىء يراد » .

باب عصمته صلى الله عليه وسلم من النَّضْر

أخرج الواقدى وأبو نعيم عن عروة بن الزبير قال « كان النضر بن الحارث يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعرض له فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريد حاجته نصف النهار فى حر شديد فبلغ أسفل من ثنية الحجون وكان يبعد إذا ذهب لحاجته فرآه النضر فقال لا أجده أبداً أخلى منه[١] الساعة فأغتاله فدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف راجعاً مرعوباً إلى منزله فلقى أبا جهل فقال من أين ؟ قال النضر اتبعت محمداً رجاء اغتياله وهو وحده فإذا أساود[٢] يضرب بأنيابها على رأسى فاتحة أفواهها فذعرت منها ووليت راجعا » قال أبو جهل : هذا بعض سحره .

باب عصمته صلى الله عليه وسلم من الحكم[٣]

أخرج الطبرانى وابن منده وأبو نعيم من طريق قيس بن حبتر قال : قالت ابنة الحكم : قال لى جدى الحكم : يا بنية أحدثك ما رأيت بعينى هاتين ، تواعدنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنأخذه فجئنا إليه فسمعنا صوتاً ما ظننا أنه بقى جبل بتهامة إلا تفتت فغشى علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع

---

(١) أى أشد تفرداً ووحدة .
(٢) جمع أسود وهو الحية العظيمة السوداء وتعرف بالحنش والأنثى أسودة .
(٣) هو الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس والد مروان بن الحكم .

إلى أهله ثم تواعدنا له ليلة أخرى . فلما جاء نهضنا إليه فجاءت الصفا والمروة حتى التقت إحداها بالأخرى فحالتا بيننا وبينه[1] فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام وأذن لنا فيه » .

باب الآية فى مصارعته صلى الله عليه وسلم ركانة

أخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لركانة بن عبد يزيد « أسلم فقال : لو أعلم أن ما تقول حق لفعلت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان ركانة من أشد الناس ، أرأيتَ إن صرعتك أتعلم أن ذلك حق ؟ قال : نعم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه ، فقال له : عُدْ يا محمد ، فعاد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه الثانية فصرعه على الأرض ، فانطلق ركانة وهو يقول: هذا ساحر لم أر مثل سحر هذا قط ، والله ماملكت من نفسى شيئاً حين وضعت جنبى إلى الأرض »[2] .

وأخرج البيهقى عن ركانة بن عبد يزيد وكان من أشد الناس قال : كنت

---

(١) لو أن الذى يكذب يتلطف فى كذبه ويأتى منه بما يقرب من العقل والواقع لكان كذبه أدنى إلى التصديق ولكنه حين يمعن فى الكذب يكون كذبه سمجا ممجوجا فلقد أوشكنا أن نصدق أنهم سمعوا أول ليلة صوتا ظنوا معه أن جبال تهامة تفتتت كلها أما أن ينتقل أحد الجبلين إلى الآخر ويركبه من أجل الحيلولة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو العجب والله قادر أن يحول بينهم وبين رسوله بدون هذا وبأيسر منه ولقد سألت قريش رسول الله أن يزيل الصفا ويوسع لهم مكة فى جملة من الآيات اقترحوها فلم يجبهم الله إليها .

(٢) لقد مر من حديث أنس أنه قال « كنا نحدث أنه أعطى قوة ثلاثين وفى بعض الروايات أربعين » .

أنا والنبي صلى الله عليه وسلم فى غنيمة لأبى طالب نرعاها فى أول ما رأى[١] إذ قال لى ذات يوم : هل لك أن تصارعنى ؟ قلت له أنت ؟ قال أنا فقلت على ماذا ؟ قال : على شاة من الغنم[٢] فصارعته فصرعنى فأخذ منى شاة ثم قال لى : هل لك فى الثانية ؟ قلت نعم ، فصارعته فصرعنى فأخذ منى شاة فجعلت ألتفت هل يرانى إنسان فقال مالك ؟ قلت لا يرانى بعض الرعاة فيجترئون على وأنا فى قومى من أشدهم قال : هل لك فى الصراع الثالثة ولك شاة ؟ قلت : نعم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة فقعدت كئيباً حزيناً ، فقال مالك ؟ قلت : إنى أرجع إلى عبد يزيد وقد أعطيت ثلاثاً من غنمه والثانية أنى كنت أظن أنى أشد قريش ، فقال : هل لك فى الرابعة ؟ فقلت لا بعد ثلاث ؟ فقال : أما قولك فى الغنم فإنى أردها عليك فرد على فلم يلبث أن ظهر أمره فأتيته فأسلمت فكان مما هدانى الله عز وجل أنى علمت أنه لم يصرعنى يومئذ بقوته ولم يصرعنى يومئذ إلا بقوة غيره»[٣] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن أبى أمامة قال : «كان رجل من بنى هاشم يقال له ركانة ، وكان من أشد الناس وأفتكهم وكان مشركا وكان يرعى غنما له فى واد يقال له أضم ، فخرج نبى الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وتوجه قبل ذلك الوادى فلقيه ركانة وليس مع النبى صلى الله عليه وسلم أحد ، فقام إليه

---

(١) كيف كان يرعى غنما لأبى طالب فى أول مارأى وهو منذ تزوج خديجة رضى الله عنها أغناه الله بها وكانت سنه إذ ذاك خمسا وعشرين سنة وهو لم ير إلا فى سن الأربعين كلام كله كأحاديث الغول والشاطر حسن .

(٢) كيف يزاول لليسر وهو كبيرة ومعلوم أن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة والغنم ، كذلك ليست غنمه فهى خيانة يستحيل أن يتصف بها الأمين ألا ليت الذين يضعون هذه القصص يعلمون أنهم يغبرون فى مقام النبوة ويرتكبون فى حقه أفظع الجنايات .

(٣) لابل صرعه بقوته التى أودعها الله فيه وخلقه عليها .

ركانة فقال يا محمد ، أنت الذى تشتم آلهتنا اللات والعزى وتدعو إلى إلهك العزيز الحكيم ولولا رحم بينى وبينك ما كلمتك الكلام حتى أقتلك ولكن ادع إلهك العزيز الحكيم ينجيك منى اليوم وسأعرض عليك أمراً هل لك أن أصارعك وتدعو إلهك العزيز الحكيم يعينك على وأنا أدعو اللات والعزى ؟ فإن أنت صرعتنى فلك عشر من غنمى هذه تختارها ، فقال عند ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم نعم إن شئت ، فأخذا ودعا نبى الله صلى الله عليه وسلم إلهه العزيز الحكيم أن يعينه على ركانة ودعا ركانة اللات والعزى أعنى اليوم على محمد ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم فصرعه وجلس على صدره فقال ركانة قم فلست أنت الذى فعلت بى هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم وخذلنى اللات والعزى وما وضع أحد قط جنبى قبلك ثم قال ركانة : عد فإن أنت صرعتنى فلك عشر أخرى تختارها فأخذه نبى الله صلى الله عليه وسلم الثانية ودعا كل واحد منهما إلهه كما فعلا أول مرة فصرعه نبى الله صلى الله عليه وسلم فجلس على كبده فقال له ركانة : قم فلست أنت الذى فعلت بى هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم ، وخذلنى اللات والعزى وما وضع جنبى أحد قط قبلك ، ثم قال ركانة : عد فإن أنت صرعتنى فلك عشر أخرى تختارها فأخذه فصرعه نبى الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ، فقال له ركانة : لست أنت الذى فعلت بى هذا ، وإنما فعله إلهك العزيز الحكيم وخذلنى اللات والعزى فدونك ثلاثين شاة من غنمى فاخترها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما أريد ذلك ولكنى أدعوك إلى الإسلام يا ركانة وأنفس بك[1] أن تصير إلى النار[2] إنك إن تسلم تسلم ، فقال

---

(١) أى أضن بك وأبخل .

(٢) ولماذا نفس بنفس ركانة أن تصير إلى النار ولم ينفس بنفوس عمومته وأبناء عمومته وألصق الناس به ؟ سر عجيب ليت هؤلاء الوضاعين يدلوننا عليه .

له ركانة : لا إلا أن تريني آية ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الله عليك شهيد ، إن أنا دعوت ربي فأريتك آية لتجيبني إلى ما دعوتك إليه ؟ قال : نعم وقريب منه شجرة سمر ذات فروع وقضبان فأشار إليها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : أقبلي بإذن الله تعالى فانشقت باثنين فأقبلت على نصف شقها وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين ركانة . فقال له ركانة : أريتني عظيما فمرها فلترجع فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : عليك الله شهيد ، لئن أنا دعوت ربي رجعت تجيبني إلى ما أدعو إليه ؟ فقال نعم ، فرجعت بقضبانها وفروعها حتى التأمت لشقها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسلم تسلم[1] ، فقال له ركانة : ما بي إلا أن أكون رأيت عظيما ولكني رأيت أن تحدث نساء المدينة وصبيانهم أني إنما جئتك لرعب دخل في قلبي منك ، ولكني قد علمت نساء أهل المدينة وصبيانهم أنه لم يضع جنبي قط أحد ، ولم يدخل قلبي رعب ساعة قط ليلا ولا نهاراً ، ولكن دونك فاختر غنمك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ليس لي حاجة إلى غنمك إذ أبيت أن تسلم ، فانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم راجعاً فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يلتمسانه فأخبرا أنه قد توجه قبل وادي أضم وقد عرفا أنه وادي ركانة لا يكاد يخطئه فخرجا في طلبه وأشفقا أن يلقاه ركانة فيقتله فجعلا يصعـدان على كل شرف ويتشرفان مخرجاً له إذ نظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، فقالا : يا نبي الله كيف تخرج إلى هذا الوادي وحدك ؟ وقد عرفت أنه جهة ركانة وأنه من أفتك الناس وأشدهم تكذيباً لك ، فضحك إليهما النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أليس يقول الله عز وجل ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[2] إنه لم يكن

---

(١) ولم هذا الإلحاح كله على ركانة وإراءته الآية بعد الآية لعل في الجنة حلبة المصارعة فيراد أن يكون ركانة من أبطالها .

(٢) الحمد لله لقد فضح الكذب نفسه فإن الآية مدنية باتفاق وقد سبق من حديث =

يصل إلى والله معى فأنشأ يحدثهما حديثه الذى فعل به والذى أراه ، فعجبا من ذلك فقالا : يا رسول الله أصرعت ركانة ؟ فلا والذى بعثك بالحق ما نعلم أنه وضع جنبه إنسان قط ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنى دعوت ربى فأعاننى عليه إن ربى أعاننى ببضع عشرة وقوة عشرة[١] .

باب ما وقع فى إسلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

أخرج ابن عساكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : « كنت رجلا مستهتراً بالنساء[٢] فإنى ذات ليلة بفناء الكعبة قاعد فى رهط من قريش إذ أتينا فقيل لنا : إن محمداً قد أنكح عتبة بن أبى لهب من رقية ابنته وكانت رقية ذات جمال رائع فدخلتنى الحسرة لما لا أكون سبقت إلى ذلك ، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلى فأصبت خالة لى قاعدة وكانت قد تكهنت عند قومها ، فلما رأتنى قالت :

أبشر وحييت ثلاثاً تترا ثم ثلاثاً وثلاثاً أخرى
ثم بأخرى كى تتم عشرا أتاك خير ووقيت شراً
أنكحت والله حصاناً زهرا[٣] وأنت بكر ولقيت بكرا
وافيتها بنت عظيم قدرا

= عائشة أنه كان عليه السلام يحرس فلما نزلت قال انصرفوا عنى فقد عصمنى الله وأحاديث ركانة إنما كانت بمكة .

(١) وهكذا اتخذ الوضاعون من شخصية ركانة هو الآخر مادة خصبة لهذه المسرحية الهزلية التى ذكرها المؤلف هنا بلا حياء ولا ورع . وليت شعرى لو لم يلبه فى خطبة كتابه أنه نزهه عن الموضوع وما يرد ماذا عسى أن يكون عليه هذا الكتاب الحاوى لكل هذه الغرائب والمنكرات .

(٢) أى مولعا بهن يقال استهتر بكذا إذا أولع به وأغرم ولا نظن بعثمان رضى الله عنه أنه كان كذلك فى الجاهلية بل كان وقوراً شديد الحياء وقد حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية لأنها تزرى بشاربها .

(٣) الحصان بفتح الحاء المرأة العفيفة والزهراء بفتح الزاى أنثى الأزهر وهى النيرة الصافية اللون .

قال عثمان : فعجبت من قولها ، وقلت : يا خالة ، ما تقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجمال ولك اللسان ، هـذا نبي معه البرهان ، أرسله بحقه الديان ، وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لا تغتالك الأوثان ، قلت : يا خالة ، إنك لتذ كرين شيئاً ما وقع ذكره ببلدنا فأبينيه لى ، فقالت محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح[١] ، ذلت له البطاح ، ماينفع الصياح ، لو وقع الذباح[٢] وسلت الصفاح[٣] ومدت الرماح ، قال : ثم انصرفت ووقع كلامها فى قلبي وجعلت أفكر فيه وكان لى مجلس عند أبى بكر فأتيته فأخبرته بما سمعت من خالتى ، فقال ويحك يا عثمان إنك رجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هـذه الأوثان يعبدها قومنا أليست من حجارة صُمٍّ لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قلت : بلى والله إنها كذلك ، قال : فقد والله صدقتك خالتك هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله قد بعثه الله تعالى برسالته إلى خلقه فهل لك أن تأتيه فتسمع منه ؟ فقلت بلى ، فأتيته فقال : يا عثمان ، أجب الله إلى جنته فإنى رسول الله إليك وإلى خلقه ، قال : فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت ثم لم ألبث أن تزوجت رقية[٤] فكان يقال أحسن زوج رقية وعثمان .

---

(١) يعنى أنه يغلب من حاربه .

(٢) الذباح هو الذبح .

(٣) أى جردت السيوف من أغمادها .

(٤) تزوجها بعد أن طلقها عتبة بن أبى لهب وهاجرت معه إلى الحبشة ثم رجعا حين أشيع أن قريشا هادنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هاجرا إلى المدينة فماتت رقية بعد مقدمها بسنتين تقريباً ولهذا لم يشهد عثمان بدرا لأنه كان مشغولا بتمريضها فزوجه النبي بعدها أم كلثوم التى كانت تحت عتيبة بن أبى لهب وقد توفيت لثمان من الهجرة .

باب ما وقع فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الآيات

أخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى عن أنس قال : « خرج عمر متقلداً بالسيف فلقيه رجل من بنى زهرة فقال له أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبوت[١] وتركت دينك ، قال : أفلا أدلك على العجب ؟ إن أختك وختنك[٢] قد صبوا وتركا دينك ، فمشى عمر ذامراً أى غضبان حتى أتاهما وعندهما خباب[٣] فلما سمع خباب بحس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال : ما هــذه الهينمة التى قد سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرءون ﴿ طه ﴾ فقالا : ما عدا حديثا تحدثنابه[٤] قال : فلعلكما قد صبوتما ؟ فقال له ختنه يا عمر إن كان الحق فى غير دينك ، فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها ، فقال عمر : أعطونى الكتاب الذى هو عندكم فأقرأه فقالت له أخته إنك رجس[٥] وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى انتهى إلى ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾ فقال عمر : دلونى على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر فإنى أرجو أن تكون

---

(١) أى أسلمت .

(٢) يعنى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

(٣) هو خباب بن الأرت أحد السابقين إلى الإسلام مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين وصلى عليه على رضى الله عنه .

(٤) يعنى ما جاوز الأمر حديثاً كنا نتحدث به .

(٥) تعنى أنه مشرك قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هــذا) والغالب كذلك على المشرك أنه لايتحرز من النجاسة الحسية .

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس : « اللهم أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب أو بعمرو بن هشام[1] فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم » .

وأخرج البزار والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن عمر بن الخطاب قال « كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل من قريش فقال لى : أين تريد يا ابن الخطاب ؟ فقلت أريد إلهى وإلهى وإلهى[2] قال : عجبا لك يا ابن الخطاب إنك تزعم أنك كذلك ، وقد دخل عليك الأمر فى بيتك ، قال فقلت وما ذاك ؟ قال أختك قد أسلمت ، قال : فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شىء له ضمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل الذى فى يده السعة فينالان من فضلة طعامه ، وقد كان ضم إلى زوج أختى رجلين ، فلما قرعت الباب قيل من هذا ؟ قلت عمر ، فتبادروا فاختفوا منى وقد كانوا يقرءون صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها ، فقامت أختى تفتح الباب فقلت يا عدوة نفسها صبوت ؟ وضربتها بشىء فى يدى على رأسها فسال الدم ، فلما رأت الدم بكت فقالت : يا ابن الخطاب : ما كنت فاعلا فافعله فقد صبوت ، قال : ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلى الصحيفة وسط البيت فقلت ما هذا ؟ ناولينيها ، فقالت : لست من أهلها أنت لا تطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، فما زلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها فإذا فيها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت ثم رجعت إلى نفسى فقرأتها حتى بلغت

---

(١) يعنى أبا جهل لعنه الله .

(٢) يعنى أريد نصرة آلهتى .

﴿ آمنوا بالله ورسوله[1] ﴾ إلى آخر الآية ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فخرجوا إلى متبادرين و كبروا وقالوا أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الإثنين[2] فقال : اللهم أعز دينك بأحب الرجلين إليك إما أبو جهل بن هشام ، وإما عمر بن الخطاب ، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك .

وأخرج أحمد عن عمر بن الخطاب قال : خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة ﴿ الحاقة ﴾ فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت : هــذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ ﴿ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ فقلت كاهن قال ﴿ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ إلى آخر السورة فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع .

وأخرج ابن أبى شيبة فى مسنده عن جابر قال : قال عمر : ضرب أختى المخاض ليلا فخرجت حتى أتيت الـكعبة فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فصلى فسمعت شيئاً لم أسمع مثله ثم انصرف فتبعته فقال : يا عمر ، ما تتركنى ليلا ولا نهاراً فخشيت أن يدعو على ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله[3] .

---

(١) هذا معناه أن المـكتوب فى الصحيفة من سورة الحديد مع أن المعروف. أن سورة الحديد مدنية فالصحيح أنه كان من سورة طه كما دل عليه الأثر الأول

(٢) وفى حديث أنس أنه كان عشية الخميس والخطب فى مثل هذا هين .

(٣) الصحيح مامر من أن إسلام عمر كان فى بيت ختنه سعيد بن زيد وأن سببه ما قرأه من القرآن فى الصحيفة .

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال : « كنت جالساً مع أبى جهل وشيبة ابن ربيعة فقال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار ألا ومن قتل محمداً فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية فضة ، قال عمر : فخرجت متقلداً بالسيف متنكبا كنانتى[1] أريد النبى صلى الله عليه وسلم ، فمررت على عجل يذبحونه فقمت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل : يا آل ذريح — أمر نجيح — رجل يصيح — بلسان فصيح — يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله — وأن محمداً رسول الله — قال عمر : فعلمت أنه أرادنى ثم مررت بغنم فإذا هاتف يهتف ويقول :

يا أيها الناس ذووا الأجسام ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندوا الحكم إلى الأصنام فكلكم أوْرَهُ[2] كالنعام
أما ترون ما أرى أمامى من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام أكرم به الله من إمام
قد جاء بعد الكفر بالإسلام والبر والصلات للأرحام

قال عمر : فقلت والله ما أراه إلا أرادنى ثم مررت بالضمار فإذا هاتف من جوفه يقول :

ترك الضمار وكان يعبد وحده بعد الصلاة مع النبى محمد

---

(١) الكنانة جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهام وجمعها كنائن وكنانات ومعنى تنكبها وضعها على منكبيه .

(٢) أفعل تفضيل من الوره بمعنى الحمق يقال وره الرجل يوره ورها فهو أوره والأنثى ورهاء .

إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
سيقول من عبد الضمار ومثله ليت الضمار ومثله لم يعبد
فاصبر أبا حفص فإنك آمن يأتيك عز غير عز بنى عدى
لا تعجلن فأنت ناصر دينه حقاً يقيناً باللسان وباليد

قال عمر : فوالله لقد علمت أنه أرادنى فجئت حتى دخلت على أختى فإذا خباب بن الأرت عندها وزوجها فقال خباب : ويحك يا عمر أسلم ، فدعوت بالماء فتوضأت ثم خرجت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى : قد استجيب لى فيك يا عمر أسلم ، فأسلمت وكنت تمام أربعين رجلا ممن أسلم ونزلت ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾[1] .

وأخرج ابن سعد وأحمد والترمذى وصححه وابن حبان والبيهقى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبى جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب » .

وأخرج البيهقى مثله من حديث عمر نفسه ومن حديث أنس .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أعز الإسلام بعمر خاصة » وأخرج الحاكم عن ابن عباس مثله .

وأخرج الطبرانى والحاكم عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) ويشاء الله أن يفضح الكذب نفسه مرة أخرى فإن الآية من سورة الأنفال. وهى مدنية باتفاق والعجب من قدرة هؤلاء الناس على التلفيق وإدماج القصص بعضها فى بعض بحيث تبدو كأنها حكاية واحدة فإن قصة العجل رواها البخارى عن عمر وفيها مايدل على أن هذا قبل البعثة لما الذى دسها هنا وسط خبر أبى جهل وخبر دخول عمر على أخته وعندها خباب والأمر كما يقولون (لين سمك تمر هندى).

« اللهم أعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل » فجعل الله دعوة رسوله لعمر فبنى عليه ملك الإسلام(١) .

وأخرج البخارى عن ابن مسعود قال : « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر » .

وأخرج ابن سعد والحاكم عنه قال : « والله مااستطعنا أن نصلى عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر » .

وأخرج الحاكم عن حذيفة قال : « كان الإسلام فى زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلما قتل عمر كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً » .

وأخرج ابن سعد عن عثمان بن الأرقم أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » فجاء عمر من الغد بكرة فأسلم .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية الخميس فقال : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام » فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم .

وأخرج ابن سعد عن صهيب بن سنان قال : « لما أسلم عمر ظهر الإسلام

---

(١) صدق ابن مسعود فإن عمر كان هو المؤسس لدولة الإسلام الكبرى التى شملت تلك الامبراطوريات العتيدة من فارس والروم ومصر ثم تابع الخليفة الثالث حركة الفتح حتى وصلت فى عهده جيوش المسلمين من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً فعمر منذ أسلم والإسلام فى علو وظهور وأعداؤه فى إدبار وذل ولهذا نزلت بالمشركين كآبة شديدة يوم أسلم عمر وحاولوا قتله وفى الحديث الصحيح أنه عليه السلام رأى فى منامه كأنه على بئر وبيده دلو فنزع بها ماشاء الله ثم أعطاها أبا بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم أعطاها عمر فاستحالت فى يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه حتى صدر الناس بعطن .

ودعى إليه علانية وجلسنا حول البيت حِلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتى به .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : « أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشر نسوة فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة » .

وأخرج الحاكم وابن ماجة عن ابن عباس قال : « لما أسلم عمر نزل جبرئيل فقال : يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر » .

باب ما وقع فى إسلام ضماد

أخرج أحمد ومسلم والبيهقى عن ابن عباس قال : « قدم ضماد مكة وهو رجل من أَزْدْ شُنُوءة ، وكان يرقى من هذهِ الرياح فسمع سفهاء الناس يقولون إن محمداً مجنون فقال : آتى هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى ، قال : فلقيت محمداً فقلت : إنى أرقى من هذه الرياح وإن الله يشفى على يدى من يشاء فهلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله »[1] . فقال ضماد : أعدهن على ، فأعادهن فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، ولقد بلغن قاموس البحر ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام فبايعه ».

(١) ورد فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفتح خطبه بهذه الكلمات فى الجمعة وغيرها وهي من جوامع كلمه ، ولهذا عجب منها هذا الأعرابى وكانت سبب إسلامه .

باب ما وقع فى إسلام عمرو بن عبد القيس

أخرج ابن شاهين من طريق حسين بن محمد حدثنا أبى حدثنا جبير بن الحكم العبدى عن صحار بن العباس ومزيدة بن مالك فى نفر من عبد القيس قالوا : (كان الأشج أشج عبد القيس[١] صديقاً لرهب ينزل بدارين[٢] فلقيه عاماً فأخبره أن نبياً يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه علامة يظهر على الأديان ، ثم مات الراهب فبعث الأشج ابن أخت له يقال له عمرو ابن عبد القيس وهو على ابنته أمامة بنت الأشج ، فأتى مكة عام الهجرة فلقى النبى صلى الله عليه وسلم ورأى صحة العلامة فأسلم وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ الحمد لله ﴾[٣] و ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾[٤] ، وقال : ادع خالك إلى الإسلام ، فرجع وأخبر الأشج الخبر ، فأسلم الأشج وكتم إسلامه حيناً ، ثم خرج فى ستة عشر رجلا فقدم المدينة : فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى الليلة التى قدموا فى صبيحتها فقال ليأتين ركب من قبل المشرق : ولم يكرهوا على الإسلام[٥] لصاحبهم علامة فقدموا وكان قدومهم عام الفتح[٦] . وذكره ابن سعد فى طبقاته بلا إسناد .

---

(١) كان فى وفد قومه الذين قدموا على الرسول عام تسع بعد رجوعه من تبوك فرحب بهم وقال مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى وقال للأشج إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناه .

(٢) قرية فى لبنان يقال لها (عكار)

(٣) يعنى سورة الفاتحة .

(٤) يعنى سورة العلق .

(٥) فى الصحيح عن ابن عباس أنه قال عليه السلام (يطلع عليكم من هذه الجهة ركب هم خير أهل المشرق اللهم اغفر لعبد القيس .

(٦) الصحيح ما قدمناه وهو أنهم وفدوا عام تسع بعد عودته عليه السلام من غزوة تبوك .

باب ما وقع فى إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى من الآيات

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : (قدم الطفيل بن عمرو الدوسى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم) .

وأخرج البيهقى عن ابن إسحاق قال كان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعراً لبيبا فقالوا له : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه ، قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[1] فرقاً من أن يبلغنى شىء من قوله فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاما حسنا ، فقلت فى نفسى إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلت ، وإن كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف إلى بيته فتبعته فقلت : إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا فاعرض على أمرك ، فعرض على الإسلام وتلا على القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وقلت يا نبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى

---

(١) أى قطنا .

وإنى راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فقال اللهم اجعل له آية فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنيَّة كداء وقع نور بين عينىَّ مثل المصباح فقلت اللهم فى غير وجهى إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة[1] وقعت فى وجهى فتحوَّل فوقع فى رأس سوطى كالقنديل المعلَّق ثم دعوت قومى إلى الإسلام فأبطأوا علىَّ فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إنَّ دوسا غلبتنى فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا إرجع إلى قومك فادعهم وارْفُقِ بهم[2] فرجعت فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قدمت عليه بخيبر بمن أسلم من قومى سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس» . أخرجه أبو نعيم من طريق الواقدى حدثنى عبدالله بن جعفر عن عبدالواحد ابن أبى عون الدوْسى به . ووصله ابن إسحاق فى بعض نُسخ المغازى من طريق صالح بن كيسان عن الطُّفيل بن عمرو به وهو فى سائر النسخ بغير إسناد .

وقال أبو الفرج الأصبهانى فى (الأغانى) أخبرنى عمى حدثنا الحزنبل بن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه واللفظ له. ح[3] وأخبرنى محمد بن الحسن بن دريد حدثنى عن العباس بن هشام عن أبيه أن الطفيل بن عمرو الدوسى خرج حتى أتى مكة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة فأرسلته

---

(١) المثلة بضم فسكون الآفة . وأما المثلة بفتح الميم وضم المثلثة فهى العقوبة والتنكيل ويقال لها مثلة أيضا .

(٢) هكذا كان سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم يوصى بالرفق دائما متبعا قوله الله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ولما بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) .

(٣) الحاء هنا معناها تحويل الإسناد وإيراد طريق أخرى للحديث .

قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر لنا هذا الرجل وماعنده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فقال له إنى رجل شاعر فاسمع ما أقول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هات فأنشده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول فاسمع ثم قرأ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد) إلى آخرها ثم قرأ قل أعوذ برب الفلق[١] ودعاه إلى الإسلام فأسلم وعادإلى قومه فأتاهم فى ليلة مطيرة ظلماء فلم يبصر أين يسلك فأضاء له نور فى طرف سوطه فأتى الناس فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ثم دعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة[٢].

وأخرج ابن جرير عن ابن الكلبي قال « سبب تسمية الطفيل بذى النور أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لقومه قال له ابعثنى إليهم واجعل لى آية فقال اللهم نوِّرْ له فسطع نورٌ بين عينيه فقال يارب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضىء له فى الليلة المظلمة .

وأخرج أبو الفرج الأصبهانى فى (الأغانى) عن ابن الكلبى « أن الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه فأنشده من شعره فتلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإخلاص والمعوذتين فأسلم فى الحال

---

(١) لا أظن أن المعوذتين كانتا قد نزلتا فى ذلك الوقت فإن نزولهما كان بسبب سحره صلى الله عليه وسلم وهو أمر حصل متأخراً .

(٢) كان قدومه المدينة سنة سبع والنبى عليه السلام بخيبر فصار إليها حتى قدم مع النبى وقد أسلمت أمه أميمة بنت صفيح بن الحارث بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو هريرة سنة سبع وخمسين وقيل تسعة وخمسين وكان من أحفظ الصحابة وأكثرهم رواية الحديث .

وعاد لى قومه وذكر قصة سوطه و نوره قال فدعا أبويه فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ودعا قومه فلم يجيبوه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فلما دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم قال له الطفيل ما كنتُ أُحبُّ هذا[1] فقال إن فيهم مثلك كثير » .

باب ماوقع فى إسلام عثمان بن مظعون[2]

أخرج أحمد وابن سعد عن ابن عباس قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر[3] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألا تجلس ؟ قال : بلى فجلس إليه فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فنظر ساعة الى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه فى الأرض فتحرّف[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ يُنغضُ رأسهُ[5] كأنه يستفقه مايقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى فى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال عثمان يامحمدمارأيتك تفعل كفعلك

---

(١) وكيف يكره الطفيل دعاء الرسول لقومه بالهداية وهو الحريص على هدايتهم وإسلامهم ؟ .

(٢) هو من السابقين إلى الإسلام وأخو رسول الله صلى الله عليه من الرضاع وممن هاجر إلى الحبشة وعاد منها فى جوار الوليد بن المغيرة ثم رد على الوليد جواره ثم هاجر إلى المدينة وكان أول المهاجرين وفاة بها ، توفى بعد شهوده بدرا .

(٣) يعنى عبس فى وجهه على هيئة المتوعد .

(٤) يعنى مال .

(٥) أى يهزها ويحركها .

بالغداة قال وما رأيتنى فعلتُ ؟ فأخبره قال أو فطنتَ لذلك ؟ قال نعم ، قال إن جبرئيل أتانى آنفا فقال فما قال لك ؟ قال (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) قال عثمان فذلك حين استقر الإسلام فى قلبى وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم»[١].

باب إسلام الجن وما ظهر فى ذلك من الآيات

قال الله تعالى (وإذ صرفنا إليك نَفراً من الجن يستمعون القرآن) الآيات وقال تعالى (قل أُوحىَ إلى أنه استمع نفر من الجن) الآيات .

أخرج الشيخان عن ابن عباس قال «انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظَ[٢] وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلتْ عليهم الشُّهُب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء فأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حَدَث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فانصرف أولائك النفر الذين توجهوا نحو تهامةَ إلى رسول الله صلى الله

---

(١) قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث «إسناد جيد متصل حسن وبين فيه السماع المتصل ورواه ابن أبى حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً) اه .

(٢) هو أحد أسواق العرب المشهورة فى الجاهلية التى كانوا يجتمعون فيها للبيع والشراء والمنافرات والتحكيم فيما يلقى من خطب أو أشعار وكان من عادته عليه السلام أن يخرج إلى هذه الأسواق يغشى على القبائل رحالهم ومنازلهم يدعوهم إلى الإسلام ويقول لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم) .

عليه وسلم وهو بنخلة[١] وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا ياقومنا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) .

وأخرج الشيخان عن مسروق قال سألت ابن مسعود من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال « آذنته بهم شجرة »[٢] .

وأخرج مسلم وأحمد والترمذى عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ قال ماصحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل أو استطير مافعل به ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان فى وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قِبل حِراء فأخبرناه

---

(١) واد بين الطائف ومكة وهو الذى كانت فيه العزى .

(٢) فى حديث ابن عباس « أنه لم ير الجن تلك الليلة ولا قرأ عليهم ولكنهم استمعوا له ثم انصرفوا إلى قومهم منذرين حتى أعلمه الله بذلك » وأما حديث ابن مسعود فيدل على أنه علم بمكانهم وأن شجرة هى التى آذنته بذلك وقد حاول العلامة ابن كثير التوفيق بينهما فقال « فيحتمل أن يكون هذا فى المرة الأولى ويكون إثباتا مقدما على نفى ابن عباس رضى الله عنهما ويحتمل أن يكون فى الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة أى أعلمته باجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا فى بعض المرات المتأخرات والله أعلم » ثم نقل عن الحافظ البيهقى أن الذى حكاه ابن عباس إنما هو أول ماسمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك أتاه داعى الجن فقرأ عليه القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل كما رواه عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .

فقال « إنه أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم »[١] .

وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم من طريق أبى عثمان الخزاعى عن ابن مسعود « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وهو بمكة من أحبَّ منكم أن يحضر الليلة أمرَ الجن فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيرى . فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطَّ لى برجله خطاً ثم أمرنى أن أجلس فيه . ثم انطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودةٌ[٢] كثيرة حتى حالت بينى وبينه حتى ماأسمعُ صوته ثم انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهطٌ[٣] وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق فبرز ثم أتانى فقال ما فعل الرهط ؟ فقلت هم أولئك يارسول الله فأخذ عظماً وروثاً فأعطاهم إياهما ثم نهى أن يستطيب[٤] أحد بعظم أو بروث .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم من طريق على بن رباح عن ابن مسعود قال « استتبعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن نفراً من الجن خمسة عشر بنى أخوة وبنى عم يأتونى الليلة فأقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذى أراد فخط لى خطاً فأجلسنى فيه وقال لى لاتخرج من هذا فبتُّ فيه حتى أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السحرَ ، فلما أصبحت قلت لأعلمن حيث كان

---

(١) وفى هذه الرواية أنهم سألوه الزاد فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر مايكون لحما وكل بعرة أو روثه علف لدوابكم » قال عليه السلام « فلا تستنجو بهما فإنهما طعام إخوانكم » .

(٢) جمع سواد وهو الشخص أو الشبح وجمع الجمع أساود .

(٣) أى جماعة بين الثلاثة والعشرة ولا واحد له من لفظه وجمعه أرهط وأرهاط .

(٤) أى يستنجى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فرأيت موضع مَبرك ستين بعيرا » .

وأخرج البيهقى من طريق أبى الجوزاء عن ابن مسعود قال « انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى أتى الحجُون فخط علىَّ خطا ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيِّدٌ لهم يقال له وردان إنى أنا أرحِّلهم عنك فقال إنه لن يُجيرنى من الله أحد .

وأخرج البيهقى عن أبى عثمان النَّهدى أن ابن مسعود أبصر زُطًّا[1] فى بعض الطريق فقال ماهؤلاء ؟ قال هؤلاء الزُّطُّ قال مارأيت شبههم إلا الجن ليلة الجن وكانوا مستنفرين[2] يتبع بعضهم بعضاً »[3] .

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صرف إليه النفر من الجن فأتى رجل من الجن بشعلة من نار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبرئيل يا محمد ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن طفئت شعلته وانكب لمنخره؟ « قل أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامة التى لايجاوزهن بر ولافاجر من شر ماينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ماذرأ فى الأرض وما يخرج منها ومن شرفتن الليل ومن شرطوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن»[4] .

---

(١) لعلهم جماعة من الزنوج .

(١) لعلها مستثفرين بالثاء يقال استثفر بثوبه إذا ثنى طرفه فأخرجه من بين فخذيه وغرزه فى حجزته .

(٣) وفى رواية عند ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفى أن النبى عليه السلام قال لابن مسعود « وهل رأيت شيئا؟ قال نعم رأيت رجالا سودا مستثفرين ثيابا بياضا قال أولئك جن نصيبين » .

(٤) لم يكن هؤلاء جنا جاؤا ليسلموا ويتعلموا وإنما كانوا شياطين تحدروا

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي التيَّاح أن عبدالرحمن بن خنبش سئل كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كادته الشياطين ؟ قال تحدرت عليه شياطين من الجبال والأودية يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبرئيل فقال يامحمد قل « أعوذ بكلمات الله التى لايجاوزهن فاجر من شر ماخلق وذرأ وبرأ ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن فقالهن فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله تعالى » .

أخرج الطبرانى وأبو نعيم من طريق أبى زيد عن ابن مسعود قال « بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو فى نفر من أصحابه إذ قال ليقم منكم معى رجل ولا يقومن رجل فى قلبه الغشُّ مِثْقَال ذَرَّة[1] فقمت معه وأخذت إدَاوَةً ولا أحْسَبُها إلا ماء فخرجت معه حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسْوِدَةً مجتمعة فخط لى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال قم ههنا حتى آتِيَك فقمت ومضى إليهم فرأيتهم يتثورون إليه[2] فسمر معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى جاءنى مع الفجر فقال مازلت قائماً يا ابن مسعود ؟ قلت أو لم تقل لى قم حتى آتيك ثم قال لى هل معك من وضوء ؟ فقلت نعم ففتحت

= عليه من الجبال والأودية ليكيدوا له فعلمه جبريل ماينجو به من كيدهم كما سيأتى فى الأثر الذى بعده وقد عودنا أبو نعيم أن يلفق بين الروايات .

(١) هذا كلام فارغ لايقوله النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعلم مدى إخلاص أصحابه وحبهم له لاسيما مسلمى مكة حيث لا رغب ولا رهب يحملهم على المداجاة والغش .

وفى الحديث «إنى لم أومر أن أنقب عن سرائر الناس ولا أن أشق عن قلوبهم» .

(٢) أى يقبلون عليه مزدحمين .

الأداوة فإذا هو نبيذ فقلت والله لقد أخذت الأداوة ولا أحسبها إلا ماء فإذا هو نبيذ فقال « تمرة طيبة وماء طهور » ثم توضأ فلما قام يصلى أدركه شخصان منهم فقالا له يا رسول الله إنا نحب أن تؤمّنا فى صلاتنا فصفّهما خلفه ثم صلى بنا ثم انصرف فقلتُ له من هؤلاء يارسول الله ؟ قال هؤلاء جنّ نصيبين جاءونى يختصمون إلىّ فى أمور كانت بينهم وقد سألونى الزاد فزودتهم فقلتُ مازودتهم؟ قال الرّجعة وما وجدوا من روثٍ وجدوه تمراً وما وجدوا من عظم وجدوه كاسياً وعند ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستطاب بالروث والعظم»[1] .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن المعلى عن ابن مسعود قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة إلى نواحى مكة فخط لى خطا وقال لاتحدثنّ شيئاً حتى آتيك ثم قال لايروعنك أو لا يهولنك شىء تراه فتقدم شيئاً ثم جلس فإذا رجال سودٌ كأنهم رجال الزُّط وكانوا كما قال الله تعالى ﴿ كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ فأردت أن أقرب فأذُبَّ عنه بالغا مابلغت ثم ذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم إنهم تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون يا رسول الله إن شقتنا[2] بعيدة ونحن منطلقون فزوِّدنا قال لكم الرجيع وما أتيتم عليه من عظم فلكم عليه لحم وما أتيتم عليه من الروث فهو لكم تمر فلما ولَّوْا قلت؟ من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين » .

---

(١) رواه ابن كثير عن الإمام أحمد من طريق أبى زيد هذا بلفظ « لما كان ليلة الجن قال لى النبى صلى الله عليه وسلم أمعك ماء؟ قلت ليس معى ماء ولكن معى إداوة فيها نبيذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « تمرة طيبة ورب طهور » .

ثم قال ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى زيد به .

(٢) الشقة بضم الشين وكسرها معناها السفر البعيد أو الناحية التى يقصدها المسافر أو الطريق يشق على سالكه .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبى ظبيان عن ابن مسعود قال « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى معه حتى أتى البراز[١] ثم خط لى خطاً ثم قال لى لاتبرح حتى أرجع إليك فما جاء حتى السحر فقال أرسلتُ إلى الجن قلت فما هذه الأصوات التى أسمعها ؟ قال هذه أصواتهم حين ودعونى وسلموا على .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من طريق أبى عبد الله الجدلى عن ابن مسعود قال « استتبعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكة فخط لى خطاً فقال لاتبرح ثم انصاع »[٢] فى الجبال فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رءوس الجبال حتى حالوا بينى وبينه فاخترطت السيف وقلت لأضربن حتى أستنقذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت قوله : لاتبرح حتى آتيك فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر فجاء وأنا قائم فقال مازلت على حالك ؟ قلت لو لبثت شهراً مابرحت حتى تأتينى ثم أخبرته بما أردت أن أصنع فقال لو خرجت ما التقيت أنا ولا أنت إلى يوم القيامة ثم شبك أصابعه فى أصابعى وقال إنى وُعدتُ أن يُؤمن بى الجن والإنس فأما الإنس فقد آمنت بى وأما الجن فقد رأيت » .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من طريق عمرو البكالى[٣] عن ابن مسعود قال « استتبعنى[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط خِطَّة فقال لى كن بين ظهرانى هذه لاتخرج منها فإنك إن خرجت منها

---

(١) هو الفضاء الخالى الواسع ويكنى به عن قضاء الحاجة .

(٢) أى ذهب مسرعاً .

(٣) قال فى هامش المسند كنيته أبو عثمان وهو صحابى نزل الشام والبكالى بكسر الباء الموحدة وفتح الكاف المخففة وآخره لام نسبة إلى (بكال) وهو بطن من حمير .

(٤) وفى المسند « استبعثنى » أى طلب ابتعاثى وخروجى معه .

هلكت فمكثت فيها فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم خذفة[١] ثم أنه ذكر هُنَيْئة[٢] كأنهم الزط ليس عليهم ثياب ولا أرى سوآتهم طِوالا قليلا لحمهم فأتوا فجعلوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم وجعلوا يأتونى فيجلبون حولى ويعترضون بى فرعبت منهم رعباً شديداً فلما انشق عمود الصبح جعلوا يذهبون فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجرى ثم إن هُنَيْئة[٣] أتوا عليهم ثياب بيض طوال وقد أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارعبت أشد مما أرعبت الأولى فقال بعضهم لبعض فلنضرب له مثلا فقال بعضهم اضربوا له مثلا ونؤول نحن أو نضرب نحن ويؤولون فقال بعضهم مثله كمثل رجل[٤] سيد ابتنى بناءحصيناً ثم أرسل إلى الناس لطعام فمن لم يأت طعامه عذبه عذابا شديداً قال الآخرون أما السيد فهو رب العالمين وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة وهو الداعى فمن اتبعه كان فى الجنة ومن لم يتبعه عذب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ قال .ارأيت يابن أم عبد ؟ فقلت رأيت كذا وكذا قال ما خفى على شىء مما قالوا هم نفر من الملائكة »[٥].

وأخرج أبو نعيم عن أبى رجاء قال «كنا سفر حتى نزلنا على الماء فضربنا أخبيتنا وذهب أقيلى فإذا أنا بحية دخلت الخباء[٦] وهى تضطرب فمددت إداوتى

---

(١) وفى المسند أيضا بعد خذفة قال أو أبعد شيئا أو كما قال .
(٢) فى المسند « هنينا » .
(٣) فى المسند هنينا أيضا .
(٤) فى المسند كمثل سيد بدون زيادة رجل .
(٥) قال الشيخ أحمد شاكر فى هامش المسند إسناده صحيح وهو فى مجمع الزوائد .
(٦) الخيمة والجمع أخبية .

فنضحت عليها من الماء[١] كلما نضحت عليها من الماء سكنت وكلما حبست عنها اضطربت فلما صليت العصر ماتت الحية فعمدت إلى عيبتى[٢] فأخرجت منها خرقة بيضاء فلففتها وكفنتها وحفرت لها ودفنتها ثم سرنا يومنا ذلك وليلتنا حتى إذا أصبحت ونزلنا على الماء وضربنا أخبيتنا فذهبت أقيل فإذا أنا بأصوات سلام عليكم مرتين لا واحد ولا عشرة ولا مائه ولا ألف أكثر من ذلك فقلت ما أنتم ؟ قالوا نحن الجن بارك الله عليك قد صنعت إلينا مالا نستطيع أن نجازيك فقلت ماذا ؟ قالوا إن الحية التى ماتت عندك كان آخر من بقى ممن بايع من الجن النبى صلى الله عليه وسلم »[٣] .

وأخرج أبو نعيم عن معاذ بن عبدالله بن معمر قال « كنت جالساً عند عثمان بن عفان فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين بينا أنا بفلاة كذا وكذا إذا إعصاران[٤] قد أقبلا إحداهما من مكان والأخرى من مكان فالتقتا فاعتركتا ثم تفرقتا وإحداهما أقل منها حين جاءت فذهبت حتى جئت مُعترَكيهما فإذا من الحيات شيء ما رأيت مثله قط فإذا ريح مسك من بعضها فجعلت أقلب الحيات أنظر من أيها هذا الريح فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة فظننت أن ذلك لخير فيها فلففتها فى عمامتى ثم دفنتها فبينا أنا أمشى إذ نادانى مناد ولا أراه ياعبدالله

---

(١) يعنى رششت عليها رشا خفيفا .

(٢) هو ما يجعل فيه الثياب من صندوق ونحوه .

(٣) هذه حكاية غريبة ولا ندرى كيف لجأت هذه الجنية إلى خباء أبى رجاء وفارقت منازل قومها وما الذى أدراهم أنها ماتت عنده وأنه هو الذى تولى تكفينها ودفنها ولماذا لم يأخذوها ليتولوا هم ذلك منها ما دام لها فى نفوسهم هذه المنزلة ؟ الخ ما يمكن أن يثور فى النفس من أسئلة حيال هذه الحكايات .

(٤) تثنية إعصار وهو الريح الشديدة التى ترتفع بالتراب أو بمياه البحر ثم تستدير كأنها عمود .

ماهذا الذى صنعت ؟ فأخبرته بالذى رأيت فقال إنك قد هديت هذان حيان من الجن من بنى شعيبان وبنى أقيس التقوا وكان من القتلى ما رأيت واستُشهد الذى أخذته وكان من الذين استمعوا الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم »[١].

وأخرج أبو نعيم عن إبراهيم النخعى قال « خرج نفر من أصحاب عبدالله يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق إذا هم بحية تنثنى على الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك فقلت لأصحابى امضوا فلست ببارح[٢] أنظر إلى مايصير أمر هذه الحية فما لبثتْ أن ماتتْ فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابى فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن أيكم دفن عمراً ؟ قلنا ومن عمرو ؟ قالت أيكم دفن الحية ؟ قلت أنا قالت أما والله دفنت صواما قواماً يأمر بما أنزل الله ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته فى السماء قبل أن يبعث بأربعمائه سنة فحمدنا الله ثم مررت بعمر بن الخطاب بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقتُ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد آمن بى قبل أن أبعث بأربعمائة سنة[٣] .

---

(١) هذه حكاية كالتى قبلها أو أشد تـكرا ومعاذا هذا مجهول لايعرف لم يذكره الذهبى بل كل من اسمه معاذ فهو إما مجهول أو ليس بحجة أو صاحب مناكير .

(٢) يعنى منتقل من مكانى .

(٣) يلاحظ التشابه التام بين هذه الحكايات كلها مما يدل على الصنعة والافتعال والـكذب وإبراهيم النخعى إمام صدوق ولـكننا لا نشك فى أن هذه الحـكايات مكذوبة عليه فإنه لم يعرف له سماع من عمر بل لعله لم يكن ولد بعد حين قتل عمر فقد ذكر صاحب المعارف أنه مات سنة ست وتسعين وهو ابن ست وأربعين فتكون ولادته سنة خمسين تقريبا وكان مقتل عمر فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين .

وأخرج الحاكم والطبرانى وابن مردويه عن صفوان بن المعطّل[١] قال «خرجنا حجاجا فلما كنا بالعرج[٢] إذا نحن بحية تضطرب فلم نلبث أن ماتت فلفها رجل فى خرقة ودفنها ثم قدمنا مكة فإنا لبالمسجد الحرام إذ وقف علينا شخص فقال أيكم صاحب عمرو بن جابر ؟ فقلنا مانعرف عمراً قال أيكم صاحب الجان ؟ قالوا هذا قال أما إنه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن » .

وأخرج أبو نعيم وابن مردويه عن ثابت بن قطبة قال جاء رجل إلى ابن مسعود فقال إنا كنا فى سفر فمررنا بحية مقتولة مشعرة فى دمها فواريناها فلما نزلوا أتاهم نسوة أو ناس فقال أيكم صاحب عمرو ؟ قلنا أى عمرو ؟ قالوا الحية التى دفنتموها أمس أما إنه كان من النفر الذين استمعوا من النبى الله صلى الله عليه وسلم القرآن قلنا ما شأنه ؟ قالوا : كان بين حيين من الجن قتال مسلمين ومشركين فقالوا إن شئتم عوضنا كم قلنا لا » .

وأخرج أبو نعيم عن أبى بن كعب قال « خرج قوم يريدون الحج ، فأضلوا الطريق فلما عاينوا الموت أو كادوا أن يموتوا لبسوا أكفانهم وتضجعوا للموت فخرج عليهم جنىٌّ يتخلل الشجر وقال أنا بقية النفر الذين استمعوا على محمد صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخذله هذا الماء وهذا الطريق ثم دلهم على الماء وأرشدهم إلى الطريق .

---

(١) صحابى جليل من المهاجرين وهو الذى رمى به المنافقون أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها فى حادثة الإفك المشهورة .

(٢) العرج بفتح العين وسكون الراء المهملة قرية جامعة من عمل الفرع على أيام من المدينة .

وأخرج العقيلي والبيهقي وأبو نعيم من طريق أبي معشر المدني[١] عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال « بينما نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال نغمة الجن وغُنتُهم من أنت ؟ قال أنا هامة بن هيم بن لاقيس ابن إبليس[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينك وما بين إبليس إلا أبوان فكم أتى عليك من الدهر ؟ قال قد افنيت الدنيا عمرها إلا قليلا ليالي قتل قابيل هابيل كنت غلاما ابن أعوام . أفهم الكلام . وأمر بالآكام . وآمر بإفساد الطعام . وقطيعة الأرحام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس عمل الشيخ المتوسم . والشاب المتلوم[٣] . قال ذرني إني تائب إلى الله إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وقال لاجرم إني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قلت يانوح إني ممن أشرك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة ؟ قال ياهامة هُمَّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة إني قرأت فيما أنزل الله على أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغا ذنبه مابلغ إلا تاب الله عليه فقم فتوضأ واسجد سجدتين ففعلت من ساعتي ماأمرني به فناداني

---

(١) اسمه نجيح وكان مكاتبا لامرأة من بني مخزوم فأدى وعتق واشترت أم موسى بنت منصور الحميرية ولاءه مات ببغداد سنة ٧٠

(٢) أرجو أن لاتضحك أيها القارىء حتى يتم لنا أبو معشر حكايته وبعد ذلك فاضحك بملء فيك من هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس ثم ابك بعد ذلك ماشئت على ما وصلت إليه حال العلماء من جمع الكناسات والترهات ووضعها في الكتب ليضلوا بها الناس ويفسدوا بها عقولهم والله المستعان وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السجع البارد المتكلف .

(٤) لعلها اشترك .

ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء[١] فخررت لله ساجداً حولا وكنت مع هود فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه[٢] حتى بكى عليهم وأبكانى وكنت زواراً ليعقوب وكنت من يوسف بالمكان الأمين وكنت ألقى إلياس فى الأودية وأنا ألقاه الآن[٣] وإنى لقيت موسى بن عمران فعلمنى من التوراة وقال إن أنت لقيت عيسى ابن مريم فاقرأه منى السلام وإنى لقيت عيسى ابن مريم فاقرأته منه السلام وإن عيسى ابن مريم قال لى إن أنت لقيت محمداً فأقرأه منى السلام قال فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى ثم قال وعلى عيسى السلام مادامت الدنيا وعليك السلام ياهامة بأدائك الأمانة قال يارسول الله افعل بى مافعل موسى بن عمران إنه علمنى من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا وقعت الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد) وقال ارفع إلينا حاجتك ياهامة ولا تدع زيارتنا . قال عمر فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَنْعه إلينا فلست أدرى أحى هو أم ميت[٤] قال البيهقى أبو معشر روى عنه الكبار إلا أنه ضعيف قال وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هذا أقوى

---

(١) وهنا يفتضح الكذب فإنا نعلم أن ذرية إبليس كلها شياطين لا يسلم منهم أحد ولا يتوب من ذنب قال تعالى « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو » .

(٢) لم يذكر القرآن دعوة له على قومه .

(٣) فأين يلقاه الآن هل على وجه الأرض أم فى باطنها ونحن نعلم أنه لم يكن أحد من الرسل حياً يمشى على الأرض حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٤) وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ورضى الله عن عمر لو أنه بعث وسمع مايكذب به الناس عليه ، ترى ماذا كان يصنع ؟ وهو الذى كان يضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رواياتهم ويأبى قبولها منهم إلا ببينة ألا ليت درته بقيت للمسلمين .

منه . قلت . أخرجه أبو نعيم من طريق محمد بن بركة الحلبي[١] عن عبد العزيز ابن سليمان الموصلي[٢] ، عن يعقوب بن كعب[٣] ، عن عبد الله بن نوح البغدادي[٤] عن عيسى بن سوادة[٥] عن عطاء الخراساني عن ابن عباس عن عمر به . وأخرجه أيضاً من طريق أبي سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري عن مالك بن دينار عن أنس . ومن طريق زيد بن أبي الزرقاء الموصلي[٦] عن عيسى بن طهمان[٧] عن أنس به بطوله . وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني محمد بن صالح مولى بني هاشم البصري حدثني أبو سلمة بن عبد الله الأنصاري حدثنا مالك بن دينار عن أنس به .

وأخرج البيهقي عن أسيدة[٨] قال : « بينما عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال على بمحفار فحفر له ولفه في خرقة ودفنه[٩] فإذا هاتف يهتف لايرونه رحمة الله عليك ياسرق فأشهد لسمعت

---

(١) قال في الميزان « ضعفه الدارقطني » .

(٢) مجهول .

(٣) مجهول أيضا .

(٤) قال في الميزان « تركوه ، قاله الأزدي ثم ساق له حديثا باطلا » .

(٥) قال في الميزان « قال أبو حاتم منكر الحديث وقال ابن معين كذاب رأيته » .

(٦) قال في الميزان « قال ابن حبان يغرب » .

(٧) قال في الميزان « قال البخاري والنسائي منكر الحديث وقال أبو حاتم متروك الحديث وقال النسائي أيضا متروك » .

(٨) لاندري من أسيدة هذا ؟ وقد عودنا المؤلف أن يروي عن المجاهيل حتى يوقعنا في الحيرة فلا نستطيع كشف كذبه وتلبيسه .

(٩) ليت شعري من أين لعمران هذه الحية أصلها جني قد مات ؟ ولم لاتكون حية حقيقية ولم يترك الجن موتاهم هكذا على قوارع الطريق بدون دفن حتى يمر بهم الإنس فيدفنوهم أليسوا مأمورين بدفن الموتى ؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تموت ياسرق فى فلاة من الأرض فيدفنك خير أمتى[١] فقال له عمر بن عبد العزيز من أنت يرحمك الله ؟ قال أنا رجل من الجن وهذا سرق ولم يكن ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من الجن غيرى وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تموت ياسرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتى » .

وأخرج البيهقى عن أبى راشد قال : « نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لى مولاى اركب معه فشيعه فركبت فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة مطروحة على الطريق فنزل عمر فنحاها وواراها ثم ركب فبينا نحن نسير إذا هاتف يهتف يقول ياخرقاء ياخرقاء فالتفتنا يميناً وشمالا فلم نر أحداً فقال عمر : أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت وإن كنت ممن لا يظهر أخبرنا ما الخرقاء ؟ قال الحية التى دفنتم بمكان كذا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يوماً ياخرقاء تموتين بفلاة من الأرض يدفنك خير مؤمنى أهل الأرض يومئذ قال له عمر من أنت ؟ يرحمك الله قال أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان فقال له عمر آلله أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم فدمعت عينا عمر وانصرفنا »[٢] .

---

(١) لم يكن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه خير هذه الأمة وإنما هو من خيارها وخيرها بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما .

(٢) وهكذا يأبى الكذابون إلا أن يكذبوا على عمر بن عبد العزيز كما كذبوا على عمر الفاروق .

ويضطرب الكذب فمرة سرق هو الذى يموت بفلاة من الأرض ومرة خرقاء ثم تتفق الروايتان فى أن عمر هو الذى يتولى دفنه بنبوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب قصة الروم وماظهر فيها من الآيات

قال تعالى ﴿ الم غلبت الروم ﴾ الآيات .

أخرج أحمد والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال « كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر فذكر أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما إنهم سيظهرون ، فذكر أبو بكر لهم ذلك فقالوا اجعل بيننا وبينكم أجلا إن ظهروا كان لك كذا وكذا وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فجعل بينهم أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ألا جعلته دون العشرة[1] فظهرت الروم بعد ذلك يوم بدر »[2] .

وأخرج البيهقى عن ابن شهاب قال « كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون الروم أهل كتاب وقد غلبتهم الفرس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى أنزل على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم فأنزل الله (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » .

قال ابن شهاب فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه لما نزلت هاتان الآيتان ناحب[3] أبو بكر بعض المشركين[4] قبل أن يحرم القمار

---

(١) لأن القرآن يقول « وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » والبضع صادق بما بين الثلاث إلى التسع .

(٢) ولهذا قال الله عز وجل (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) يعنى يوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله إياهم على المشركين ببدر والله أعلم .

(٣) راهن وشارط .

(٤) هو أبى بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على شيء إن لم تغلب فارس فى سبع سنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فعلت ؟ فكل مادون العشر بضع ، فكان ظهور فارس على الروم فى تسع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية(١) ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب » .

وأخرج البيهقى عن قتادة قال « لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون ربهم وعرفوا أن الروم ستظهر على أهل فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص وأجّلو بينهم خمس سنين فَوَلِيَ قمار المسلمين أبو بكر وولى قمار المشركين أبى بن خلف وذلك قبل أن ينهى عن القمار فجاء الأجل ولم تظهر الروم على فارس فسأل المشركون قمارهم فذكر ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال لم يكونوا أحقاء أن يؤجلوا أجلا دون عشر فإن البضع مابين الثلاث إلى العشر فزايدوهم ومادوهم فى الأجل (٢) ففعلوا فأظهر الله الروم على فارس عند رأس التسع من قمارهم الأول فكان ذلك مرجعهم من الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس وكان ذلك مما شد الله به الإسلام » .

وأخرج البيهقى عن الزبير قال «رأيت غلبة فارس الروم ثم غلبة الروم فارساً ثم رأيت غلبة المسلمين فارساً والروم وظهورهم على الشام والعراق كل ذلك فى خمس عشرة سنة(٣) .

(١) الصحيح الأول وهو أن ظهور الروم على فارس وافق يوم بدر .

(٢) يعنى اتفقوا معهم على زيادة الجعل وزيادة المدة .

(٣) هـذا لا يتأتى فإن غلبة الفرس على الروم كانت والمسلمون بمكة ثم غلب الروم عام بدر أو الحديبية وكانت المدة نحواً من تسع سنين وكان ظهور المسلمين على الدولتين فى عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فى حدود سنة عشرين من الهجرة فتكون المدة نحواً من خمس وعشرين سنة .

باب امتحانهم إياه بالسؤال

أخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس « أن مشركى قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وَصِفَا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ماليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره فقالوا سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول[1] . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان نبأه وسلوه عن الروح ماهو فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ثم سألوه عما أمروا به فجاء جبرئيل[2] بسورة أصحاب الكهف وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف[3] وقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » .

وأخرج أحمد والنسائى والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال: « قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ الآية »[4] .

---

(١) يعنى مختلق .

(٢) يقال إنهم لما سألوه قال لهم سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحى شهراً ثم جاءه بعد ذلك بسورة الكهف وفيها قوله تعالى (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .

(٣) الفتية هم أصحاب الكهف والرجل الطواف هو ذو القرنين .

(٤) المشهور أن هذه الآية نزلت بالمدينة فقد روى الشيخان وأحمد عن عبدالله بن مسعود أنه قال « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة =

وأخرج أبو نعيم من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال« إن قريشا بعثوا رهطا إلى المدينة يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أمره وصفته ومبعثه فأصدقوهم نعته قالوا إنه يزعم أنه نبي مرسل واسمه أحمد وهو يتيم فقير وبين كتفيه خاتم النبوة فسألوهم عنه ووصفوا لهم صفته فقالوا لهم نجد نعته وصفته ومبعثه فى التوراة وخاتم النبوة بين كتفيه فإن كان كما وصفتم لنا فهو نبي مرسل وأمره حق ، ولكن سلوه عن ثلاث خصال فإنه يخبركم بخصلتين ولا يخبركم بالثالثة إن كان نبيا ، ذى القرنين والروح . وأصحاب الكهف فرجعوا إلى مكة فسألوه فأخبرهم بخبر ذى القرنين وأصحاب الكهف وقال لهم الروح من أمر ربى يقول من عِلْم ربى لاعلم لى به فلما وافق قول اليهود إنه لا يخبركم بالثالثة قالوا ساحران[1] تظاهرا بعنوان التوراة والفرقان وقالوا إنا بكل كافرون »[2].

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه أن عبد الله بن سلام قال لأحبار اليهود « إنى أردت أن أحدث

= وهو متوكىء على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فما زال متوكئاً على العسيب فظننت أنه يوحى إليه فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وقد حاول ابن كثير التوفيق بينهما فقال وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحى بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه» .

(١) قراءة حفص (سحران) .

(٢) وقيل يعنى موسى وهارون وقيل موسى ومحمد .

بمسجد أبينا إبراهيم عهداً فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة[١] فوافاه بمنى والناس حوله فقام مع الناس فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت عبد الله بن سلام ؟ قال نعم ، قال أدن فدنا منه فقال أنشدك بالله أما تجدنى فى التوراة رسول الله ؟ فقال له انعت لنا ربك فجاء جبرئيل فقال له (قل هو الله أحد) إلى آخر السورة فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله[٢] ثم انصرف إلى المدينة وكتم إسلامه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة قال ابن سلام وأنا فوق نخلة لى أجُدُّها[٣] فألقيت نفسى[٤] فقالت لى أمى لله أنت لو كان موسى ابن عمران ما كان نراك أن تلقى نفسك من أعلى النخلة فقلت والله لأنا أسرُّ بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران إذ بُعثَ » .

باب

ما ظهر عند أذى المشركين له صلى الله عليه وسلم من الآيات

أخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص «ما أكثرُ ما رأيت قريشا أصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

---

(١) الصحيح أن عبد الله بن سلام لم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قط ولم يره إلا بعد هجرته إلى المدينة .

(٢) قد مر تعليقنا على هذا الأثر بما يدل على أنه كذب مفترى معارض لما ورد فى الصحيح عن إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه .

(٣) الجداد بفتح الجيم والجداد بكسرها صرام النخل أى قطع ثمره .

(٤) المعروف أن الذى ألقى نفسه عن النخلة هو سلمان الفارسى رضى الله عنه حين جاءه خبر قدوم النبى عليه السلام إلى المدينة وكان على رأس نخلة كما تقدم .

كانت تظهره من عداوته ؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر يوماً فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما رأينا مثل صبرنا عليه سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وصبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها فى وجهه فمضى ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يامعشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذت القومَ كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفأه(١) بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راشداً فما أنت بجهول » .

وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أيضا من وجه آخر عن عمرو بن العاص وفيه بعد « قوله ما أرسلت إليكم إلا بالذبح فقال أبو جهل يا محمد ما كنت جهولا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت منهم » .

وأخرج أبو نعيم من طريق عروة حدثنى عمرو بن عثمان بن عفان عن عثمان بن عفان قال « أكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيته يوماً يطوف بالبيت وفى الحِجْر ثلاثة جلوس عقبة بن أبى معيط وأبو جهل وأمية بن خلف فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعوا مثل ذلك فى الشوط الثانى والثالث فوقف

---

(١) أى يلين له الكلام .

وقال أما والله لا تنتهون حتى يحل لله عقابه عاجلا قال عثمان فوالله مامنهم رجل إلا وقد أخذه أفكل[1] يرتعد ثم انصرف إلى بيته وتبعناه فقال أبشروا فإن الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر دينه إن هؤلاء الذين ترون ممن يذبح الله بأيديكم عاجلا فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بأيدينا »[2] .

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال « قال أبو جهل إن محمداً يزعم أنكم إن لم تطيعوه كان لكم منه ذبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا أقول ذاك وأنت من ذلك الذبح فلما نظر إليه يوم بدر مقتولا قال : اللهم قد أنجزت لى ما وعدتنى »[3] .

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقى وأبو نعيم من طريق ابن عباس عن فاطمة قالت « اجتمع مشركو قريش فى الحجر فقالوا إذا مر محمد عليهم ضربه كل واحد منا ضربة فسمعته فدخلت على أبيها فذكرت ذلك له فقال يابنية سكتى ثم خرج فدخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم فى صدورهم وعقروا فى مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقم إليه رجل منهم فأقبل حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً ».

---

(١) الأفكل بفتح الهمزة الرعدة ويقال أيضاً للمجموعة من الناس .

(٢) حيث قتل الثلاثة يوم بدر أما أبو جهل فقتله ابنا عفراء وأجهز عليه بن مسعود وأما أمية فقتله بلال وأعانه عليه جماعة من الأنصار وأما عقبة فقتل صبراً .

(٣) الذى فى الصحيح أنه عليه السلام حين وقف عليه وهو مقتول قال الحمد لله هذا فرعون هذه الأمة .

وأخرج الشيخان عن خَبَّاب قال «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يارسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال « إن كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله »[1] .

وأخرج البيهقى من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق قال «مر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان وهما جالسان فقال أبو جهل هذا نبيكم يابنى عبد شمس فقال أبو سفيان وتعجب أن يكون منا نبى ؟ فقال أبو جهل عجبت أن يخرج غلام من بين شيوخ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع فأتاهم فقال : أما أنت يا أبا سفيان فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت الأصل وأما أنت يا أبا الحكم فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً . قال بئس ماتعدنى ابن أخى من نبوتك » .

وأخرج البزار عن طلحة بن عبيدالله قال « كان نفر من المشركين حول الكعبة فيهم أبو جهل فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف عليهم فقال قبحت الوجوه فخرسوا فما أحد منهم يتكلم بكلمة ولقد نظرت إلى أبى جهل يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول أمسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أمسك عنكم أو أقتلكم فقال أبو جهل أنت تقدر على ذلك ؟ فقال الله يقتلكم » .

---

(١) وفى بعض الروايات «لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» .

وأخرج البخارى فى التاريخ وأبو نعيم والبيهقى عن جبير بن مطعم قال «لما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام فلما كنت ببصرى أتتنى جماعة من النصارى فقالوا لى أمن الحرم أنت ؟ قلت نعم قالوا فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت نعم فأخذوا بيدى فأدخلونى ديراً لهم فيه تماثيل وصور[1] فقالوا لى أنظر هل ترى صورة هذا النبى الذى بعث فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته قلت لا أرى صورته فأدخلونى أكبر من ذلك الدير وإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك لدير فقالوا لى أنظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لى هل ترى صفته ؟ قلت نعم قالوا أهو هذا ؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت اللهم نعم أشهد أنه هو قالوا أتعرف هذ الذى أخذ بعقبه ؟ قلت نعم قالوا نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من وجه آخر عن جبير بن مطعم قال « كنت أكره أذى قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظننت أنهم سيقتلونه خرجت حتى لحقت بدير من الديارات فذهب أهل الدير إلى رأسهم فأخبروه فانطلقوا بى إلى صاحبهم فذكر قصة الصُّوَر قال فلما رأيت صورته قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشىء من هذه الصورة كأنه طوله وبعد ما بين منكبيه قال فتخاف أن

---

(١) من المعروف أن دين النصارى إنما يقوم على اتخاذ التماثيل والصور للأنبياء والرهبان والقديسين وملء الكنائس والأديرة بها والتبرك بآثارهم والركوع أمام صورهم كما يقوم على ترتيل الأناشيد والأنغام وكل ذلك من وضع الكنيسة وليس مما جاءهم به نبيهم عيسى عليه السلام .

يقتلوه ؟ قلت أظنهم قد فرغوا منه قال والله لا يقتلونه وليقتلن من يريدقتله ، وأنه لنبي وليظهرنه الله » .

وأخرج الطبراني من وجه ثالث عن جبير بن مطعم قال «خرجت تاجراً إلى الشام فلما كنت بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب قال هل عندكم رجل تنبأ ؟ قلت نعم قال هل تعرف صورته إذا رأيتها ؟ قلت نعم فأدخلني بيتا فيه صورة النبي صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك إذ دخل علينا رجل منهم فقال فيم أنتم ؟ فأخبرناه فذهب بنا إلى منزله فساعة ما دخلت نظرت إلى صورة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا رجل آخذ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم قلت من هذا الرجل القائم على عقبه ؟ قال إنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا فإنه لا نبي بعده وهذا الخليفة بعده وإذا صفة أبي بكر رضي الله تعالى عنه » .

باب

الآية في صرف شتم المشتركين عنه

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مُذَمَّمًا ويلعنون مذمما وأنا محمد »[1] .

---

(١) يعني أن شتمهم وهجاءهم إنما يليق بمذمم ولكني أنا محمد فهو اسمي الذي سميت به فلا يتأتى من هجائهم شيء لأنه لا يوافق محلا فيرتد إليهم فيكونون هم أولى به مني .

باب

قوله تعالى ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وما ظهر فى ذلك من الآيات :

أخرج البيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال المستهزؤن الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود ابن المطلب والحارث بن عيطل[1] الخزاعى والعاص بن وائل فأتاه جبرئيل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه الوليد فأومى جبرئيل إلى اكحله قال ماصنعتَ ؟ قال كُفيتَهُ ثم أراه الأسود بن المطلب فأومى الى عينيه فقال ماصنعت؟ قال كفيته ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومى إلى رأسه فقال ما صنعت ؟قال كفيته ثم أراه الحارث فأومى إلى بطنه فقال ما صنعت ؟ قال كفيته ومر به العاص فأومى إلى إخمصه فقال ما صنعت ؟ قال كفيته فأما الوليد فمر به رجل من خزاعة وهو يَريش نَبْلاله فأصاب إكحله فقطعها وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمرُة فجعل يقول يابنى الأتدفعون عنى فجعلوا يقولون ما نرى شيئا وهو يقول قد هلكتُ هاهو ذا أُطْعَنُ بالشوك فى عينى فلم يزل كذلك حتى عَميتْ عيناه وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج من فيه فمات منها ، وأما العاص فركب إلى الطائف على حمار فربض على شبرقه[2] فدخل فى إخمص قدمه شوكة فقتلته » له طرق عن ابن عباس وغيره أوردتها فى التفسير المسند[3] .

---

(١) صحتها الطلاطلة .

(٢) نوع من النبات فى الحجاز يؤكل وله شوك والجمع شبرق .

(٣) وقال محمد بن إسحق كان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم من بنى أسد ابن عبد العزى بن قصى الأسود بن أبى زمعة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب دعائه صلى الله عليه وسلم على ابن أبى لهب

أخرج البيهقى وأبو نعيم من طريق أبى نوفل بن أبى عقرب عن أبيه[١] قال : « أقبل لهب بن أبى لهب[٢] يسب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم سلط عليه كلبك قال : وكان أبو لهب يحتمل البَزّ[٣] إلى الشام ويبعث بولده مع غلمانه ووكلائه ، ويقول أن ابنى أخاف عليه دعوة محمد فتعاهدوه فكانوا إذا نزلوا المنزل ألزقوه إلى الحائط وغطوا عليه الثياب والمتاع ففعلوا ذلك به زمانا ، فجاء سبع فتله[٤] فقتله فبلغ ذلك أبا لهب فقال : ألم أقل لكم إنى أخاف عليه دعوة محمد ؟ » .

وأخرج البيهقى عن قتادة أن عتبة بن أبى لهب تسلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنى أسأل الله أن يسلط عليه كلبه . فخرج فى نفر من قريش حتى نزلوا فى مكان من الشام يقال

= فيما بلغنى قد دعى عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال : اللهم أعم بصره وأثكله ولده ومن بنى زهرة الأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف ابن زهرة) .

ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومن بنى سهم بن عمر بن هصيص بن كعب ابن لؤى العاص بن وائل بن هشام بن سعيد ابن سعد ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمر بن ملكان »

(١) لاندرى من أبو نوفل ولا من أبوه أبو عقرب ولم يذكرهما الذهبى فى باب الكنى .

(٢) لم يكن لأبى لهب ولد اسمه لهب وإنما ولداه عتبة وعتيبة وكنى بأبى لهب قيل لتلهب وجهه وإشراقه والذى دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم هو عتبة .

(٣) هى الثياب من الكتان أو القطن .

(٤) أى صرعه .

له الزرقاء ليلا فأطاف بهم الأسد فجعل عتبة يقول : ياويل أمي هو والله آكلي كما دعا محمد على قتلني محمد وهو بمكة وأنا بالشام فعدا[١] عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فضغمه[٢] ضغمة فذبحه » .

وأخرج البيهقي عن عروة « أن الأسد لما طاف بهم تلك الليلة انصرف عنهم فقاموا وجعلوا عتبة في وسطهم فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتبة ففدغه »[٣] .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق عروة عن هبار بن الأسود قال: « كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام وتجهزت معهما فقال ابن أبي لهب والله لأنطلقن إلى محمد فلأوذينه في ربه فانطلق حتى أتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذي دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك ، ثم انصرفت فقال له أبوه : أي بني ما قلت له وما قال لك ؟ فأخبره قال : أي بني والله ما آمن عليك دعوة محمد فسرناحتى نزلنا السراة وهي مأسدة[٤] فقال: لنا أبو لهب إنكم قد عرفتم سني وحقي وإن محمدا قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا لا بني عليه ، ثم افرشوا حوله ففعلنا وبات هو فوق المتاع ونحن حوله ، فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض ، ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ،

---

(١) وثب عليه وهجم

(٢) يقال ضغم الشيء وبه عضه بملء فمه والضغامة بضم الضاد ما ضغمته ثم لفظته .

(٣) أي شدخه .

(٤) يقال أرض مأسدة إذا كثر فيها الأسود .

ثم هزمه هزمة[١] ففتح رأسه وإنطلق فقال أبو لهب : قد والله عرفت ما كان لينفلت من دعوة محمد . وأخرجه ابن إسحاق وأبو نعيم من طرق أخرى مرسلة عن محمد بن كعب القرطبي وغيره وزاد أن حسان بن ثابت قال فى ذلك :

سائل بنى الأشقر إن جئتهم ... ما كان أبناء أبى واسع
لا وسع الله له قبره ... بل ضيق الله على القاطع
رحم بنى جده ثابت ... يدعو إلى نور له ساطع
أسبل[٢] بالحجر لتكذيبه ... دون قريش نهزة القادع[٣]
فاستوجب الدعوة منه بما ... بين للناظر والسامع
أن سلط الله بها كلبه ... يمشى الهوينا[٤] مشية الخادع
حتى أتاه وسط أصحابه ... وقد علتهم سنة الهاجع[٥]
فالتقم الرأس بيافوخه[٦] ... والنحر منه فغرة[٧] الجائع

وأخرج أبو نعيم عن طاووس قال : « لما تلا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) يقال هزم العدو فلهم وكسرهم وهزم الشىء غمزه بيده فصارت فيه حفرة وهزم فلانا ضربه فدخل مابين وركيه وخرجت سرته .

(٢) يقال أسبل على فلان أكثر الكلام عليه .

(٣) يقال قدع الفرس عدا وقدع الأمر أمضاه وأقدعه عن كذا كفه عنه وأقدع الرجل شتمه .

(٤) أى مشياً خفيفاً .

(٥) يعنى غلبهم النعاس والهاجع الراقد .

(٦) اليافوخ واليأفوخ للوضع الذى يتحرك من رأس الطفل وهو فراغ بين عظام جمجمته فى مقدمتها وأعلاها لا يلبث أن يلتقى فيه العظام والجمع يوافيخ .

(٧) يقال فغر فاه فتحه .

وسلم (والنجم إذا هوى) قال عتبة بن أبي لهب : كفرت برب النجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلط الله عليك كلبا من كلابه فخرج مع أصحاب له إلى الشام فزأر الأسد فجعلت فرائصه ترعد فقالوا له : من أي شيء ترعد فوالله ما نحن وأنت إلا سواء ، قال : ن محمداً دعا علي ولا والله ما أظلت هذه السماء على ذي لهجة أصدق من محمد ، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الأسد يهمس يستنشق رؤسهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه ، فضغمه ضغمة ففزع وهو بآخر رمق وهو يقول : ألم أقل لكم إن محمدا أصدق الناس ؟ ومات » .

وأخرج أبو نعيم عن أبي الضحى قال : قال ابن أبي لهب هو يكفر بالذي قال والنجم إذا هوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عسى أن يرسل عليه كلباً من كلابه فبلغ ذلك أباه فأوصى أصحابه إذا نزلتم منزلا فاجعلوه وسطكم ففعلوا حتى إذا كانت ليلة بعث الله عليه سعياً فقتله .

باب دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش بالسنة[١]

أخرج الشيخان عن ابن مسعود « أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأوا عن الإسلام قال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف . فأصابتهم سنة لحصت كل شيء[٢] حتى أكلوا الجيف والميتة حتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعوا (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لو كشفنا

---

(١) أي القحط والجدب .
(٢) يعني أتت عليه وأذهبته .

العذاب عنهم عادوا فكشف عنهم فعادوا ، فانتقم منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى (يوم تأتى السماء بدخان مبين) إلى قوله : (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) » .

وأخرج البيهقى عن ابن مسعود قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إدباراً قال : « اللهم سبع كسبع يوسف فأخذتهم سَنةٌ حتى أكلو الميتة والجلود والعظام فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقُوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا[1] فشكا الناس كثرة المطر فقال : اللهم حوالينا ولا علينا[2] . فانحدرت السحابة عن رأسه فسقى الناس حولهم قال : لقد مضت آية الدخان وهو الجوع الذى أصابهم وآية الروم والبطشة الكبرى وانشقاق القمر » .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « خمس قد مضين اللزام[3] والروم والدخان والبطشة والقمر» . قال البيهقى: المراد بذلك أن هذه الآيات قد وجدن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كما أخبر بهن قبل وجودهن .

وأخرج النسائى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال : « جاء أبو سفيان

---

(١) يعنى أرسلت عليهم السماء بمطر غزير متتابع سبعة أيام .

(٢) الذى فى الصحيح أن هذا كان بالمدينة

(٣) المراد به قوله تعالى (قل ما يعبؤبكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً) قال ابن كثير « أى فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم يعنى مقضيا لعذابكم وهلاككم ودماركم فى الدنيا والآخرة ويدخل فى ذلك يوم بدر كما فسره بذلك ابن مسعود وأبى بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز والوبر والدم، فأنزل الله تعالى ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج عنهم » قال البيهقى قد روى فى قصة أبى سفيان مادل على أن ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين[١].

باب التى عميت من المسلمات ورد عليها بصرها

أخرج البيهقى عن عروة «أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم الزِّنيرة[٢] فذهب بصرها وكانت ممن يعذب فى الله فتأبى إلا الإسلام فقال المشركون ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقال: كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها».

باب ما وقع فى هجرة الحبشة من الآيات

أخرج البيهقى عن موسى بن عقبة قال: « خرج جعفر بن أبى طالب فى رهط من المسلمين فراراً بدينهم أن يفتنوا عنه إلى أرض الحبشة[٣] وبعثت

---

(١) بل الذى كان بعد الهجرة أن أبا سفيان كان وافد قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستوثق من معاهدة الحديبية ويطلب زيادة المدة فلم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك لأن قريشاً كانت نقضت العهد بإعانتها حلفاءها بكرا على خزاعة حلفاء رسول الله عليه السلام.

(٢) هى زنيرة الرومية كانت لبنى مخزوم يعذبونها فاشتراها أبو بكر الصديق وأما أنها عميت فرد الله عليها بصرها فلا نعرف له أصلا.

(٣) كانت الهجرة إلى الحبشة مرتين ففى المرة الأولى خرج من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ثم بلغهم كذبا أن قريشاً أسلمت فرجعوا إلى مكة فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان دخل منهم

قريش عمرو بن العاص ،وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وأمروهما أن يسرعا السير ففعلا وأهدوا للنجاشي فرسا وجبة ديباج وأهدوا لعظماء الحبشة هدايا ، فلما قدما على النجاشي قبل هداياهم وأجلس عمرو بن العاص على سريره فقال عمرو بن العاص : إن بأرضك رجالا منا سفهاء ليسوا على دينكم ولا على ديننا فادفعهم إلينا فقالت عظماء الحبشة للنجاشي : أجل فادفعهم إليهم فقال النجاشي : لا والله لا أدفعهم إليهم حتى أكلمهم وأعلم على أى شىء هم . فقال عمرو بن العاص هم أصحاب الرجل الذى خرج فينا وسنخبرك بما تعرف من سفههم وخلافهم الحق إنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك كما يفعل من أتاك فى سلطانك ، فأرسل النجاشى إلى جعفر وأصحابه وقد أجلس النجاشى عمرو بن العاص على سريره فلم يسجد له جعفر ولا أصحابه وحيوه بالسلام ، فقال : عمرو وعمارة ألم نخبرك خبر القوم ؟ فقال النجاشي : ألا تحدثونى أيها الرهط مالكم لا تحيونى كما يحيينى من أتانى من قومكم ؟ وأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم وما دينكم أنصارى أنتم ؟ قالوا لا . قال : فيهود أنتم ؟ قالوا لا . قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا لا . قال : فما دينكم ؟ قالوا الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قالوا نعبد الله وحده لاشريك له ولا نشرك به شيئاً ، قال من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه قد بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر للوالدين والصدق والوفاء وأداء الأمانة ونهانا أن نعبد الأثان وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق ، وكذبوه

= من دخل ورجع من الطريق من رجع ، وفى المرة الثانية هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء ثمان عشرة .

وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا ، فقال النجاشى : والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التى خرج منها أمر موسى عليه السلام قال جعفر : وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فأمرنا بذلك فحييناك بالذى يحيي به بعضنا بعضا ، وأما عيسى فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول ، فخفض النجاشى يده إلى الأرض وأخذ منها عودا وقال والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك[1] فقال النجاشى والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبداً ثم قال : أرجعوا إلى هذا هديته يريد عمرو بن العاص والله لو رشونى فى هذا دبر ذهب والدبر فى لسان الحبشة الجبل ، ماقبلته وقال لجعفر وأصحابه امكثوا فأنتم سيوم والسيوم الآمنون ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عرم أى فقد عصانى وكان الله قد ألقى العداوة بين عمرو بن العاص وعمارة فى مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشى ، ثم اصطلحا حين قدما على النجاشى ليدركا حاجتهما التى خرجا إليها من طلب المسلمين فلما أخطأهما ذلك رجعا إلى شر ما كانا عليه من العداوة فمكر عمرو بعمارة فقال : يا عمارة إنك رجل جميل ، فاذهب إلى امرأة النجاشى فتحدث عندها إذا خرج زوجها فإن ذلك عون لنا فى حاجتنا فراسلها عمارة حتى دخل عليها فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشى فقال له إن صاحبى هذا صاحب نساء وإنه يريد أهلك فاعلم علم ذلك فبعث النجاشى فإذا عمارة عند امرأته فأمر به فنفخ فى إحليله ثم ألقى فى جزيرة من البحر فجن واستوحش مع الوحش ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخيب مسيره

---

(١) فى بعض الروايات فنخرت بطارقته حين سمعوا منه ذلك فقال وإن نخرتم والله .

ومنعه حاجته » . وورد نحو ذلك من طرق موصولة عن ابن مسعود وأبى موسى وأم سلمة » .

باب ماوقع فى قصة الصحيفة من الآيات

أخرج البيهقى وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن الزهرى قال إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء حين هاجر المسلمون إلى النجاشى وبلغهم إكرامه إياهم واجتمعت قريش أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبدالمطلب وأمرهم أن يُدْخلُوا رسول لله صلى الله عليه وسلم شِعْبَهُم ويمنعوه ممن أرادوا قتله [1] فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بنى هاشم أبدا صلحا حتى يسلموه للقتل فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركون طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه فلما كان رأس ثلاث سنين ، تلاوم [2] رجال من بنى عبد مناف ومن بنى عبد قصى ورجال سواهم من قريش [3] قد ولدتهم نساء من

---

(١) المعروف أن دخول الشعب إنما كان بسبب تلك الصحيفة التى كتبتها قريش وتعاقدت فيها على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب فلا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ولا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ثم علقوها فى جوف الكعبة ، فعند ذلك انحاز بنو هاشم والمسلمون معهم إلى شعب أبى طالب .

(٢) يعنى أخذ يلوم بعضهم بعضا على تلك القطيعة الظالمة .

(٣) الذى سعى فى نقض الصحيفة هو هشام ابن عمرو وحيث سعى إلى زهير

بنى هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق وكانت معلقة فى سقف البيت فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم [1] وأطلع الله رسوله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب فقال أبو طالب : لاو الثواقب [2] ما كذبنى فانطلق يمشى بعصابة من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء ، فأتوا ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوع إليهم فوضعوها بينهم فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى أن الله برىء من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحا كل اسم هو له وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا فوالله لا يسلم أبدا حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى قال باطلا رفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم قالوا: قد رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد

= ابن أمية المخزومى وإلى المطعم بن عدى وأبى البخترى ابن هشام وزمعه بن الأسود ابن المطلب بن أسد وتقابل هؤلاء النفر وتعاقدوا على نقض الصحيفة .

(١) بل العكس هو الصحيح وأن الأرضة أكلت كل ما فى الصحيفة من ظلم وقطيعة ولم تبق إلا اسم الله عز وجل .

(٢) جمع ثاقب وهو الشهاب المضىء .

أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذى قال قالوا والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن الأولى بالكذب والسحر غيرنا فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما كان فيها من اسم له وما كان من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف وبنى قصى نحن برءاء من هذه الصحيفة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم ورهطه فعاشوا وخالطوا الناس .

وقال ابن سعد أنا محمد بن عمر حدثنى الحكم بن القاسم عن زكريا بن عمرو عن شيخ من قريش أن قريشا لما كتبت الصحيفة ومضت ثلاث سنين أطلع الله نبيه على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقى ما كان فيها من ذكر الله فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب فقال : والله ما كذبنى ابن أخى قط ثم خرج إلى قريش وأخبرهم فجىء بالصحيفة فوجدت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فَسُقِطَ فى أيدى القوم (١) ونُكِسُوا على رؤسهم فقال أبو طالب: يامعشر قريش علام نحصر ونحبس؟ وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعاصم بن عمر بن قتادة وأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا «لما بلغ قريشا فعل النجاشى بجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وكتبوا كتابا على بنى هاشم أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم وكان الذى كتب الصحيفة منصور ابن عكرمة العبدرى فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليلة

---

(١) يعنى ندموا على ما كان منهم من الظلم والقطيعة .

هلال المحرم سنة سبع من حين تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعوا عنهم الميرة والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد فقال من ساءه ذلك من قريش انظروا ماذا أصاب منصور بن عكرمة فأقاموا فى الشعب ثلاث سنين ، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت مافيها من جور وظلم وبقى ما كان فيها من ذكر الله » .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة ومحمد بن على قالا « أرسل الله على الصحيفة دابة فأكلت كل شىء فيها إلا اسم الله » . وفى لفظ « إلا باسمك اللهم »[١] .

وأخرج ابن عساكر عن الزبير بن بكار قال : قال أبو طالب فى قصة الصحيفة :

ألم يأتكم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل مالم يرضه الله يفسد[٢]

فى أبيات أخر[٣] .

وأخرج أبو نعيم عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم قال « كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدرى فشلت يده حتى يبست فما كان ينتفع بها فكانت قريش تقول بينها : إن الذى صنعنا إلى بنى هاشم لظلم انظروا ماأصاب منصور بن عكرمة .

باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم

بالإسراء ومارأى من آيات ربه الكبرى

قال الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى

---

(١) وهى العبارة التى كانوا فى الجاهلية يبتدئون بها كتبهم ومعاهدتهم ولهذا لما أمر عليه السلام عليا يوم الحديبية أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمسك سهيل بن عمرو يده وقال لانعرف الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم .

(٢) هذا الشطر الثانى مكسور فلعل صحته « وكل الذى لم يرضه الله يفسد » .

(٣) نحن نشك كثيراً فى معظم ما يعزى من شعر إلى أبى طالب .

المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾[١].

اعلم أن الإسراء ورد مطولا ومختصرا من حديث أنس وأُبَىّ بن كعب وبُرَيدة وجابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وسَمُرة بن جُنْدَب وسهل بن سعد وشداد ابن أوس وصُهَيب وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وعبد الله ابن أسعد بن زُرارة وعبد الرحمن بن قرط وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبى أمَامة وأبى أيوب الأنصارى وأبى حبة وأبى الحمراء وأبى ذر وأبى سعيد الخدرى وأبى سفيان بن حرب وأبى ليلى الأنصارى وأبى هريرة وعائشة وأسماء بنتى أبى بكر وأم هانىء وأم سلمة رضى الله عنهم وها أنا أسوق أحاديثهم على الترتيب المذكور .

حديث أنس رضى الله عنه

أخرج مسلم من طريق ثابت[٢] عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع

---

(١) هذه الآية الكريمة صريحة فى وقوع الإسراء وأنه كان بالجسد والروح يقظة لا مناما فقد ابتدئت بكلمة سبحان التى تدل على أن ما بعدها أمر عجيب الشأن ،والإسراء بالروح وحدها فى النوم أمر لاعجب فيه ثم قوله (أسرى بعبده) والإسراء السير ليلا والعبد اسم للشخص الذى هو مجموع الروح والجسد ثم قوله (لنريه من آياتنا) فلابد أن تكون رؤية بالبصر فإن الرؤيا فى النوم تقع لكل أحد فلا تظهر فيها خصوصية وعلى هذا فالإيمان بالإسراء واجب وأما المعراج وهو الرحلة السماوية فهى ثابتة بالأحاديث الصحيحة التى يفيد مجموعها التواتر وتدل عليه كذلك الآيات من أول سورة النجم .

(٢) هو ثابت البنانى وقد تقدمت ترجمته .

(٣) يظهر أن البراق هو الدابة التى كانت تستعمل فى هجرات الأنبياء فقد تقدم أن إبراهيم عليه السلام ركبه فى الهجرة بهاجر وولدها إلى مكة .

حافره عند منتهى طرفه ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء[١] ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فجاء جبرئيل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبرئيل اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبرئيل فقيل من أنت ؟ قال جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبرئيل فقيل من أنت ؟ قال جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد ، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا[٢] فرحبا بى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبرئيل فقيل من أنت ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد قيل :وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطى شَطْر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبرئيل قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبرئيل قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل :ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبرئيل قيل من هذا ؟ قال جبرئيل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى

---

(١) سيأتى فى حديث حذيفة أنه كان ينكر ربط البراق ويرى أنه عليه السلام لم يزايله حتى فى رحلته إلى السماء .

(٢) الواقع أن ابنى الخالة هما مريم ويحيى عليهما السلام فإن خالة مريم كانت تحت زكريا ولهذا كان أحق بكفالتها من غيره وإنما يقال لعيسى ويحيى ابنا خالة توسعا .

فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبرئيل قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد ،قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذُهِبَ بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الْفِيَلة وإذا ثمرها كالْقِلاَل[١] فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلىَّ ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال لى ما فرض ربك عليك وعلى أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم فرجعت إلى ربى فقلت يا رب خفف عن أمتى فحط عنى خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت حط عنى خمساً ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة فكل صلاة عشر[٢] فتلك خمسون صلاة ومن هم منهم بحسنة فلم يعملها[٣] كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً[٤] فإن عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقلت قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه»[٥] .

---

(١) جمع قلة بضم القاف وهى الجرة الكبيرة .

(٢) لأن الحسنة تجزى بعشر أمثالها وهذا أقل التضعيف .

(٣) يعنى لم يقدر على عملها لوجود مانع فيجزى على نيته .

(٤) بل فى الصحيح عن ابن عباس أنه إن لم يعملها كتبت له حسنة لأنه تركها لله عز وجل .

(٥) هكذا رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت ، =

وأخرج البخارى وابن جرير من طريق شريك بن عبدالله بن أبى نَمِر عن أنس قال « ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم وقال أحدهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لِبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بِطَسْت من ذهب محشو ايمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديده[١] يعنى عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ووجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبرئيل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه آدم ، وقال مرحبا وأهلا بابنى نعم الابن أنت فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران ياجبرئيل ؟ قال هذان النيل والفرات عنصرهما[٢] ثم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا

= ورواه الإمام أحمد بهذا السياق قال حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك .

(١) يجب أن نؤمن بمثل هذه الأخبار وإن كنا لا نعقل كنهها ولا كيفيتها ولا نعترض عليها بعقولنا القاصرة فنقول كيف يوضع الإيمان والحكمة فى طست وكيف تفرغ فى الصدر وهى أمور معنوية فإن الله قادر على تجسيم هذه المعنويات كما ورد فى ميزان الأعمال .

(٢) أى أصلهما ومنبعهما .

هو مسك أذفر[1] فقال ما هذا ياجبرئيل ؟ ، قال هذا الكوثر الذى خبألك ربك ثم عرج به إلى السماء الثانية فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحباً وأهلا ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الرا عة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسةفقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماءفيهاأنبياءقد سماهم ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى[2] ثم ذكر نحو ما تقدم فى فرض الصلوات .

وأخرج النسائى من طريق يزيد بن مالك عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبرئيل فسرت فقال أنزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين صليت ؟صليت بطيبة وإليها المهاجر ،ثم قال انزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ، ثم قال انزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء فقدمنى جبرئيل حتى أممتهم ثم صعد بى إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى ثم صعد

---

(١) أى شديد الرائحة .

(٢) ثم قال بعد ذلك « ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة إلخ» الحديث وكذلك رواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان عن شريك ثم قال فزاد ونقص وقدم وأخر قال ابن كثير « وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبد الله بن أبى نمر اضطرب فى هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه اهـ .

بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون ثم صعد بى إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس ثم صعد بى إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى ثم صعد بى إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ثم صعد بى فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتنى ضبابة خررت ساجداً فقيل لى[١] إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة[٢] فقم بها أنت وأمتك فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك عليك وعلى أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال إنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك فإنه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجعت فخفف عنى عشرا ثم عشرا حتى قال هن خمس بخمسين فعرفت أنها من الله تبارك وتعالى صرى أى حتم[٣] فلم أرجع[٤] » .

وأخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عن يزيد بن أبى مالك عن أنس قال:

---

(١) القائل هو الله عز وجل فهو الذى كلمه كفاحا من وراء حجاب كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) .

(٢) ليس معناه أنه سبحانه فرضها بالفعل إذ لا تكليف قبل وجود المكلف ولكن معناه أنه قدر ذلك وكتبه .

(٣) قال ابن الأثير فى النهاية « وقيل هى مشتقة من صرى إذا قطع وقيل هى مشتقة من أصررت على الشىء إذا لزمته فإن كان من هذا فهو من الصاد والراء المشددة وقال أبو موسى إنه صرى بوزن جى وصرى العزم أى ثابته ومستقره» .

(٤) قال ابن كثير عن هذه الرواية « وفيها غرابة ونكارة جداً وهى فى سنن النسائى المجتبى ولم أرها فى الكبير » ولعله يعنى بذلك ما فيها من قوله أنزل فصل ثلاث مرات ونحو ذلك .

«لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبرئيل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبرئيل عليها ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها فلما بلغ بيت المقدس أتى إلى الحجر الذى ثمة فغمزه جبرئيل عليه السلام بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعدا فلما استويا فى صرحة المسجد(١) قال جبرئيل عليه السلام يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ، قال نعم فانطلق إلى أولائك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة(٢) فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت من أنتن ، فقلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نُقوا فلم يدرنوا(٣) وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدى جبرئيل فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال جبرئيل عليه السلام يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله تعالى ثم أخذ بيدى فصعد بى إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب ، استفتح قالوا من أنت ؟ قال جبرئيل قالوا ومن معك ، قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك ، فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم عليه السلام فقال لى جبرئيل ألا تسلم على أبيك آدم ؟ قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد على وقال مرحبا بابنى والنبى الصالح ، ثم عرج بى إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها عيسى ويحيى ، ثم عرج بى إلى السماء

---

(١) أى ساحته والجمع صرحات .

(٢) معنى هذا أن تلك الرؤية كانت فى الأرض لا فى السماء فلعلهن نزلن مع من نزل من الملائكة احتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) يعنى أنهم طهروا من الأقذار والأوضار التى كانت تعتريهم فى الدنيا كالغائط والبول والمخاط والبصاق والدرن بفتحات الوسخ والجمع أدران .

الثالثة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها يوسف ثم عرج بى إلى السماء الرابعة فاستفتح فقالوا مثل ذلك ، فإذا فيها إدريس ، ثم عرج بى إلى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها هارون ، ثم عرج بى إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها موسى ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها إبراهيم ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه خيام « الياقوت واللؤلؤ والزبرجد » وعليه طير خضر أنعم طير رأيت فقلت ياجبرئيل إن هذا الطير لناعم قال يامحمد آكله أنعم منه ثم قال أتدرى أى نهر هذا ؟ قلت : لا قال الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض[1] من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضاً من اللبن فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بى حتى انتهى إلى الشجرة فغشيتنى سحابة فيها من كل لون فرفضنى جبرئيل وخررت ساجدا لله فقال الله لى يامحمد إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبرئيل فانصرفت سريعاً فأتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئاً ثم أتيت على موسى فقال ماصنعت يامحمد ؟ قلت فرض ربى على وعلى أمتى خمسين صلاة ، قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتنى السحابة وخررت ساجداً وقلت رب خفف عنا . قال قد وضعت عنكم عشراً ثم انجلت عنى السحابة ورجعت إلى موسى فقلت وضع عنى عشراً قال ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم فذكر الحديث إلى أن قال : هن خمس بخمسين ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل

---

(١) الرضراض الحصى الصغار .

مالى لم آت أهل سماء إلا رحبوا بى وضحكوا إلىَّ غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علىَّ السلام ورحب بى ولم يضحك إلى ؟ قال ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خُلِقتْ ولو ضحك إلى أحد ضحك إليك . قال ثم ركبت منصرفاً فبينا هو فى بعض طريقه مر بعير لقريش تحمل طعاماً منها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر[1] فقالوا يا أبا بكر هل لك فى صاحبك يخبر أنه أتى فى ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع فى ليلته فقال أبو بكر : إن كان قاله فقد صدق وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا ، نصدقه على خبر السماء فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماعلامة ماتقول ؟ قال مررت بعير لقريش وهى فى مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر ، فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ماحدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصِّديقَ وسألوه هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟[2] قال : نعم . قالوا فصفهما قال أما موسى فرجل آدم

---

(١) وفى بعض الروايات أن الذى أتى أبا بكر هو أبو جهل لعنه الله وذلك أنه كان أول من لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الإسراء عند الحجر فسأله ماذا عندك اليوم ؟ فقال أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس فقال له أرأيت إن دعوت قومك أكنت مخبرهم بما أخبرتنى به ؟

قال نعم فنادى أبو جهل بطون قريش فاجتمعوا إليه فقال اسمعوا ما يقول محمد فأخبرهم عليه السلام خبر ليلته فتعالت صيحات الإنكار وأخذوا يضربون كفا بكف ويقولون نحن نضرب آباط الإبل شهرا مصعدين وشهراً قافلين وتزعم أنت أنك أتيته فى ليلتك ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ وانطلق أبو جهل إلى أبى بكر كما جاءت به الرواية .

(٢) لا يعقل صدور هذا السؤال من كفار قريش فإنهم لايعرفون موسى =

كأنه من رجال أزد عمان[١] وأما عيسى فرجل رَبْعَة[٢] سَبْطٌ يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان »[٣] .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه فى تفسيريهما والبيهقى من طريق عبدالرحمن ابن هاشم بن عتبة عن أنس قال « لما جاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها صرَّت أذنيها[٤] فقال جبرئيل مه[٥] يابراق فوالله ماركبك مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال ماهذه ياجبرئيل ؟ قال سر يامحمد فسار ماشاء الله أن يسير فإذا شىء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول هلم يامحمد فقال له جبرئيل سر يا محمد ، فسار ماشاء الله أن يسير فلقيه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك ياأول[٦] السلام عليك يا آخر[٧] السلام عليك ياحاشر[٨] فقال له جبريل اردد السلام فرد السلام ثم لقيه الثانية فقال له

= وعيسى ولايدينون بدينهما فالظاهر أن السؤال عنهما وقع من بعض الصحابة رضى الله عنهم حين حدثهم الرسول عليه السلام حديث الإسراء .

(١) قبيلة يمنية معروفه بالقوة وضخامة الأجسام .

(٢) يعنى مربوع القامة بين الطويل والقصير .

(٣) الجمان اللؤلوء والواحدة جمانة .

قال ابن كثير بعد إيراده لهذه الرواية « هذا سياق فيه غرائب عجيبة » .

(٤) يعنى سوتها ونصبتها للاستماع .

(٥) اسم فعل أمر بمعنى اكفف .

(٦) سبق أن نبهنا على أن تلك الأولية ليست فى الخلق ولكن فى الفضل والشرف أو يوم القيامة حيث يكون أول من تنشق عنه الأرض وأول من يجوز الصراط وأول شافع وأول مشفع وأول من يحرك حلق الجنة الخ .

(٧) يعنى أنه أخر الرسل بعثا وبه ختموا .

(٨) جاء فى الحديث وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وهو كناية عن متاخمته للساعة كما قال « بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى » .

مثل ذلك ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه[١] من الأنبياء فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبرئيل : أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا مابقى من عمر تلك العجوز وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام[٢] » .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والترمذى والبيهقى وابن مردويه وأبو نعيم من طريق قتادة عن أنس «أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبرئيل أبمحمد تفعل هذا ؟ فوالله ماركبك خلق قط أكرم على الله منه قال فارفضّ عرقا »[٣] .

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبرئيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »[٤] .

---

(١) يعنى من بعده .

(٢) قال ابن كثير « وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن وهب وفى بعض ألفاظه نكارة وغرابة »

(٣) قال ابن كثير « ورواه الترمذى عن اسحاق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لانعرفه إلا من حديثه »

(٤) قال ابن كثير «وأخرجه أبوداود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم »

وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره »(١) .

وأخرج أبو يعلى والبيهقى عن أنس قال « حدثنى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلى فى قبره قال وذكر لى أنه حمل على البراق قال فأوثقت الفرس أو قال الدابة بالحرابة . فقال أبو بكر صفها لى يا رسول الله ، فقال : هى كذه وذه قال وكان أبو بكر قد رآها »(٢) .

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة وسليمان التيمى وثمامة وعلى بن زيد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليلة أسرى بى مررت بناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت فقلت من هؤلاء ياجبرئيل ؟ قال هؤلاء خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون »(٣) .

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمى وثابت البنانى كلاهما عن أنس وقد اضطربت رواية هذا الحديث عن أنس فمرة يروى مرفوعا ومرة موقوفا ومرة يرويه أنس عن غيره من الصحابة فالله أعلم .

(٢) قال أبو يعلى « حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ فلم يصرح فيه أنس بالتحديث عن غيره » .

(٣) هذا ثابت عن أنس من طرق كثيرة فقد رواه الإمام أحمد فى مسنده قال: حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد وهو ابن جدعان عن أنس ورواه عبد بن حميد فى مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به . وكذا رواه « يزيد بن هارون » عن حماد بن سلمة به .

فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به [١].

وأخرج ابن ماجه والحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول) وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس قال قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبرئيل ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » .

وأخرج ابن مردويه من طريق محمد عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى سدرة المنتهى رأى فَرَاشا من ذهب يلوذ بها » [٢] .

وأخرج ابن مردويه من طريق أبى هاشم عن أنس قال كان « رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أُسرى به ريحه ريح عَرُوس وأطيب من ريح عروس » [٣] .

وأخرج البزار من طريق قتادة عن أنس « أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل » [٤] .

---

(١) هذا أمر يكاد يكون كالمجمع عليه أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء .

(٢) لم يرد هذا فى شىء من الروايات الصحيحة عن أنس ولكن ورد وصف السدرة بأن نبقها كقلال هجر وأن أوراقها كآذان الفيلة نعم روى الإمام أحمد عن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال فراش من ذهب .

(٣) معلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الطيب ويكثر من التطيب فما دخل الإسراء فى هذا وأنس لم يشهد حادث الإسراء حتى يعرف تبدل حاله عليه السلام بعد الإسراء ولكن يأبى المؤلف إلا أن يذكر كل مانسب إلى أنس مما يتعلق بالإسراء ولو اكتفى بالصحيح كان أجمل به وأليق .

(٤) جزم ابن كثير بأن أحدا من الصحابة لم يقل بالرؤية البصرية وروى عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين ثم قال « ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لايصح فى ذلك شىء عن الصحابة رضى الله عنهم وقول البغوى فى تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر . والله أعلم .

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور فى سننه والبزار والبيهقى وابن مردويه وابن عساكر من طريق الحارث بن عبيد عن أبى عمران الجونى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل فوكزنى بين كتفى فقمت إلى شجرة فيها كَوَكْرَى الطائر فقعد فى أحدهما وقعدت فى الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفى ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، فالتفت إلى جبرئيل كأنه حِلْسٌ لاطىء فعرفت فَضْل علْمه بالله وفتح لى باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رَفْرَفُ الدر والياقوت وأوحى إلى ماشاء الله أن يوحى ». قال البيهقى هكذا رواه الحارث ابن عبيد [١] ورواه حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن محمد بن عمير بن عطارد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى ملأ من أصحابه فجاء جبرئيل فنكت فى ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكرى الطائر فقعدت فى أحدهما وقعد جبرئيل فى الآخر فنشأت بنا [٢] حتى بلغت الأفق فلو بسطت يدى إلى السماء لنلتها فدلى بسبب وهبط النور فوقع جبرئيل مغشياً عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيته على خشيتى فأوحى إلى نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ؟ وإلى الجنة ما أنت فأَوْمى إلى جبرئيل وهو مضطجع أن تواضع قلت : لا نبياً عبداً . قال الحافظ عماد الدين بن كثير هذه واقعة أخرى غير قصة الإسراء .

---

(١) قال ابن كثير « الحارث بن عبيد هـذا هو أبو قدامة الإيادى أخرج له مسلم فى صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه . وقال: ليس هو بشىء . وقال الإمام أحمد : مضطرب الحديث وقال أبو حاتم الرازى يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن حبان كثر وهمه فلايجوز الاحتجاج به إذا انفرد .

فهذا الحديث من غرائب رواياته فإن فيه نـكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا ولعله منام والله أعلم » اهـ .

(٢) يعنى علت وسمت .

﴿ حديث أبى بن كعب ﴾ ستأتى الإشارة إليه عقب حديث أبى ذر

أخرج ابن مردويه من طريق عبيد بن عمير عن أبى[1] بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أسرى بى رأيت الجنة من درة بيضاء قلت: ياجبرئيل إنهم يسألونى عن الجنة قال. فأخبرهم أن أرضها قيعان وترابها المسك».

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليلة أسرى بى وجدت ريحاً طيبة فقلت ياجبرئيل ماهذه؟ قال هذه الماشطة وزوجها وابنتها بينا هى تمشط ابنة فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس فرعون فأخبرت أباها فقتلها[2]».

﴿ حديث بريدة ﴾

أخرج الترمذى والحاكم وصححه وأبونعيم وابن مردويه والبزار عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما كان ليلة أسرى بى فأتى جبرئيل الصخرة التى ببيت المقدس فوضع إصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق»[3].

---

(١) قال الحافظ فى أطراف المسند أنه وقع فيه تحريف وكان فى الأصل عن أبى ذر فسقط من النسخة لفظ ذر فظن أنه أبى فادرج فى مسند أبى بن كعب غلطا. قلت. نبه الدارقطنى فى العلل الوهم فيه من أبى ضمرة أنس بن عياض وقال ابن كثير رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وليس هو فى شىء من الكتب الستة.

(٢) وكذلك رواه ابن كثير عن البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولم يذكر أبى بن كعب وقال فى آخره: إسناد لابأس به ولم يخرجوه.

(٣) قال ابن كثير «ثم قال البزار لانعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذى فى التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقى به وقال غريب.

﴿ حديث جابر ﴾

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كذبتني قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس قمت فى الحجر فجلّى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »[١] .

وأخرج ابن مردويه والطبرانى فى الأوسط بسند صحيح عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليـلة أسرى بى على الملأ الأعلى فإذا جبرئيل كالحلس البالى من خشية الله » .

﴿ حديث حذيفة بن اليمـان ﴾

أخرج أحمد وابن أبى شيبة والترمذى والحاكم وصححاه والنسـائى وابن جرير وابن مردويه والبيهقى عن حذيفة أنه حدث عن ليلة أسرى بمحمـد صلى الله عليه وسلم فقال « مازَايَل البراق حتى فتحت له أبواب السموات فرأى الجنة والنار وَوَعْد الآخرة أجمع ثم عاد» . ولفظ ابن مردويه فأُرىَ ما فى السموات وأُرىَ ما فى الأرض . قيل له : أى دابة البراق ؟ قال دابة طويل أبيض خطوه مد البصر[٢] .

---

(١) أخرجاه فى الصحيحين من طرق عن حديث الزهرى به وكذلك رواه الإمام أحمد عن ابن شهاب قال قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم روى الحديث .

(٢) ولفظ الحديث عند أحمد عن عاصم عن زر بن حبيش قال « أتيت على حذيفة بن اليمان وهو يحدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول فانطلقنا حتى أتينا على بيت المقدس فلم يدخلاه قال قلت بل دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدرى =

﴿ حديث سمرة ﴾

أخرج ابن مردويه عن سَمُرَة بن جُنْدَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى رجلا يسبح فى نهر يلقم الحجارة فسألت من هذا ؟ فقيل لى هذا آكل الربا »(١) .

﴿ حديث سهل بن سعد ﴾

أخرج ابن عساكر عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أُسْرَى بى جبرئيل سمعت تسبيحاً فى السموات العلى فرجف فؤادى

= ما اسمك قال قلت أنا زر بن حبيش قال فما علمك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلتئذ ؟

قال : قلت القرآن يخبرنى بذلك قال : فمن تكلم بالقرآن فلح اقرأ . قال فقلت «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» قال يا أصلع هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ماصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة فى البيت العتيق والله مازايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودهما على بدئهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال ويحدثون أنه ربطه لايفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث « وهذا الذى قاله حذيفه رضى الله عنه وما أثبته غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مقدم على قوله والله أعلم بالصواب » .

(١) الذى جاء فى رواية أبى سعيد الخدرى عند البيهقى وفى رواية أبى هريرة عند ابن أبى حاتم « فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرفيقول اللهم لاتقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السابلة فتطؤهم قال فسمعتهم يضجون إلى الله قال قلت ياجبريل من هؤلاء .

قال هؤلاء من أمتك « الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » وهذا لفظ أبى سعيد .

فقال جبرئيل تقدم يامحمد ولا تخف فإن اسمك مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله »[١] .

﴿ حديث شداد بن أوس ﴾

أخرج ابن أبى حاتم والبيهقى وصححه والبزار والطبرانى وابن مردويه عن شداد بن أوس قال : قلنا يارسول الله كيف أسرى بك ؟ قال: « صليت لأصحابى العتمة بمكة مُعْتِماً فأتانى جبرئيل بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال : فاستصعب على فرأزها[٢] بأذنها ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلنى فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بيثرب ،صليت بطيبة ، فانطلقت تهوى بنا ثم بلغنا أرضاً فقال انزل فنزلت ثم قال صل فصليت ، ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت عند شجرة موسى ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور قال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ثم انطلق بى حتى دخلنا المدينة من بابها الثانى ، فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى قط فأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل أرسل إلى بهما جميعا فعدلت بينهما ثم هدانى الله فأخذت اللبن فشربت حتى قرعت به جبينى وبين يدى شيخ متكىء على منبر له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه لَيُهْدَى ، ثم انطلق بى حتى أتينا الوادى الذى فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف على مثل الزرابى

---

(١) لقد نبهنا مرارا على كذب مثل هذه الأحاديث والعجب أن يرجف فؤاده من التسبيح وكان حقه أن يسكن ويطمئن .

(٢) قال فى النهاية « اختبرها » .

قلت يارسول الله كيف وجدتها ؟ قال مثل الحمة السخنة ثم انصرف بى فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم، قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر فقال يارسول الله أين كنت الليلة ؟ فقد التمستك فى مظانك فقال علمت أنى أتيت بيت المقدس الليلة فقال يارسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لى قال ففتح لى صراط كأنى أنظر إليه لايسألنى عن شىء إلا أنبأته عنه قال أبو بكر أشهد أنك رسول الله فقال المشركون انظروا إلى ابن أبى كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة . فقال إن من آية ما أقول لكم إنى مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم فجمعه فلان وأن مسيرهم ينزلون بكذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مِسْحٌ[1] أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كان قريباً من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم »[2] .

﴿ حديث صهيب ﴾

أخرج الطبرانى وابن مردويه عن صهيب بن سنان قال : « لما عرض على

---

(١) المسح بكسر فسكون البلاس يقعد عليه والكساء يتخذ من شعر وهو من ثياب التقشف .

(٢) قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث « وقد روى هذا الحديث بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم ابن العلاء الزبيدى به .

ولا شك أن هذا الحديث أعنى الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ماهو صحيح كما ذكره البيهقى ومنها ماهو منكر كالصلاة فى بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم » اه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الماء ثم الخمر ثم اللبن أخذ اللبن فقال له جبرئيل أصبت أخذت الفطرة وبه غذيت كل دابة ولو أخذت الخمر غويت وغوت أمتك وكنت من أهل هذه وأشار إلى الوادى الذى فيه جهنم فنظر إليه فإذا هو نار تلتهب »[١].

﴿ حديث ابن عباس ﴾

أخرج أحمد وأبو نعيم وابن مردويه بسند صحيح من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : « ليلة أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة فسمع فى جانبها وَجْساً[٢] فقال يا جبرئيل ماهذا ؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين جاء إلى الناس قد أفلح بلال رأيت كذا وكذا فلقيه موسى فرحب به وقال مرحباً بالنبي الأمى قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أوفوقها فقال من هذا ياجبرئيل ؟ قال هذا موسى فمضى فلقيه شيخ جليل مُتهيَّب فرحب به وسلم عليهم وكلهم يسلم عليه قال من هذا ياجبرئيل ؟ قال هذا أبوك إبراهيم قال ونظر فى النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء ياجبرئيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأى رجلا أحمر أزرق جداً قال من هذا ياجبرئيل ؟ قال هذا عاقر الناقة فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلى فإذا النبيون أجمعون يصلون معه فلما انصرف جيء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذى كان معه القدح أصبت الفطرة »[٣].

---

(١) مارواه هنا عن صهيب رضى الله عنه أمر ثابت فى معظم روايات الإسراء بدون هذه الزيادة الأخيرة وهى قوله وكنت من أهل هذه الخ .

(٢) صوتا خفيا .

(٣) قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث « إسناد صحيح ولم يخرجوه » .

وأخرج أحمد وأبويعلى وأبو نعيم وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب الله رقابهم مع أبي جهل. وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمراً وزبداً وتزقموا ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال رأيته فيلمانيا[١] أقمر هجاناً[٢] إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب درى كأن شعره أغصان شجرة ، ورأيت عيسى أبيض جعد الرأس [٣] حديد البصر مبطن الخلق[٤] ورأيت موسى أسحم آدم[٥] كثير الشعر شديد الخلق . ونظرت إلى إبراهيم فلا أنظر إلى إرْبٍ [٦] منه إلا نظرت إليه مني حتى كأنه صاحبكم قال جبرئيل سلم على أبيك فسلمت عليه »[٧] .

وأخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما جعلنا

---

(١) يعني ضخما عظيم الجثة .

(٢) الهجان من كل شيء خياره وخالصه .

(٣) في شعره تكسر .

(٤) أي ضامر البطن .

(٥) أسمر شديد السمرة .

(٦) أي عضو .

(٧) قال ابن كثير « ورواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان به وهو إسناد صحيح » .

الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به [١] .

وأخرج الشيخان من طريق قتادة عن أبى العالية عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى موسى بن عمران رجلا طُوَالا جعداً كأنه من رجال شَنُوءَة ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن جهنم والدجال فى آيات أراهن الله قال (فلاتكن فى مرية من لقائه) فكان قتادة يفسرها أن النبى صلى الله عليه وسلم قد لقى موسى »[٢] .

وأخرج أحمد والنسائى والبزار والطبرانى والبيهقى وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ا ن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى مرت بى رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة ؟ قالوا ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط مُشْطها من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبى ؟ قالت ربى هو ربك ورب أبيك قالت أو لك رب غير أبى ؟ قالت نعم .فدعاها فقال ألك رب غيرى ؟ قالت : نعم ربى وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال قعِي يا أمه ولا تقاعَسى[٣] فإنك على الحق قال وتكلم أربعة

---

(١) قال البخارى : حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) قال ابن كثير رواه مسلم فى الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان وأخرجاه من حديث شعبة عن قتادة مختصرا » اه

(٣) ولا تتأخرى .

وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم »[١] .

وأخرج أحمد وابن أبن شيبة والنسائى والبزار والطبرانى وأبو نعيم بسند صحيح من طريق زُرارَة بن أبى أوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة أسرى بى فأصبحت بمكة فظعْت[٢] وعرفت أن الناس مكذبى فقعد معتزلا حزيناً فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال كالمستهزىء :هل كان من شيء ؟ قال نعم قال وماهو قال «إنى أسرى بى الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم فلم يُره أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديثَ إن دعا قومه إليه قال أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم ماحدثتنى ؟ قال نعم قال هيا يامعشر بنى كعب بن لؤى. فانقضت إليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا إليهما قال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أسرى بى الليلة قالوا إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس . قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم قال فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً قالوا وتستطيع أن تنْعت المسجد ؟ وفى القوم من قد سافر إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت أنعت فما زالت أنعت حتى التبس على بعض النعت فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعتـه وأنا أنظر إليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب »[٣] .

---

(١) قال ابن كثير « إسناد لابأس به ولم يخرجوه » .

(٢) يقال «فظع فلان بالأمر ومن الأمر إذا هاله الأمر فلم يثق بأن يطيقه » .

(٣) قال ابن كثير « وأخرجه النسائى من حديث عوف بن أبى جميلة وهو الأعرابى به ورواه البيهقى من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبى جميلة الأعرابى أحد الأئمة الثقات .

وأخرج ابن مردويه من طريق شَهر بن حوْشَب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت ليلة أسرى بى على إبراهيم عليه السلام فقال : يا محمد ، أخبر أمتك أن الجنة قيعان[1] وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »[2].

وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبى والنبيين معهم الرهط ، والنبى والنبيين معهم القوم ، والنبى والنبيين ليس معهم أحد حتى مَرَّ سواد عظيم فقلت من هذا ؟ قيل موسى وقومه ، ولكن ارفع رأسك فانظر فإذا سواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجانب وذا الجانب ، فقيل لى : هؤلاء أمتك وسوى هؤلاء من أمتك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب »[3].

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على موسى وهو قائم يصلى فى قبره »[4].

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال : « فرض الله على نبيه الصلاة خمسين

---

(١) جمع قاع وهو الأرض المستوية .

(٢) قال فى المعارف : عن شهر بن حوشب إنه ضعيف الحديث .

(٣) هذا الحديث متفق عليه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ولكن ليس فيه أن ذلك كان ليلة أسرى به . ولفظ الحديث كما رواه النووى فى « رياض الصالحين » عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى ليس معه أحد إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » الخ الحديث

(٤) قد مر هذا من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه .

صلاة فسأل ربه فجعلها خمس صلوات »[١] .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لما أسرى بى انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها أمثال القلال »[٢] .

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربى عز وجل»[٣] .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول : « إن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده »[٤] .

وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال : « نظر محمد إلى ربه ، قال عكرمة فقلت له نظر محمد إلى ربه ؟ قال نعم جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمد صلى الله عليه وسلم »[٥] وأخرجه البيهقى فى (كتاب الرؤية) بلفظ « إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً بالرؤية »وأخرجه بلفظ « أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم » ؟

---

(١) هذا أمر اتفقت عليه سائر الروايات .

(٢) هذا أمر ثابت فى الصحيحين من حديث قتادة فى رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة .

(٣) سبق الكلام فى مسألة الرؤية فلا نعيده .

(٤) بل الثابت عنه أنه قال رآه بفؤاده مرتين وقد قال ابن كثير من روى عن ابن عباس أنها رؤية بالبصر فقد أغرب .

(٥) هذا حديث لا يصح عن ابن عباس وهو معارض لما رواه عكرمة وغيره عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده ويبدو إنه من كلام كعب الأحبار فقد روى عنه بن كثير أنه قال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين .

وأخرج مسلم عن ابن عباس فى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى) وقال رآه بفؤاده مرتين .

وأخرج ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثنى الله ليلة أسرى بى إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس » .

حديث ابن عمر

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أسرى به إلى السماء أوحى إليه بالأذان فنزل به فعلمه جبرئيل »[١] .

وأخرج أبو داود والبيهقى عن ابن عمر قال : « كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جُعلت الصلاة خمساً وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة »[٢] .

حديث ابن عمرو

وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فقال « أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة[٣] .

---

(١) هذا معارض لما هو متفق عليه من أن مشروعية الأذان كانت بالمدينة .

(٢) أما الصلاة فأمر متفق عليه وأما ماوراء ذلك فلا دليل عليه .

(٣) وروى موسى بن عقبة عن الزهرى مثل ذلك وهو مذهب عروة وقاله السدى كان قبل الهجرة بستة عشر شهرا كما ذكر المؤلف .

وأخرج البيهقي عن ابن شهاب قال : « أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة » .

وأخرج البيهقى عن عروة مثله .

وأخرج عن السدى قال « أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مهاجره بستة عشر شهراً » .

حديث ابن مسعود

وأخرج مسلم من طريق مُرة الهمدانى عن ابن مسعود قال : « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهى إلى سدرة المنتهى وإليها ينتهى ما يصعد به ». وفى لفظ . « مايعرج به من الأرواح حتى يقبض منها وإليها ينتهى مايهبط به من فوقها حتى يقبض (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال غشيها فَرَاش من ذهب وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمسَ وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات » [(١)] .

وأخرج ابن عرفة فى جزئه[(٢)] وأبو نعيم وابن عساكر من طريق

(١) وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقى عن طريق الزبير بن عدى عن طلحة ابن مصرف عن مرة ثم قال وهذا الذى ذكره عبد الله بن مسعود طرف من حديث المعراج .

(٢) قال ابن عرفة « حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمى حدثنا أبو ظبيان الجنبى قال : كنا جلوسا عند أبى عبيدة بن عبد الله يعنى ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبى وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبى عبيدة حدثنا عن أبيك ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لابل حدثنا أنت عن أبيك فقال محمد لوسألتنى قبل أن أسألك لفعلت . قال فأنشأ أبو عبيدة يحدثه عن أبيه » .

أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبرئيل بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملنى عليه ثم انطلق يهوى بنا كلما صعد عقَبة استوت رجلاه كذلك مع يديه ، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه حتى مررنا برجل طُوَال سبْط آدم ، كأنه من رجال شنوءة وهو يقول ويرفع صوته أكرمته وفضلته فدفعنا إليه فسلمنا فرد السلام فقال : من هذا معك يا جبرئيل ؟ قال . هذا أحمد ، قال : مرحباً بالنبى الأمى العربى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا موسى بن عمران ، قلت : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ، قلت : ويرفع صوته على ربه ؟ قال : إن الله قد عرف له حدَّته ، ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السُّرُج تحتها شيخ وعياله فقال لى جبرئيل اعمد إلى أبيك إبراهيم فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم : من هــذا معك يا جبرئيل ؟ قال : هذا ابنك أحمد ، فقال مرحباً بالنبى الأمى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته يابنى إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك كلها أو جُلُّها فى أمتك فافعل ، ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة بالحلقة التى فى باب المسجد التى كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبرئيل منكبى وقال أصبت الفطرة ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ثم انصرفنا فأقبلنا »(١) .

---

(١) قال ابن كثير « إسناد غريب ولم يخرجوه فيه من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور فى الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمه بهم أولا ليسلم عليهم سلام معرفة .

وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى والصحيح أنه إنما اجتمع بهم فى السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيا ، وهم معه وصلى بهم =

وأخرج أحمد وابن ماجة وسعيد بن منصور والحاكم وصححه من طريق مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال : لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال : لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها[١] فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلىَّ ربى أن الدجال خارج ومعى قضيبان فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه الله إذا رآنى حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتى كافراً فتعال فاقتله فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه، ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجْوَى[٢] الأرض من نتَن ريحهم فينزل الله المطر فيجرف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ففيما عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المُتِمِّ[٣] لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلا أو نهاراً »[٤].

وأخرج البزار وأبو يعلى والحارث بن أبى أسامة والطبرانى وأبو نعيم وابن

فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعا إلى مكة والله أعلم . قلت : بل كانت صلاته بهم فى بيت المقدس قبل عروجه إلى السماء ولكنه لم يعرفهم لكثرتهم فلما عرج به التقى بهم عنده كل على حدة .

(١) أى وقوعها.

(٢) يفسد جوها .

(٣) أى التى تمت أشهر حملها .

(٤) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة عن ابن مسعود ، وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام وهو ابن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرظ أخى عبد الله بن قرظ الثمالى ـ

عساكر من طريق علقمة عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتيت بالبراق فركبته ، إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يداه فسار بنا فى أرض غمة[1] منتنة ، ثم أفضينا إلى أرض فيحاء طيبة فسألت جبرئيل قال تلك أرض النار وهذه أرض الجنة فأتيت على رجل قائم يصلى فقال : من هذا ياجبرئيل معك ؟ قال أخوك محمد فرحب ، ودعا لى بالبركة وقال سل لأمتك اليسر فقلت من هذا ياجبرئيل ؟ قال هذا أخوك عيسى فسرنا فسمعت صوتا وتذمراً، فأتينا على رجل فقال من هذا معك؟ قال هذا أخوك محمد ، فسلم ودعا لى بالبركة ، وقال سل لأمتك اليسر ، قلت من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا أخوك موسى ، قلت على من كان تذمره ؟ قال على ربه ، قلت أعلى ربه ؟ قال نعم قد عرف حدته ، ثم سرنا فرأيت مصابيح وضوءا فقلت ماهذا ياجبرئيل ؟ قال هذه شجرة أبيك إبراهيم ادن منها ، فدنوت منها فرحب ودعا لى بالبركة ، ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فنشرت لى الأنبياء من سمى الله ، ومن لم يسم فصليت بهم إلا هؤلاء الثلاثة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى »[2] .

وأخرج الترمذى وحسنه وابن مردويه من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى ، فقال : يا محمد أقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

---

(١) أى ذات حر .

(٢) هذا السياق قريب من سياق أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وقد ذكرنا ما فيه من الغرائب .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » [١] .

وأخرج مسلم من طريق زرٍ عن ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ . قال رأى جبرئيل له ستمائة جناح [٢] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم من طريق زرعن ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبرئيل عند سدرة المنتهى له جناح ينتثر من ريشه تهاويل [٣] الدرو الياقوت .

وأخرج البخارى من طريق علقمة عن ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ قال رأى رفرفاً أخضر [٤] قد ملأ الأفق .

حديث عبد الله بن أسعد بن زرارة

أخرج البزار وابن قانع وابن عدى عن عبد الله بن أسعد بن زرارة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أسرى بى انتهيت إلى قصر من لؤلؤة فراشه ذهب يتلألأ نوراً وأعطيت ثلاثاً أنك سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين» [٥] . وأخرجه البغوى وابن عساكر بلفظ « أسرى بى فى قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب .

---

(١) وكذلك رواه ابن كثير فى تفسير الباقيات الصالحات عن أبى أيوب الأنصارى بلفظ « مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، فقلت وما غراس الجنة ؟ قال لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) وفى بعض الروايات سد بها الأفق .

(٣) التهاويل الأشياء المختلفة الألوان .

(٤) الرفرف كسر الخباء وجانبه أو ما تدلى منه وكل ما فضل فثنى من الفرش والوسائد والبسط والرقيق من ثياب الديباج .

(٥) لاشك أن أمارات الوضع لائحة على هذه الرواية وإن كان ما تضمنته صحيحا فهو بلا ريب سيد المرسلين الخ .

حديث عبد الرحمن بن قرط الثمالى

أخرج سعيد بن منصور فى سننه والطبرانى وابن مردويه وأبونعيم فى المعرفة عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى ، كان بين المقام وزمزم جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى ، فلما رجع قال سمعت تسبيحاً فى السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات من ذى العلو بما علا سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى »[1] .

حديث على بن أبى طالب كرم الله وجهه

تقدم ذكره فى أول الكتاب فى الأذان من طريق الحسين عن أبيه[2] .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن الحنفية قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج به إلى السماء فانتهى إلى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكا ، فقام من السماء مقاماً ما قامه ، قبل ذلك قيل علمه الأذان ، فقال الملك الله أكبر الله أكبر ، فقال الله صدق عبدى أنا الله الأكبر ، فقال: الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقال الله صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا، فقال : الملك : أشهد أن محمداً رسول الله فقال الله صدق عبدى أنا أرسلته وأنا اخترته وأنا ائتمنه فقال حى[3] على الصلاة ، فقال الله صدق عبدى دعا إلى فريضتى وحقى ، فمن

---

(١) قال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة ، حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن ابن قرط » وهو تابعى فالحديث مرسل .

(٢) لقد نبهنا هناك على أن هذا الحديث باطل لمعارضته الأحاديث الصحيحة المتفق عليها .

(٣) هى اسم فعل أمر بمعنى أقبل .

أتاها محتسبا كانت كفارة لكل ذنب ، فقال الملك : حى على الفلاح ، فقال الله : صدق عبدى أنا أقمت فريضتها وعدتها ومواقيتها ، ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فتقدم فأم أهل السماء فتم له شرفه على سائر الخلق »(١) .

وأخرج ابن مردويه من طريق زيد بن على عن آبائه عن على « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الأذان ليلة أسرى به وفرضت عليه الصلاة » .

وأخرج ابن مردويه عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامررت على ملأ من الملائكة ليلة أسرى بى إلا قالوا مر أمتك بالحجامة»(٢) وأخرجه أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه مثله من حديث ابن عباس .

حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أخرج أحمد عن عبيد بن آدم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، فقال لكعب أين ترى أن أصلى ؟ قال خلف الصخرة قال لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى(٣) .

---

(١) هو نفس الحديث السابق والكلام فيه كالكلام فيه ولا يتوقف شرفه عليه السلام على سائر الخلق على أن يؤم أهل السماء فإن شرفه ثابت بكمال عبوديته وعظيم جهاده وإخلاصه ومكارم أخلاقه التى لم يلحق شأوه فيها أحد ، ومثل هذه الأحاديث فى الأغلب من وضع الشيعة على أعمهم وإلا فعلى رضى الله عنه لا يجهل أن الأذان إنما شرع بالمدينة كما اتفقت على ذلك كل الأحاديث الصحيحة .

(٢) قال المقدسى فيه شافع أبو هرمز متروك الحديث .

(٣) روى أن عمر قال لكعب حين أشار عليه بالصلاة خلف الصخرة ضاهيت اليهودية لأن اليهودية يعظمون الصخرة ويصلون إليها وروى أنه بعد ما صلى جاء

وأخرج ابن مردويه عن عمر قال « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم رأى مالكا خازن النار ، فإذا رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه[(١)]

وأخرج ابن مردويه من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمر ابن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صليت ليلة أسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت إلى الصخرة فإذا ملك قائم معه آنية ثلاث فتناولت العسل فشربت منه قليلا ، ثم تناولت الآخر فشربت منه حتى رويت ، فإذا هو لبن ، فقال اشرب من الآخر ، فإذا هو خمر ، قلت قد رويت ، قال أما إنك لو شربت من هذا لم تجتمع أمتك على الفطرة أبدا ثم انطلق بى إلى السماء ففرضت على الصلاة ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها الآخر[(٢)] .

حديث مالك بن صعصعة

أخرج أحمد والشيخان وابن جرير من طريق قتادة عن أنس أن مالك ابن صعصعة حدثه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم ــ وربما قال قتادة فى الحجر ــ مضطجعاً إذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة فأتانى فشق ما بين هذه إلى هذه ــ يعنى من ثغرة

= فبسط رداءه وكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس . وبذلك لم يعظم الصخرة تعظيم اليهود فيصلى إليها وهى بين يديه ولم يهنها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود .

(١) جاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ، فقال له مالى كلما جئت أهل سماء رحبوا بى وضحكوا إلى إلا رجلا واحداً رحب بى ولكنه لم يضحك قال له جبريل ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقت ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك .

(٢) لم تكن خديجة رضى الله عنها موجودة ليلة الأسراء بل كانت قد ماتت قبلها بنحو من سنتين هى وأبو طالب ماتا فى السنة العاشرة من المبعث وكانت الإسراء فى الثانية عشرة أى قبل الهجرة .

نحره إلى شعرته ، فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه فانطلق بي جبرئيل حتى أتى بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل : مرحباً به ولنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالإبن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قال مرحباً به ولنعم المجىء جاء ففتح فلما دخلت فإذا بيحيي وعيسى وهما ابنا الخالة قال هـذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قال مرحباً به ولنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إدريس فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجىء جاء فلما خلصت فإذا هارون فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت إذا أنا بموسى فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي

الصالح فلما تجاوزته بكى قيل له ما يبكيك ؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذا ياجبرئيل؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات[1] قال ثم رفع لى البيت المعمور » قال . قتادة وحدثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون فيه . ثم رجع إلى حديث أنس قال ثم أتيت[2] بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن قال هذه الفطرة التى أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلاة خمسين صلاة كل يوم فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال مافرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة كل

---

(٢) ينكر بعض الناس رؤية النبى صلى الله عليه وسلم للنيل والفرات عند سدرة المنتهى كما فى هذه الرواية أو فى السماء الدنيا كما فى رواية أخرى وذلك لأنهما نهران فى الأرض قد عرف منبعهما ومصبهما ولكن مادامت الرواية قد صحت بذلك ما فيهما إلى رد الخبر بل يحمل ذلك على أنهما خصا من بين سائر الأنهار لكثرة ولا سبيل من المنافع والخيرات .

وقد جاء فى بعض الروايات أنه رأى عنصرهما أى أصلها وبالجملة فيجب تفويض مثل ذلك إلى الله عز وجل .

(١) ظاهر هذا أنه أتى بالآنية الثلاثة فى السماء وقد ورد فى بعض الروايات الصحيحة أن ذلك كان فى الأرض بعد خروجه من بيت المقدس قبل العروج

يوم قال إن أمتك لاتستطيع ذلك وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك[١] فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عنى عشراً[٢] فرجعت الى موسى فقلت وضع عنى عشراً قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت فوضع عنى عشراً أخرى فرجعت إلى موسى فقلت وضع عنى عشراً أخرى قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فلم أزل أرجع حتى أمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فقلت قد سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فنادانى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى »[٣] .

حديث أبى أيوب

أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى أيوب الأنصارى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على ابراهيم عليه السلام فقال له ابراهيم مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . وماغراس الجنة ؟ قال لاحول ولا قوة إلا بالله »[٤] .

---

(١) هذا صريح فى أن الله تعالى فى السماء فوق عرشه وهو مادلت عليه الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة والصحيحة وينكر ذلك الجهمية النفاة تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً .

(٢) فى بعض الروايات أن الله وضع عنه خمسا خمسا فتكون المراجعة على هذا تسع مرات

(٣) معنى هذا كما ورد فى بعض الروايات أنها جعلت خمسا فى الفعل ومع ذلك ظلت خمسين اى فى الأجر فإن كل صلاة بعشر صلوات .

(٤) ورد فى الصحيح عن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على كنز كنوز الجنة ؟ قال لا حول ولاقوة إلا بالله .

حديث أبي حبة يأتي في أثناء حديث أبي ذر

حديث أبي الحمراء

أخرج الطبراني وابن قانع وابن مردويه عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بي إلى السماء السابعة فإذا على ساق العرش الأيمن لا إله إلا الله محمد رسول الله»(١) .

حديث أبي ذر

أخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهري عن أنس قال « كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبرئيل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئت إلى السماء قال جبرئيل لخازن السماء افتح قال من هذا ؟ قال جبرئيل ، قال هل معك أحد ؟ قال نعم معي محمد قال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا وإذا رجل قاعد على يمينه أسودة(٢) وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبرئيل من هذا ؟ قال آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح . فقال له : خازنها مثل ما قال الأول . ففتح ، قال أنس : فذكر

---

(١) قد نبهنا مراراً على عدم صحة مثل هذه الأحاديث .

(٢) أي أشخاص .

أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم »[١] . قال الزهرى فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان قال النبى صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام »[٢] قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فرجعت فقال هى خمس وهن خمسون[٣] لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال ارجع إلى ربك قلت قد استحييت من ربى ، ثم انطلق بى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى وأدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[٤] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك »[٥] . وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن مردويه وابن عساكر من طريق يونس عن الزهرى عن أنس عن أبى بن كعب مثله سواء حرفا بحرف ، فعده جماعة من مسند أبى بن كعب. وذكر الحافظ ابن حجر : أنه وقع فيه تحريف وأنه كان فى الأصل عن أبى ذر

---

(١) وقد جاءت الروايات الصحيحة ببيان ذلك ففى الأولى آدم وفى الثانية يوسف وفى الرابعة إدريس وفى الخامسة هارون وفى السادسة موسى وفى السابعة إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور الخ .

(٢) أى صوتها عند الكتابة .

(٣) هنا اختصار فإن ذلك قيل له عند المراجعة الأخيرة .

(٤) جمع جنبذة وهى المرتفع من كل شىء وماعلا من الأرض واستدار وفى بعض الروايات وفيها جبال اللؤلؤ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ورواه فى ذكر بنى إسرائيل وفى الحج وفى أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به .

ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان منه عن حرملة عن ابن وهب عن يونس به نحوه .

فسقط من النسخة لفظة:ذر فَظُنَّ أن أبي أُبَيًّا فأدرج فى مسند أبى بن كعب غلطاً والله أعلم .

وأخرج مسلم عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال « رأيت نورا أنى أراه »[1] .

حديث أبى سعيد

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى وابن عساكر من طريق أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حدث عن ليلة أسرى به قال « بينما أنا نائم عِشاءً فى المسجد الحرام إذ أتانى آت فأيقظنى فاستيقظت فلم أر شيئاً وإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصرى حتى خرجت من المسجد فإذا أنا بدابة أدنى شبهه بدوابكم هذه بغالكم. مضطرب الأذنين[2] يقال لها :البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلى ، يقع حافره عند مد بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه إذ دعانى داع عن يمينى يامحمد أنظرنى أسألك فلم أجبه ثم دعانى داع عن شمالى يامحمد أنظرنى أسألك فلم أجبه ، فبينما أنا أسير عليه إذ أنا بإمرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يامحمد أنظرنى أسألك فلم ألتفت إليها حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء توثقها بها ، أتانى جبريل بإنائين أحدهما خمر

---

(١) وكذلك رواه الإمام أحمد قال حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته قال وما كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه ؟ فقال : إنى قد سألته فقال « قد رأيت نوراً أنى أراه » .

(٢) فى بعض النسخ « غير أنه مضطرب الأذنين »

والآخر لبن فشربت اللبن وتركت الخمر ، فقال جبرئيل أصبت الفطرة[1] فقلت الله أكبر الله أكبر ،فقال جبرئيل مارأيت فى وجهك هذا؟![2] قلت بينما أناأسير إذ دعانى داع عن يمينى يامحمد أنظرنى أسألك فلم أجبه ، قال : ذاك داعى اليهود أما إنك لو أجبته لتهودت أمتك قلت وبينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يسارى يامحمد أنظرنى أسألك فلم أجبه قال ذاك داعى النصارى ،أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك ،فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يامحمد أنظرنى اسألك فلم أجبها ، قال تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ثم دخلت أنا وجبرئيل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء فإن ذلك عجبه بالمعراج فصعدت أنا وجبرئيل ، فإذا أنا بملك يقال له إسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف ملك قال : قال الله تعالى ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ قال فاستفتح جبرئيل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث إليه ؟ قال نعم ،فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ونفس طيبة فاجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بِأَخْوِنَةٍ عليها لحم نضيج[3] ليس يقربه أحد وإذا أنا بأخونة عليها لحم قد أَرْوَحَ وأنتن ، عندها أناس يأكلون منها قلت

---

(١) وفى بعض النسخ زيادة « أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك » .

(٢) أى فى مسيرك .

(٣) وفى بعض النسخ لحم مشرح .

ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء قوم من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول: اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة[1] آل فرعون فتجيء السابلة فتطأهم فسمعتهم يضجون إلى الله قلت ياجبرئيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله قلت ياجبرئيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً . ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء معلقات بِثُدِيِّهِن ونساء مُنَكَّسَاتٍ بأرجلهن فسمعتهن يَضْجِجْنَ إلى الله ، قلت ياجبرئيل من هؤلاء النساء ؟ قال هؤلاء من أمتك اللاتى يزنين ويقتلن أولادهن ، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون ، فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك ، قلت ياجبرئيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون ، ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أَحْسَنِ ماخلق الله قد فَضَل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قلت ياجبرئيل من هذا ؟ قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيحيي وعيسى[2] ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلما على ، ثم صعدت إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكانا عليا ، فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ونصف

---

(١) السابلة تقال للطريق المسلوكة وللمارة فيها .

(٢) قد خالف هنا الروايات الصحيحة التى تقول إنه رأى يحيى وعيسى فى الثانية ويوسف فى الثالثة .

لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تضرب[١] سرته من طولها قلت ياجبرئيل من هذا ؟ قال هذا المحبب فى قومه هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه ،فسلمت عليه وسلم على ، ثم صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى ابن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص، وإذا هو يقول يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله منى ،قلت ياجبرئيل من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت ياجبرئيل من هذا ؟ قال هذا أبوك خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على فقيل : لى هذا مكانك ومكان أمتك وإذا أنا بأمتى شَطْرَين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رُمْدٌ[٢] فدخلت البيت المعمور ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد ، وهم على خير فصليت أنا ومن معى من المؤمنين فى البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معى ،قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة ،ثم دفعت إلى سدرة المنتهى فإذا كل ورقة منها تكاد تغطى هذه الأمة[٣] وإذا فيها عين تجرى يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة ،فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ثم إنى دفعت[٤] إلى الجنة فاستقبلتنى جارية فقلت لمن أنت يا جارية ؟ قالت

---

(١) وفى بعض الروايات تصيب .

(٢) يعنى لونها كلون الرماد وهى غبرة تضرب إلى البياض .

(٣) هذه مبالغة غير معقولة وفى رواية أنس عن قتادة فى الصحيحين أنها كآذان الفيلة .

(٤) وفى بعض النسخ رفعت بالراء .

لزيد بن حارثة وإذا بأنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وإذا رمانها كأنه الدِّلاَءُ[١] وإذا أنا بطيرها كأنه بُخْتُكُمْ هذه ثم عرضت على النار ، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم غلقت دونى ثم إنى رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشانى فكان بينى وبينه قاب قوسين أو أدنى ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة وفرضت على خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر إذا هممت بالحسنة فلم تعملها ، كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشر وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ، ثم دفعت إلى موسى فقال بم أمرك ربك ؟ قلت بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فرجعت إلى ربى فقلت يا رب خفف عن أمتى ، فإنها أضعف الأمم ، فوضع عنى عشراً فما زلت أختلف بين موسى وربى[٢] حتى جعلها خمساً ، فنادانى ملك عندها تمت فريضتى وخففت عن عبادى ، وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : بخمس صلوات قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييته ثم أصبح بمكة يخبرهم العجائب : أنى أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بى إلى السماء ثم رأيت كذا وكذا ، فقال أبو جهل : ألا تعجبون مما يقول محمد[٣] ؟ قال : فأخبرتهم بعير

---

(١) وفى بعض الروايات « كأنه الدلاء عظما » بزيادة عظما .

(٢) تأمل هذا التعبير ودلالته الصريحة على علو الله فوق عرشه ، فسبحان العلى الأعلى الكريم الوهاب .

(٣) هنا سقط من قول أبى جهل « يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا واحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة » .

لقريش لما كنت فى مصعدى رأيتها فى مكان كذا وكذا وأنها نفرت ، فلما رجعت رأيتها عندالعقبة وأخبرتهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا. فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس فكيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل ؟ فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته فقال: بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من من الجبل كذا فقال صدقت»[١] .

وأخرج ابن مردويه من طريق أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بى مررت بالكوثر فقال جبرئيل هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فضربت بيدى إلى تربته فإذا مسك أذفر »[٢] .

وأخرج من وجه آخر عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما أسرى بى مررت بموسى وهو قائم يصلى فى قبره»[٣] .

وأخرج ابن مردويه من طريق علقمة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله

---

(١) قال ابن كثير بعد سياقته لهذه الرواية «وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلى عبد محمد بن ثور عن معمر عن أبى هارون العبدى وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبى هارون العبدى به.

وروى ابن أبى حاتم عن أبيه عن أحمد ابن عبدة عن أبى عبد الصمد عبد العزيز ابن عبد الصمد بن أبى هارون العبدى عن أبى سعد الخدرى فذكره بسياق طويل حسن أنيق أجود مما ساق غيره على غرابته وما فيه من النكارة » اه .

(٢) مر هذا فيما أخرجه الشيخان من طريق شريك عن أنس وقد روى ابن كثير فى تفسير سورة « الكوثر » أحاديث كثيرة عن أنس وغيره أن الكوثر نهر فى الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف . وروى عن ابن عباس أنه فسره بالخير الكثير ولا تعارض .

(٣) تقدم هذا من حديث أنس وقد ذكرنا ما فيه من اضطراب .

صلى الله عليه وسلم : « رأيت إبراهيم ليلة أسرى بى وهو أشبه من رأيت بصاحبكم »(٤) .

حديث أبى سفيان

أخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظى قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحْيَةَ الكلبى إلى قيصر وكتب إليه معه فلقيه بحمص فدعا الترجمان فإذا فى الكتاب : من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم فغضب أخ له وقال : تنظر فى كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم ولم يذكر لك ملكا ؟ قال له قيصر إنك والله ما علمت أحمق صغيراً مجنون كبيراً تريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه فلعمرى لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق أن يبدأ بها منى ، وإن كان سمانى صاحب الروم لقد صدق ما أنا إلا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لى ولو شاء لسلطهم على . ثم قرأ قيصر الكتاب وقال: يامعشر الروم إنى لأظن هذا الذى بشر به عيسى ابن مريم ولو أعلم أنه هو مشيت إليه حتى أخدمه بنفسى لا يسقط وضوءه إلا على يدى . قالوا : ما كان الله ليجعل ذلك فى الأعراب الأميين ويدعنا ونحن أهل الكتاب . قال : فاصل الهدى عندى بينى وبينكم الإنجيل ندعو به فنفتحه ، فإن كان هو إياه اتبعناه وإلا أعدنا إليه خواتمه كما كانت إنما هى خواتم مكان خواتم قال : وعلى الإنجيل يومئذ اثنا عشر خاتماً من ذهب ختم عليه هرقل فكان كل ملك يليه بعده ظاهر عليه بخاتم آخر حتى ألفى ملك قيصر(٢) وعليه اثنا عشر خاتماً يخبر أولهم لآخرهم أنه لا يحل لهم أن يفتحوا الإنجيل فى دينهم وأنه يوم يفتحونه

---

(١) وهذا ثابت أيضاً من حديث ابن عباس عند النسائى .

(٢) ليس قيصر اسم ملك من ملوك الروم وإنما هو لقب يلقب به كل من ملك الروم وقد كان الروم عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه هو هرقل نفسه .

يغير دينهم ويهلك ملكهم ، فدعا بالإنجيل ففض عنه أحد عشر خاتماً حتى بقي عليه خاتم واحد قامت إليه الشمامسة والأساقفة والبطارقة فشقوا ثيابهم وَصَكُّوا وجوههم ونتفوا رؤسهم قال : مالكم ؟ قالوا : اليوم يهلك ملك بيتك ويتغير دين قومك ، قال : فاصل الهدى عندى ، قالوا : لا تعجل حتى تسأل عن هذا وتكاتبه وتنظر فى أمره قال : فمن نسأل عنه ؟ قالوا قوماً كثيراً بالشام فأرسل يبتغى قوما ليسألهم ، فجمع له أبو سفيان وأصحابه فقال : أخبرنى يا أبا سفيان عن هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فلم يَأْلُ أن يُصَغِّر أمره ما استطاع ، قال : أيها الملك لا يكبر عليك شأنه إنا لنقول هو ساحر ، ونقول هو شاعر ونقول هو كاهن ، قال قيصر : كذلك والذى نفسى بيده كان يقال للأنبياء قبله أخبرنى موضعه فيكم ! قال : هو أوسطنا سطة[١] ، قال : كذلك يبعث الله كل نبى من أوسط قومه أخبرنى عن أصحابه ، قال غلماننا وأحدث أسناننا والسفهاء ، أما رؤساؤنا فلم يتبعه منهم أحد ، قال : أولئك والله أتباع الرسل ، أما الملأ والرؤوس فتأخذهم الحمية ، أخبرنى عن أصحابه هل يفارقونه بعد مايدخلون فى دينه ؟ قال : ما يفارقه منهم أحد ، قال : فلا يزال داخل منكم فى دينه ؟ قال : نعم ، قال : ما تزيدوننى عليه إلا بصيرة ، والذى نفسى بيده ليوشكن أن يغلب على ما تحت قدمى ، يامعشر الروم هلموا إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما عاد إليه ، ونسأله الشأم أن لايوطىء علينا أبداً، فإنه لم يكتب قط نبى من الأنبياء إلى ملك من الملوك يدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه ثم يسأله غيرها مسألة إلا أعطاه مسألته ما كانت فأطيعونى . قالوا : لا نطاوعك فى هذا أبداً ، قال أبو سفيان والله مايمنعنى من أن أقول عليه قولا أسقطه من عينه إلا أنى أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على ولا يصدقنى حتى ذكرت قوله

---

(١) هو من الوسط بمعنى خيار الشىء وأعلاه .

ليلة أسرى به قلت : أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وما هو ؟ قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا فى تلك الليلة قبل الصباح قال وَبطْرِيقُ إيلياء عند رأس قيصر ، قال البطريق : قد علمت تلك الليلة ، قال : فنظر قيصر وقال : ما علمك بهذا ؟ قال : إنى كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أَغْلَقْتُ الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى ، فاستعنت عليه عمالى ومن يحضرنى كلهم ، فعالجته فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به جبلا فدعوت النجاجرة فنظروا إليه فقالوا : هذا باب قد سقط عليه النِّجَاف[1] أو البنيان فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى عليه ، فرجعت وتركته مفتوحاً ، فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذى من زاوية الباب مثقوب، وإذا به أثر مربط الدابة ، فقلت لأصحابى : ماحبس هذا الباب الليلة إلا على نبى وقد صلى الليلة فى مسجدنا ، فقال قيصر : يا معشر الروم أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بشركم به عيسى ؟ وهذا هو النبى الذى بشر به عيسى فأجيبوه إلى ما دعا إليه ، فلما رأى نفورهم قال : يا معشر الروم دعاكم مليككم يختبركم كيف صلابتكم فى دينكم فشتمتموه وسببتموه وهو بين أظهركم ، فخروا له سجداً[2] .

---

(١) النجاف أسكفة الباب ومنه حديث « أى رب قدمنى إلى باب الجنة فأكون تحت نجاف الجنة » .

(٢) وكذلك روى البخارى هذا الحديث عن ابن عباس يحدث به عن أبى سفيان ولكن بسياق آخر أحسن وأجود من هذا وليس فيه حكاية الباب الذى ترك مفتوحا .

قال البخارى حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنا عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن أبا سفيان ابن =

حديث أبى ليلى

وأخرج الطبرانى فى (الأوسط) وابن مردويه من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عبدالرحمن عن أبيه أبى ليلى «أن جبرئيل أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالبراق فحمله عليه بين يديه ، ثم جعل يسير به فإذا بلغ مكاناً مطأطئاً[1] طالت يداه وقصرت رجلاه حتى يستوى به ، وإذا بلغ مكاناً مرتفعاً قصرت يداه وطالت رجلاه حتى يستوى به ، ثم عرض له رجل عن يمين الطريق فجعل يناديه : يا محمد إلى الطريق مرتين ، فقال له جبرئيل : امض ولا تكلم أحداً . ثم عرض له رجل عن يسار الطريق فقال له : إلى الطريق يا محمد ، فقال له جبرئيل : امض ولا تكلم أحداً ، ثم عرضت له امرأة حسناء جملاء[2] ، فقال له جبرئيل : تدرى من الرجل الذى دعاك عن يمين الطريق ؟ قال : لا . قال : تلك اليهود دعتك إلى دينهم ، ثم قال له : تدرى من الرجل الذى دعاك عن يسار الطريق ؟ قال : لا . قال : تلك النصارى دعتك إلى دينهم . ثم قال : تدرى من المرأة الحسناء الجملاء ؟ قال : لا ! قال : تلك الدنيا تدعوك إلى نفسها .

= حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبو سفيان : قلت أنا أقربهم نسبا فقال أدنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهؤلاء إنى سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبنى فكذبوه فقال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذباً لكذبت عنه الخ الحديث .

(١) يعنى منخفضاً .

(٢) يعنى جميلة ، وهو من باب فعلاء بلا أفعل كديمة هطلاء .

ثم انطلقا حتى أتيا بيت المقدس فإذا هم بنفر جلوس فقالوا : مرحباً بالنبى الأمى ، وإذا فى النفر شيخ قال : ومن هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم وهذا موسى ، وهذا عيسى ، ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً[(١)] ، ثم أتوا بأشربة فاختار النبى صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبرئيل : أصبت الفطرة ، ثم قيل له : قم إلى ربك[(٢)] ، فقام فدخل ، ثم جاء فقيل له : ماذا صنعت ؟ قال : فرضت على أمتى خمسون صلاة ، فقال له موسى : ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق هذا ، فرجع ثم جاء ، فقال موسى : ماذا صنعت ؟ قال : ردها إلى خمس وعشرين صلاة[(٣)] ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ، فرجع ثم جاء فقال : ردها إلى اثنى عشر[(٤)] ، فقال موسى ارجع إلى ربك فسله التخفيف ، فرجع ثم جاء فقال : ردها إلى خمس فقال موسى : ارجع فسله التخفيف ، قال : قد استحييت من ربى مما أراجعه وقد قال لى ربى إن لك بكل رَدَّةٍ رَدَدْتَهَا مسألة أعطيكها » .

حديث أبى هريرة

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبزار وأبو يعلى والبيهقى من طريق أبى العالية عن أبى هريرة قال : « جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل فقال جبرئيل لميكائيل : ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح صدره ، فشق عن بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف

---

(١) فى الروايات الأخرى أن جبريل هو الذى قدمه ليصلى لهم .

(٢) لعل المراد به العروج إلى السماء كما دلت عليه سائر الروايات .

(٣) يعنى وضع عنه شطرها كما صرح به فى بعض الرويات .

(٤) هذا مخالف لما جاءت به الروايات الصحيحة من أنه كان يضع عشرا عشرا أو خمسا خمسا .

إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل وملأه حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كان خطوة منه منتهى بصره فسار وساز معه جبرئيل فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جيرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم[1] رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئاً ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قِدْر ولحم آخر نَيِّءٍ خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيباً فتأتى رجلا خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح ، ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته ، قال ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم أتى على رجل قد جمع حُزْمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس

---

(١) جمع قبل بضمتين وهو الفرج .

لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بكلمة عظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً ، فقال : يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول يا رب إئتني بما وعدتني فقد كثرت غُرَفي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتني ما وعدتني فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، قالت : رضيت ، ثم أتى على واد فسمع صوتا منكراً ووجد ريحا منتنة ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول يا رب آتني ما وعدتني فلقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بَعُدَ قعري واشتد حَرِّي فآتني ما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت ، ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة . فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبرئيل من هذا معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يُؤْتَمُّ بي وأنقذني من النار وجعلها علي برداً وسلاما ، ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون

بالحق وبه يعدلون ثم إن داود أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور وألآن لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن والطير وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمدلله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى[1] وقدور راسيات وعلمنى منطق الطير وآتانى من كل شيء فضلا وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين، وآتانى ملكا عظيما لاينبغى لأحد من بعدى وجعل ملكى ملكا طيباً ليس فيه حساب، ثم إن عيسى أثنى على ربه فقال الحمدلله الذى جعلنى كلمته وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلنى أبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذنه ورفعنى وطهرنى وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل، ثم إن محمداً صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وإنى مُثْنٍ على ربى فقال الحمدلله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل على الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى أمة وسطاً، وجعل أمتى هم الأولين والآخرين، وشرح لى صدرى ووضع عنى وِزْرِى[2] ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحاً وخاتماً فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتى بإناء منها فيه ماء فقيل اشرب فشرب منه يسيرا ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روى ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر

---

(١) الجفان جمع جفنة وهى القصعة الكبيرة، والجوابى جمع جابية وهى الحوض الذى يجيء فيه الماء.

(٢) هو الحمل الثقيل.

فقيل له اشرب فقال لا أريده قد رويت . فقال له جبرئيل أما إنها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل، ثم صعد به إلى السماء فاستفتح فقيل من هذا يا جبرئيل ؟ قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجئ جاء فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعلى شماله باب يخرج منه ريح خبيثة إذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر إلى الباب الذى عن يساره بكى وحزن ، فقلت يا جبرئيل من هذا ؟ قال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر و الباب الذى عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن ، ثم صعد به جبرئيل إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبرئيل قالوا ومن هـــذا معك ؟ قال محمد رسول الله قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجئ جاء فدخل فإذا هو برجل قد فضل على الناس فى الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قال من هـــذا يا جبرئيل ؟ قال هذا أخوك يوسف ثم صعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا معك يا جبرئيل؟ قال هذا محمد قالوا أو قد أرسل إليه؟ قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا قال من هذا يا جبرئيل؟ قال عيسى ويحيى ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل قال من هـــذا يا جبرئيل قال هذا إدريس رفعه الله مكانا علياً ثم صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح قالوا من هذا ؟ قال جبرئيل. قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد

أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ و نعم الخليفة ونعم المجىء جاء ، ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا ياجبرئيل ومن هؤلاء الذين حوله ؟ قال هـــذا هارون المحبب وهؤلاء بنو إسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل له من هذا ؟ قال جبرئيل قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفه ونعم المجىء جاء فإذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل قال ياجبرئل من هذ ؟ قال موسى ، قال فماله يبكى؟ قال[١] يزعم بنو اسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله وهذا رجل من بنى آدم قد خلفنى فى الدنيا وأنافى أخرى ، فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبى أمته ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد أرسل إليه ؟ قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسى وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم فى ألوانهم شئ فقام هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء فصارت ألوانهم مثل ألوان أصحابهم فجاؤا فجلسوا إلى أصحابهم فقال ياجبرئيل من هذا الرجل الأشمط ومن هؤلاء البيض الوجوه ؟ ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء ؟ وما هذه الأنهار التى دخلو ؟ قال هذا أبوك ابراهيم ، أول من شمط[٢] على الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم[٣] وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

---

(١) هكذا فى النسخ ولعله سقط لفظ يقول .

(٢) يقال شمط الرجل من باب تعب إذا خالط بياض رأسه سواد .

(٣) يعنى لم يخلطوا إيمانهم بشرك .

فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله ، والثانى نعمة الله، والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا. ثم انتهى إلى السدرة قيل له هذه السدرة ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك فإذا هى شجرة تخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما ، لا يقطعها والورقة منها مغطية للأمة كلها فغشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين تقع على الشجرة فكلمه الله تعالى عند ذلك فقال له سل فقال اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما، وألنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ،وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل، فقال له ربه وقد اتخذتك خليلا وحبيباً ، وهو مكتوب فى التوراة حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معى وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطاً وجعلت أمتك هم الأولين والآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقاً [١] وآخرهم بعثاً وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعاً من المثانى لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر

---

(١) لقد نبهنا فى أول الكتاب على أن هذا الحديث موضوع وهو قوله « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » .

وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلتك فاتحا وخاتما، قال النبى صلى الله عليه وسلم: فضلنى ربى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وألقى فى قلب عدوى الرعب منى مسيرة شهر وأحل لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض كلها مسجداً وطهوراً وأعطيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، وعرضت على أمتى فلم يخف على التابع والمتبوع ورأيتهم أتوا على قوم ينتعلون الشعر ورأيتهم أتوا على قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأنما خرمت أعينهم بالمخيط، فلم يخف على ماهم لاقون من بعدى وأمرت بخمسين صلاة فلما رجع إلى موسى قال: بم أمرت؟ قال بخمسين صلاة، قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم، فلقد لقيت من بنى إسرائيل شدة فرجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً ثم رجع إلى موسى فقال بكم أمرت؟ قال بأربعين، قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف فرجع فوضع عنه عشراً إلى أن جعلها خمسا قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف قال قد رجعت إلى ربى حتى استحييت فما أنا راجع إليه قيل له أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة فإن كل حسنة بعشر أمثالها فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضى قال وكان موسى من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع إليه »[1] .

---

(١) قال ابن كثير بعد إيراد هذه الرواية الطويلة « وهذا الحديث فى بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شىء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب فى المنام الطويل عند البخارى ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو مناما أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم، وقد روى ابن كثير عن أبى الأزهر يزيد بن أبى حكيم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له يارسول الله إن =

وأخرج الشيخان وابن جرير من طريق سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم حين أسرى به « لقيت موسى فنَعَتُّه فإذا هو رجل مضطرب، رجل الرأس كأنه من رجال شَنُوءة ولقيت عيسى فنعته رَبْعة أحمر كأنما خرج من دِيماس يعنى حمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به وأتيت بإنائين فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر، فقيل لى خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربت فقيل لى هديتَ الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك » .

وأخرج مسلم من طريق أبى سلمة[١] عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مَسْرَاىَ فسألونى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فَـكُرِبْتُ كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لى أنظر إليه مايسألونى عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلى وإذا رجل ضَرْبٌ جَعْد كأنه من رجال شَنوءة وإذا عيسى قائم يصلى أقرب الناس به شبها عُرْوَةُ بن مسعود الثقفى، وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت قال قائل يامحمد هذا مالك صاحب النار فالتفت إليه فبدأنى بالسلام ».

وأخرج أحمد وابن ماجة وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق أبى الصلت عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء

= ناساً من أمتك يحدثون عنك فى السرى بعجائب فقال لى ذاك حديث القصاص . ولا شك أن هذه الرواية عن أبى هريرة دخلها كثير من خيال القصاص وغرائبهم والله أعلم .

(١) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أحد التابعين ومن الرواة عن أبى هريرة .

ياجبرئيل ؟ قال هؤلاء أَكَلَة الربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت إلى أسفل منى فاذا أنا برَهَج(١) ودخان وأصوات فقلت ماهذا ياجبرئيل ؟ قال هـذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لايتفكروا فى ملكوت السموات والأرض لولا ذلك لرأوا العجائب » .

وأخرج أحمد وابن مردويه من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى ليلة أسرى بى وضعت قدمى حيث توضع أقدام الأنبياء من بيت المقدس وعرض على عيسى فإذا أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود وعرض على موسى فاذا رجل جعد ضرب من الرجال وعرض على إبراهيم فاذا أقرب الناس به شبهاً صاحبكم » .

وأخرج ابن مردويه من طريق سليمان التيمى عن أنس عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى إلى السماء رأيت موسى يصلى فى قبره » .

وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه من طريق أبى معشر ، عن أبى وهب مولى أبى هريرة قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طُوًى قال ياجبرئيل إن قومى لايصدقوننى قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق » .

حديث عائشة رضى الله عنها

أخرج ابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى من طريق الزهرى عن عروة

---

(١) الرهج الغبار .

(٢) رواه ابن أبى حاتم عن أبيه قال حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به .

عن عائشة قالت « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك فى صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك ؟ قالوا نعم . قال لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال نعم إنى لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوه أو رواحه فلذلك سمى أبو بكر الصديق » .

وأخرج ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بى إلى السماء أذن جبرئيل فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقدمنى فصليت بالملائكة »[1] .

وأخرج الطبرانى من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر فى الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقا ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة فى صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة »[2] .

---

(١) نبهنا فيما تقدم على عدم صحة مثل هذه الأحاديث التى يذكر فيها الأذان ليلة الإسراء لمخالفته الأحاديث الصحيحة التى دلت على أن الأذان لم يكن معروفا قبل الهجرة وأن المسلمين فكروا فى شيء يجمعهم للصلاة فقال بعضهم نتخذ بوقا كبوق اليهود وقال آخرون نتخذ ناقوسا كناقوس النصارى حتى رأى أحدهم وهو زيد ابن عبد ربه الأذان فى النوم فقص رؤياه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قم فعلمه بلالا فإنه أندى صوتا منك وكان ذلك بالمدينة .

(٢) لعن الله الكذابين فإن خديجة ليلة الإسراء كانت قد لقيت ربها وكانت فاطمة فتاة ناهزت الاحتلام وكانت تذهب فتدفع أذى المشركين عن أبيها وتقف على مجالسهم تسبهم .

وأخرج الحاكم فى (المستدرك) عن سعد بن أبى وقاص مرفوعا أتانى جبرئيل بسفرجلة فأكلتها ليلة أسرى بى فعلقت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة[١].

قال الحاكم غريب وفى سنده شهاب بن حرب مجهول وتعقبه الذهبى بأن فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الإسراء[٢].

حديث أسماء

أخرج ابن مردويه من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن أسماء بنت أبى بكر قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف سدرة المنتهى فقال: « فيها فَرَاش من ذهب وثمرها كالقلال وورقها كآذان الفيلة[٣]. فقلت يارسول الله ما رأيت عندها؟. قال: رأيت عندها يعنى ربه »[٤].

حديث أم هانى

أخرج ابن إسحاق وابن جرير عن الكلبى عن أبى صالح عن أم هانى بنت أبى طالب قالت: « ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو

---

(١) ونحن نشم كذلك رائحة الوضع القذرة من هذا الحديث الذى يرويه هؤلاء الحاطبون بليل من أمثال الحاكم وابن سعد وأضرابهما.

(٢) جزى الله الإمام الذهبى خيرا فقد كان لسانا من ألسنة الحق وناقدا بصيرا ولا عجب فهو تلميذ ومعاصر لإمام المجددين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى.

(٣) كل هذه الأوصاف واردة فى الروايات الصحيحة عن أنس وابن مسعود وغيرهما.

(٤) هذه الزيادة لامعنى لها وهى باطلة والسؤال والجواب كلاهما غير واضح وإلا فما معنى قوله رأيت عندها يعنى ربه ولماذا لايكون رأى عندها جبريل مثلا كما قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى).

فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أَهَبَّنَا[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين»[٢].

وأخرج الطبرانى وابن مردويه من طريق عبد الأعلى بن أبى المساور عن عكرمة عن أم هانىء قالت : « بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فى بيتى ففقدته من الليل فامتنع منى النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش[٣] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جبرئيل أتانى فأخذ بيدى فأخرجنى فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملنى عليها ، ثم انطلق حتى انتهى بى إلى البيت المقدس فأرانى إبراهيم يشبه خلقه خلقى ، ويشبه خلقى خلقه ، وأرانى موسى آدم طويلا سبط شعره[٤] شبهته برجال أزدشنوءة[٥] ، وأرانى عيسى بن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحمره شبهته بعروة بن مسعود الثقفى ، وأرانى الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى . قال :

---

(١) أى أيقظنا .

(٢) هـذا هو المشهور أنه كان فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب ليلة أسرى به وتدل عليه الروايات التى يقول فيها « فرج عن سقف بيتى وأنا نائم » .

(٣) الصحيح أن أحـدا لم يشعر به بل أتم الرحلة وعاد دون أن يحس به أحد ولهـذا ورد فى بعض الروايات أنه قال لأم هانىء وهو خارج إلى المسجد عنـد الصبح «أشعرت أنى فارقتكم الليلة ؟ فقالت إلى أين ؟ فقال إلى بيت المقدس فألحت أن لا يخبر قومه بذلك حتى لا يسفهوا عليه ولـكنه أصر على أن يحدثهم به » .

(٤) هذا مخالف لسائر الروايات التى اتفقت على وصف موسى بأنه جعد الشعر .

(٥) فإنهم كانوا طوالا ضخاما .

وأنا أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم ما رأيت ، فأخذتُ بثوبه فقلتُ : إنى أذكرك الله إنك تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك . قالت : فضرب ثوبه من يدى ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم [1] فقام مطعم بن عدى فقال : يا محمد لو كنت شاباً كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا ، فقال رجل من القوم : يامحمد هل مررت بابل لنا فى مكان كذا وكذا [2] ؟ فقال نعم والله وجدتهم قد أضلوا بعيراً لهم فهم فى طلبه قال فهل مررت بابل لبنى فلان ؟ قال نعم وجدتهم فى مكان كذا وكذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء فوجدتهم وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها قالوا فأخبرنا ما عدتها وما فيها من الرعاء . قال : قد كنت عن عدتها مشغولا فنام فأتى بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاء ، ثم أتى قريشا فقال لهم سألتمونى عن إبل بنى فلان فهى كذا وكذا ، وفيها الرعاء فلان وفلان، سألتمونى عن إبل بنى فلان فهى كذا وكذا ، وفيها من الرعاء ابن أبى قحافة وفلان وفلان وهى مصبحتكم بالغداة على الثنية فقعدوا على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال ؟ فاستقبلوا الإبل فسألوا هل ضل لكم بعير ؟ قالوا نعم فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا نعم ، قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء ؟ قال أبو بكر أنا والله وضعتها [3] فما شربها أحد منا ولا أهريقت فى الأرض

---

(١) سبق فى بعض الروايات أن أبا جهل هو الذى جلس إليه وسأله .

(٢) هذا سؤال غير معقول والصحيح أنه هو الذى أخبرهم بذلك ليكون آية على صدقه .

(٣) هذا كذب وافتراء فإن أبا بكر لم يكن ليخرج فى عير المشركين ولم تكن نفسه لتطيب بفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الفترة العصيبة وقد دلت الروايات الصحيحة المتقدمة على أن أبا بكر كان فى بيته حين حدثهم النبى بحديث الإسراء فذهب بعضهم إليه وأخبره فقال إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك فسمى من ذلك الوقت صديقا .

فصدقه أبو بكر وآمن[١] فسمى يومئذ الصديق » .

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر من طريق يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن أبى صالح عن أم هانىء قالت : « دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بِغَلَس وأنا على فراشى فقال : شعرت أنى نمت الليلة فى المسجد الحرام ؟ فأتانى جبرئيل فذهب بى إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض فوق الحمار دون البغل مضطرب الأذنين فركبته فكان يضع حافره مد بصره إذا أخذ بى فى هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه ، وإذا أخذ بى فى صعود طالت رجلاه وقصرت يداه وجبرئيل لا يفوتنى حتى انتهينا إلى بيت المقدس فأوثقته بالحلقة التى كانت الأنبياء توثق بها فنشر لى رهط من الأنبياء[٢] منهم إبراهيم ، وموسى ، وعيسى فصليت بهم وكلمتهم وأتيت بإنائين أحمر وأبيض[٣] فشربت الأبيض فقال لى جبرئيل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت أمتك ، ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة فتعلقت بردائه وقالت أنشدك الله تعالى يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدى فارتفع عن بطنه فنظرت إلى عكنه[٤] فوق إزاره كأنه طى القراطيس وإذا نور ساطع عند فؤاده كاد يختطف بصرى فخررت ساجدة[٥] ، فلما رفعت

---

(١) هـذا كلام المجانين فإن أبا بكر كان مؤمنا قبل الإسراء بعشر سنين بل كان أول من أسلم من رجالات قريش أجمعين .

(٢) ليس معنى هذا أنهم قاموا من قبورهم أحياء بل معناه والله أعلم أن الله عز وجل مثل له أرواحهم فى أجساد تشبه الأجساد التى كانت لهم فى الدنيا ولهـذا استطاع أن ينعتهم .

(٣) يعنى بالأحمر الخمر وبالأبيض اللبن .

(٤) جمع عكنة وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٥) ترى لمن سجدت أم هانىء ؟ هل سجدت لهذا النور الذى رأته عند فؤاده ؟ فتكون قد أشركت أم ماذا ؟ فأنظر إلى أى حد بلغ الكذب بهؤلاء الوضاعين أن يتهموا صحابية جليلة بالسجود لغير الله عز وجل .

رأسي إذا هو قد خرج فقلت لجاريتي : ويحك اتبعيه فانظري ، ماذا يقول وماذا يقال له ، فلما رجعت أخبرتني أنه انتهى إلى نفر من قريش فيهم المطعم بن عدى وعمرو بن هشام[١] والوليد بن المغيرة ، فقال : إني صليت الليلة العشاء في المسجد وصليت به الغداة ، وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس ، فنشر لي رهط من الأنبياء فيهم إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فصليت بهم وكلمتهم فقال عمرو ابن هشام كالمستهزىء صفهم لي أما عيسى ففوق الربعة ودون الطويل عريض الصدر طاهر الدم جعد الشعر[٢] تعلوه صُهْبة[٣] كأنه عروة بن مسعود الثقفي وأما موسى فضخم آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر غائر العينين متراكب الأسنان مقاص الشفة خارج اللثة عابس ، وأما إبراهيم فو الله لأشبه الناس بي خلقاً وخلقا فضجوا وأعظموا ذاك فقال : المطعم كل أمرك قبل اليوم كان أمماً[٤] غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهرا ومنحدراً شهراً تزعم أنك أتيته في ليلة ، واللات والعزى لا أصدقك ، فقال أبو بكر يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته[٥] أنا أشهد أنه صادق فقالوا : يا محمد صف لنا بيت المقدس قال : دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فأتاه جبرئيل فصوره في جناحه فجعل يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب منه كذا في موضع كذا ، وأبو بكر يقول صدقت ، فقال

---

(١) يعني أبا جهل لعنه الله .

(٢) الذي في الصحيح أنه سبط الشعر وأن الجعد هو موسى .

(٣) يعني حمرة أو شقرة .

(٤) يعني قصدا معتدلا .

(٥) هذا عجب ومتى صدقه المطعم بن عدى حتى يلومه أبو بكر على هذا التكذيب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يومئذ يا أبا بكر إن الله قد سماك الصديق . قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فقال أتيت على عير بنى فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت إلى رحالهم ، ليس بها منهم أحد ، وإذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت إلى عير بنى فلان فنفرت منى الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدرى أكسر البعير أم لا ثم انتهيت إلى عير بنى فلان فى التنعيم يقدمها جمل أورق وها هى ذه تطلع عليكم من الثنية فقال الوليد بن المغيرة ساحر فانطلقوا ، فنظروا فوجدوا كما قال فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد بن المغيرة فأنزل الله ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس[1] ﴾ » .

حديث أم سلمة

قال ابن سعد أنا الواقدى حدثنى أسامة بن زيد الليثى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وحدثنى موسى بن يعقوب الزمعى عن أبيه عن جده عن أم سلمة ، قال موسى : وحدثنى أبو الأسود عن عروة عن عائشة قال الواقدى : وحدثنى إسحاق بن حازم عن وهب بن كيسان عن أبى مرة مولى عقيل ، عن أم هانىء بنت أبى طالب . وحدثنى عبد الله بن جعفر عن زكريا بن عمرو عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا : « أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبى طالب إلى بيت المقدس قال رسول الله صلى الله

---

(١) قال ابن عباس فيما رواه البخارى هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، يعنى جعلناها امتحانا واختبارا للناس ولهذا ارتد أناس ممن أسلموا بسبب حادثة الإسراء .

عايه وسلم : حملت على دابة بيضاء بين الحمار و بين البغل فى فخذيها جناحان تحفز[١] بهما رجليها ، فلما دنوت لأركبها شمست[٢] فوضع جبرئيل يده على معرفتها[٣] ثم قال : ألا تستحيين يا براق مما تصنعين ؟ والله ما ركب عليك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه ، فاستحيت حتى ارفضت عرقاً ثم قرت حتى ركبتها فعملت بأذنيها وقبضت الأرض حتى كان منتهى وقع حافرها طرفها و كانت طويلة الظهر طويلة الأذنين وخرج معى جبرئيل لا يفوتنى ولا أفوته حتى انتهى بى إلى بيت المقدس فأتى البراق إلى موقفه الذى كان يقف ، فربطه فيه و كان مربط الأنبياء ، ورأيت الأنبياء جمعوا لى فرأيت إبراهيم وموسى وعيسى فظننت أنه لا بد من أن يكون لهم إمام ، فقدمنى جبرئيل حتى صليت بين أيديهم وسألتهم فقالوا بعثنا بالتوحيد ، وقال بعضهم : فقد النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يطلبونه ويلتمسونه[٤] وخرج العباس حتى بلغ ذا طوًى فجعل يصرخ يا محمد يا محمد ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك فقال يا ابن أخى عنيت[٥] قومك منذ الليلة فأين كنت ؟ قال : أتيت من بيت المقدس قال فى ليلتك ؟ قال نعم ، هل أصابك إلا خير ؟ قال : ما أصابنى إلا خير ، وقالت أم هانىء : ما أسرى به إلا من بيتنا، نام عندنا تلك الليلة صلى العشاء ثم نام

---

(١) يعنى تحملها على السرعة .

(٢) أى حرنت وضربت برجليها .

(٣) أى على عرفها وهو شعر رقبتها .

(٤) من هنا بدأ التحريف والكذب فما افتقده أحد ولا طلبه فى الأرض ولكنه كان مطلوبا لحضرة السماء وقد تقدم فى الروايات الصحيحة أنه قال لأم هانىء حين أصبح « أشعرت أنى فارقتكم الليلة » مما يدل بصراحة على أن أحداً لم يشعر به حين خرج إلى أن عاد وأخذ مضجعه بينهم .

(٥) يعنى شققت عليهم وأتعبتهم فى البحث عنك

فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح فقام ، فلما صلى الصبح قال : يا أم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادى ، ثم قد جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم ثم قام ليخرج فقلت : لا تحدث هذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ، فقال : والله لأحدثنهم فأخبرهم فتعجبوا وقالوا لم نسمع بمثل هذا قط ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل : ياجبرئيل إن قومى لا يصدقونى ، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق ، وافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا وأسلموا وقمت فى الحجر ، فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه فقال بعضهم : كم للمسجد من باب ؟ ولم أكن عددت أبوابه فجعلت أنظر إليه وأعدها باباً باباً وأعلمهم وأخبرتهم عن عيرات لهم فى الطريق وعلامات فيها فوجدوا ذلك كما أخبرتهم وأنزل الله ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قالت : كانت رؤيا عين رآها بعينه » ، أخرجه ابن عساكر .

المراسيل

أخرج أبو نعيم عن عروة قال : « قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس أخبرنا ماذا ضل عنا وأتنا بآية ماتقول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضلت منكم ناقة ورقاء عليها بزٌّ لكم فلما قدمت عليهم ، قالوا : انعت لنا ما كان عليها ونشر له جبرئيل ما كان عليها كله ينظر إليه ، فأخبرهم بما كان عليها وهم قيام ينظرون ، فزادهم ذلك شكا وتكذيباً » .

وأخرج البيهقى من طريق أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة فى العير قالوا : فمتى تجىء ؟ قال يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش

ينظرون وقد ولى النهار ولم تجىء ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس فلم ترد الشمس على أحد إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين »(١) .

وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف وابن جرير عن عبد الله بن شداد قال : « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم أتى بدابة دون البغل وفوق الحمار يضع حافره عند منتهى طرفه يقال له البراق ، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعير المشركين فنفرت فقالوا يا هؤلاء ما هذا ؟ فقالوا اما نرى شيئاً ما هذه إلا ريح حتى أتى بيت المقدس فأتى بإنائين فى واحد خمر وفى الآخر لبن ، فأخذ اللبن فقال له جبرئيل هديت وهديت أمتك ثم سار إلى مضر » .

وقال ابن سعد : أنبأنا الواقدي عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى سبرة وغيره من رجاله قالوا : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يريه الجنة والنار ، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً(٢) ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فى بيته ظهراً

---

(١) روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غزا نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه » الخ الحديث قال النووى متفق عليه وأما حبس الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد به حديث صحيح ولو وقع لاشتهر ولتوافرت الدواعى على نقله وعد من أهم معجزاته .

(٢) الصحيح أنها وقعت فى ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة وقيل بستة عشر شهراً .

أتاه جبرئيل وميكائيل فقالا انطلق إلى ماسألت الله ، فانطلقا به إلى مابين المقام وزمزم فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً ، فعرجا به إلى السموات سماء سماء فلقى فيها الأنبياء وانتهى إلى سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولما انتهيت إلى السماء السابعة لم أسمع إلا صريف الأقلام وفرضت عليه الصلوات الخمس ونزل جبرئيل فصلى برسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات فى مواقيتها[١] » أخرجه ابن عساكر .

وأخرج الحاكم فى « كتاب الرؤية » عن كعب الأحبار قال : « إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين »[٢] .

فوائد

ذهب كثيرون إلى أن الإسراء وقع مرتين[٣] وجمع بذلك بين الاختلاف الواقع فى الأحاديث وممن اختار هذا القول أبو نصر القشيرى وابن العربى[٤] والسهيلى . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وقع الإسراء فى النوم وفى

(١) روى مالك فى الموطأ فى باب « وقوت الصلاة » عن عروة بن الزبير أن جبريل نزل على النبى صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة الإسراء فصلى به كل صلاة فى أول وقتها ثم نزل به ثانى يوم فصلى به كل صلاة فى آخر وقتها ثم قال مابين هذين الوقتين صلاة .

(٢) هذا كلام كعب من كيسه وقد علمت ما قيل فى الرؤية ، وأن جمهور الصحابة على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينه وإنما قال ابن عباس رآه بفؤاده مرتين وأما تكليم الله لموسى فنحن نجزم بأن الله كلمه مالا يحصى وليس مرتين فقط كما زعم كعب .

(٣) هذا غير صحيح بل الجمهور على أن الإسراء لم يقع إلا مرة واحدة والاختلاف الواقع فى الأحاديث لا يدل على تعدد الواقعة بل سببه ما وقع من الرواة أنفسهم من وهم أو نسيان أو جموح خيال أو تعمد اختلاق ونحو ذلك .

(٤) هو أبو بكر بن العربى الأندلسى المالكى صاحب كتاب « العواصم من القواصم » وهو غير محي الدين بن عربى الطائى صاحب الفتوحات المكية .

اليقظة ووقع بمكة والمدينة ، ونكتة وقوعه فى النوم توطين النفس وتمهيدها ليسهل ذلك عليه إذا وقع فى اليقظة كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة وذهب أبوشامة إلى وقوع المعراج مراراً[١] واستند إلى حديث أنس الذى أخرجه البزار السابق. قال الحافظ ابن حجر : ولا شك أن التعدد فيه لا يستبعد وإنما المستبعد وقوع التعدد فى مثل سؤاله عن كل نبى وفرض الصلوات ونحو ذلك[٢] فإن قيل : بتعدد ذلك بأن وقع فى المنام توطئة ثم فى اليقظة على وفقه لم يبعد ، قال : وقد تكرر الإسراء فى المنام بالمدينة[٣] وقد ألف ابن المنير كتاباً نفيساً فى أسرار الإسراء ، فمما ذكر فيه أن الحكمة فى الإسراء به أولا إلى بيت المقدس ثم إلى السماء حصول الهجرتين لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء فحصل له الرحيل فى الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل ووجود السبيل إلى بيان صدقه بذكر العلامات التى أخبر بها عن بيت المقدس وصدقوه فيها فيلزم تصديقه فى بقية ما ذكره بخلاف ما لو أسرى به ابتداء إلى السماء ، ومما ذكر فيه أن إكرامه صلى الله عليه وسلم بالمناجاة كان على سبيل المفاجأة كما أشار إليه بقوله : بينا أنا . وفى حق موسى عليه الصلاة والسلام كان على ميعاد واستعداد[٤] فحمل عنه صلى الله عليه وسلم ألم الانتظار .

---

(١) المعراج لم يكن إلا مرة واحدة ليلة الإسراء كما اتفقت على ذلك الروايات وما وراء ذلك فهو رؤيا منامية .

(٢) إذا قيل بالتعدد فلا يعقل وقوع السؤال عن الأنبياء ولا فرض الصلاة فى كل مرة وإنما يقع له فى كل مرة من الأحداث غير ما يقع فى الأخرى .

(٣) لا يجوز أن يسمى ما يقع فى المنام إسراء فإن الإسراء إنما يتصف به الشخص كله لا الروح وحدها .

(٤) ليس ذلك فى كل مرة فإن تكليم الله له فى ابتداء الوحى إليه كان مفاجأة أيضا .

ومما ذكر فيه أن ابن حبيب ذكر أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف[١] بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط ، قال : فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق له صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى[٢] ومما ذكر فيه أن الحكمة فى بقاء أبواب السماء مغلقة حتى استفتح جبرئيل ، ولم تتهيأ له بالفتح قبل مجيئه أنها لو فتحت قبل لظن أنها لاتزال كذلك فأبقيت ليعلم أن ذلك لأجله ولأن الله أراد أن يطلعه على كونه معرفاً عند أهل السموات لأنه قيل لجبرئيل لما قال محمد أبعث إليه[٣] ولم يقل ومن محمد مثلا .

باب ماوقع فى تزويجه صلى الله عليه وسلم عائشة[٤] من الآيات

وأخرج الشيخان عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أُرِيتُكِ فى المنام مرتين أرى رجلا يحملك فى سَرَقَة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفه فأراك فأقول إن كان هذا من عند الله يُمْضِه » .

وأخرج الواقدى والحاكم عن حبيب مولى عروة قال « لما ماتت خديجة حزن عليها النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبرئيل بعائشة فى مهدها فقال هذه تذهب ببعض حزنك وإن فيها خلفاً من خديجة » .

---

(١) ليس هناك بحر اسمه المكفوف وإنما روى عن الحسن أنه قال السماء الدنيا عبارة عن بحر مكفوف يعنى ممنوع من السقوط وهو رأى لا دليل عليه .

(٢) هذا كلام أشبه بالمهاترة ولا لزوم له فإن فضله عليه السلام على الرسل لا يتوقف على أن يحصل له كل ما حصل لهم .

(٣) يعنى أن جبريل كان إذا استفتح قيل له ومن معك قال محمد فيقولون له أبعث إليه ؟ فهذا يدل على أنهم كانوا يعرفونه وإلا لقالوا له ومن محمد ؟ .

(٤) المعروف أنه عليه السلام عقد على عائشة بمكة وهى بنت ست سنين ودخل بها بالمدينة وهى بنت تسع بعد سبعة أشهر من مقدمه المدينة .

أخرج أبو يعلى والبزار وابن أبي عمر العدنى والحاكم وصححه عن عائشة قالت « ماتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتاه جبرئيل بصورتى وتزوجنى وإنى لجارية على حوف ، فلما تزوجنى ألقى الله على حياء وأنا صغيرة » . الحوف سيور فى الوسط .

باب الآية فى نكاحه صلى الله عليه وسلم سودة بنت زُمْعَة[١]

أخرج ابن سعد من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال « كانت سودة بنت زُمْعَة عند السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو فرأت فى المنام كأن النبى صلى الله عليه وسلم يمشى حتى وطىء على عنقها فأخبرت زوجها بذلك فقال لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك محمد ثم رأت فى المنام ليلة أخرى أن قمراً انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيراً حتى أموت وتتزوجين من بعدى فاشتكى السكران من يومه ذلك فلم يلبث إلا قليلا حتى مات وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

باب ماوقع فى إسلام رفاعة

أخرج الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع الزرقى أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة وذلك قبل خروج الستة من الأنصار[٢] ، فرأى

---

(١) تزوجها بعد خديجة وكانت تحت السكران بن عمرو ، وهو من مهاجرى الحبشة فمات ولم يعقب فتزوجها الرسول بعده .

(٢) المعروف أن الذى قدم مكة قبل النفر الستة هو أبو الحيس أنس بن رافع فى فتية من قومه بنى عبد الأشهل يطلبون حلف قريش فدعاهم الرسول عليه السلام إلى الإسلام فقال إياس بن معاذ وكان شابا حدثا ياقوم هذا والله خير مما جئنا له =

رفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام وقال من خلق السموات الأرض والجبال ؟ قلنا الله . قال فمن خلقكم؟ قلنا الله ، قال فمن عمل هذه الأصنام ؟ قلنا نحن ، قال فالخالق أحق بالعبادة أم المخلوق ؟ فأنتم أحق أن يعبدوكم وأنتم عملتموها والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان ، قلنا : لو كان الذى تدعو إليه باطلا لكان من معالى الأمور ومحاسن الأخلاق ، ثم ذهبت فطفت وأخرجت سبعة قداح فجعلت له منها قدحا فاستقبلت البيت فضربت بها وقلت اللهم إن كان مايدعو إليه محمد حقاً فأخرج قدحه سبع مرات فضربت فخرج سبع مرات فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله » .

باب ما وقع فى عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من الآيات

أخرج البيهقى طريق ابن شهاب وموسى بن عقبة قالا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم فعرض نفسه على ثقيف فلم يجيبوه (١) فرجع فاستظل بحائط وهو مكروب (٢) وفى الحائط

= فضربه أبو لحيس وانتهره فسكت ثم لم يتم لهم الحلف فانصرفوا إلى المدينة ، فانظر إلى التحريف الذى يجعل من أياس بن معاذ بن عفراء ثم يرسم بعد ذلك قصة خيالية عن إسلام رفاعة فهلا كلف هؤلاء أنفسهم شيئا من التثبت حتى لا يقعوا فى هذا الخلط .

(١) لم يعرض عليه السلام نفسه على ثقيف فى الموسم وإنما ذهب إليهم فى قريتهم الطائف ومعه مولاه زيد بن حارثة وذلك حين اشتد أذى قريش له بعد موت عمه أبى طالب وزوجه خديجة .

(٢) وذلك لأنهم لم يستجيبوا له وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم فوقفوا له سماطين على الطريق يقذفونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وزيد يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج فى رأسه فرجع من الطائف إلى مكة محزونا .

عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداساً وهو نصرانى من أهل « نينوى » فلما جاءه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى أرض أنت؟[1] قال من أهل نينوى ، قال من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى قال وما يدريك من يونس بن متى ؟ قال أنا رسول الله والله أخبرنى خبره فخر عداس ساجداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل قدميه فلما أبصر عتبة وشيبة مايصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك ؟ سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرنى بشىء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا به ، وقالا له لا يفتننك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع »

وأخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال مالقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا هو جبرئيل فنادانى فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم، ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[2] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً » .

---

(١) كان عتبة وشيبة لما رأيا ما برسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد رقا له فأرسلا إليه عداسا بقطف من العنب فلما بدأ يأكل قال بسم الله نعجب عداس وقال ما اعرف احداً فى هذه البلاد يسمى الله فسأله النبى الخ .

(٢) يعنى الجبلين الذين يكتنفان مكة وهو أبو قبيس وقعيقعان .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال حدثني علي بن أبي طالب قال «لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فيهم مفروق بن عمرو وهانىء ابن قبيصة فقال مفروق إلى ماتدعو؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدعوكم إلى شهادة إن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإلى أن تؤوونى وتنصرونى فإن قريشاً تظاهرت على أمر الله وكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله غنى حميد، فقال مفروق والله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قل تعالوا أتل ماحرم ربكم﴾ الآيات. فقال مفروق والله ماهذا من كلام أهل الأرض ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية فقال مفروق دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرض كسرى وديارهم أموالهم ويفرشكم نساءهم[1] تسبحون الله وتقدسونه».

وأخرج أبو نعيم من طريق خالد بن سعيد عن أبيه عن جده قال «قدمت بكر بن وائل مكة فى الحج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر ائتهم فاعرضنى عليهم فأتاهم فعرض عليهم قالوا حتى يجىء شيخنا حارثة فلما جاء قال إن بيننا وبين الفرس حرباً فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا بذى قار[2] هم والفرس قال لهم شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم إلى مادعاكم إليه؟ قالوا محمد قال: فهو شعاركم فنصروا على الفرس[3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بى نصروا».

---

(١) يعنى أنهن يؤخذن سبايا ويستولدن فيصبحن فراشا للمسلمين.

(٢) ذو قار موضع بين الكوفة وواسط ويقال أيضا على بلدة بالرى.

(٣) قال فى المعارف «كان سببه أن النعمان ابن المنذر حين هرب من أبرويز =

وأخرج البخاري فى تاريخه والبغوى فى معجمه عن الأخرم الْهُجَيْمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم ذى قار هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم» .

وأخرج البخاري فى التاريخ وبقى بن مخلد فى مسنده والبغوى مثله من حديث بشير بن يزيد الضبعى ، وقال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال ذكرت وقعة ذى قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ذاك أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا» . ورأيت فى شرح ديوان الأعشى للآمدى مانصه «يقال إن يوم ذى قار كان بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وإن جبرئيل أراه الحرب وقتال بكر للفرس فقال : اللهم انصر بكر بن وائل مرتين وأراد أن يدعولهم الثالثة بأن يديم لهم نصرهم فقال له جبرئيل إنك مستجاب الدعوة ومتى دعوت لهم بدوام النصر لم تقم لهم قائمة . فلما دعالهم وانهزمت الفرس تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً وقال هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا»

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن عبدالله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده «قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فدعانا فما استجبنا له ولا خير لنا وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى فقال لنا أحلف بالله لوصدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان الرأى فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ فأبى القوم وانصرفوا فقال لهم ميسرة ميلوا بنا إلى فدك[1] فإن

= استودع هانىء بن مسعود بن عامر الشيبانى عياله ومائة درع فبعث إليه أبرويز فى الدروع وفى ابنيه وأبى أن يسلم ذلك فأغزاه جيشا فاقتتلوا بذى قار فظفرت بنو شيبان فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

(١) قرية فى الجزيرة العربية قريبة من خيبر سكانها من اليهود وأرسل النبي عليه السلام عليا لمحاربتهم ثم صالحهم على نصف ثمارهم .

بها يهود نسائلهم عن هذا الرجل فمالوا إلى اليهود فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمى العربى يركب الحمار ويجتزىء بالكِسْرَة[١] وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسبط فى عينيه حمرة مُشْرَبُ اللون[٢] فإن كان هو الذى دعاكم فأجيبوه وادخلوا فى دينه فإنا نحسده ولا نتبعه ولنا منه فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه أو قتله فقال ميسرة ياقوم إن هذا الأمر بين فأسلم ميسرة فى حجة الوداع ».

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن ابن رومان وعبد الله بن أبى بكر وغيرهما قالوا « جاء النبي صلى الله عليه وسلم كندة[٣] فى منازلهم فعرض نفسه عليهم فأبوا فقال أصغر القوم : ياقوم استبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تسبقوا إليه فوالله إن أهل الكتاب ليحدثونا أن نبيا يخرج من الحرم قد أظل زمانه فأبوا ».

أخرج أبو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثنى رجل من كندة يقال له يوسف عن أشياخ قومه قالوا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى فى منامه أنه ينصره أهل مدر ونخل ».

وأخرج أبو نعيم عن عروة « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايع الأنصار بالعقبة[٤] صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه بنو الأوس والخزرج

---

(١) يعنى يكتفى بالقطعة الصغيرة .
(٢) أى يخالط بياضه حمرة وهذا معنى الأمغر الوارد فى بعض الروايات .
(٣) قبيلة يمنية كانت تقطن جنوبى الجزيرة العربية فى الجاهلية منهم خزرج الحارث ملك الحيرة وشرحبيل والد امرىء القيس ومعديكرب القيس وإليهم ينتسب الكندى الفيلسوف وأبو العلاء المعرى وملوك المرية فى أسبانيا .
(٤) هى بيعة العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين من الأوس

تحالف على قتالكم[١] ففزعوا عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرعكم هذا الصوت فإنما هو عدو الله إبليس ليس يسمعه أحد ممن تخافون وبلغ قريشاً الحديث فأقبلوا حتى انهم ليطؤون على متاع أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم وما يبصرونهم فرجعوا »[٢] .

وأخرج أبو نعيم نحوه عن الزهرى .

وأخرج عن ابن اسحاق قال « لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة صرخ صارخ فى الجبل وهو إبليس يامعشر قريش إن كان لكم فى محمد حاجة فأتوه بمكان كذا وكذا من الجبل قد حالفه الذين يسكنون يثرب فنزل جبرئيل فلم يبصره أحد من القوم غير حارثة بن النعمان قال بعدما فرغوا يانبى الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بياض أنكرته قائماً على يمينك قال وقد رأيته ؟ قال نعم قال رأيت خيراً ذاك جبرئيل » .

وأخرج أبونعيم عن ابن عمر قال « لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

= والخزرج بايعوه فى خفية من قومهم ومن أهل مكة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وأزرهم فكان أول من بايعه تلك الليلة البراء بن معرور واختار منهم رسول الله اثنى عشر نقيبا يكونون كفلاء على قومهم وقال لهم وأنا كفيل على قومى .

(١) فى بعض الروايات أنه قال « يا أهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصبأة معه قد اجتمعوا على حربكم » فقال عليه الصلاة والسلام هذا أزب العقبة أما والله ياعدو الله لأتفرغن لك ثم أمرهم أن يرفضوا إلى رحالهم .

(٢) قال الإمام ابن القيم فى (زاد المعاد) « فلما أصبح القوم غدت عليهم جلة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا يا معشر الخزرج إنه بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة وواعدتموه أن تبايعوه على حربنا وأيم الله ماحى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمنا » الخ .

النقباء قال « لا يجدن امرؤ فى نفسه شيئاً إنما آخذ من أشار إليه جبرئيل عليه السلام »[١] .

باب ماوقع فى الهجرة من الآيات والمعجزات

أخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن جرير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله أوحى إلى أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهى دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين » .

وأخرج البخارى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين « قد أريت دار هجرتكم أرضا سبخة ذات نخل بين لابتين فهاجر من هاجر قِبَل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز أبو بكر مهاجراً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رِسْلِك[٢] فإنى أرجو أن يؤذن لى » .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال « أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة ، سبعا وثمانيا يرى الضوء ويسمع الصوت وأقام بالمدينة عشرا »[٣] .

---

(١) صريح هذا الحديث أنه عليه السلام هو الذى اختار النقباء بإشارة جبريل مع أن الذى وردت به الرواية أنه فوض إليهم هذا الأمر وقال لهم « أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا » فكان نقيب بنى النجار أسعد بن زرارة ونقيب بنى سلمة البراء ابن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ونقيب بنى ساعدة سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ونقيب بنى زريق رافع بن مالك بن عجلان ونقيب بنى الحارث ابن الخزرج عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع ونقيب القواقل عبادة بن الصامت ونقيب الأوس أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان ونقيب بنى عوف سعد بن خيثمة .

(٢) أى على مهلك والترسل التمهل .

(٣) بل الصحيح عن ابن عباس أنه مكث ثلاث عشرة سنة بمكة وعشرا بالمدينة .

وأخرج البيهقى عن ابن عباس « أن قريشا اجتمعت فى دار الندوة واتفقوا على قتله[1] فأتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم وأذن له عند ذلك بالخروج ».

وأخرج البيهقى عن ابن إسحاق قال: « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه ومعه حفنة تراب فجعل يَذرُّها على رؤسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ إلى قوله ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعلى وعائشة بنت أبى بكر، وعائشة بنت قدامة وسراقة بن جعشم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم جلوس على بابه ، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرها على رؤسهم ويتلو ﴿ يس ﴾ الآيات ومضى فقال لهم قائل : ماتنتظرون ؟

---

(١) روى أنهم لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر معهم إبليس فى صورة شيخ من نجد فقال بعضهم نثبته ونضع فى رجليه القيد ثم نتربص به ريب المنون الذى نزل بمن قبله من الشعراء فقال إبليس ليس هذا برأى فإن بنى عبد مناف لايدعونه حتى يخرجوه وقال آخر ننفيه من بلادنا فإذا خرج استرحنا منه فلا نبالى أين ذهب فقال إبليس أيضاً ليس هذا برأى لقد عرفتم حلاوة حديثه فلا تأمنون أن ينزل بقوم من العرب فيسحرهم فيتبعونه ثم يحاربونكم معه فقال أبو جهل لقد فرق لى فيه رأى ما أراكم وقعتم عليه أن نختار من كل قبيلة شابا جلدا وسيطا ونعطى كل واحد منهم سيفا صارماً حتى إذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى قريش كلها فلا تقدر بنو عبد مناف على الأخذ بالثأر يرضون بالدية فقال إبليس أصبت يافتى هذا هو الرأى ومصداق هذا قوله تعالى من سورة الانفال (وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

فالوا محمدا . قال قد والله مر بكم . قالوا والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤسهم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى غار ثور فدخلا وضربت العنكبوت على بابه بِعشَاش بعضها على بعض وطلبته قريش أشد الطلب حتى انتهت إلى باب الغار فقال بعضهم إن عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمد فانصرفوا » .

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظى قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنة من تراب ، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل يثير ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو ﴿يس﴾ الآيات » وذكر نحوه .

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن عائشة بنت قدامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لقد خرجت من الخوخة[١] متنكراً فكان أول من لقينى أبو جهل فعمى الله بصره عنى وعن أبى بكر حتى مضينا » .

وأخرج البيهقى عن ابن شهاب وعروة بن الزبير « أنهم ركبوا فى كل وجه يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم ويجعلون لهم الجعل العظيم[٢] وأتوا على ثور الجبل الذى فيه الغار ، الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم حتى طلعوا فوقه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم . فأشفق أبو بكر وأقبل عليه الهم والخوف ، فعند ذلك يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سكينة من الله »[٣] .

---

(١) الخوخة كوة تؤدى الضوء إلى البيت وتطلق أيضاً على الباب الصغير فى الباب الكبير .

(٢) يقال إنهم جعلوا لكل من يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حيين أو ميتين دية كل واحد منهما والدية مائة ناقة .

(٣) اختلف فى عود الضمير فى قوله تعالى (وأنزل الله سكينته عليه) فقيل =

وأخرج الشيخان عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار فقلت يارسول الله : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما »[١]

وأخرج أبو نعيم عن أسماء بنت أبى بكر « أن أبا بكر رأى رجلا مواجه الغار فقال يارسول الله : إنه لرائينا . قال : كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها فلم يلبث الرجل أن قعد يبول مستقبلهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا » .

وأخرج أبو يعلى نحوه من طريق عائشة عن أبى بكر .

وأخرج ابن سعد وابن مردويه والبيهقى وأبو نعيم عن أبى مصعب المكى قال : «أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله بشجرة فنبتت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار[٢] وأقبل فتيان قريش من كل بطنٍ رَجُلٌ بعصيهم وهراويهم وسيوفهم حتى إذا

= يعود على أبى بكر لأن الرسول كانت معه السكينة ، ورجح ابن كثير عوده على النبى عليه السلام لقوله بعد ذلك وأيده بجنود لم تروها وهو الصحيح .

(١) مثل هذا الحديث ينفى وجود شىء على فم الغار من نسج العنكبوت أوعش الحمام كما تزعم بعض الروايات إذ لو وجد شىء من ذلك لم يتمكنوا من رؤية من بداخل الغار .

(٢) الذى رواه كثير من أهل السير هو نسج العنكبوت ، وأما مسألة الشجرة والحمامتين فلم تذكرا إلا فى روايات ضعيفة جداً والله عز وجل قادر أن يحمى رسوله وأن يضلل عنه أبصار القوم من غير حاجة إلى شىء من ذلك .

كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم بقدر أربعين ذرعاً جعل رجل ينظر فى الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : مالك لا تنظر فى الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف أن الله قد درأ بهما عنه فدعا لهن النبى صلى الله عليه وسلم وسَمَّتَ عليهن[١] وفرض جزاءهن وانحدرن فى الحرم فأفرخ ذلك الزوج كل شىء فى الحرم » .

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن ابن عباس « أن المشركين تشاوروا ليلة بمكة فى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق[٢] ، وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم : بل أخرجوه فأخرجوه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فخرج تلك الليلة حتى لحق بالغار فلما أصبحوا اقتصوا أثره[٣] ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو كان دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه » .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدى حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه « أن النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل الغار ضرب العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، فلما انتهوا إلى فم الغار . قال قائل منهم ادخلوا الغار . قال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار[٤] إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت فقال إنها جند من جنود الله »[٥] .

---

(١) يقال سمت على الشىء أى ذكر اسم الله عليه .

(٢) الإثبات الحبس والوثاق القيد والمراد قيدوه واحبسوه .

(٣) يعنى تتبعوا أثر الأقدام فى الرمل .

(٤) يعنى أى حاجة لكم فى دخول الغار .

(٥) لايعقل أن ينهى الرسول عن قتل العنكبوت وهى من الحشرات القذرة =

وأخرج أبو نعيم في (الحلية) عن عطاء بن ميسرة قال : « نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت[1] يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار » .

وأخرج الشيخان عن أبي بكر قال : « طلبنا القوم فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك على فرس له فقلت يارسول الله : هـذا الطلب قد لحقنا ، قال : لا تحزن إن الله معنا ، فلما كان بيننا وبينه قيد رمح أو ثلاثة دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها فقال يا محمد قد علمت أن هـذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأُعَمِّيَنَّ على من ورائي من الطلب فدعا له فانطلق راجعاً »[2] .

وأخرج البخاري عن سراقة بن مالك قال : « خرجت أطلب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حتى إذا دنوت منه عثرت بي فرسي فقمت فركبت حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر

= التي تنسج بيوتها على حيطان البيوت فتقذرها ، وقد جاء في حديث ضعيف : أنه كان يأمر بقتل العنكبوت وكان يقال إنه مسخ .

(١) لعلها جالوت الذي هو عدوه وأما طالوت فكان قائد الجند الذي فيه داود .

(٢) لم يرو البخاري الحديث بهذا السياق ولا رواه عن أبي بكر ولكن روى عن ابن شهاب قال أخبرنا عبد الرحمن المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول « جاءنا كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره الخ » الحديث .

وروى كذلك عن أبي إسحق قال سمعت البراء رضي الله عنه قال « لما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك ابن جعشم فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه قال ادع الله لي ولا أضرك فدعا له » .

التلفت ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ الأثر يديها عثان[١] ساطع فى السماء مثل الدخان فناديتهما بالأمان فوقفا لى[٢] ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهما أنه سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج ابن أبى سعد والبيهقى وأبو نعيم عن أنس قال : « لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر التفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا نبى الله ، هذا فارس قد لحق بنا ، فقال : اللهم اصرعه ، فصرع عن فرسه، فقال : يا نبى الله مرنى بما شئت ، قال : تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا[٣] فكان أول النهار جاهداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار مسلحة[٤] له وفى ذلك يقول سراقة مخاطباً لأبى جهل :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه »

وأخرج ابن عساكر بسند واه[٥] عن ابن عباس قال : « كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار فعطش[٦] فقال له رسول الله صلى الله عليه

---

(١) عثان أى غبار .
(٢) الذى فى البخارى « فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم » .
(٣) لم يقل له تقف مكانك ولا يعقل ذلك بل قال له حين عرض عليهما الزاد والمتاع لا حاجة لنا بذلك ولكن عم عنا الطلب .
(٤) أى حارساً له .
(٥) بل باطل منكر .
(٦) الواقع أنهما حين أويا إلى الغار كان معهما من الزاد والماء ما يكفيهما مدة إقامتهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يوافيهما كل مساء بحلاب غنمه .

وسلم اذهب إلى صدر الغار فاشرب ، فانطلق أبو بكر إلى صدر الغار فشرب منه ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ، ثم عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن يخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب »[1] .

وقال البخارى : سمعت أبا محمد الكوفى قال : « لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يهاجر سمعوا صوتاً بمكة يقول :

فإن يسلم السعدان[2] يصبح محمد　　من الأمن لايخشى خلاف المخالف

فقالت قريش : لو علمنا من السعدان لفعلنا وفعلنا ، فسمعوا من القابلة وهو يقول :

فياسعد سعد الأوس إن كنت مانعاً　　ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف[3]
أجيبا إلى داعى الهـدى وتمنيا　　على الله فى الفردوس زلفة عارف

قال :سعد الأوس : سعد بن معاذ : وسعد الخزرجين سعد بن عبادة « أخرجه ابن عساكر من هـذا الطريق ، وأخرجه من طريق ابن أبى الدنيا ، أنبأنا أبى ثنا هشام بن محمد الكلبى حدثنا عبد المجيد بن أبى عبس عن أبيه عن جده قال : سمعت قريش صائحاً يصيح على أبى قبيس فذكر البيت الأول فقالوا من السعود ؟ سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم ، فلما كان فى الليلة الثانية سمعوا صوته على أبى قبيس فذكر البيتين وزاد :

---

(١) وهكذا يتخذ الوضاعون من حادث الهجرة العظيم مجالا لكذبهم وافترائهم كما يفعلون ذلك كلما سنحت لهم فرصة ولكن كذبهم لا يروج إلا على الأغرار .
(٢) المراد بهما سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج .
(٣) جمع غطراف وغطريف وهو السخى السرى أو الشاب الظريف أو السيد .

فإن ثواب الله للطالب الهـــدى جنانٌ من الفردوس ذات رفارف

فقالت قريش : هـــذا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، وأخرجه البيهقى والخرائطى نحوه .

وأخرج الزبير بن بكار فى الْمُوَفَّقِيَّات وأبو نعيم من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عبادة قال : « لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة فقضيت حاجتى ثم رجعت حتى إذا كنت ببعض الأرض نمت ففزعت من الليل بصائح يقول :

أبا عمرو تَأَوَّبَنِي السُّهُود وراح النوم وانقطع الهجود

ثم صاح آخر : يا خرعب ، ذهب بك اللعب ، إن أعجب العجب ، بين زهرة ويثرب ، قال : وما ذاك يا شاصب؟ قال نبى السلام ، بعث بخير الكلام ، إلى جميع الأنام ، فَأُخْرِجَ من البلد الحرام ، إلى نخيل وآطام ، ثم طلع الفجر فذهبت أنظر فإذا عظاءة[1] وثعبان ميتان ، قال : فما علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث »[2] .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق حُدِّثْتُ عن أسماء بنت أبى بـكر قالت : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين توجه حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغنى بأبيات شعر ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حَلاَّ خيمتى أم مَعْبَـــد

---

(١) العظاءة دويبة ملساء أصغر من الحرذون تمشى مشيا سريعا ثم تقف .

(٢) ولكنه حديث قصاص يصلح للسمر والتسلية وقد أورد للمؤلف سابقاً كثيراً من هذه الهواتف .

وأخرج البغوى وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبرانى والحاكم، وصححه والبيهقى وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام بن حُبَيْش بن خالد عن أبيه عن جده «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة خرج منها مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثى عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية وكانت بَرْزَةً[1] جَلْدَةً تحتبى بفناء القبة، ثم تسقى وتطعم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً[2] فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كِسْرِ[3] الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خَلَّفَهَا الْجُهْد[4] عن الغنم، قال: أبها من لبن؟ قالت: هى أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لى أن أحلبها؟ قالت إن رأيت بها حَلْباً فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها فى شاتها فَتَفَاجَّتْ[5] عليه ودرت ودعا بإناء يربض[6] الرهط فحلب فيه ثجًّا[7] حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم صلى الله عليه وسلم ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحلوا عنها فقل ما لبثت حتى جاء زوجها

(١) يقال برز يبرز برازة من باب كرم إذا فاق أصحابه فضلا أو شجاعة فهو بَرْز وهى بَرْزَة.

(٢) روى أنها قالت لهم لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى.

(٣) يقال كسر الخيمة أو البيت يعنى الجانب أو الناحية ويقال أيضاً للشقة السفلى من الخباء.

(٤) يعنى الضعف والهزال.

(٥) أى فتحت ما بين رجليها.

(٦) أى يرويهم.

(٧) الثج الانصباب بغزارة.

أبو مَعبد يسوق أعنزاً عِجَافاً(١) فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال(٢) ولا حَلُوبَ(٣) في البيت ؟ فقالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال : صِفِيه لى قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه ، حسن الخلْق لم تَعبه ثُجْلَةَ(٤) ولا تزريه صُعْلَةَ(٥) وسيم قسيم فى عينيه دَعَجٌ ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صَحَل وفى عنقه سطع(٦) وفى لحيته كثاثة(٧) أَزَجُّ أَقْرَنُ إن صَمَتَ فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلوا المنطق فَصْل لا نَزْرٌ(٨) ولا هَذَرَ(٩) كأن منطقه خرزات نظمن رَبْعَةٌ لا بائن من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يَحُفُّونَ به ، إن قال : أنْصَتُوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود(١٠) لا عابس ولا معتد ، فقال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

---

(١) أى مهازيل .

(٢) يقال شاة حئول وحيال أى لم تحمل .

(٣) الحلوب والحلوبة التى تعطى حليبا .

(٤) الثجلة عظم البطن .

(٥) يقال رجل أصعل إذا كان دقيق الرأس والعنق ، والأنثى صعلاء .

(٦) أى طول .

(٧) الكثاثة : غزارة الشعر .

(٨) النزر التافه والقليل .

(٩) الهذر سقط الكلام الذى لا يعبأ به .

(١٠) هو الذى يخف الناس إلى خدمته لأنه مطاع فيهم .

جزى الله رب الناس خير جزائه   رفيقين قالا[١] خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت[٢] به   فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصى مازوى الله عنكم   به من فِعَال لاتُجَازى وسُؤْدَدِ
لِيُهن بنى كعب مُقَامُ فتاتهم   ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها   فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت   له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها بحالب   يرددها فى مصدر ثم مَوْرِدِ

قوله : برزة يريد أنه خَلاَ لها سن فهى تبرز ليست كالصغيرة المحجوبة[٣] قوله : كسر الخيمة يريد جانبا منها وتفاجت : فتحت ما بين رجليها للحلب ويربض الرهط : يرويهم حتى يثقلوا . والرهط : مابين الثلاثة إلى العشرة وثجاً أى سيلا . وعلاه البهاء أى علا الإناء بهاء اللبن وهو وبيص رغوته ، وأراضوا : شربوا . وعازب : أى بعيد فى المرعى وثجلة أى رقة[٤] . وصعلة الخاصرة تعنى أنه ضرب ليس بنا حل ولا منتفخ . والوسيم : الحسن الوضىء ، وكذلك القسيم . والعطف : انعطاف الأشفار[٥] وسطع أى طول . إن تكلم سما أى علا برأسه أو يده . لانزر ولا هذر أى وسط لا قليل ولا كثير . لاتقتحمه : لاتحتقره ولا تزدريه ، ومحفود أى مخدوم ، ومحشود أى محفوف ، حشده أصحابه : أطافوا به . لا عابس : أى فى الوجه ، ولا معتد من الاعتداء

---

(١) المحفوظ حلا من الحلول .
(٢) المحفوظ أيضا هما نزلا بالبر وارتحلا به .
(٣) ليس هذا معنى الكلمة فى اللغة وقد قدمنا الكلام عليها .
(٤) قدمنا أن الثجلة هى عظم البطن .
(٥) قلنا إن صحته وطف وهو غزارة شعر العين .

وهو الظلم . والصريح . الخالص . والضرة لحم الضرع . وقوله فغادرها رهناً لديها بحالب . يريد أنه خلف الشاة مرتهنة لأن تَدِرَّ .

وأخرج ابن سعد والبغوى وأبو نعيم من طريق الحُرِّ بن الصباح عن أبى معبد الخزاعى مثله بطوله .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدى حدثنى حزام بن هشام عن أبيه عن أم معبد قالت « بقيت الشاة التى لمس ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة[1] زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكنا نحلبها صَبُوحا وَغَبُوقاً ومافى الأرض قليل ولا كثير »[2] .

وأخرج البيهقى وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحيا فقصد إليه فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة وذلك عند المساء فجاء ابن لها بأعنز يسوقها فقالت له انطلق بهذه العنز إلى هذين الرجلين ليذبحاها ويأكلا ، فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح فقال إنها قد عزبت وليس لها لبن ، قال : انطلق فانطلق ، فجاء بقدح فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك فشربت حتى رويت ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئنى بأخرى : ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبى صلى الله

---

(١) هو قحط أصاب الجزيرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وجهد الناس فيه جهداً شديداً ، وظهرت فيه عظمة عمر وشدة تقديره للمسئولية حيث أبى الا أن يشارك الناس فى محنتهم وحرم اللحم على نفسه وأكل الزيت حتى اسود جلده وكان إذا قرقر بطنه من الزيت يقول « قرقر ما شئت فلن تطعم إلا الزيت حتى يخصب المسلمون .

(٢) الصبوح ما يحلب فى الصباح ، والغبوق ما يحلب فى المساء .

عليه وسلم قال فبتنا : ليلتنا ثم انطلقنا فكانت تسميه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة » . قال البيهقى الظاهر أن هذه المرأة أم معبد.

وأخرج أبو يعلى والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم عن قيس ابن النعمان قال « لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ماعندى شاة تحلب غير أن ههنا عَنَاقا حملت أول الشتاء ، وقد أخرجت وما بقى لها لبن فقال ادع بها فدعابها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضَرْعها ودعا، وجاء أبو بكر رضى الله عنه بِمِجَنٍّ فحلب وسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب ، فقال الراعى : من أنت ؟ فو الله مارأيت مثلك قط ، قال محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش أنه صابىء ؟ قال إنهم ليقولون ذلك ، قال فأشهد أنك نبي وأنما جئت به حق ، وأنه لايفعل مافعلت إلا نبى »[1] .

وأخرج أبو نعيم عن مالك بن أوس الأسلمى قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه مروا بإبل لنا بالجحفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لمن هذه الإبل ؟ قال لرجل من أسلم فالتفت إلى أبى بكر فقال سلمت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ قال مسعود فالتفت إلى أبى بكر فقال سعدت إن شاء الله »[2] .

---

(١) يظهر أن القصاص اتخذوا من حكاية أم معبد قولا ينسجون عليه ما شاء لهم الخيال من قصص الحلب والشياه . ومما يدل على اختراع هذه القصة قوله للراعى حين سأله من أنت (محمد رسول الله) مع أن الثابت أنه عليه السلام لم يكن يصرح باسمه فى هذه الرحلة وأن أبا بكر كان إذا سئل عنه يقول هو يهديني السبيل .

(٢) وكان عليه السلام يعجبه الفأل ويستبشر به .

وقد ورد فى قصة الحديبية أنه لما رأى سهيل بن عمرو مقبلا قال للمسلمين « أبشروا سهل أمركم » .

وأخرج الزبير بن بكار فى (أخبار المدينة) عن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه قال « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الْهَدْم[١] فصاح كلثوم بغلام له يانجيح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجحت يا أبا بكر »[٢].

وأخرج البخارى عن ابن عباس « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » قال إلى مكة[٣].

وأخرج الحاكم والبيهقى عن أنس قال « شهدت يوم دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوماً أحسن ولا اضوأ منه »[٤].

وأخرج ابن سعد عن أنس قال (لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء.

وأخرج البيهقى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فاستناخت به راحلته فأتاه الناس فقالوا يا رسول الله المنزل فانبعثت به راحلته فقال« دعوها فإنها مأمورة ثم خرجت به حتى جاءت به موضع المنبر فاستناخت[٥].

---

(١) يعنى فى قباء قبل أن يدخل المدينة وقد أقام بها أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء الذى هو أول مسجد أسس بعد النبوة.

(٢) ورد النهى عن تسمية الغلمان بهذه الأسماء مثل أفلح ويسار ونجيح وعلل النبي عليه السلام النهى عن ذلك بأنه يقال أثم هو فيقال لا فيكون فألا سيئاً.

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير قال حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا يعلى حدثنا سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس.

(٤) بقية الحديث « وشهدت يوم موته فما رأيت يوماً أظلم ولا أعبس منه ».

(٥) كان عليه السلام كلما مربدار من دور الأنصار أخذوا بزمام ناقته وقالوا =

وأخرج البيهقى عن أنس قال « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما دخل جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا إلينا يا رسول الله فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جَوَارٍ من بنى النجار يضربن بالدُّفُوف وهُنَّ يقلن :

نحن جَوَارٍ من بنى النجار ياحبذا محمد من جار

وأخرج البيهقى عن عائشة قالت : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن .

طلع البدر علينا من ثَنِيَّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (١)

وأخرج الحاكم والبيهقى عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرّة فإما أن تكون هَجَر وإما أن تكون يثرب، قال: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر وكنت قد هممت بالخروج معه فَصَدَّنى فتيان من قريش فجعلت ليلتى

= هلم إلينا يارسول الله على الرحب والسعة . فيقول لهم :خلوا الناقة فإنها مأمورة فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم فبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول فنزل عنها ، وكان ذلك فى بنى النجار أمام دار أبى أيوب .

(١) يرجح ابن القيم أن هذه الأبيات إنما كان يتغنى بها الولائد والنساء والصبيان عند قفوله عليه السلام من غزوة تبوك ثم يقول « وبعض الرواة يهم فى هذا ويقول إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام لايراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولايمر بها إلا إذا توجه إلى الشام » .

تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكياً فناموا فلحقنى منهم ناس بعد ماسرت بَرِيداً ليردونى فقلت لهم هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلى؟ ففعلوا فسقتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب ، فإن تحتها الأواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآنى قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا ، فقلت يارسول الله ماسبقنى إليك أحد وما أخبرك إلا جبرئيل عليه السلام[١] .

باب

اجتماع اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وسؤالهم له ومعرفتهم صدقه

أخرج ابن سعد والترمذى والحاكم وصححاه وابن ماجة والبيهقى عن عبد الله بن سلام قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس[٢] قِبَلَه فجئت فى الناس لأنظر إلى وجهه فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شىء سمعت منه أن قال : يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام[٣] وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وأخرج البخارى عن أنس قال « سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله

---

(١) وروى أنه نزل فى صهيب قوله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد) .

(٢) أى أسرعوا نحوه .

(٣) يعنى أشيعوه بأن يسلم بعضكم على بعض ، وفى الحديث « سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ، ما أول أشراط الساعة [١] وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ؟ قال أخبرنى بهن جبرئيل آنفا ، أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد ، الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه [٢] ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يارسول الله إن اليهود قوم بُهْتٌ وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى فجاءت اليهود إليه ، قال : أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال أرأيتم إن أسلم ؟ قالوا أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، قالوا شَرُّنا وابنُ شَرِّنا ، وانتقصوا قال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله » .

وأخرج البيهقى عن عبد الله بن سلام قال « لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيئته والذى كنا نتوكف له [٤] فكنت مسرا لذلك صامتاً عليه حتى قدم المدينة فأخبر رجل بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدومه كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت قلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران ، بعث بما بعث به فقالت يا ابن أخى أهو النبى الذى نخبر به أنه يبعث مع الساعة ؟ قلت لها نعم ، ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وذكر نحو ما تقدم .

---

(١) أى علاماتها القريبة .
(٢) يعنى أشبهه .
(٣) جمع بهوت بفتح الباء وهو الذى يبهت السامع بما يفترى عليه من الكذب .
(٤) أى ننتظر ظهوره .

وأخرجه البيهقى من مرسل سعيد الْمَقْبُرِى نحوه وزاد أنه سأله عن السواد الذى فى القمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنهما كانا شمسين قال الله ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ فالسواد الذى فيه هو المحو[1] فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن صفية بنت حُيَيٍّ[2] قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب ، ثم رجعا فسمعت عمى يقول لأبى أهو هو ؟ قال نعم ، والله قال تعرفه بعينه وصفته ؟ قال نعم ، والله قال فماذا فى نفسك منه ؟ قال عداوته والله مابقيت أبداً » .

وأخرج الحاكم وصححه عن عوف بن مالك قال انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخل كنيسة اليهود فقال « يا معشر اليهود أرونى اثنى عشر رجلا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودى تحت أديم السماء الغضب الذى غضب عليهم[3] قال فأسكتوا فما أجابه منهم

---

(١) هذه الزيادة غير صحيحة ولكن روى ابن جريج عن ابن عباس قال « كان القمر يضىء كما تضىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار (فمحونا آية الليل) أى السواد الذى فى القمر » وكذلك روى ابن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين ما هذه اللطخة التى فى القمر ؟ فقال ويحك أما تقرأ القرآن ؟ « فمحونا آية الليل » فهذا محوه .

(٢) إحدى أمهات المؤمنين كانت تحت رجل من يهود خيبر يقال له كنانة فضرب الرسول عنقه بأمر أحل دمه وسبي أهله وتزوجها وتوفيت سنة ست وثلاثين.

(٣) القاعدة فى الإسلام أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، فليس إسلام اثنى عشر رجلا من اليهود برافع غضب الله ولعنته عمن بقى منهم على ظلمه وكفره ، وهكذا عودنا الحاكم أن يأتى بالأعاجيب . وقد قلنا فيما سبق ليته سمى مستدركه مستركا ليريحنا من بلاياه .

أحد ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد ، فقال أبيتم فوالله لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبى المصطفى ، آمنتم أو كذبتم . ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج فإذا رجل من خلفنا يقول كما أنت يامحمد ، فأقبل فقال ذلك الرجل : أى رجل تعلمونى فيكم يامعشر اليهود؟ قالوا : والله ما نعلم أنه كان فينا رجل اعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك ، قال فإنى أشهد له بالله أنه نبى الله الذى تجدونه فى التوراة ، فقالوا كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا شراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتم لن يقبل الله قولكم وأنزل الله فيه ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ (١) الآية » .

وأخرج أحمد والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس قال « جاءت عصابة من اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنها ، لايعلمها إلا نبى أخبرنا عن الطعام الذى حرم إسرائيل على نفسه ، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون منه الذكر وكيف تكون منه الأنثى ؟ وأخبرنا كيف النبى فى القوم ؟ فقال أنشدكم بالله هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً ، طال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، فحرم ألبان الإبل ولحمان الإبل ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال أنشدكم بالله هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ؟ قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم بالله هل تعلمون هذا النبى ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم » .

وأخرج البيهقى عن أبى ظبيان قال حدثنا أصحابنا أنهم بينما هم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فاعترضهم يهودى ، فقال : يا أبا القاسم إنى أسألك عن

---

(١) الآية مكية والخطاب للمشركين يقول الله عز وجل لهم ، أخبرونى ما شأنكم إن كان هذا الكتاب الذى جئتكم به قد أنزله على لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه ، وقد شهد بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء .

مسألة لا يعلمها إلا نبى من أى المائين يكون الولد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وددنا أنه لم يسأله ، ثم عرفنا أنه قد تبين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما نطفة الرجل فبيضاء غليظة فمنها العظام والعصب وأما نطفة المرأة فحمراء رقيقة فمنها اللحم والدم فقال أشهد أنك رسول الله » .

وأخرج أحمد والبزار والطبرانى عن ابن مسعود قال « مر يهودى بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش : يايهودى إن هذا يزعم أنه نبى[1] قال لاسألنه عن شىء لايعلمه إلا نبى ، فقال : يامحمد مم يخلق الإنسان ؟ قال يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، أما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال اليهودى هكذا كان يقول من قبلك »[2] .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال « بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب[3] فمررنا بنفر من اليهود ، فقال بعضهم سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه عسى أن يخبر فيه بشىء تكرهونه ، فسألوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننت أنه يوحى إليه فلما انجلى عنه قال ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ الآية . قال أبو نعيم قيل إن من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المنزلة

---

(١) لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يجلس إلى أصحابه بمكة ظاهرا يحدثهم ويعلمهم ، وإنما كان ذلك بالمدينة فى مسجده وما كانت قريش فى عتوها وكبريائها لتسمح بذلك وهى التى كان تطارد المسلمين فى الشعاب وتسومهم سوء العذاب .

(٢) عجباً لهؤلاء الرواة يخترعون من الحكاية الواحدة عشرات الحكايات وكلها تدور حول موضوع واحد ولكن تختلف الرتوش والتزويقات .

(٣) هو جريدة النخل التى كشط خوصها .

أنه إذا سئل عن الروح فوض العلم بحقيقتها إلى منشئها وبارئها ، وأمسك عما خاضت الفلاسفة وأهل المنطق القائلون فيها بالحدس والتخمين [١] ، فامتحنته اليهود بالسؤال عنها ليقفوا منه على نعته المثبت عندهم فى كتابهم فوافق جوابه ما ثبت فى كتبهم » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابن صوريا : أنشدك بالله هل تعلم أن الله حكم فى التوراة فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم ؟ فقال : اللهم نعم أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبى مرسل ولكنهم يحسدونك [٢] » .

وأخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه ، والبيهقى وأبو نعيم عن صفوان بن عسال قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى نسأله عن هذه الآية ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فسألاه فقال : « لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ، وأنتم يا يهود عليكم خاصة لا تعدوا فى السبت ، فقبلا يده ورجله وقالا : نشهد أنك نبى فقال : ما منعكما أن تسلما ؟ فقالا إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبى وإنا نخشى أن تقتلنا اليهود [٣] » .

---

(١) نعم إن كل ما قالوه فى حقيقة الروح وجوهرها فهو تخرص ورجم بالغيب ، فإنها مما استأثر الله عز وجل بعلمه .

(٢) الذى جاءت به الروايات هو إقرار ابن صوريا بأن الرجم موجود فى التوراة ولكن إقراره بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير صحيح وغير معقول . فإنه من علماء اليهود كابن سلام ، فلو أقر بذلك للزمته الحجة وكان بذلك الإقرار قد فارق دين قومه ، كيف ومعلوم أن ابن صوريا من كبار المعاندين للاسلام .

(٣) قال ابن كثير بعد ما روى هذا الحديث « وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة فى حفظه شىء وقد تكلموا فيه . ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات =

وأخرج مسلم عن ثوبان قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من اليهود فقال : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس إجازة؟[١] قال : فقراء المهاجرين قال : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد نون قال : فما غداؤهم على إثره ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا قال : صدقت، قال : وجئت أسأل عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان ، جئت أسأل عن الولد قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله . قال اليهودى : صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : إنه سألنى هذه الذى سألنى عنه ، وما أعلم شيئاً منه حتى أتانى الله به » .

وأخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والبزار ، والحاكم ، والبيهقى ، وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : « أتى النبى صلى الله عليه وسلم يهودى فقال : يا محمد أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ فلم يجبه بشىء ، فنزل جبرئيل فأخبره فبعث إلى

= فإنها وصايا فى التوراة لاتعلق لها بقيام الحجة على فرعون » .

إلى أن قال « فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هى ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التى فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وليس المراد منها كما ورد فى هذا الحديث فإنها وصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وما جاءهم هذا الوهم إلا من قبل عبد الله ابن سلمة فإن له بعض ما ينكر والله أعلم » .

(٣) أى عبورا على الصراط .

اليهودى ، فلما جاءه قال : أتسلم إن أخبرتك ؟ قال : نعم قال : حرثان ، وطارق والذيال، والكتفان وذو الفرع، ووثاب، وعمودان، وقابس والضروح والمصبح والفيلق ، والضياء ، والنور رآها فى أفق السماء ساجدة له فقال : اليهودى هذه والله أسماؤها » (١) .

وأخرج البيهقى من طريق الكلبى عن صالح أبى عن ابن عباس «أن حبرا من اليهود دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف ، فقال : يا محمد من علمكها ؟ قال : الله علمنيها ، فعجب الحبر لما سمع منه ، فرجع إلى اليهود فقال لهم : والله إن محمداً ليقرأ القرآن كما أنزل فى التوراة . وانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ، ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف فتعجبوا منه وأسلموا عند ذلك» (٢) .

وأخرج البيهقى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود « إن كنتم صادقين فى مقالتكم ، إن الجنة خاصة لكم من دون الناس فقولوا اللهم أمتنا فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا ذلك وكرهوه فنزل ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾ الآية» .

---

(١) قال ابن كثير « تفرد به الحكم بن ظهير الفزارى وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون . وقال الجرجانى : ساقط هو صاحب حديث حسن يوسف، وقد ذكر ابن كثير أسماء هذه النجوم بما يختلف قليلا عما هنا فقال جريان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكتفين ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح والضروح ، والفرخ » .

(٢) أبو صالح عن ابن عباس أحد الكذابين .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند عن جابر بن سمرة قال : « جاء جُرْمُقَانِى[١] إلى أصحاب محمد فقال : أين صاحبكم هذا الذى يزعم أنه نبى ؟ لئن سألته لأعلمن نبي هو أو غير نبي ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الجرمقانى : اقرأ على ، فتلا عليه آيات من كتاب الله فقال الجرمقانى : هذا والله الذى جاء به موسى » .

باب رفع الوباء والحمى والطاعون عن المدينة معجزة له صلى الله عليه وسلم

وأخرج الشيخان عن عائشة قالت : « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أوبأ أرض الله[٢] فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا ، وأنقل حماها إلى الجحفة »[٣] .

وأخرج البيهقى عن هشام بن عروة قال : « كان وباء المدينة معروفا

(١) واحد الجرامقة وهم قوم من العجم .

(٢) يعنى أشدها وباءاً .

(٣) هذا جزء من حديث رواه البخارى عن عائشة قالت « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله ، وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بمكة عندى أذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حبب إلينا الخ » .

في الجاهلية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن تنقل حماها إلى الجحفة فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى » .

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مَهْيَعَة فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة وهي الجحفة »(١) .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على أنقاب(٢) المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال » قال بعض العلماء هذه معجزة له صلى الله عليه وسلم لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا عن أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد بل عن قرية من القرى ، وقد امتنع الطاعون من المدينة بدعائه وخبره صلى الله عليه وسلم هذه المدة المتطاولة .

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن طلحة ابن عبد الرحمن عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وُعِكَ فيها أصحابه ، وقدم رجل فتزوج امرأة كانت مهاجرة(٣) ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر :

---

(١) قال في النهاية « مهيعة اسم الجحفة وهي ميقات أهل الشام وبها غدير خم وهي شديدة الوخم . قال الأصمعي لم يولد بغدير خم أحد فعاش إلى أن يحتلم ، إلا أن يتحول منها .

(٢) جمع نقب بضم النون وهو الطريق .

(٣) هذه المرأة هي أم قيس وتزعم الرواية أن رجلا خطبها فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر وتزوجها ، فكان يقال له مهاجر أم قيس ويجعلون هذه الرواية سببا للحديث مع أن معنى الحديث لا يتوقف عليها بل هو يرسم قاعدة عامة باعتبار النية أساسا في كل عمل ، وأن ثواب العمل على قدر ما يتوفر فيه من إخلاص وبعد عن الشوائب ، =

فقال يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات ثلاثا ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته فى دنيا يطلبها ، أو امرأة يخطبها ، فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه(١) ثم رفع يديه فقال : اللهم انقل عنا الوباء ثلاثا ، فلما أصبح قال : أتيت هذه الليلة بالحمى ، فإذا بعجوز سوداء ملببة(٢) فى يدى الذى جاء بها فقال : هذه الحمى فما ترى فيها ؟ فقلت : اجعلوها بخم » .

وأخرج الزبير أيضاً حدثنى محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فجاءه إنسان قدم من ناحية طريق مكة فقال : له هل لقيت أحداً ؟ قال : لا يا رسول الله إلا امرأة سوداء عريانة ثائرة الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم أبداً »(٣) .

باب الآية فى وضع البركة فيها

أخرج الشيخان عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ، ودعوت لها فى مُدِّهَا وصاعها مثلى ما دعا إبراهيم لمكة » .

وأخرج البخارى فى تاريخه عن عبدالله بن عباس قال قال النبى صلى الله

= ثم يفرع على هذا أن من أخلص فى هجرته ولم يقصد بها إلا وجه الله ونصر رسوله فهجرته مقبولة مرضية ، وأما من أراد بها حظا من حظوظ الدنيا من امرأة أو مال فهذا هو ثواب هجرته ولا ثواب له عند الله .

(١) الحديث إلى هذا القدر مشهور من رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) يقال لبب فلان فلانا أخذ بتلابيبه .

(٣) قد يعقل أن ترى الحمى فى المنام على هيئة امرأة سوداء الخ أما أن ترى فى اليقظة سائرة فى الطريق فهذا خيال المحمومين .

عليه وسلم « أدعوك[١] لأهل المدينة مثل مكة ، قال عبد الله إنا لنعرف ذلك إنه ليجزىء المد عندنا والصاع مثل مايجزىء بمكة .

وأخرج الزبير بن بكار فى (أخبار المدينة) عن إسمعيل بن النعمان قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال « اللهم اجعل نصف أكراشها مثل مَلْئها فى غيرها من البلاد[٢] » .

باب ما وقع عند بناء المسجد من الآيات

وأخرج الزبير بن بكار فى (أخبار المدينة) عن نافع بن جبير بن مطعم قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماوضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت لى الكعبة فوضعتها أَمًّا[٣] .

وأخرج أيضاً عن داود بن قيس أنه بلغه «أن النبى صلى الله عليه وسلم وضع أساس المسجد حين وضعه وجبرئيل قائم ينظر إلى الكعبة قد كشف ما بينه وبينها » [٤] .

---

(١) الخطاب لله عز وجل .
(٢) معناه أنها تأكل فى أنصاف بطونها فتشبع كما يشبع غيرها إذا ملأ بطنه .
(٣) المعروف أنه صلى الله عليه وسلم جعل قبلة مسجده إلى بيت المقدس وأنه منذ هاجر كان يصلى قبل بيت المقدس وأنه مكث ستة عشر شهراً كذلك إلى أن أمر بالتحول إلى الكعبة قبل بدر بشهرين .
وقوله أمها بفتح الهمزة وتشديد الميم أى مقابلها .
(٤) ولماذا هذا التكلف وجهة مكة معروفة لأهل المدينة وإصابة عين الكعبة ليس بلازم لمن كان بعيداً عنها وهل كل من بنى مسجداً لابد أن يكشف مابينه وبين الكعبة حتى يراها ؟ أليس هذا هو التنطع الذى قال الرسول فى أهله : « هلك المتنطعون » .

وأخرج أيضاً عن ابن شهاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماوضعت قبلة مسجدى هذا حتى فُرِج لى ما بينى وبين الكعبة » .

وأخرج أيضاً عن الخليل بن عبدالله الأزدى عن رجل من الأنصار « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبرئيل فقال ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ثم قال بيده فانماط[1] كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الكعبة لايحول دون بصره شىء فلما فرغ قال جبرئيل بيده فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها » هذه مراسيل يشد بعضها بعضاً[2]

وأخرج الطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات عن الشَّمُوس بنت النعمان قالت « نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد ـ مسجد قباء ـ فرأيته يأخذ الحجر حتى يهصره الحجر[3] حتى أسسه ويقول إن جبرئيل هو يؤم الكعبة » .

وأخرج الزبير بن بكار فى (أخبار المدينة) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو بنى مسجدى هذا إلى صنعاء كان مسجدى »[4] .

---

(١) أى انزاح .

(٢) بل كلها مراسيل مخالفة للواقع ومجافية لروح الدين ، الذى قام على اليسر ورفع الحرج فهى كلها لاتساوى شروى نقير .

(٣) يقال هصره يهصره هصراً جذبه وأماله .

(٤) يعنى لو وسعت حدوده حتى بلغت صنعاء لم يخرج بذلك عن نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الزركشى فى (أحكام المساجد) إن صح هذا كان من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم [١] .

باب ما وقع فى صرف القبلة من الخصائص

أخرج ابن سعد عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصرف إلى الكعبة فقال ياجبرئيل وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود ، فقال جبرئيل إنما أنا عبد فادع ربك وسله ، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء فنزلت عليه ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبله ترضاها ﴾ » .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال « ما خالف نبى نبياً قط فى قبلة ولا فى سنة [٢] إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس من حيث قدم المدينة ستة عشر شهراً ثم تحول إلى الكعبة » .

باب ما وقع فى الأذان [٣] من الآيات

أخرج أبو داود والبيهقى من طريق ابن أبى ليلى قال : حدثنا أصحابنا أن

---

(١) الحديث غير صحيح قطعاً ولو فرضت صحته فما وجه كونه من أعلام النبوة ، هل هو إخباره عليه السلام بأن الإسلام سيمتد إلى صنعاء ؟ فلعله قال هذا بعد إسلام أهل اليمن ، بل هو إن صح كان إثباتا لحكم يتعلق بمسجده والكلام على الغرض والتقدير .

(٢) كيف والله يقول (ولكل وجهة هو موليها) ويقول (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ألا إنها نزعة يهودية من محمد بن كعب ما كنا نود أن يتورط فيها .

(٣) الأذان اسم مصدر من التأذين بمعنى الإعلام وهو فى لسان الشرع النداء

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لقد هممت أن أبعث رجالا فى الدور ينادون الناس بحين الصلاة(١) وحتى هممت أن آمر رجالا يقومون على الآطام ينادون المسلمين بحين الصلاة ، فجاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله إنى لما رجعت لما رأيت من اهتمامك رأيت رجلا كان عليه ثوبين أخضرين فقام على المسجد فأذن ثم قعد قعدة ، ثم قام فقال مثلها، إلا أنه يقول قد قامت الصلوة ولولا أن تقولوا لقلت كنت يقظان غير نائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أراك الله خيراً فمر بلالا فليئوذن ،فقال عمر :أما إنى رأيت مثل الذى رأى ولكنى لما سبقت استحييت »(٢).

وأخرج ابن ماجة عن عبدالله بن زيد قال :«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همَّ بالبوق وبالناقوس فرأيت فى المنام رجلا عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فقلت له ياعبد الله تبيع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت أنادى به إلى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك تقول: الله أكبر الله أكبر فذكر الأذان فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فجاء عمر فقال . والله لقد رأيت مثل الذى رأى وقال عبد الله بن زيد فى ذلك :

= الصلاة بالألفاظ المعروفة ، وقد شرع الأذان فى السنة الثانية من الهجرة وذلك أن رجلا من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبدربه رآه فى المنام فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلمه بلالا ،وكانوا قبل ذلك قد فكروا فى شىء يجمعهم للصلاة فأشار بعضهم بأن يتخذوا بوقا كبوق اليهود ، وقال آخرون : بل ناقوسا كناقوس النصارى ، حتى رأى ابن زيد ما رأى .

(١) أى وقتها .

(٢) فى بعض الروايات فخرج عمر يجر رداءه فما راعه إلا أذان بلال فقال النبى صلى الله عليه وسلم :لقد طاف بى مثل الذى طاف به .

أحمد الله ذا الجلال وذا الإكـــرام حمداً على الأذان كثيرا
إذ أتانى به البشير من الله فأكرم به لدى بشيراً
فى ليال والى بهن ثلاث كلما جاء زادنى توقيرا (١)

وأخرج الطبرانى فى (الأوسط) عن بريدة أن رجلا من الأنصار أتاه آت فى النوم فعلمه الأذان ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أخبر بمثل ماأخبرت به أبو بكر (٢) فمروا بلالا أن يؤذن(٣) .

وأخرج ابن أبى أسامة فى مسنده عن كثير بن مرة الحضرمى قال « أول من أذن بالصلاة جبرئيل فى السماء الدنيافسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له : قد سبقك بها عمر » .

وأخرج أبو داود فى المراسيل عن عبيد بن عمير أن عمر لما رآى الأذان جاء ليخبر النبى صلى الله عليه وسلم فوجد الوحى قد ورد بذلك ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « سبقك الوحى » (٤) .

---

(١) ليس فى الروايات مايدل على أنه رأى ذلك فى ثلاث ليال متوالية ، ولم يكن هو ليصبر حتى يعاوده الطيف ثلاثا ، وهو يعلم أن النفوس متلهفة إلى شىء يكون وسيلة للاعلام بالصلاة .

(٢) هذا وهم كبير من قائله فإن أبا بكر لم يرد له ذكر فى روايات الأذان ، ولعله أراد عمر فسبق وهمه إلى أبى بكر .

(٣) هذا أثر لا يصح لمخالفته الروايات الصحيحة المتقدمة .

(٤) لاتعارض بين هذا وبين رؤية عبد الله بن زيد للأذان لجواز أن يكون الوحى قد نزل به بعد ذلك ، تأكيداً لصدق الرؤيا ، فلما جاء عمر كان الوحى قد سبقه به .

وأخرج البيهقى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال « كان رجل من اليهود إذا سمع المنادى ينادى بالأذان قال : أحرق الله الكاذب . فبينا هو كذلك إذ دخلت جاريته بشعلة من نار فطارت شرارة منها فى البيت فالتهبت فى البيت فأحرقته »(١) .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر قال (كان ابن أم مكتوم(٢) يتوخى الفجر فلا يخطئه وكان ضريراً »(٣) .

وأخرج مسلم عن سهيل بن أبى صالح قال أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف على الحائط فلم ير شيئاً فذكرت ذلك لأبى فقال إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة فإنى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان إذا نودى بالصلاة ولى وله حُصَاص »(٤) .

وأخرج البيهقى عن عمر بن الخطاب قال : « إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإذا ذالك لا يضره(٥) » .

---

(١) هذا غير معقول لأن اليهودى يعلم أنه هو الكاذب وأن كفرهم إنما كان سببه البغى والحسد ، فكيف إذاً يدعو على نفسه وقد علمت حال رواية الكلبى عن أبى صالح فهى أحد سلاسل الكذب .

(٢) هو عبد الله بن أم مكتوم الذى نزل فيه قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » الآيات وكان أول من هاجر إلى المدينة هو ومصعب بن عمير وكان النبى صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستخلفه على المدينة إذا خرج للغزو .

(٣) وقد ورد فى الصحيح أنه كان لا ينادى حتى يقال له أصبحت أصبحت .

(٤) أى ضراط كما صرح به فى الصحيح .

(٥) قال فى النهاية « الغول أحد الغيلان وهى جنس من الجن والشياطين كانت =

وأخرج البيهقى عن الحسن « أن عمر بعث رجلا إلى سعد بن أبى وقاص، فلما كان ببعض الطريق عرضت له الغول فأخبر سعداً فقال إنا كنا نؤمر إذا تغولت لنا الغول أن ننادى بالأذان فلما رجع إلى عمر عرض له ليسير معه فنادى بالأذان فذهب عنه فإذا سكت عرض له فإذا أذن ذهب عنه » .

= العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس ، فتتغول أى تتلون فى صور شتى وتغولهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبى صلى الله عليه وسلم وأبطله وقيل قوله « لا غول » ليس نفيا لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب فى تلونه بالصور المختلفة واغتياله فيكون المعنى بقوله « لا غول » أنها لا تستطيع أن تضل أحداً ويشهد له الحديث الآخر « لاغول ولكن السعالى » والسعالى سحرة الجن أى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل .

ذكر المعجزات الواقعة فى الغزوات

باب ماوقع فى غزوة بدر من الآيات والمعجزات

قال تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ الآيات . وقال ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآيات . وقال ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ﴾ الآيات .

وأخرج البخارى والبيهقى عن ابن مسعود ، قال « انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف بن صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقتَ فطفتَ ، قال : فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال : من هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد بن معاذ أنا سعد ، فقال : أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فتلاحيا[1] فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم ، فإنه سيد أهل هذا الوادى، فقال له سعد : والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك بالشام فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ويسكته ، فغضب سعد فقال: دعنا عنك فإنى سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم[2] أنه قاتلك ، قال : إياى ؟ قال نعم . قال والله ما يكذب محمد إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال أخى اليثربى ؟ قالت . وما قال ؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلى. قالت فوالله مايكذب محمد » فلما خرجوا لبدر وجاء الصريخ قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربى ؟

---

(١) تشاتما وارتفعت أصواتهما .

(٢) كلة يزعم هنا إنما إنما أريد بها مجرد الخبر ولم يقصد بها الاتهام بالكذب

قال فإنى إذاً لا أخرج فقال له أبو جهل: إنك من أشرف أهل الوادى فسر معنا يوما أو يومين فسار معهم فقتل » .

وأخرج ابن إسحاق والحاكم والبيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس ومن طريق عروة بن الزبير والبيهقى من طريق ابن شهاب قالوا « رأت عاتكة بنت عبدالمطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفارى[1] على قريش بمكة بثلاث ليال رؤيا فأصبحت عاتكة فأعظمتها فبعثت إلى أخيها العباس ابن عبد المطلب فقالت له : يا أخى لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى ليدخلن على قومك منها شر وبلاء فقال وما هى ؟ قالت رأيت أن رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح فقال : انفروا يا آل غُدر لمصارعكم فى ثلاث[2] فَأَذِنَ الناس[3] فاجتمعوا إليه ثم إن بعيره دخل به المسجد واجتمع إليه الناس ثم مثل[4] به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة فقال انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم إن بعيره مثل به على رأس أبى قبيس فقال : انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوى حتى إذا كانت فى أسفله ارْفَضَّتْ فما بقيت دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها فقال العباس : والله إن هذه لرؤيا فاكتميها قالت وأنت فاكتمها لئن بلغت هذه قريشا ليؤذننا فخرج العباس من عندها فلقيه الوليد بن عتبة ، وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه فتحدث بها ففشا الحديث

---

(١) كان أبو سفيان حين علم بأن النبى عليه السلام خرج فى أصحاب لاعتراض العير قد استأجر هذا الرجل وأرسله إلى أهل مكة يستنفرهم للدفاع عن عيرهم .

(٢) يعنى أنه أعاد هذه الكلمة ثلاث مرات .

(٣) يعنى استمعوا له .

(٤) يعنى وقف منتصباً .

قال العباس: فإنى لغاد إلى الكعبة، فإذا أبو جهل قال : ياأبا الفضل متى حدثت هذه النبية فيكم[١] قلت وماذاك ؟ قال رؤيا رأتها عاتكة ، أما رضيتم يابنى عبد المطلب أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، سنتربص بكم هذه الثلاث التى ذكرت عاتكة ، فإن كان حقاً فسيكون ، وإلا كتبنا عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب، فلما كان اليوم الثالث إذا ضمضم بن عمرو بالأبطح على بعيره يخبر أن العير قد عرض لها محمد وأصحابه، فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا فأصاب قريشا ما أصابها يوم بدر فقالت عاتكة فى ذلك أبياتا » .

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة بن الزبير قالا « لما نفرت قريش إلى بدر نزلوا الجحفة عشاء وفيهم رجل من نى المطلب بن عبد مناف يقال له : جهيم بن الصلت بن مخرمة فوضع جهيم رأسه فأغفى[٢] ثم فزع فقال لأصحابه : هل رأيتم الفارس الذى وقف على آنفا ؟ فقالوا لا إنك مجنون. قال: قد وقف على فارس آنفا ، فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البخترى وأمية بن خلف فعد أشرافاً من كفار قريش، فقال له أصحابه : إنما لعب بك الشيطان ، ورفع الحديث إلى أبى جهل فقال : قد جئتم بكذب بنى المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غداً من يقتل ».

وأخرج البخارى عن البراء قال : « كنا نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاث مائة وبضعة عشر كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ·

وأخرج ابن سعد والبيهقى عن ابن عمر «أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت . فدعا لهم رسول الله

---

(١) يتهكم أبو جهل بالعباس بأن نساء بنى هاشم أصبحن يدعين النبوة .

(٢) نعس نعاسا خفيفا يقال أغفى إغفاء والمرة منه إغفاءة إذا أطرق برأسه من النوم .

صلى الله عليه وسلم حين خرج فقال : « اللهم إنهم حفاة[١] فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكْسُهُمْ ، اللهم إنهم جياع فأشبعهم ، ففتح الله لهم يوم بدر فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو بجملين واكْتَسَوْا وشبعوا » .

وأخرج[٢] والحاكم والبيهقى عن على قال « ما كان معنا يوم بدر إلا فرسان ، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود .

وأخرج البيهقى عن على قال : « أخذنا رجلين يوم بدر فأفلت أحدهما وأخذنا الآخر ، فقلنا كم القوم ؟ قال : كثير عددهم شديد بأسهم ، فجعلنا نضربه حتى انتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم تنحرون من الجزور ؟ فقال فى كل يوم عشراً ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ألف لكل جزور مائه »[٣] .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى عن يزيد بن رومان نحوه وفيه « كم تنحرون كل يوم ؟ قال : يوما عشراً ويوما تسعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم بين الألف والتسعمائة » .

وأخرج ابن سعد وابن راهويه وابن منيع والبيهقى عن ابن مسعود قال : «لقد قُلِّلُوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم : سبعين ؟

---

(١) جمع حاف وهو من رقت قدمه من كثرة المشىء أو مشى بلا خف ولا نعل.

(٢) هنا بياض بالأصل ولعل مكانه (أبو يعلى) .
فقد روى ابن كثير عنه قال حدثنا زهير حدثنا ابن مهدى عن شعبة عن أبى إسحاق عن حارثة بن مضرب عن على رضى الله عنه قال « ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد » الخ .

(٣) قال ابن القيم فى (زاد المعاد) :
« وبعث صلى الله عليه وسلم عليا وسعداً والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر فقدموا=

قال أراهم مائة ، فأسرنا رجلا منهم ، فقلنا كم كنتم[١] : قال ألفا » ؟ .

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ومن طريق عروة « أن النبى صلى الله عليه وسلم اضطجع يوم بدر وقال لأصحابه : لاتقاتلوا حتى أوذنكم وغشيه نوم فغلبه ، فاستيقظ وقد أراه الله إياهم فى منامه قايلا ، وقلل المسلمين فى أعين المشركين حتى طمع بعض القوم فى بعض .

وأخرج والبيهقى من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال : « لمادنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين فى أعين المشركين وقلل المشركين فى أعين المسلمين»[٢] .

وأخرج البيهقى عن على قال : « لما دنا القوم منا وصاففناهم إذ رجل منهم يسير فى القوم على جمل أحمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل الأحمر ؟ ثم : إن يك فى القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر فجاء حمزة فقال هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويأمر

= بعبدين لقريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فسألهما أصحابه لمن أنتما ؟ فقالا نحن سقاة لقريش فكره ذلك أصحابه وودوا لوكانا لعير أبى سفيان ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما أخبرانى أين قريش ؟ قالا وراء هذا الكثيب فقال كم القوم؟ فقالا لاعلم لنا فقال كم ينحرون كل يوم؟ قالا يوما عشرا ويوما تسعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة إلى الألف .

(١) وكذلك رواه بن أبى حاتم وابن جرير .

(٢) وهذا كان قبل ابتداء القتال ليطمع الله بعضهم فى بعض وأما بعد التحام الصفوف، فقد كثر الله المسلمين فى أعين المشركين ليوقع الرعب والهزيمة فى صفوفهم، ويحملهم على الفرار .

بالرجوع ويقول ياقوم اعصبوها اليوم برأسى(١) وقولوا جبن عتبة وأبو جهل يأبى ذلك » .

وأخرج أيضاً نحوه من طريق ابن شهاب ومن طريق عروة وزاد بعد قوله « الأحمر وإن يطيعوه يرشدوا » .

وأخرج مسلم وأبو داود والبيهقى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال ليلة بدر «هذا مصرع فلان(٢) إن شاء الله تعالى غداً ووضع يده على الأرض وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً ، ووضع يده على الأرض وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً ووضع يده على الأرض، فوالذى بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود جعلوا يصرعون عليها ثم ألقوا فى القليب وجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال يافلان بن فلان ويافلان بن فلان هل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ماوعدنى ربى حقا ، قالوا(٣) يارسول الله أتكلم أجساداً لا أرواح فيها(٤) ؟ فقال :ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا على » .

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب . ومن طريق عروة بن الزبير « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لما استشار أصحابه فى الخروج إلى

---

(١) يعنى أنسبوها إلى وحملونى عارها .

(٢) يعنى مكانه الذى يصرع فيه أى يقتل .

(٣) فى بعض الروايات أن الذى قال ذلك هو عمر .

(٤) وفى بعض الروايات أتكلم قوما قد جيفوا ، أى صاروا جيفة .

(٥) كانت عائشة رضى الله عنها تنكر هذا الحديث وتحتج بقول الله عز وجل « وما أنت بمسمع من فى القبور » ولكن الإثبات مقدم على النفى ، والله هو الذى أسمعهم نداء نبيه زيادة فى تبكيتهم وحسرتهم .

بدر[١] قال : « سيروا على اسم الله فإنى قد رأيت مصارع القوم[٢] .

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال : «لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين يوم بدر ، قال : « كأنكم بأعداء الله بهذه الضلع الحمراء من الجبل يقتلون » .

وأخرج البيهقى عن ابن مسعود قال : « ماسمعت مناشداً ينشد حقاً له أشد من مناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل يقول : اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد ثم التفت كأن شق وجهه القمر ، فقال : كأنما أنظر إلى مصارع القوم عشية[٣] » .

وأخرج البخارى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قبته يوم بدر « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو يثب فى الدرع ويقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر »[٤] .

وأخرج مسلم والبيهقى عن ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين

---

(١) وذلك أنهم إنما خرجوا للعير ولم يخرجوا للقتال فلم يشأ أن يسير بهم إلا بعد أن يعرف استعدادهم للقتال فقال « أشيروا على أيها الناس » وكان يقصد الأنصار لأنهم إنما بايعوه على الحماية والنصرة داخل المدينة ولم يبايعوه على القتال معه خارجها.

(٢) فى بعض الروايات: «سيروا وأبشروا فوالله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم».

(٣) يعنى آخر النهار .

(٤) وهذا أحد أخبار الغيب التى اشتمل عليها القرآن الكريم فإن الآية من سورة « القمر » وهى مكية وكانت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة .

وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءوه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال : يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ . فأمده الله بالملائكة قال ابن عباس : فبينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أَقْدِمْ حَيْزُوم إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين » .

وأخرج ابن سعد والبيهقى عن على قال : « لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من من قتال ثم جئت مسرعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم لأنظر ما فعل ، فإذا هو ساجد يقول : (ياحى ياقيوم ياحى ياقيوم) لا يزيد عليها ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ، ثم رجعت للقتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه[1] .

---

(١) ليس من المعقول أن يترك على مكانه فى المعركة ثم يأتى لينظر مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه فى عريشه يحرسه سعد بن معاذ وجماعة ولم يكن النبى عليه السلام يشتغل أثناء المعركة بالصلاة والدعاء ، فقد فعل ذلك طول ليله حتى رأى المدد ينزل من السماء فاستبشر واطمأن وإنما كان يشرف على المعركة من عريشه وأخذ كفا من حصباء ورمى بها فى وجوه القوم فلم يبق أحد منهم إلا دخل فى عينيه منها ، وفى أول المعركة نزل يسوى صفوف أصحابه ويبشرهم بالنصر ويعدهم على الصبر الجنة .

وأخرج الواقدى ، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : « رأيت يوم بدر رجلين عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم أحدهما وعن يساره أحدهما يقاتلان أشد القتال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه »[١] .

وأخرج ابن إسحاق ، وابن جرير ، والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس عن رجل من بنى غفار قال : « حضرت أنا وابن عم لى بدراً ، ونحن على شركنا فإنا لفى جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرَة فننتهب[٢] ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حمحمة الخيل وسمعنا فيها فارساً يقول أقدم حيزوم فأما صاحبى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم انتعشت بعد ذلك » .

وأخرج ابن إسحاق وابن راهويه فى مسنده وابن جرير والبيهقى ، وأبو نعيم عن أبى أسيد الساعدى أنه قال بعد ما عمى « لو كنت معكم ببدر الآن ومعى بصرى لأخبرتكم بالشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى »[٣] .

---

(١) لم يكن النبى عليه السلام بحاجة يوم بدر لتقاتل الملائكة عن يمينه وعن يساره فإنه لم يكن مطلوباً من أحد وكان المشركون مشغولين بما أصابهم من الكسرة والهزيمة عن طلبه ، نعم جاء فى الصحيح عن سعد بن أبى وقاص أنه قال رأيت يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض أحدهما عن يمين رسول الله والآخر عن يساره يقاتلان عنه كأشد ما يكون القتال ما رأيتهما قبل ولا رأيتهما بعد فلعل ماذكر هنا تحريف لهذا الحديث فوضع بدل سعد عبد الرحمن وبدل أحد بدراً .

(٢) يعنى على من تكون الهزيمة فنختطف مما يتركه من الغنيمة .

(٣) المعروف أن المسلمين لم يروا الملائكة وإنما رأوا آثار فعلهم بالمشركين وأما المشركون فقد وردت آثار بأنهم شاهدوا الملائكة على خيول بلق عليهم عمائم صفر .

وأخرج البيهقى عن ابن عباس وحكيم بن حزام قال : لما حضر القتال رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يسأل الله النصر ، وما وعده وقال : « اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين ، وأبو بكر يقول والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند أكناف العدو[١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشر يا أبا بكر هذا جبرئيل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع على ثناياه النقع[٢] يقول : أتاك نصر الله إذ دعوته ».

وأخرج البخارى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : « هذا جبرئيل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » .

وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقى عن على قال : « بينما أنا أميح[٣] من قليب بدر إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط ثم ذهبت ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط إلا التى كانت قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة قال : فكانت الريح الأولى جبرئيل عليه السلام ، نزل فى ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر عن يمينه ، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى الميسرة[٤] .

---

(١) جمع كنف وهو الجانب والناحية .
(٢) النقع الغبار المتطاير من حوافر الخيل كما قال تعالى (فأثرن به نقعاً) .
(٣) يقال ماح وامتاح من البئر أخرج منها الماء .
(٤) المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن فى قلب المعركة حتى يكون =

وأخرج أحمد والبزار ، وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقى عن على قال : « قيل لى ولأبى بكر يوم بدر قيل لأحدنا معك جبرئيل ، وقيل للآخر معك ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون فى الصف »[1] .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم عن سهل بن حنيف قال : « لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه »[2] .

وأخرج ابن إسحاق ، والبيهقى عن أبى واقد الليثى قال : « إنى لأتبع يوم بدر رجلا من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى فعرفت أن غيرى قد قتله » .

وأخرج ابن جرير وأبو نعيم عن أبى داود المازنى مثله .

وأخرج أبو نعيم عن أبى دارة قال : « حدثنى رجل من قومى من بنى سعد بن بكر قال إنى لمنهزم يوم بدر إذ أبصرت رجلا بين يدى منهزما فقلت : ألحقه فاستأنس به فتدلى من جُرُف ولحقته فإذا رأسه قد زايله[3] ساقطا وما رأيت قربه أحداً » .

= له ميمنة وميسرة ولكنه نزل أول المعركة فعدل الصفوف وسواها بقضيب فى يده ثم رجع إلى عريشه يرقب المعركة منه وقد أعدت عنده ركائبه .

(١) لم يكن أحد من الملائكة مع أحد من الصحابة وإنما كانوا يتخللون المعركة كلها يصيحون بالمشركين ويوسعونهم ضربا بالسياط وبالسيوف .

(٢) وهذا يدل على أن الملائكة باشرت القتال يوم بدر وهو الصحيح لأنه يتفق مع ظاهر قوله تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) فإن الظاهر أنه أمر للملائكة .

(٣) أى فارقه .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال : « كان يؤمئذ يندر (١) رأس الرجل لا يدرى من ضربه وتندر يد الرجل لا يدرى من ضربه » .

وأخرج البيهقى عن الربيع بن أنس قال « كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق ، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به » .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير والبيهقى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : « كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض ، قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون » .

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن سهيل بن عمرو قال : « لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض مُعلَّمين يقتلون ويأسرون » .

وأخرج ابن سعد عن حويطب بن عبد العزى قال : لقد شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عبراً رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض (٢) .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن خارجة بن إبراهيم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل « من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ فقال جبرئيل ما كل أهل السماء أعرف » (٣) .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن صهيب قال « ماأدرى كم يد مقطوعة أو

---

(١) أى يسقط .

(٢) أما القتل فظاهر وأما الأسر فمعناه أنهم كانوا يمسكون بالمشرك حتى يأتى المسلم فيأخذه .

(٣) كيف لا يعرف جبريل كل أهل السماء وهو واجب الطاعة عليهم جميعاً كما قال تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) .

ضربة جائفة(١) لم يَدْم كَلْمُها(٢) يوم بدر قد رأيتها » .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن أبى بردة بن نيار قال « جئت يوم بدر بثلاثة رؤس فوضعتهن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإنى رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه ، فأخذت رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك فلان من الملائكة (٣).

وأخرج الواقدى والبيهقى عن ابن عباس قال « كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول إنى قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ماثبتنا ليسوا بشىء(٤) فذلك قوله تعالى ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن السائب بن أبى حبيش أنه كان يقول « والله ما أسرنى أحد من الناس فيقال فمن ؟ فيقول لما انهزمت قريش انهزمت معها فيدركنى رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض فأوثقنى رباطا وجاء عبد الرحمن ابن عوف فوجدنى مربوطاً فنادى فى العسكر من أسر هذا ؟ فليس يزعم أحد أنه أسرنى حتى انتهى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى من أسرك ؟ فقلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذى رأيت فقال أسرك ملك من الملائكة »(٥) .

---

(١) أى واصله إلى الجوف .

(٢) أى جرحها .

(٣) قلنا إن الصحيح أن المسلمين لم يروا الملائكة وإنما كانوا يشاهدون آثار ضربهم .

(٤) يعنى أن الملك كان يقول لمن يليه من المسلمين إنى قد قربت من المشركين فسمعتهم يقولون كذا وكذا يريد به تثبيت المؤمنين .

(٥) الذى ورد فى الصحيح أن رجلا من الأنصار أتى بالعباس بن عبد المطلب =

وأخرج الواقدى والحاكم والبيهقى عن حكيم بن حزام قال « لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادى خليص بجاد[١] من السماء قد سد الأفق وإذا الوادى يسيل نملا فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيد به محمد صلى الله عليه وسلم فما كانت إلا الهزيمة وهى الملائكة » .

وأخرج ابن راهويه والبيهقى وأبو نعيم بسند حسن عن جبير بن مطعم قال « رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى وقع على الأرض فنظرت فإذا مثل النمل السود مبثوث حتى امتلأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم »[٢] .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن على قال « جاء رجل من الأنصار قصير برجل من بنى هاشم ولفظ أبى نعيم بالعباس أسيرا يوم بدر فقال الرجل إن هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق[٣] ما أراه فى القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك ملك كريم .

وأخرج أحمد وابن سعد وابن جرير وأبو نعيم عن ابن عباس قال « كان الذى أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو[٤] وكان أبو اليسر رجلا مجموعا

= فقال أنا أسرت هذا يارسول الله فقال العباس والله ما أسرنى وإنما أسرنى رجل حسن الوجه عليه ثياب بيض فقال الرجل أنا أسرته يارسول الله فقال له اسكت ذاك ملك كريم أيدك الله به .

(١) البجاد الكساء والغليظ من الصوف .

(٢) لو صح هذا كان معناه أن الإمداد بالملائكة كان أثناء القتال مع أن المعروف أنه كان قبل بدء المعركة ويجوز أن يكون الإمداد جعل قبل القتال وأثناءه .

(٣) هو الذى فيه بياض وسواد .

(٤) قال فى المعارف فى ترجمته (هو كعب بن عمرو من الأنصار وكان قصيراً ذا بطن وأسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة خمس وخمسين فى خلافة معاوية .

وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياأبا اليسر كيف أسرت العباس؟ قال يارسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أعانك عليه ملك كريم ».

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال «قلت لأبي ياأبه كيف أسرك أبو اليسر ولو شئت لجعلته فى كفك؟ قال يابنى لاتقل ذلك لقد لقينى وهو أعظم فى عينى من الخندمة: جبل بمكة ».

وأخرج ابن سعد عن محمود بن لبيد قال حدثنا عبيد بن أوس قال « لما كان يوم بدر أسرت العباس وعقيل بن أبى طالب فلما نظر إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعانك عليهما ملك كريم ».

وأخرج ابن سعد عن عطية بن قيس قال « لما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من قتال أهل بدر جاء جبرئيل على فرس أنثى حمراء عليه درعه ومعه رمحه فقال يا محمد إن الله بعثنى إليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت؟ قال نعم رضيت فانصرف »[1].

وأخرج أبو يعلى عن جابر قال « كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر إذ تبسم فى صلاته[2] فلما قضى الصلاة قلنا يا رسول الله رأيناك تبسمت؟ قال مر بى ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار وهو راجع من طلب القوم فضحك إلى فتبسمت إليه »[3].

وأخرج أحمد والطبرانى فى الأوسط والبيهقى عن على قال: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا

---

(١) كلام قصاص لا أصل له ولا دليل عليه.

(٢) وما الذى أراهم تبسمه وهم وراءه ووجهه إلى القبلة؟

(٣) هو كالخبر الذى قبله خيال قصاص.

وما كان أحدا أقرب إلى المشركين منه »[(١)] .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ومن طريق عروة قالا « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه المشركين فجعل الله تلك الحصباء عظيما شأنها لم تترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه[(٢)] ويجدون النفر كل رجل منهم منكبا على وجهه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب ، ينزعه من عينيه ووجد ابن مسعود أبا جهل مصروعا بينه وبين المعركة غير كثير مقنعاً فى الحديد ، واضعا سيفه على فخذيه ليس به جرح[(٣)] ولا يستطيع أن يحرك منه عضوا وهو منكب ينظر إلى الأرض فضربه من قفاه فوضع رأسه ثم سلبه فإذا هو ليس به جراح وأبصر فى عنقه خدرا وفى يديه وكتفيه كهيئة آثار السياط فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك ضرب الملائكة » .

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « سمعت صوت حصيات وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن فى طَسْتٍ فلما اصطف الناس أخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن فى وجوه المشركين فذلك قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت﴾ الآية[(٤)] .

---

(١) الذى فى الصحيح عن على أنه قال « كنا إذا اشتد البأس وحمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . وليس فيه التقييد بيوم بدر وقد عرفت أنه كان يوم بدر فى العريش يشرف على المعركة » .

(٢) ومصداق هذا قوله تعالى من سورة الأنفال « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

(٣) بل الصحيح أنه قتل وأن الذى قتله ابنا عفراء غلامان من الأنصار وأن ابن مسعود حين مر به كان يعانى النزع ، فجز رأسه وذهب يخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ففرح به وحمد الله .

(٤) لم تنزل حصيات من السماء وإنما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما

وأخرج ابن إسحاق والحاكم وصححه والبيهقى عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر أن المستفتح يوم بدر أبو جهل قال لما التقى الجمعان : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف ، فأَحِنْهُ[1] الغداة فقتل وفيه أنزل الله ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ .

وأخرج [2] والبيهقى وأبو نعيم من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال «أقبلت عير أهل مكة تريد الشام[3] فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما فلما سبقت العير وفاتت سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وبينهم وبين الماء رملة دَحْصَة [4] فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء[5] وانتم كذا

= من حصباء الأرض ورمى به فى وجوه القوم وليس الإعجاز فى نزولها من السماء ولكن فى وصولها وهى ملء الكف إلى أعين القوم وهم ألف .

(١) يعنى أهلكه فهو من الحَيْن بمعنى الهلاك .

(٢) بياض بالأصل ولعل مكانه أحمد » .

(٣) هذا التعبير غير مستقيم ولعل تصحيحه « أقبلت عير أهل مكة من الشام تريد مكة » .

(٤) مزلة للأقدام .

(٥) لم يوسوس لهم الشيطان بشىء من ذلك والمشركون لم يغلبوهم على الماء بل بالعكس فقد نزل المسلمون عند أدنى ماء من بدر وغوروا ما وراءه من القلب وكان ذلك بإشارة الحباب بن المنذر فشربوا وعطش المشركون .

فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا فأذهب الله عنهم رجز الشيطان(١) وصار الرمل كذا ذكر كلمة أخبر أنه أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة(٢) وكان جبرئيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبه وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء إبليس فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة رجال بنى مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم(٣) فقال الشيطان للمشركين لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما اختلط القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال : يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا فقال له جبرئيل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين »

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة قالا « أنزل الله عليهم فى تلك الليلة مطرا واحداً فكان على المشركين بلاء شديدا منعهم أن يسيروا(٤) وكان على المسلمين ديمة خفيفة لبدلهم

(١) قيل المراد به ما أصابهم من الاحتلام ليلة بدر .

(٢) هذا مادلت عليه آية الأنفال ولكن ورد فى آل عمران التصريح بأنهم أمدوا بثلاثة آلاف ثم جعلوا خمسة آلاف ومن المفسرين من ذهب إلى أن الإمداد بالثلاثة والخمسة كان فى غزوة أحد وهو بعيد فإنه وارد فى معرض الكلام عن بدر .

(٣) يقال إن قريشا حين أرادت الخروج لبدر ذكرت مابينها وبين كنانة من ثأر فقت ذلك فى عضدها فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقه بن مالك سيد كنانة وقال لهم أنا لكم جار وسار معهم فلما رآى الملائكة تنزل من السماء نكص على عقبيه وقال « إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب » .

(٤) يعنى أنه كان كثيراً أوحلت منه الأرض وصارت زلقا لاتثبت عليها الأقدام .

المسير والمنزل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هـذه مصارعهم إن شاء الله بالغداة » .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال « كانوا يومئذ يميدون من النعاس (١) ونزلوا على كثيب أهيل (٢) فمطرت السماء فصار مثل الصفا يسعون عليه سعيا وأنزل الله ﴿ إذ يغشاكم النعاس ﴾ الآية » .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن حكيم بن حزام قال والتقينا يوم بدر فاقتتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصى فى الطست وقبض النبي صلى الله عليه وسلم قبضة فرمى بها فانهزمنا » .

وأخرج البيهقى من وجه آخر عن حكيم بن حزام قال « سمعنا يوم بدر صوتا من السماء وقع إلى الأرض كأنه صوت حصاة فى طست فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فما بقى منا أحد » .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن نوفل بن معاوية الديلى قال « انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصى فى الطست فى أفئدتنا ومن خلفنا وكان ذلك من أشد الرعب علينا (٣) .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عكرمة فى قوله تعالى ﴿ومارميت إذ رميت﴾ قال ما وقع منها شىء إلا فى عين رجل » .

وأخرج البيهقى بسند صحيح عن ابن عباس قال « أخذتهم يوم بدر ريح عقيم » (٤) .

---

(١) لعله يقصد ليلة بدر حيث غشاهم الله النعاس أمنة منه ليصبحوا نشيطين للقتال .

(٢) يعنى رمله غير متماسك .

(٣) لعل ذلك لوصح من أصوات الملائكة وهى تصيح بهم لا أنه وقع حصيات من السماء .

(٤) إنما كانت الريح يوم الأحزاب ولم تكن يوم بدر ولو كانت الريح مما سلط عليهم لجاء ذكرها فى جملة ماعده الله مما أبلى به المؤمنين يوم بدر .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى من طريقه حدثنى خبيب بن عبدالرحمن قال « ضُرِب خُبَيْبٌ جدى يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق » .

وأخرج ابن عدى وأبو يعلى والبيهقى من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن جده قتادة بن النعمان « أنه أصيبت عينه يوم بدرفسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لافدعا به فغمز حدقته براحته فكان لايُدْرَى أى عينيه أصيبت » . وأخرجه البيهقى من وجه آخر عن قتادة مثله . وزاد بعد براحته وقال « اللهم اكسه جمالا » .

وأخرج ابن سعد عن زيد بن أسلم « أن عين قتادة بن النعمان أصيبت فسالت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما » .

وأخرج أبو نعيم من طريق عبد الله بن أبى صعصعة عن أبىسعيد الخدرى عن أخيه قتادة بن النعمان[1] قال : « أصيبت عيناى يوم بدر فسقطتا على وجنتى فأتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبزق فيهما فعادتا تبرقان .

وأخرج الحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن معاذ بن رفاعة بن رافع بن مالك عن أبيه قال : « رميت بسهم يوم بدر ففقئت عينى فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما آذانى منها شىء[2] » .

---

(١) كان قتادة أخا لأبى سعيد الخدرى لأمه وكان من الرماة المعدودين وهذا الحديث مخالف لما سبقه من الروايات فهو يزعم أن عينيه معا أصيبتا وكل الروايات إنما تذكر عينا واحدة والصحيح كذلك أن عين قتادة أصيبت يوم أحد لا يوم بدر .

(٢) وكذلك رواه الإمام ابن القيم فى « زاد المعاد »

وأخرج الواقدى حدثنى عمر بن عثمان الحجبى عن أبيه عن عمته قالت : « كان عُكَّاشة بن مِحْصَن[1] قال انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل وقاتلت به حتى هزم الله المشركين فلم يزل عنده حتى هلك » . وأخرجه البيهقى وابن عساكر .

وقال الواقدى حدثنى أسامة بن زيد الليثى عن داود بن الحصين عن رجال من بنى عبد الأشهل عدة قالوا : « انكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لاسلاح معه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده من عراجين ابن طاب[2] فقال اضرب به فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد » . أخرجه البيهقى .

وقال ابن سعد أنا على بن محمد عن أبى معشر عن زيد بن أسلم ويزيد ابن رومان وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة وغيرهم « أن عكاشة بن محصن انقطع سيفه يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من شجرة فعاد فى يده سيفاً صارماً صافى الحديدة شديد المتن » .

وأخرج الشيخان من طريق قتادة عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على قتلى بدر فى الرَّكِىِّ[3] فجعل يناديهم يافلان ابن فلان هل يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ، قال عمر يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ قال : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول

---

(١) هو عكاشة بن محصن بن حرثان من أسد خزيمة بدرى يكنى أبا محصن وكان من أجمل الرجال وهو الذى بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة من غير حساب وقتل ببزاخة فى خلافة أبى بكر .

(٢) ابن طاب نوع من النخل .

(٣) يعنى القليب .

منهم قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة »[١] .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن الزهري قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم اكفني نوفل بن خويلد[٢] ثم قال من له علم بنوفل ؟ فقال علي أنا قتلته يارسول الله فكبر وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه »[٣] .

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت : « ما كان بعد نزول قوله تعالى ﴿ وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴾ إلا قليل حتى أصاب الله قريشاً بالوقعة يوم بدر » .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم فقالوا . أيكم يقوم إلى جزور بني فلان فيأتي بِسَلاَها[٤] فيضعه بين كتفيه إذا سجد فانبعث أشقى القوم[٥]

---

(١) وهذا هو الحق ولا عبرة بتكذيب عائشة لذلك فإنه شيء لم تره كما أنكرت بوله قائما وهو ثابت من حديث حذيفة لكن يجب أن يعلم أن هذا أمر مخصوص به وهو من جملة معجزاته وكان هؤلاء أئمة الكفر وصناديد الشرك وقد وقفوا في وجه الإسلام دهرا طويلا وناوءوا دعوته أشد المناوءة فلا غرو أن يسمعهم الله عز وجل صوت رسوله كما قال قتادة توبيخا وتصغيراً الخ

(٢) هو أخو خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها

(٣) الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد هزيمة المشركين من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجد قد ضربه ابنا عفراء حتى برد فقتله عبد الله ثم أتى النبي عليه السلام فقال قتلته فقال آلله الذي لاإله إلاهو فرددها ثلاثاً ثم قال الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده

(٤) أي بما يخرج من بطنها من القاذورات

(٥) يعني عقبة بن أبي معيط وقد قتله النبي يوم بدر صبراً .

فجاء به فوضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهى جويرية فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلاته قال : اللهم عليك بقريش ثلاثا ، ثم سمى اللهم عليك بعمر وبن هشام - يعنى أبا جهل - وعُتْبَةَ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأُمَيَّةَ بن خاف وعُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط وعمارة بن الوليد قال ابن مسعود فلقد رأيتهم صرعى يوم بدر » .

وأخرج أحمد والبيهقى عن ابن عباس قال : « لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له عليك بالعير ليس دونها شيء ، فناداه العباس وهو أسير فى وَثَاقه إنه لايصلح لك . قال لم ؟ قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أنجز لك ما وعدك .

وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن الشَّعْبِى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاك أبو جهل يعذب إلى يوم القيامة[1] » .

وأخرج ابن أبى لدنيا والطبرانى فى (الأوسط) عن ابن عمر قال : « بينا أنا أسير بجنبات بدر ، إذ خرج رجل من حفرة فى عنقه سلسلة فنادانى ياعبد الله اسقنى ، فلا أدرى أعرف اسمى أو دعانى بدعاية العرب ، وخرج رجل من تلك الحفرة فى

---

(١) يجب أن يعلم أن عذاب الكفار فى قبورهم هو من أمور الغيب التى لاتحس ولا تشاهد ، وكيف يطيق بشر رؤية مثل هذا المنظر المفظع ثم لا يصعق من ساعته فنحن نعلم أن أبا جهل وأشياعه يعذبون فى قبورهم ولكننا لاندرك كيفية ذلك ولاحقيقته ككل أخبار التى وردت بها النصوص نؤمن بها ولا نخوض فى كيفيتها .

يده سوط فنادانى ياعبدالله لاتسقهفإنه كافر ثم ضربهبالسوط حتى عاد إلى حفرته فأتيت النبى صلى الله عليهوسلم فأخبرته فقال‌لى أوقد رأيته؟ قلت نعم ، قال: ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة[١] » .

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب . ومن طريق عروة قالا : «أذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين و المنافقين[٢] فلم يبق فى المدينة منافق ولا يهودى إلا وهو خاضع عنقه لوقعة بدر ، وكان ذلك يوم الفرقان يوم فرق الله بين الشرك والإيمان ، وقالت اليهود تيقنا أنه النبى الذى نجد نعته فى التوراة ، واللهلايرفع راية بعد اليوم إلا ظهرت[٣] » .

وأخرج البيهقى عن عطية العوفى قال : سألت أبا سعيد الخدرى عن قول الله عز وجل ﴿ آلم غلبت الروم ﴾ الآية . قال : كانت فارس غلبت الروم ، ثم غلبت‌الروم فارس ، بعد ذلك التقينا مع رسول‌اللهصلى‌اللهعليه وسلم ومشركوا العرب يوم بدروالتقت الروم وفارس‌فنصرنا على‌المشركين ونصر أهل الكتاب على المجوس ، ففرحنا بنصرالله إيانا على المشركين‌وفرحنابنصرالله أهل الكتاب

---

(١) وهذه أيضاً كالتى قبلها بل أشد نكراً فما كان لميت أن يبعث من قبره قبل النفخ فى الصور ثم يطلب من حى أن يسقيه من ماء الدنيا ثم يخرج إليه الملك الموكل بعذابه فيقول له لا تسقه .

فهذه كلها كما نبهنا سابقا حكايات خيالية من وضع القصاص لاأصل لها .

(٢) لم يظهر النفاق بالمدينة إلا بعد غزوة بدر فإن عبد الله بن أبى وأخوانه كانواقبلها على الشرك الصريح فلما رأوا قوة الإسلام ببدر قالوا هذا أمر قد توجه فدخلوا فيه ظاهراً وأضمروا الكفر والعدواة .

(٣) بل المعروف أن اليهود ظهر حسدهم للمسلمين بعد بدر حتى قال بعضهم وهم بنو قينقاع لرسول الله صلى‌الله عليه وسلم : لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لاعلم لهم بالقتال فإذا لقيتنا علمت أننا نحن الناس فأنزل الله فيهم (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » .

على المجوس فذلك قوله تعالى ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾[١] .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فى قبة يوم بدر فقال : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» فقال: عمير بن الحمام: بَخٍ بَخٍ [٢] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ ؟[٣] قال رجاء أن أكون من أهلها ، قال فإنك من أهلها فانتثل تمرات من قرنه فجعل يلوكهن[٤] ثم قال والله لئن بقيت حتى أَلُوكَهُنَّ إنها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل حتى قتل» .

وأخرج[٥] والبيهقى عن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأسارى يوم بدر « إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فَادَيْتُمُوهُمْ واستمتعتم بالفداء واسْتُشْهِدَ منكم بِعِدَّتِهِمْ[٦] وكان آخِرَ السبعين ثابتُ بن قَيْسٍ قتل يوم اليمامة» .

وأخرج أبو نعيم بسند صحيح عن ابن عباس أن عُقْبَةَ بن أبى معيط دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فقال : «ما أنا بِآكِلٍ حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فشهد بذلك فلقيه خليل له فلامه على ذلك فقال ما يُبْرِئ صدور قريش منى ؟ قال : أن تأتيه فى مجلسه فَتَبْزُقَ فى وجهه ففعل فلم يزد

---

(١) وقيل إن انتصار الروم على الفرس كان عام الحديبية وما ذكر عن أبى سعيد هو الصحيح الذى يتفق مع ظاهر الآية .

(٢) كلمة معناها حسن حسن .

(٣) وفى رواية « ماحملك على قول بخ » .

(٤) أى يمضغهن .

(٥) بياض بالأصل .

(٦) لا يعقل أن يصدر هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لو علم أن أخذ الفداء سيترتب عليه قتل سبعين من أصحابه لما أقدم على أخذه ولكن يمكن أن يكون الوحى قد أعلمه بذلك بعد أخذ الفداء ونزول الآية بعتاب النبي صلى الله عليه وسلم .

النبي صلى الله عليه وسلم على أن مسح وجهه وقال : إن وجدتك خارجا من جبال مكة أَضْرِبْ عنقك صبراً ، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج ، وقال : قد وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقى صبراً فقالوا لك: جمل أحمر لايدرك ، فلو كانت الهزيمة طِرْتَ فخرج معهم ، فلما هزم المشركون وَحِلَ به جَمَلُه فى جُدَدٍ[1] من الأرض ، فأخذا سيراً فضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنقه صبراً[2] وقال العباس حين أخذ منه الفداء : لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت قال : كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل؟ وقُلْت لها: إن قتلتُ فقد تركتكِ غنية مابقيتِ فقال: أشهد أن الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه إلا الله » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى عن الزُّهْرِى وجماعة ، أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « ماعندى ماأفدى به قال : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل ؟ فقلت لها : إن أصبت فى سفرى هذا فهذا المال لِبنِيَّ الفضل وعبد الله وقُثَم ، فقال والله إنى لأعلم أنك رسول الله، والله إن هذا لشىء ماعلمه أحد غيرى وغير أم الفضل » .

وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة به وصححه .

وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن مقسم[3] عن ابن عباس .

---

(١) جمع جدة وهى الطريق .

(٢) قتله بعرق الظبية قبل أن يدخل المدينة .

(٣) هو مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وإنما قيل له مولى ابن عباس للزومه إياه وانقطاعه إليه .

وقد روى كذلك عن أم سلمة سماعاً .

وأخرجه أحمد من طريق ابن إسحاق عمن سمع عكرمة عن ابن عباس .

وأخرجه ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : لما أسر نوفل بن الحارث ببدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « افد نفسك يانوفل قال مالي شيء أفدي به نفسي قال افد نفسك من مالك الذي بِجُدَّة ، قال أشهد أنك رسول الله ففدى نفسه بها » .

وأخرج ابن إسحاق وابن سعد وابن جرير والحاكم والبيهقي وأبو نعيم من طريقه حدثني الحسين بن عبد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : حدثني أبو رافع قال : كنا آلَ العباس قد دخلنا الإسلام وكنا نستخفي بإسلامنا وكنت غلاماً للعباس ، فلما سارت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعلنا نتوقع الأخبار ، فقدم علينا « الْحُسَيْمَان » الخزاعي بالخبر فوجدنا في أنفسنا قوة وسرَّنا ما جاءنا من الخبر من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله إني لجالس في صُفَّة زمزم وعندي أم الفضل ، إذ أقبل الخبيث أبو لهب بِشَرٍّ يجر رجليه قد كَبَتَهُ الله وأخزاه لما جاءه من الخبر حتى جلس على طُنُبِ الحجرة ، وقال له الناس : هذا أبو سفيان بن حرب[1] قد قدم واجتمع عليه الناس ، فقال أبو لهب : هلم إليَّ ، فعندك الخبر ، فجاء حتى جلس فقال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاءوا ووالله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضاء على خيل بُلْقٍ ، لا والله ما تبقى شيئاً ، قال : فرفعت طُنُبَ الحجرة فقلت : تلك والله الملائكة ، وقام أبو لهب يجر رجليه ذليلا ورماه الله بالْعَدَسَة ، فوالله ما مكث إلا سَبْعاً حتى مات ، فلقد تركه

---

(١) هكذا وجد في النسخ وهو خطأ فإن أبا سفيان بن حرب لم يشهد وقعة بدر ، بل كان مع العير ولعل صحته سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

ابناه فى بيته ثلاثاً مايدفنانه حتى أنْـتَنَ ، وكانت قريش تَتَّقى العدسة كما تتقى الطاعون ، حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان أن أبا كما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه ، فقالا : إنما نخشى عدوى هذه الْقُرْحَة ، فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه إلاَّ قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يَدْنُونَ منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فَأَسْنَدُوه إلى جدار ثم رَضَموا عليه الحجارة » .

وأخرج الشيخان عن عروة قال : « أعتق أبو لهب ثويبة[١] فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات أبو لهب أُرِيَهُ بعضُ أهله فى النوم بشر خيبة ، فقال له ماذا لقيت ؟ قال : لم ألق بعدكم رخاء غير أنى سقيت فى هذه بعتاقتى ثُوَيْبَةَ وأشار إلى النُّقْرَة التى بين الإبهام والتى تليها من الأصابع » .

وأخرج البيهقى عن الواقدى قال : « قالوا : كان قُبَاثُ بن أَشْيَم الـكنانى يقول : شهدت مع المشركين بدراً وإنى لأنظر إلى قلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عينى وكثرة من معنا من الخيل والرجال ، فانهزمت فيمن هزم ـ فلقد رأيتنى أنظر إلى المشركين فى كل وجه وإنى لأقول فى نفسى مارأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فلما كان بعد الخندق وقع فى قلبى الإسلام فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فَسَلَّمتُ فقال لى : يا قباث ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ؟ فقلت : أشهد أنك رسول الله وإن هذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط ، وما تَرَمْرَمْتُ به[٢] إلا شيئاً حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبى ما أطلعك الله عليه فعرض علىَّ الإسلام فأسلمت » .

---

(١) يقال إنه أعتقها حين بشرته بولادة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولهذا ورد أنه يخفف عنه العذاب يوم الاثنين .

(٢) يعنى ما أجريته على شفتى ولا حركت به لسانى .

وأخرج الطبرانى عن أبان بن سلمان عن أبيه سلمان قال : « كان إسلام قباث بن أشيم الليثى أن رجالا من العرب أتوه فقالوا إن محمداً خرج يدعو إلى غير ديننا ، فقام قباث حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له اجلس يا قباث فأوجم[١] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل لو خرجت نساء قريش بأكمتها[٢] ردت محمداً وأصحابه ؟ فقال قباث : والذى بعثك بالحق ما تحرك به لسانى ولا تزمزمت به شفتاى وما سمعه منى أحد وماهو إلا شىء هَجَسَ فى نفسى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً رسول الله وأن ما جئت به الحق » .

وأخرج البيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن موسى بن عقبة وعن عروة بن الزبير قالا : « لما رجع وفد المشركين إلى مكة أقبل عُمَيْر بن وهب الجمحى حتى جلس إلى صَفْوَان بن أمية فى الحِجْر ، فقال صفوان : قبح العيش بعد قتلى بدر قال أجل ، والله ما فى العيش خير بعدهم ولولا دَيْنٌ عَلَيَّ لاأجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئا لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عينى منه إن لى عنده عِلّة أعتل بها أقول قدمت على ابنى هذا الأسير ففرح صفوان بقوله وقال عَلَيَّ دينك وعيالك أُسْوَةُ عيالى فى النفقة ، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم فحمله صفوان وجهزه وأمر بسيف عمير فَصُقِلَ وَسُمَّ وقال عمير لصفوان اكتمنى أياما فأقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل هو وعمر بن الخطاب رضى الله عنه[٣] فقال رسول الله

---

(١) اى أسكت مهتما حزينا .

(٢) يعنى أكمة بدر وهو المكان المرتفع .

(٣) مانظن أن عمرو هو الذى أشار بقتل أسارى بدر وعدم أخذ الفداء منهم كان ينتظر على عمير أن يقدم المدينة بغير أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يعاجله بضربه عمرية تورده حياض المنية ، ولكنها مراسيل لاحجة فيها ورحم الله أحمد بن حنبل فقد كان يقول: ثلاثة لاأصل لها ، السير والمغازى والملاحم.

صلى الله عليه وسلم لعمر تَأَخَّرْ ثم قال ما أقدمك ياعمير ؟ قال قدمت على أسيرى عندكم قال اصدقنى ما أقدمك ؟ قال ماقدمت إلا فى أسيرى قال فماذا شرطت لصفوان بن أمية فى الحجر ففزع عمير وقال ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت له بقتلى على أن يعول بنيك ويقضى دينك والله حائل بينك وبين ذلك ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، إن هذا الحديث كان بينى وبين صفوان فى الحجر لم يطلع عليه أحد غيرى وغيره ، فأخبرك الله به فآمنت بالله ورسوله ثم رجع إلى مكة فدعا إلى الإسلام[1] فأسلم على يده بَشَر كثير . ثم أخرجه البيهقى والطبرانى من طريق ابن إسحاق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير فذكره نحوه . وأخرجه أبو نعيم عن الزهرى نحوه . وأخرجه ابن سعد وأبو نعيم عن عكرمة فهذه طرق مرسلة . وأخرجه الطبرانى وأبو نعيم من طريق أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك موصولا بسند صحيح .

أخرج البيهقى عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو كان المطعم حياً ثم كلمنى فى هؤلاء[2] لأطلقتهم له ـ يعنى أسارى بدر ـ قال سفيان وكانت له عند النبى صلى الله عليه وسلم يد[3] وكان أجزى الناس باليد » .

وأخرج أبو نعيم عن جبير بن مطعم قال « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) عجبا كيف كان يسكت أهل مكة على داعية إلى الإسلام بينهم وقلوبهم لاتزال تقتر حقدا وغيظا على الإسلام الذى ذهب بسادتهم وأشرافهم ؟ وهم كذلك بسبيل إعداد العدة للأخذ بثأر قتلى بدر ولكن الوضاعين لايدرون مايقولون .

(٢) وفى رواية هؤلاء النتنى لوهبتهم له .

(٣) وهذه اليد هى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أرسل إليه ليدخل فى جواره فخرج هو وبنوه وهم فى شكتهم يحيطون برسول الله حتى دخل المسجد ثم ساروا معه حتى دخل بيته فكان يود أن يجزيه على تلك اليد بأحسن منها .

كلمه في أسارى بدر فوافقته يصلى بأصحابه فسمعته يقول « إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع » فكأنما صدع قلبى » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع فاستقبلتني امرأة يهودية على رأسها جَفْنَة فيها جَدْىٌ مشوى فقالت الحمد لله يا محمد الذى سلمك كنت نذرت لله نذراً إن قدمت المدينة سالماً لأذبحن هذا الجدى ولأشوينه ولأحملنه إليك لتأكل منه ، فاستنطق الله الجدى فقال يا محمد لا تأكلنى فإنى مسموم »[١] .

فائـدة

اشتمل هذا الباب على أكثر من سبعين معجزة كما يدرك بالتأمل .

فائـدة

سئل السبكى ، عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى صلى الله عليه وسلم مع أن جبرئيل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ، فأجاب ، بأن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التى أجراها الله فى عباده والله سبحانه هو فاعل الجميع وقال الزمخشرى ، فى قوله تعالى «وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين » ، فإن قلت ، فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق ؟ فقال « فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » ، وقال : «بألف من الملائكة مردفين» «بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، « بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، قلت : إنما كان يكفى

---

(١) هذا وهم كبير فقصة الشاة المسمومة لم تكن ببدر وإنما كانت بخيبر ولم يكن النبى بعد قد باداً اليهود بشر حتى ترتكب اليهود به ذلك .

ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبرئيل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ، ولكن الله فضّل محمداً صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز مالم يؤته أحداً، فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشار بقوله ﴿ وماأنزلنا ﴾ ﴿ وما كنا منزلين ﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التى لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك » انتهى .

باب ماوقع فى غزوة غطفان من المعجزات

قال الواقدى حدثنى محمد بن زياد حدثنا زيد بن أبى عتاب (ح) وحدثنى الضحاك بن عثمان وعبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر وغيرهم ، قالوا « بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان من بنى ثعلبة بن محارب بذى أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحارث[1] فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة وخمسين رجلا ومعهم أفراس فهزمت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمر وعسكر به وأصابهم مطر كثير فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فأصابه ذلك المطر فبل ثوبه وقد جعل وادى أمر بينه وبين وأصحابه ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون فقالت لدعثور وكان سيدها وأشجعها قد أمكنك محمد وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوّثَ بأصحابه لم يُغَثْ حتى تقتله فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ثم أقبل حتى قام على رسول الله صلى الله

---

(١) ذكر البيهقى أنه غورث بن الحارث من بنى محارب ،

عليه وسلم بالسيف مشهوراً فقال يامحمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال الله ودفع جبرئيل فى صدره فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه وقال من يمنعك منى ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا أُكَثِّرُ عليك جمعا أبداً فأعطاه سيفه ثم أدبر ثم أقبل فقال والله لأنت خير منى فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحق بذلك منك فأتى قومه فقالوا أين ما كنت تقوله والسيف فى يدك ؟ قال قد كان والله ذلك رأيي ، ولكنى نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع فى صدرى فوقعت لظهرى وعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذهم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم » الآية . أخرجه البيهقى وقال قد روى فى غزوة ذات الرِّقاع قصة أخرى مثل هذه فإن كان الواقدى قد حفظ ماذكر فى هذه الغزوة فإنهما قصتان (١) .

باب ماوقع فى غزوة بنى النضير من المعجزات

وهى الجلاء الذى كان مكتوباً عليهم فى التوراة وغير ذلك

قال يعقوب بن سفيان أنبأنا ، أبو صالح حدثنى الليث حدثنى عقيل عن

(١) بل الظاهر انها قصة واحدة وأنها كانت بغزوة ذات الرقاع التى كانت بعد الخندق والحديث رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع – قال وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وأخذه فأخترطه وقال لرسول الله تخافنى ؟ قال لا قال فمن يمنعك منى ؟ قال الله يمنعنى منك قال فهدده أصحاب رسول الله فأغمد السيف وعلقه وفى بعض الروايات سقط السيف من يده فأخذه الرسول عليه السلام وقال من يمنعك منى يا أعرابى؟ فقال كن خير آخذ فعفا عنه فذهب إلى قومه وقال لهم جئتكم من عند خير الناس .

ابن شهاب قال « كانت وقعة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر[١] فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم مَا أَقلَّت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهى السلاح وأجلاهم رسول الله صلى الله هليه وسلم قبل الشام[٢] فكانوا ينزعون ما أعجبهم من سقف فيحملونه على الإبل وأنزل الله فيهم (سبح لله مافى السموات ومافى الأرض) إلى قوله : (وليخزى الفاسقين) ، والجلاء أنه كان كتب عليهم فى التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أخرجه البيهقى ثم أخرجه موصولا من طريق آخر عن الزهرى عن عروة عن عائشة وقال ذكر عائشة فيه غير محفوظ ، قات : أخرج هذه الطريق الموصولة عن عائشة الحاكم وقال صحيح .

وأخرج أبو داود والبيهقى عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : «كانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ ، يقول بغير قتال فأعطى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار[٣] كانا ذوى حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما وبقى منها صدقته التى فى أيدى بنى فاطمة .

---

(١) هذا وهم كبير فإن التى كانت بعد بدر بنحو ثمانية أشهر هى غزوة بنى قينقاع الذين كانوا يسكنون المدينة فحاصرهم خمسة عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه وشفع فيهم عبد الله بن أبى الخ فأطلقهم له وأما غزوة بنى النضير فكانت فى السنة الرابعة بعد مقتل القراء ببئر معونة .

(٢) قيل نزلوا بأذرعات .

(٣) هما أبودجانة وسهل بن حنيف .

وأخرج الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عُدَّة في سبيل الله عز وجل» .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن الزهري ومن طريق عروة بن الزبير قالا « خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في عَقْل الكلابِيَّيْنِ(١) فقالوا اجلس يا أبا القاسم حتى تَطْعَم وترجع بحاجتك فجلس ومن معه من أصحابه في ظل جدار ينتظرون أن يصلحوا أمرهم فلما خلوا والشيطان معهم ائتمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تجدوه أقرب منه الآن ، فقال رجل منهم إن شئتم ظَهَرْتُ فوق البيت الذي هو تحته فَدَلَّيْتَ عليه حجراً فقتلته وأوحى الله إليه فأخبره بما ائتمروا به من شأنه فقام ورجع أصحابه(٢) ونزل القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ الآية فلما أظهره الله على خيانتهم أمرهم أن يخرجوا من ديارهم إلى حيث شاؤا فلما سمع المنافقون ما يراد بإخوانهم وأوليائهم من أهل الكتاب أرسلوا إليهم فقالوا لهم إنا معكم محيانا ومماتنا إن قوتلتم فلكم علينا النصر وإن أخرجتم لن نتخلف عنكم فلما وثقوا بأمان المنافقين عظمت

---

(١) كانا رجلين من بني عامر من رهط عامر بن الطفيل قتلهما عمرو بن أمية الضمري انتقاما لمقتل القراء بماء بني عامر ولم يعرف أن معهما عهدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه وأخبره بما فعل قال « لقد قتلت قتيلين لأدينهما فخرج » عليه السلام إلى بني النضير يستعينهم في عقل الرجلين لما بينه وبينهم من الحلف .

(٢) المعروف أنه قام وحده ومشى وظن أصحابه أنه ذهب يقضي حاجة فلما أبطأ عليهم رجعوا إلى المدينة .

غَرَّتْهُمْ وَمَنَّاهُم الشيطان الظهور فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنا والله لا نخرج ولئن قاتلتنا لنقاتلنك فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم دورهم وقطع نخلهم وحرقها وكف الله أيديهم وأيدى المنافقين ، فلم ينصروهم وألقى الله فى قلوب الفريقين الرعب فلما يئسوا من المنافقين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان عرض عليهم قبل ذلك فقاضاهم على أن يجليهم ولهم ما أقلت الإبل إلا السلاح »

وأخرج أبو نعيم نحوه من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما . وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويزيد بن أبى زياد وغيرهما وفى رواية يزيد فجاؤا إلى رَحًى عظيمة ليطرحوها عليه فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبرئيل فأقامه من ثَمَّ ونزلت الآية .

وقال الواقدى حدثنى إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سَعْدَى فطاف بمنازلهم فرأى خرابها فأتى بنى قريظة فقال رأيت اليوم عِبَرًا رأيت إخواننا جالية[1] بعد العز والجلد والشرف والعقل قد تركوا أموالهم وخرجوا خروج ذل والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي وقد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمرو وابن جواس وهما أعلم يهود جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدومه ثم أمرانا باتباعه وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا ودفناهما بحرتنا هذه فقال الزبير بن باطا قد قرأت صفته فى كتاب باطا التوراة التى أنزلت على موسى ليس فى المثانى الذى أحدثنا فقال له كعب بن أسد[2] فما يمنعك من

---

(١) هكذا فى النسخة ولعل صحتها : رأيت دار إخواننا خالية .

(٢) وهو سيد بنى قريظة .

أتباعه؟ قال أنت. قال كعب ولم وما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير أنت صاحب عقدنا وعهدنا فإن أتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فتقاولا فى ذلك إلى أن قال كعب ما عندى فى أمره إلا ما قلت ما تطيب نفسى أن أصير تابعاً » . أخرجه البيهقى وأبو نعيم .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبى الزبير عن جابر قال لما رابط النبى صلى الله عليه وسلم بنى النضير وطال المكث عليهم أتاه جبرئيل وهو يغسل رأسه فقال عفا الله عنك يا محمد ما أسرع ما مللتم والله ما نزعنا من لَأْمَتِنا شيئاً منذ نزلت عليهم قم فشد عليك سلاحك والله لأدقنهم كما تُدَقُّ البيضة على الصفا فنهضنا إليها ففتحناها » .

باب

ما وقع فى قتل كعب بن الأشرف[1] من المعجزات

أخرج ابن اسحاق وابن راهويه وأحمد والبيهقى عن ابن عباس قال « مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد[2] ثم وجههم وقال انطلقوا

---

(١) قال ابن القيم فى (زاد المعاد) « وكان رجلا من اليهود . وأمه من بنى النضير وكان شديد الأذى لرسول لله صلى الله عليه وسلم وكان يشبب فى أشعاره بنساء الصحابة .

فلما كانت وقعة بدر ذهب إلى مكة وجعل يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال ، فقال صلى الله عليه وسلم . من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فأنتدب له محمد بن مسلمة وعياد بن بشر وأبو نائلة واسمه سلكان بن سلامة بن وقش الأشهلى وهو أخو كعب من الرضاع . والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر أحد بنى حارثة .

(٢) هو مقبرة أهل المدينة .

على اسم الله اللهم أعنهم يعنى الذين أرسلهم إلى قتل كعب بن الأشرف » .

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق حدثنى عبدالله بن المعقب أن الحارث ابن أوس فى قتل كعب بن الأشرف أصابه بعض أسيافهم فجرح فى رأسه ورجله فاحتملوه فجاؤا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل على جرحه فلم يؤذه » . قال البيهقى . وكذا أخرجه الواقدى بأسانيده .

باب

ما وقع فى غزوة أحد(١) من الآيات والمعجزات

أخرج الشيخان عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وَهَلى(٢) إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة يثرب وأريت فى رؤياى هذه أنى قد هززت سيفا فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ورأيت فيها أيضا بقراً(٣) والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى آتانا بعد يوم بدر » .

وأخرج أحمد والبزار والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس قال « لما جاء

---

(١) قال ابن كثير فى البداية « كانت فى شوال سنة ثلاثة من الهجرة قاله الترمذى وقتادة وموسى بن عقبة ومالك .

(٢) أى ظنى .

(٣) فى بعض الروايات بقرا مذبوحا فى سكك المدينة فأولتها نفرا من أصحابى يقتلون .

المشركون يوم أحد كان رَأْىُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم بالمدينة يقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدراً تخرج بنا يا رسول الله نقاتلهم أحد ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصابه أهل بدر فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يارسول الله أقم فالرأى رأيك فقال ما ينبغى لنبى أن يضع أداته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وكان مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قبل أن يلبس الأداة إنى رأيت أنى فى درع حصينة[١] فأولتها المدينة وأنى مردف كبشاً فأولته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفى ذا الفقار فُلَّ فأولته فَلاًّ فيكم[٢] ورأيت بقرا تذبح فبقروا الله خير » .

وأخرج أحمد والبزار والحاكم والبيهقى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأنى مُرْدِف كبشا وكأن ظُبَةَ[٣] سيفى انكسرت فأولت أنى أقتل كبشاً لقوم وأولتُ كَسْرَ ظُبَةِ سيفى قتل رجل من عترتى فقتل حمزة وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة وكان صاحب اللواء.

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال « يقول رجال كان الذى رأى بسيفه الذى أصاب وجهه »[٤] .

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال وكان أبى بن خلف قال حين افتدى[٥] والله إن عندى لفرسا أعلفها

---

(١) الرواية المحفوظة « إنى رأيت أنى أدخل يدى فى درع حصينة » .

(٢) وفى رواية أنه رآى فى سيفه ثلمة فأولها بأن رجلا من أهل بيته يقتل .

(٣) ظبة السيف طرفه والجمع ظباة .

(٤) كيف وقد أوله هو بمقتل رجل من أهل بيته وهو حمزة .

(٥) يعنى حين دفع الفداء يوم بدر .

كل يوم فُرْقاً من ذرة ولا قتان عليها محمداً فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله إن شاء الله فأقبل أُبَيٌّ مقنعا فى الحديد على فرسه تلك يقول لا نجوت إن نجا محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله قال موسى ابن عقبة قال سعيد بن المسيب فاعترض له رجال من المؤمنين[١] فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا طريقه وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فوقع أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد فكسر ضلع من أضلاعه ففى ذلك نزل ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[٢] فأتاه أصحابه وهو يخور خُوَار الثور فقالوا ما جزعك ؟ إنما هو خدش فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتل أبيا ثم قال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون فمات أبي قبل أن يَقْدَمُ مكة»[٣] . قال البيهقى ورواه أيضاً عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب . قلت : أخرجه من هذا الطريق ابن سعد وأبو نعيم ثم أخرج البيهقى وأبو نعيم عن عروة بن الزبير مثله ولم يذكر فكسر ضلعا من أضلاعه ولا نزول الآية .

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق قال : ذكر الزهرى «أن أبى بن خلف أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا محمد لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم

---

(١) قيل إن الذى استقبله مصعب بن عمير فقتله أبى .

(٢) المعروف أن تلك الآية نزلت فى غزوة بدر قبل أحد فلا يعقل أن يراد بها تلك الرمية لأبى بن خلف وإنما الصحيح أن المراد بها ما سبق من رميه عليه السلام بكف من الحصباء فى وجوه المشركين فلم يبق أحد منهم إلا أصاب عينيه منه شىء .

(٣) مات فى الطريق بمكان يقال له : سرف

يا رسول الله يعطف عليه رجل منا؟ فقال دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصِّمَّة ، قال بعض القوم كما ذكر لى فانتفض بها انتفاضة[١] تطائرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ[٢] منها عن فرسه مراراً وأخرجه أبو نعيم من طريق بن إسحاق حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف به » . وأخرجه أيضاً من طريقه عن الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك به . ومن طريقه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه به . وأخرجه أيضاً من طريق معمر عن مقسم به . وفيه قال والله لو لم يصبنى إلا بريقه[٣] لقتلنى أليس قد قال أنا أقتله .قال الواقدى وكان ابن عمر يقول مات أُبى بن خلف ببطن رابغ فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هُوِىٍّ[٤] من الليل إذا نار تأجج لى فهبتها وإذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذ بها يصيح العطش وإذا رجل يقول لا تسقه فإن هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف[٥] .

وقال ابن إسحاق حدثنى ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرهم من علمائنا أن رجلا من المشركين خرج يوم أحد فدعا إلى البِرَاز[٦] وهو على جمل فقام إليه الزبير فوثب إليه وهو على بعيره فاستوى معه

---

(١) يعنى وثب بها وثبة شديدة .

(٢) ترنح ومال .

(٣) يعنى لو بصق على .

(٤) يعنى بعد مضى جزء منه .

(٥) لقد مرت قصة مشابهة لهذه فى غزوة بدر ، وكان الذى رآه ابن عمر هناك هو أبو جهل فليت ، شعرى لماذا اختار الوضاعون شخصية ابن عمر لينسبوا إليها كلتا القصتين .

(٦) يعنى المبارزة وهى أن يخرج شخص من أحد الجيشين ويطلب أن يخرج =

على رحله ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير جميعاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يلى حضيض الأرض مقتول فوقع المشرك ووقع الزبير عليه فذبحه بسيفه» - أخرجه البيهقى .

وأخرج أحمد والبخارى والنسائى عن البراء قال «جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عَبْدَ الله بن جُبَيْر ووضعهم موضعا وقال: إن رأيتمونا تَخَطَّفُنَا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم قال فأنا والله رأيت النساء يَشْدُدْن على الجبل وقد بدت أسْوُقُهُنَّ[1] وخلاخيلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟ وقال عبد الله بن جبير فنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صُرِفَتْ وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلا »[2] .

وأخرج أحمد والبيهقى عن ابن عباس قال «ما نُصِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موطن كما نُصِرَ يوم أحد[3] فأنكروا ذلك فقال ابن عباس بينى وبين

= إليه رجل من الجيش الآخر وكانت غزوة بدر قد ابتدأت بالمبارزة وأما أحد فلا نعرف أنها كانت كذلك .

(١) جمع ساق وهى ما بين الكعبين إلى الركبة .

(٢) ولهذا قال الله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا)

(٣) وصدق حبر الأمة فإن جيش المشركين وكانت عدته ثلاثة آلاف وعدد =

من انكر ذلك كتاب الله إن الله يقول فى يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم[١] بإذنه» . قال ابن‌عباس والحس القتل حتى إذا فشلتم الآية وإنما عَنَى بهذا الرماة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أقامهم فى موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلاتنصرونا وإن رأيتمونا قدغنمنا فلاتشركونا. فلما غنم النبى صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكبَّ الرماة جميعاً فى العسكر ينتهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فهم هكذا وشبك أصابع يديه وانتشبوا[٢] فلما أَخْلَت الرماة تلك الخَلّة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا[٣] وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وصاح الشيطان : قتل محمد فلم يشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين[٤] تعرفه بتكفيه[٥] إذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم

= المسلمين سبعمائة لم ينل منهم أكثر من قتل سبعين ثم رجع فرحا بهذا النصر الهزيل فلو لا احياطه الله لدينه ولنبيه والمؤمنين لساق المشركون جميع المسلمين أسرى موثقين فى الحبال أولا فتحموا المدينة وسبوا مافيها من النساء والأطفال ولهذا ورد أن المشركين فكروا فى الرجوع واقتحام المدينة ولما علموا أن المسلمين ساروا فى طلبهم ألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا إلى مكة .

(١) أى تقتلونهم يقال حَسَّهُ يَحُسُّهُ حَسًّا يعنى قتله فأبطل حسه .

(٢) يعنى دخل بعضهم فى بعض .

(٣) يعنى اشتبهوا فكانوا يقتلون المسلم ظنا أنه من المشركين كما فعلوا بوالد حذيفة بن اليمان .

(٤) لم يعرف أن السعدين كانا معه فى ذلك الوقت وإنما كان معه طلحة بن عبيدالله وأبو دجانة .

(٥) يعنى فى مشيته وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول‌الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليه بيده أن اسكت .

يصبنا ما أصابنا فرق حولنا وهو يقول : اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول مرة أخرى اللهم ليس لهم أن يعلونا .

وأخرج الشيخان عن سعد أبي وقاص قال رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعنى جبرئيل وميكائيل . ثم أخرج البيهقى عن مجاهد قال لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وقال مراده أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به(١) وقال الواقدى عن شيوخه فى قوله تعالى ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ﴾ الآية ، قال لم يصبروا وانكشفوا فلم يمدوا . أخرجه البيهقى .

وأخرج البيهقى عن عروة قال : « كان الله وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وكان قد فعل ، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة » .

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدى عن شيوخه قالوا : « لما انهزم المشركون انطاق الرماة ينتهبون فكر عليهم المشركون فقتلوهم وانتقضت(٢) صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وحالت الريح(٣) فصارت دبوراً ، وكانت قبل ذلك صباً(٤) ونادى إبليس إن محمداً قتل ، واختلط المسلمون فصاروا

---

(١) لأن قتال الملائكة مشروط بالصبر والتقوى كما قال تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) .

(٢) أى اختلت واضطربت .

(٣) يعنى تحولت من ريح نصر إلى هزيمة .

(٤) وفى الحديث الصحيح « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » .

يقتتلون على غير شعار[١] ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون به من العجلة والدَّهَش ، وقتل مصعب بن عمير فأخـذ اللواء مَلَكٌ فى صورة مُصْعَب[٢] وحضرت الملائـكة يومئذ ولم تقاتل » .

وأخرج الطبرانى وابن مندة وابن عساكر من طريق محمود بن لبيد قال : قال الحارث بن الصمة : «سألنى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف[٣] فقلت رأيته إلى جنب الجبل فقال إن الملائـكة تقاتل معه ، قال الحارث : فرجعت إلى عبد الرحمن فأجد بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت ؟ قال : أما هذا وهذا فأنا قتلتهما ، وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله » .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن شرحبيل العبدرى قال : « حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل[٤]﴾ الآية ثم قطعت يده اليسرى فجثا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره[٥] وهو يقول ﴿وما محمد إلا رسول﴾

---

(١) أى علامة يتميز بها المسلم من غيره .

(٢) المعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد قتل مصعب دفع اللواء إلى على ابن أبى طالب .

(٣) لقد جرح عبد الرحمن فى غزوة أحد جروحا كثيرة .

(٤) بعيد جدا أن يجرى على لسان مصعب مثل هذا القول فى تلك الشدة وهو يقاتل عن لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تـكن إشاعة مقتله عليه السلام قد حدثت بعد وإنما أرجف بها المنافقون بعد مقتل مصعب .

(٥) المعروف أن هذا إنما حدث من جعفر بن أبى طالب فى غزوة مؤتة وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن الله أبدله بذراعيه جناحين طار بهما إلى الجنة ولهذا لقب بجعفر الطيار ، وأما مصعب فلم يحفظ عنه هذا .

الآية ، ثم قتل فسقط اللواء . قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هـذه الآية ﴿ وما محمد إلا رسول﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك وقال ابن سعد أنا الواقدى حدثنى الزبير بن سعيد النوفلى عن عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد مصعب بن عمير اللواء فقتل مصعب فأخذه ملك فى صورة مصعب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقدم يا مصعب ، فالتفت إليه الملك فقال : لست بمصعب ، فعرف أنه ملك أُيِّدَ به» . وقال ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيدة ، حدثنى محمد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن : يا رسول الله : ألم يقتل مصعب ؟ قال : بلى ، ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه »[١] .

وأخرج الواقدى وابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص قال : « لقد رأيتمونى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد فظننت أنه ملك .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وابن عساكر عن عبد الله بن عون عن عمير بن إسحاق قال : « لما كنا يوم أُحد انكشفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعد يرمى بين يديه وفتى ينبل له كلما ذهبت نبلة أتاه بها قال ارم أبا إسحاق[٢] فلما فرغوا نظروا من الشاب ؟ فلم يروه ولم يعرف . وقال ابن إسحاق ذكر الزهرى قال : علت عالية قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) هذه كلها أخبار لا أصل لها وهى من خيالات القصاص كما بينتها غير مرة .

(٢) الذى ورد فى الصحيح أن النبى عليه الصلاة والسلام هو الذى كان يناوله النبل ويقول له ارم فداك أبى وأمى ، فجمع له أبويه يوم أحد .

« اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل » . أخرجه البيهقى وأخرج عن عروة نحوه .

وأخرج النسائى والطبرانى والبيهقى عن جابر بن عبد الله أن طلحة أصيبت أنامله فقال حَسِّ[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك فى جو السماء » .

وأخرج الطبرانى عن طلحة قال : « لما كان يوم أحد أصابنى السهم فقلت حس ، فقال لو قلت بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك » .

وأخرج الدارقطنى فى الأفراد عن طلحة أنه لما أصيبت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « حس فقال : لو قلت بسم الله لرأيت بناءك الذى بنى الله لك فى الجنة وأنت فى الدنيا » .

وأخرج الشيخان عن أنس أن عمه أنس بن النضر قال يوم أحد : «والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أحد وإنها لريح الجنة »[2] .

وقال ابن إسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله

---

(١) هى بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أمضه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوها .

(٢) كان أنس منذ فاتته وقعة بدر وهو يتشوق إلى لقاء المشركين فلما كانت غزوة أحد وفر المسلمون أقبل أنس فلقيه سعد بن معاذ مدبرا فقال له إلى أين يا سعد ، والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة من دون أحد ونظر إلى المشركين فقال اللهم إنى أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ونظر إلى المسلمين فقال اللهم إنى أعتذر إليك مما يصنع هؤلاء ثم أقبل على المشركين وظل يقاتل حتى قتل ودهسته سنابك خيل المشركين ووجد بجسمه نحو من سبعين ضربة ولم يعرفه أحد إلا أخته ببنان أصبعه .

عليه وسلم قال : « إن حنظلة لتغسله الملائـكة فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت زوجته قالت : خرج حين سمع الهائعة[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائـكة » . أخرجه البيهقى وأخرجه السراج فى مسنده والحاكم وصححه وأبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده به» . وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد به . وأخرجه ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه بلفظ « إنى رأيت الملائـكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة » قال أبو أسيد الساعدى فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه تقطر ماء وفيه أن امرأته قالت رأيت كأن السماء فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة »[2] .

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن أبى وقاص « أن سعد بن معاذ لما مات بعد الخندق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً فإنه لينقطع شسع الرجل فما يرجع ويسقط رداؤه فما يلوى عليه وما يعيج[3] أحد على أحد فقالوا يارسول الله إن كدت لتقطعنا، قال : «خشيت أن تسبقنا الملائـكة إلى غسله كما سبقتنا إلى غسل حنظلة[4] وأخرج ابن سعد نحوه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد

وأخرج أبو يعلى والبزار والحاكم وأبو نعيم عن أنس بن مالك قال :

---

(١) هى صوت النفير إلى القتال .

(٢) كل هذا حشو وزيادة فى القصة لا لزوم له .

(٣) أى يعطف ويميل .

(٤) لقد كان غسل الملائـكة حنظلة بسبب خروجه جنبا فما هو يا ترى سبب غسلها سعدا ؟ ولماذا أراد الرسول أن يفوت على سعد هذه الفضيلة ؟ لـكنها أخبار أبى نعيم وكفى .

افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج فقال الخزرجيون منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وأبى وزيد وأبو زيد وقال الأوس منا من اهتز له العرش سعد بن معاذ ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ومنا من حمته الدُّبْر عاصم بن ثابت ومنا غسيل الملائكة حنظلة بن أبى عامر .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : «قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غسلته الملائكة »[1] .

أخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة » .

وأخرج الشيخان عن جابر قال : « لما قتل أُبى يوم أحد بكت عمتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتبكيه أو لم تبكيه[2] فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن زيد بن ثابت قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطاب سعد بن الربيع[3] وقال إن رأيته فَأَقْرِأْه منى السلام وقل له كيف تجدك ؟ فأصبته وهو فى آخر رمق وبه سبعون ضربة

---

(١) لاندرى ممن وقع هذا الوهم فوضع بدل حنظلة حمزة ، أما إن كان الراوى قد أراد أن حمزة هو أيضا قتل جنبا فغسلته الملائكة فقد خرجت المسألة من حد الوهم إلى الافتراء والكذب .

(٢) الرواية المحفوظة تبكين أو لاتبكين بأو التى للتسوية وهى التى تتفق مع قوله « فما زالت الملائكة الخ » .

(٣) كان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة ، وهو الذى آخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وَرَمْيَةٍ بسهم ، فقال ، قل له يارسول الله أجدني أجد ريح الجنة وقل لقومى الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله عليه وسلم صلى الله وفيكم شُفْرٌ (١) يَطْرِف وفاضت نفسه » .

قال البيهقى وذكر الواقدى فى قصة خَيْثَمَةَ أبى سعد بن خيثمة أنه قال يوم أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم :لقد أخطأتنى وقعة بدر وكنت والله حريصاً عليها حتى ساهمت ابنى فى الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد رأيت ابنى البارحة فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها ويقول الحق بنا ترافقنا فى الجنة فقد وجدت ماوعدنى ربى حقا وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته فى الجنة فادع الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة سعد فى الجنة ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقتل بأحد شهيداً » .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبدالله بن جحش يقول قبل أحد بيوم « اللهم إنى أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلونى (٢) ثم يبقروا بطنى ويجدعوا أنفى وأذنى ثم تسألنى بم ذاك؟ فأقول فيك فلما التقوا فعل به ذلك فقال الرجل الذى سمعه: إنى لأرجو أن يُبِرَّ الله آخر قسمه كما أبر أوله وقال عبد الرزاق أنا معمر عن سعيد بن عبدالرحمن الجحشى أنا أشياخنا أن عبدالله بن جحش جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وقد ذهب سيفه فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم عسيباً من نخل فرجع فى يد

---

(١) الشفر واحد الأشفار وهو حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر .

(٢) ليس هذا من قبيل تمنى الموت المنهى عنه ،وإنما هو تمن لنيل منصب الشهادة فهو كقوله عليه الصلاة والسلام « لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » .

عبدالله سيفاً[٢] ، أخرجه البيهقى ، وقال ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال « أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأَحَدَّهُما[٣] ، أخرجه ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم وقد تقدم موصولا وأن ذلك كان يوم بدر ، وأخرجه أبو يعلى وأبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت » .

وأخرج البيهقى من طريق أبى سعيد الخدرى عن قتادة بن النعمان وكان أخاه لأمه أن عينه ذهبت يوم أحد فجاء بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فردها فاستقامت . قال البيهقى وذكر الواقدى مثله وزاد وكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر .

وأخرج أبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان «أنه أصيبت عينه يوم أحد فوقعت على وجنته فردها النبى صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أصح عينيه وأحدها » .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن قتادة قال « كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت[١] منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت إلى رسول الله صلى عليه وسلم

(١) ورد هذا فى غزوة بدر بالنسبة لعكاشة بن محصن فلعلهما واقعتان .

(٢) هذا هو الصحيح أن عين قتادة أصيبت يوم أحد أما ما رواه المصنف سابقا من أنها أصيبت فى بدر فهو وهم .

(٣) أى خرجت وبرزت .

فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال : « اللهم إقِ قتادة كما وقى نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدها نظرا » .

وأخرج أبو يعلى من طريق عبد الرحمن بن الحارث بن عبيدة عن جده قال : «أصيبت عين أبى ذر يوم أُحد فبزق فيها النبى صلى الله عليه وسلم فكانت أصح عينيه[1] » .

وأخرج الواقدى والبيهقى عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول «شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتى من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه[2] ولقد رأيت عبد الله بن شهاب[3] يقول يوم أحد دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا[4] ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أحد ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال : والله ما رأيته أحلف بالله إنه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك » .

وقال عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى وعن عثمان الجزرى عن مقسم أن

---

(١) لعل هذا أيضا مما وقع فيه الوهم بوضع أبى ذر مكان قتادة فإننا لا نجد لأبى ذر رضى الله عنه ذكرا فى هذه الغزوة .

(٢) لقد أبلى بعض الصحابة فى الدفاع عن النبى صلى الله عليه وسلم أعظم البلاء حين صار هدفا لسهام المشركين منهم طلحة بن عبيد الله الذى ظل يتلقى السهام عنه حتى خر صريعا بين يديه وأصاب سهم منها ذراعه فشلها ومنهم أبو دجانة الذى تترس عليه فكانت تقع السهام فى ظهره .

(٣) هو عبد الله بن شهاب الزهرى أحد بنى زهرة وهو عم محمد بن مسلم ابن شهاب ويقال إنه هو الذى شج النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) المعروف أن الذى قال ذلك هو أبى بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أُحد حين كسر رباعيته وشج وجهه فقال : « اللهم لايحل عليه الحول حتى يموت كافراً فما حال عليه الحول حتى مات كافراً »[١] أخرجه البيهقى .

وأخرج أبو نعيم عن نافع بن عاصم قال : « الذى دمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن قمئة[٢] رجل من هذيل فسلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله » .

وأخرج الخطيب فى تاريخه عن محمد بن يوسف الفريابى قال : « بلغنى أن الذين كسروا رباعية النبى صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم صبى فنبتت له رباعية[٣] .

وأَخرج البيهقى عن عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالـكا أَبا أَبى سعيد الخدرى لما جرح النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص جرحه حتى أَنقاه ولاح أَبيض فقيل له مجه[٤] فقال والله لا أَمجه أبداً ثم أدبر يقاتل ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم :من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فاستشهد».

وأخرج البيهقى عن الشافعى قال «كان من الممنون عليهم بلا فدية يوم بدر أبو عزة الجمحى تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناته وأخذ عليه عهدا أنَ

---

(١) كيف يتفق هذا مع ما ورد من أنه عليه الصلاة والسلام لما قال « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم » فنزل قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) .

(٢) ذكر فى (زاد المعاد) أن اسمه عمرو بن قمئة .

(٣) ما ذنب هؤلاء الصبيان حين يولدون مثلة بدون ثنايا فلا ينبغى التعويل على مثل هذه البلاغات .

(٤) أى اطرحه من فمك والقائل له ذلك هو النبى عليه الصلاة والسلام نفسه .

لا يقاتله فأخفره[١] وقاتله يوم أحد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفلت فما أسر من المشركين رجل غيره فأمر به فضربت عنقه » :

وأخرج البيهقى عن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد «أما إن المشركين لن يصيبوا منا مثلها أبداً » .

وأخرج ابن سعد عن الواقدى عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن » .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال : « لما قتل حمزة يوم أحد أقبلت صفية[٢] تطلبه لاتدرى ماصنع ؟ فلقيت علياً والزبير فقالت مافعل حمزة ؟ فأرياها أنهما لايدريان فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إنى أخاف على عقلها » فوضع يده على صدرها ودعا لها فاسترجعت[٣] وبكت » .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى أنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف بن محمد قال : بلغنى أن هنداً ابنة عتبة بن ربيعة جاءت يوم أحد وكانت نذرت لئن قدرت على حمزة لتأكلن من كبده فجاؤا بحزة[٤] من كبد حمزة فأخذتها تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبلغها فلفظتها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه فقال : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبدا[٥] .

---

(١) يعنى خانه ونقض عهده .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب أخت حمزة وعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم الزبير حوارى رسول الله .

(٣) يعنى قالت إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٤) هى القطعة من اللحم .

(٥) لقد أسلمت هند يوم الفتح وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنها .

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدى عن شيوخه قال: كان سويد بن الصامت قد قتل زيادا أبامجذر فى وقعة التقوا فيها فظفر المجذر بسويد فقتله وذلك قبل الإسلام فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحارث بن سويد ومجذر بن زياد وشهدا بدراً فجعل الحارث يطلب مجذراً يقتله بأبيه فلا يقدر عليه فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه فلما رجع رسول صلى الله عليه وسلم من حمراء الأسد أتاه جبرائيل فأخبره أن الحارث بن سويد قتل مجذر بن زياد غيلة وأمره أن يقتله فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء فى ذلك اليوم ، فى يوم حار فدخل مسجد قباء فصلى به وسمعت به الأنصار فجاءت تسلم عليه وانكروا إتيانه فى تلك الساعة وفى ذلك اليوم حتى طلع الحارث بن سويد فى مِلْحَفَة مُوَرَّسَة[1] فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عُوَيْم بن ساعدة فقال قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله غيلة فقال الحارث قد والله قتلته وما كان قتلى إياه رجوعا عن الإسلام ولا ارتيابا فيه ولكنه حمية من الشيطان وأمر وكلت فيه إلى نفسى وأنى أتوب إلى الله ورسوله[2] مما عملت وأخرج ديته أو أصوم شهرين متتابعين أو أعتق رقبة حتى إذا استوعب كلامه قال قدمه ياعويم فاضرب عنقه فقدمه فضرب عنقه[3] فقال حسان بن ثابت :

---

(١) أى مصبوغة بالورس .

(٢) لا تكون التوبة إلا إلى الله عز وجل فإنها عبادة لاتنبغى إلا لله وقد ورد أن النبى عليه السلام قال لرجل تب فقال الرجل اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبى عليه السلام عرف الحق لأهله .

(٣) من المعلوم أن القصاص هو حق أولياء القتيل ويسقط بعفوهم ورضاهم بالدية ولم يذكر هنا أنهم تقدموا بطلب القصاص، وقد ذكر أن الحارث شهد بدراً وكان النبى يعفو عن أهل بدر كما فعل مع حاطب بن أبى بلتعة وكيف يقدم بدرى على قتل مؤمن عمداً أخذا بثأر أبيه المشرك، كل ذلك يدل على سقوط هذه القصة وتهافتها .

يا حار فى سِنَة من نوم أَوّلِكُم   أم كنت ويحك مُغْتَرًّا بجبريل
أم كيف بابن زياد حين تقتله   تَغِرَّةً فى فضاء الأرض مجهول

وأخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله قال أُخْرِجَ أبى من قبره فى خلافة معاوية فأتيته فوجدته على النحو الذى تركته لم يتغير منه شىء فواريته[١].

وأخرج ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم من وجه آخر عن جابر قال: « اسْتُصْرِخْنا إلى قتلانا يوم أحد وذلك حين أجرى معاوية العين فأتيناهم فأخرجناهم رطَابًا تُثْنَى أطرافهم على رأس أربعين سنة وأصابت الْمِسْحَاةُ قدم حمزة فانثعبت دما[٢]، وأخرجه البيهقى من طريق أخرى، ومنها طريق الواقدى عن شيوخه وفيه فوجد عبدالله والد جابر ويده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانثعب الدم فردت إلى مكانها، فسكن الدم قال جابر فرأيت أبى فى حفرته كأنه نائم والنَّمِرَةُ التى كفن فيها كما هى والحزيل[٣] على رجليه على هيئته وبين ذلك ست وأربعون سنة وأصابت المسحاة رِجْلَ رجل منهم فانثعبت دما فقال أبو سعيد الخدرى: لا ينكر بعد هذا منكر ولقد كانوا يحفرون التراب فحفروا نُثْرَةً من تراب فاح عليهم ريح المسك.

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لشهداء أحد « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله فأتوهم وزوروهم والذى نفسى بيده لا يسلم

---

(١) لا نظن أن معاوية يعمد إلى المكان الذى دفن فيه شهداء أحد فيجرى منه عين ماء حتى يضطر أهليهم إلى نقلهم من حفرتهم وهو يعلم ما للشهداء من حرمة عند الله عز وجل.

(٢) أى انفجرت دما.

(٣) هو الرباط الذى تربط به الرجلان فتضم أحديهما إلى الأخرى أسفل الكفن.

عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه »[١].

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى من طريق العَطَّاف بن خالد المخزومى حدثنى عبد الأعلى بن عبدالله بن أبى فروة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء بأحد وقال: « اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء وأنه من زارهم أو سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه »[٢]، قال العطاف وحدثتنى خالتى أنها زارت قبور الشهداء قالت وليس معى إلا غلامان يحفظان عَلَيَّ الدابة فسلمت عليهم فسمعت رَدَّ السلام وقالوا والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا[٣]، قالت فَاقْشَعَرَرْتُ ورجعت.

وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى من وجه آخر عن العطاف قال حدثتنى خالتى فذكر نحوه.

---

(١) ورد فى الصحيح أنه عليه السلام كان يخرج إلى شهداء أحد فيصلى عليهم ويدعو لهم ولكن لم يصح عنه أنه أمر أحدا بزيارتهم وأما إخباره بأنهم يردون السلام على من سلم عليهم فذلك ليس خاصا بهم فقد ورد فى أحاديث ضعيفة أنه مامن أحد يمر بقبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام

(٢) لو صحت مثل هذه الأحاديث فهى من أمور الغيب التى نؤمن بها ولا نعرف كيفيتها فإن الميت من المعلوم أنه قد بطل حسه وأخرس لسانه فلا ندرى كيف يردون السلام على من سلم عليهم.

(٣) لا ندرى أى هؤلاء هو الكاذب العطاف أم خالته أم من روى عنهم، فإننا نعلم يقينا أن الميت لا يتكلم وأن الآيات التى قترحها المشركون على الرسول تعنتاً أن تكلمهم الموتى لم يجبهم إلى ذلك ولما وقف الرسول على قتلى بدر وكلمهم قال له عمر أتكلم قوما قد جيفوا ؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون والعجب من المحدثين يروون عن امرأة لا يدرون حالها ولا شفيع لها عندهم إلا أنها خالة العطاف.

وأخرج البيهقى عن الواقدى أن فاطمة الخزاعية قالت : « زرت قبر حمزة فقلت السلام عليك ياعم رسول الله فسمعتُ كلاماً رَدَّ عَلَىَّ وعليكم السلام ورحمة الله[١] .

وأخرج ابن مندة عن طلحه بن عبيدالله قال :« أردت مالى بالغابة فأدركنى الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام[٢] فسمعت قراءة من القبر ماسمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : « ذاك عبدالله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلهم فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذى كانت فيه[٣] .

وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه والبيهقى عن ابن عباس قال : « ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة المُلْك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى المانعة هى المنجية[٤] .

---

(١) وهكذا دخل المؤلف فى أحاديث النساء لأنه لم يجد من يشهد لفريته من الرجال العقلاء .

(٢) هو والد جابر ومن شهداء أحد .

(٣) الذى فى الصحيح أنه عليه السلام قال « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها .

(٤) كل الأحاديث التى فيها أن الميت يقرأ أو يرد السلام أو يرى زائريه لا يصح منها شىء .

باب ما وقع فى حمراء الأسد من الآيات

قال ابن إسحاق حدثنى عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم « أن أبا سفيان قال لركب من عبد القيس يريدون المدينة بلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الرجعة إلى أصحابه لنستأصلهم (١) فلما مر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه « حسبنا الله ونعم الوكيل » فأنزل الله فى ذلك « الذين قال لهم الناس » الآيات (٢) .

وأخرج البخارى عن ابن عباس قال : لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » فقالها محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره عن ابن جريج فى قوله تعالى « لم يمسسهم سوء » : قال قدم رجل من المشركين من بدر فأخبر أهل مكة بخيل محمد فرعبوا فجلسوا .

باب ما وقع فى غزوة الرَّجيعِ من الآيات

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) هل بلغت بأبى سفيان السفاهة إلى حد أن يخبر عدوه بعزمه على الرجوع فيستعد لملاقاته ام الحزم ان يباغته ؟

(٢) الصحيح أن هذه الآيات نزلت فى غزوة بدر الصغرى حيث كان النبى عليه السلام قد واعد أبا سفيان عليها ولكن أبا سفيان بدا له أن لا يخرج فأرسل نعيم بن مسعود الأشجعى إلى المدينة ليخوف النبى عليه السلام وأصحابه من الخروج ويقول لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولهذا قال سبحانه (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) يعنى أنهم اتجروا ببدر وربحوا ولم يلقوا حربا :

سرية عينا[١] وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفَان ومكة ذُكِرُوا لحى من هُذَيْل فتبعوهم بقرب من مائة رَام فاقتصوا آثارهم[٢] حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجئوا إلى فَدْفَدٍ[٣] وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر وبقى خُبَيْبٌ وزيد بن الدَّثِنَة ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فنزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قِسِيِّهِمْ فربطوهم بها فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنوا الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار مُوسى[٤] من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال أتخشين أن اقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وكانت تقول مارأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لَمُوثَقٌ فى الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله فلما خرجوا به من الحرم قال دعونى أركع ركعتين فركع ثم قال اللهم أحصهم عدداً واقْتُلْهم بَدَداً[٥] ولا تبق منهم أحداً[٦] واستجاب الله لعاصم يوم أصيب

---

(١) السرية الجيش الصغير ومعنى عينا أنها أرسلت للاستطلاع وتحسس الأخبار والعين الجاسوس

(٢) يعنى اتبعوا مواقع أقدامهم

(٣) الفدفد الجبل الصغير الجمع فدافد

(٤) يعنى شفرة ليستحد بها أى يحلق عانته

(٥) أى متفرقين متشتتين

(٦) فى بعض الروايات أن خبيبا حين قدم لتضرب عنقه قال له بعضهم ايسرك

فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيبوا خبرهم وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على أن يقطعوا منه شيئا » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة نحوه وزاد « أن خبيباً قال اللهم إنى لا أجد رسولا إلى رسولك فبلغه عنى السلام فجاء جبرئل إلى النبى صلى لله عليه وسلم فأخبره ذلك فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو جالس فى ذلك اليوم الذى قتل فيه عليك السلام خبيب قتله قريش » .

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال : « كانت هذيل حين قتلوا عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلاَفة بنت سعد وقد كانت نذرت حين أصيب ابناها بأحد لئن قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه[1] الخمر فمنعتهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى[2] فاحتمل عاصما فذهب به وكان عاصم أعطى الله عهداً لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك أبداً فى حياته فمنعه الله فى وفاته مما امتنع منه فى حياته » .

أنك كنت فى أهلك الآن وأن محمداً مكانك تضرب عنقه ؟ فقال لهم والله مايسرنى أنى أكون فى أهلى ومحمد هنا تصيبه شوكة ثم قال شعراً :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً — على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله فإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع

(١) يعنى الجمجمة

(٢) لعله يعنى السيل .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن بُرَيْدَة بن سفيان الأسلمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عاصم بن ثابت فذكر القصة كما تقدم من حديث أبى هريرة وذكر فيها فأرادوا لِيَحْتَزُّوا[1] رأسه ليذهبوا به إليها فبعث الله رَجْلاً[2] من دَبْر فحمته، فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه وذكر فى شأن خبيب أنه قال اللهم إنى لا أجد من يبلغ رسولك عنى السلام فبلغ رسولك منى السلام، فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حينئذ وعليه السلام قال أصحابه : يانبى الله من ؟ قال أخوكم خبيب يقتل فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء قال رجل : فلما رأيته يدعو لبدت بالأرض ، فلم يَحُل الحَوْل ومنهم أحد غير ذلك الرجل الذى لبد بالأرض .

وقال ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح عن مَاوِيَّة مولاة حُجَيْر بن أبى إهاب قالت « حبس خبيب بمكة فى بيتى فلقد اطلعت عليه يوما وإن فى يده لقطفاً من عنب أعظم من رأسه يأكل منه وما فى الأرض يومئذ حبة عنب » .

وأخرجه ابن سعد من وجه آخر عن ماوية .

وأخرج ابن أبى شيبة والبيهقى من طريق جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى أن أباه حدثه عن جده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينا وحده قال «جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع بالأرض فانتبذت غير بعيد ، ثم التفت فلم أر خبيباً فكأنما ابتلعته الأرض فلم يذكر لخبيب

---

(١) لعلها ليحتزوا بالحاء المهملة من الحز، بمعنى القطع وأما الاجتزاز فمعناه حلق الرأس وليس مرادا هنا .

(٢) الرجل بفتح الراء وسكون الجيم الجماعة من الجراد أو النحل أو نحوهما وهو معنى الدبر أيضا .

رِمَّةً حتى الساعة »[١].

وأخرج أبو يوسف فى (كتاب اللطائف) عن الضحاك أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل المقداد والزبير فى إنزال خبيب عن خشبته فوصلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلا نَشَاوَى[٢] فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شىء فَنذِر[٣] بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسمى بليع الأرض ».

وقال الواقدى حدثنى إبراهيم بن جعفر عن أبيه . وحدثنى عبد الله بن أبى عبيدة عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى وحدثنى عبدالله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبى عون قالوا « كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما أحد من يغتال محمداً فإنه يمشى فى الأسواق فيدرك ثأرنا فأتاه رجل من العرب فقال إن أنت قويتنى خرجت إليه حتى أغتاله فإنى هاد بالطريق خِرِّيتٌ »[٤] ومعى خنجر مثل خافية النَّسْر، قال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك[٥] فإنى لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه[٦] إلى محمد قال العربى : لا يعلم به أحد فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وَصَبَّحَ ظَهْر الحَرَّة صبح سادسة ثم أقبل فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال لأصحابه : إن هذا الرجل

---

(١) ذكر ابن القيم فى زاد المعاد أن عمرو بن أمية الضمرى احتمل خبيبا بخشبته ليلا فذهب به فدفنه .

(٢) جمع نشوان يعنى سكارى .

(٣) هو بكسر الذال المعجمة يعنى علم .

(٤) الخريت الماهر بخفيات السبل للتفرقة فى المفازة .

(٥) يعنى أكتم قصدك ولا تتحدث به إلى أحد .

(٦) يقال نمى الحديث ينميه يعنى بلغه .

تريد غدرا والله حائل بينه وبين مايريد، ثم قال له اصدقنى ماأنت وماأقدمك؟ فإن صدقتنى نفعك الصدق وإن كذبتنى فقد اطلعتُ على ماهممتَ به قال فأمن ؟ قال : فأنت آمن فأخبره بخبر أبى سفيان وماجعل له فقال قد آمنتك فاذهب حيث شئت وخير لك من ذلك، قال وما هو ؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فأسلم ثم قال: والله ما كنت أفْرَقُ الرجال[1] فوالله ماهو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت نفسى ثم اطلعت على ما هممت به مما سبقت به الركبان، ولم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أمية الضمرى ولسلمة بن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غِرَّةً فاقتلاه فخرجا قال عمرو فقال لى صاحبى هل لك أن تأتى البيت فتطوف به أسبوعا[2] وتصلى ركعتين فقلت إنى أعرف بمكة من الفرس الأبلق، وإنهم إن رأونى عرفونى فأبى أن يطيعنى فأتينا فطفنا أسبوعا وصلينا ركعتين، فلقينى معاوية بن أبى سفيان فعرفنى وأخبر أباه فَنَذِر بنا أهل مكة فقالوا. ماجاء عمرو فى خير وكان عمرو رجلا فاتكاً فى الجاهلية فحشد أهل مكة وتجمعوا فهربنا وخرجوا فى طلبنا فدخلت غاراً فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبون وَعَمَّى الله عليهم الطريق أن يهتدوا لراحلتنا فقال صاحبي: هل لك فى خبيب تنزله ؟ فاشتددت فأنزلته ».

أخرجه البيهقى.

---

(١) يعنى أخافهم.

(٢) يعنى سبعة أشواط.

باب
ما وقع فى قصة بير مَعُونة[١] من الآيات

أخرج البخارى من طريق هشام بن عروة قال أخبرنى أبى قال « لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى قال له عامر بن الطفيل من هذا ؟ وأشار إلى قتيل فقال له هذا عامر بن فُهَيْرَة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم خَبَرُهم فنعاهم[٢] فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا فأخبرهم عنهم » .

وأخرج مسلم والبيهقى عن أنس «أن ناساجاؤا إلى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) كانت هذه الغزوة فى صفر من السنة الرابعة وسببها أن أبابراء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد فقال يارسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم فقال إنى أخاف عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فبعث معه أربعين رجلا وقيل: سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بنى ساعدة فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم فأرسلوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وأمر رجلا فطعنه بالحربة من خلفه فقال : فزت ورب الكعبة ثم استنفر عدو الله قومه بنى عامر لقتال الباقين فلم يجيبوه لأجل جوار أبى براء واستنفر بنى سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان فجاء واحتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار .

(٢) يعنى أعلم أصحابه بقتلهم .

فقالوا ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فتعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ، قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، إن إخوانكم قد قتلوا فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا » .

وأخرج البيهقى عن ابن مسعود قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فلم نلبث إلا قليلا حتى قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن إخوانكم قد لقوا المشركين واقتطعوهم فلم يبق منهم أحد ، وإنهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد رضينا ورضى عنا ربنا فأنا رسولهم إليكم أنهم قد رضوا ورضى عنهم » .

وقال الواقدى حدثنى مصعب بن ثابت عن أبى الأسود عن عروة قال «خرج المنذر بن عمرو[1] فذكر القصة وقال فيها قال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية هل تعرف أصحابك ؟ قال نعم فطاف فيهم يعنى فى القتلى وجعل يساله عن أنسابهم قال هل تفقد منهم من أحد قال أفقد مولى لأبى بكر يقال له عامر بن فهيرة قال كيف كان فيكم ؟ قلت كان من أفضلنا قال ألا أخبرك خبره ؟ طعنه هذا برمح ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل عُلْوًا فى السماء حتى والله ما أراه وكان الذى قتله رجل من كِلاَب يقال له جبار بن سلمى ذكر أنه لما طعنه سمعه يقول فزت والله قال فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابى فاخبرته بما كان وأسلمت ودعانى إلى الاسلام ما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة ومن رفعه إلى السماء علوا

---

(١) الصحيح أنه المنذر بن محمد كان هو وعمرو بن أمية الضمرى فى سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة فنزل المنذر فقاتل المشركين مع أصحابه حتى قتل وأسر عمرو بن أمية الضمرى فلما أخبر أنه من مضر جز عامر بن الطفيل ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه .

قال وكتب الضحاك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأَن الملائـكة وارت جثته وأنزل عليين » . أخرجه البيهقى وقال: يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ليجتمع مع رواية البخارى السابقة عن عروة فإن فيها ثم وضع[1] فقدروينا فى مغازى موسى بن عقبة فى هذه القصة قال فقال عروة لم يوجد جسد عامر فيرون أن الملائـكة، وارته ثم أخرج البيهقى رواية عروة موصولة عن عائشة بلفظ لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ولم يذكر فيها ثم وضع[2] فقويت الطرق وتعددت لمواراته فى السماء[3] : وقال ابن سعد أنا الواقدى حدثنى محمد بن عبدالله عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرون ان الملائكة وارته[4] .

باب

ما وقع فى غزوة ذات الرِّقَاع من الآيات والمعجزات

أخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قِبَل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القَائِلَة[5]

---

(١) وهذا هو الصحيح أنه وضع ودفن فى الأرض فإن الله يقول (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) وليس فى السماء مقبرة يدفن فيها أهل الأرض .

(٢) لـكنها مذكوره فى رواية البخارى وهى زيادة ثقة يجب قبولها .

(٣) لاقويت الطرق ولا تعددت ولا هو أمر مقبول فى نفسه بل الله أكرمه برفع الملائـكة إياه من بين يدى عدوه ثم نزلت به فوارته فى الأرض .

(٤) ليس فى حديث عائشة أن الملائـكة وارته فى السماء ،

(٥) يعنى وقت القيلولة ؟

يوما بواد كثير العِضَاه[١] فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمُرَاة فعلق بها سيفه فنمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال إن هذا اخترط سيفي[٢] وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا[٣] فقال لي من يمنعك مني ؟ فقلت : الله فشام السيف[٤] وجلس ثم لم يعاقبه » .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي من وجه آخر عن جابر قال « قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفة[٥] بنخل[٦] فرأوا من المسلمين غِرَّة فجاء رجل منهم يقال له غَوْرَث بن الحارث حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني ؟ قال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني ؟ قال كن خير آخذ فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال جئتكم من عند خير الناس ثم ذكر صلاة الخوف[٧] .

---

(١) جمع عضه وهو الشجر .

(٢) يعني جرده من غمده .

(٣) يعني مجردا من غمده .

(٤) يعني أغمده وفي رواية لمسلم : فهدده أصحاب رسول الله فأغمد السيف وعلقه .

(٥) يعني بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٦) هو موضع بنجد على مسيرة يومين من المدينة .

(٧) هذا يدل على أن تلك الغزوة كانت بعد الخندق فإن صلاة الخوف لم تكن شرعت يومها بدليل أن المشركين حبسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة العصر حتى غابت الشمس يوم الخندق . والظاهر أن أول صلاة صلاها الخوف كانت بعسفان عام الحديبية وكان على المشركين يومئذ خالد بن الوليد ثم صلاها بعد ذلك في غزوة ذات الرقاع التي كانت بعد الخندق والحديبية .

وأخرج أبو نعيم من وجه ثالث عن جابر قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صَفَرَ فقال (١) تحت شجرة وعلق سيفه بها فجاء أعرابى فسلَّ السيف فقام به على رأسه فقال يامحمد من يمنعك منى ؟ فاستيقظ فقال الله فأخذه واجف (٢) فوضع السيف وانطلق » .

وأخرج البيهقى من وجه اخر عن جابر قال « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر بنخل فهم به المشركون ثم قالوا دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أحب إليهم من ابنائهم فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة الخوف » وأخرجه مسلم بلفظ « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جُهَيْنةَ فقاتلوا قتالا شديدا فلما صلى الظهر قال المشركون لو مِلْنَا عليهم مَيْلة لا قتطعناهم وقالوا إنهم ستأتيهم صلاة هى أحب إليهم من الأولاد فاخبر جبرئيل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى صلاة الخوف .

وأخرج أحمد والبيهقى عن أبى عياش الزُّرَقى قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِعُسْفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد كانوا على حال لو أردنا لأصبنا غرة فأنزلت آية القصر بين الظهر والعصر (٣) وذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد فى قصة إسلامه قال « فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت فى خيل المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بعسفان فقمت بازائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر امامنا فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا (٤) فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف » .

---

(١) يعنى نام نومة القيلولة ، (٢) أى رعب وفزع ؟

(٣) هذا يشهد لما قلنا من أن أول صلاة صلاها للخوف كانت عام الحديبية بعسفان ؟

(٤) أى لم يصل هذا لهم إلى حد العزم

وأخرج مسلم والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع حتى نزلنا واديا أَفْيَحَ[١] فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته واتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم ير شيئا يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطىء الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادى بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش[٢] الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى على بإذن الله فالتأمتا . قال جابر فجلست أحدث نفسى فحانت منى لفتة [٣] فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا ، ثم أقبل فلما انتهى إلى قال : ياجابر هل رأيت مقامى؟ قلت نعم يا رسول الله قال فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنا فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامى فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن يسارك . قال جابر : فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته فانذلق لى فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا، ثم أقبلت أَجُرُّهما حتى إذا قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت غصناً عن يمينى وغصناً عن يسارى ، ثم لحقت فقلت قد فعلت يا رسول الله فعند ذلك قال إنى مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتى أن يرفه [٤] عنهما مادام الغصنان رطبين وأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجابر ناد بِوَضُوء فقلت : أَلاَ وَضوء ألا وضُوءَ؟ قلت يارسول الله ماوجدت فى الركب من قطرة وكان رجل من الأنصار يُبَرِّدُ لرسول الله

---

(١) يعنى واسعا .

(٢) يعنى الذى جعل فى أنفه الخشاش .

(٣) يعنى نظرة .

(٤) أى يخفف .

صلى الله عليه وسلم الماء فقال لى انطلق إلى فلان الأنصـــارى فانظر فى هل أشجابه (١) من شىء (٢) فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة فى عزلاء(٣) شَجْبٍ منها لو أنى أُفْرِغه لَشَرِبَه يَابِسُه فأَتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال اذهب فأتنى به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشىء لا أدرى ما هو؟ ويغمزه بيده ثم أعطانيه فقال يا جابر ناد بِجَفْنَة (٤) فقلت يا جَفْنَةَ الرَّكْب فأتيت بها تُحْمَل فوضعت بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها فى الجفنة وفرق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال خذ ياجابر فصب على وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ففارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء فأتى الناس فاستقوا حتى رووا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى وشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع فقال عسى الله أن يطعمكم فأتينا سيف البحر فألقى دابة فَأَوْرَيْنَا على شِقِّها النار فشوينا وطبخنا وأكلنا وشبعنا (٥) قال جابر فدخلت أنا وفلان

---

(١) الأشجاب : جمع شجب وهو السقاء الذى قد أخلق وصار شنا .

(٢) لعل صحة العبارة فانظر هل فى أشجابه من شىء بتقديم هل .

(٣) هى بفتح العين المهملة وسكون الزاى فم القربة .

(٤) أى اطلب لنا جفنة وهى الأناء الواسع .

(٥) إنما كان ذلك فى سرية أبى عبيدة بن الجراح ولم يكن فى ذات الرقاع ففى الصحيحين من حديث جابر قال « بعثنا النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيرا لقريش فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط فسمى جيش الخبط فنحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحرت ثلاث جزائر ، ثم نحرت ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهاه فألقى إلينا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر وادهنا منه حتى ثابت منه أجسامنا وصلحت وأخذ أبو عبيدة ضلعا فنظر إلى أطول رجل فى الجيش وأطول جمل فحمل =

وفلان حتى عد خمسة فى حَجَاج عينها (١) ما يرانا أحد حتى خرجنا وأخذنا ضلعاً من أضلاعها فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل فى الركب وأعظم جمل فى الركب فدخل تحته ما يطأطىء رأسه » (٢) .

وأخرج البزاز والطبرانى فى (الأوسط) وأبو نعيم عن جابر قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحرة وَاقِم عرضت امرأة بدوية بابن لها فقالت يا رسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ، ففتح فاه فبزق فيه ، وقال : أخس عدو الله ، أنا رسول الله ثلاثاً ثم قال : شأنك بابنك لن يعود إليه شيء مما كان يصيبه ، فلما رجعنا جاءت المرأة فسألها عن ابنها . فقالت : ما أصابه شيء مما كان يصيبه . ثم ذكر قصة الشجرتين وقصة غورث بن الحارث وقال فيها فارتعدت يده حتى سقط السيف من يده قال ثم رجعنا حتى إذا كنا بمهبط الحرة أقبل جمل يُرْقِلُ (٣) فقال أتدرون ما قال هذا الجمل ؟ هذا جمل يستعدينى على سيده يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين وأنه أراد أن ينحره اذهب يا جابر إلى

= ومر تحته وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا؟ فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكل » .

(١) المراد بها وقب العين وهو عظمها المستدير .

(٢) وهكذا أورد المؤلف هذه الرواية الطويلة وغيرها من التلفيق والخلط وإغراق الخيال مالا يبعد على مثل أبى نعيم ومن العجب أنه أراد أن يروج له بأنه مما أخرجه مسلم وليس فى مسلم من ذلك إلا حديث أبى موسى أنهم ساروا فى تلك الغزوة حتى انتقبت أقدامهم فكانوا يلفون عليها الخرق فلهذا سميت غزوة ذات الرقاع .

(٣) الأرقال أو الرقل ضرب من العدو

صاحبه فأت به فقلت لاأعرفه قال إنه سيدلك عليه فخرج بين يدى مُعْنقاً[1] حتى وقف بى على صاحبه فجئت به قال وكانت غزوة الرقاع تسمى غزوة الأعاجيب[2].

وأخرج الشيخان عن جابر قال «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأبطأ جملى وأعيانى فأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما شأنك ؟ قلت أبطأ جملى وأعيانى وتخلف فجحنه بمحجنه ثم قال اركب فركبت فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة بنى ثعلبة [3] وخرجت على ناضح لى فأبطأ على حتى ذهب الناس فجعلت أرْقُبُه ويُهِمُّنى شأنه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر الناس فقال ما شأنك ؟ قلت أبطأ على جملى قال اذهب معى فكأنه نفث فيها ثم مج من الماء فى نحره ثم ضربه بالعصا فوثب فقال اركب قلت إنى أرضى أن يساق معنا قال اركب فركبت فوالذى نفسى بيده لقد رأيتنى وإنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إرادة أن لا يسبقه » .

وأخرج أبو نعيم من وجه آخر عن جابر نحوه وزاد ثم قال « اركب بسم الله فما ركبت دابة قبله ولا بعده أوسع ولا أوطأ منه إن كان لينطاق بى فأكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه » .

---

(١) معنقا من أعنق البعير، إذا سار العنق يعنى أسرع فى سيره كما فى قول الشاعر * ياناق سيرى عنقا فسيحا * هنا موضع ما بين القوسين .

(٢) ولكن من هذه الأعاجيب ما هو صحيح أورده الشيخان كقصة غورث وجمل جابر ومنها ماهو مخترع كقصة الشجرتين والقبرين الذين يعذبان الخ (إلى سلمان فاستريحا) ومن العجيب أن الوضاعين اختاروا فى هذه الغزوة شخصية جابر بن عبد الله لأنهم يعلمون أنه كان له فيها شأن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أنهم إذا نسبوا إليه مازادوه من غرائب وحكايات فإنها تروج وتجد من يصدقها

(٣) هى غزوة ذات الرقاع غزاها بنفسه فى جمادى الأولى من السنة الرابعة يريد بنى محارب وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان

وأخرج أحمد عن جابر قال « فقدت جملى فى ليلة ظلماء فمررت على رسول الله صلى الله عليه فقال مالك ؟ قلت فقدت جملى قال ذاك جملك اذهب نخذه فذهبت نحو ما قال فلم أجده فرجعت إليه فقال مثل ذلك فذهبت فلم أجده فرجعت إليه فانطلق معى حتى أتينا الجمل فدفعه إلى فبينا أنا أسير وكان جملا فيه قطاف [1] قلت لهف أمى أن يكون لى إلا جمل قطوف فلحق بى فقال ما قلت ؟ فأخبرته فضرب عجزا لجمل بسوط فانطلق أوضع [2] جمل ركبته قط وهو ينازعنى خطامه » .

وأخرج الواقدى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم غزوة ذات الرقاع جاء عُلْبَة بن زيد الحارثى بثلاث بيضات أداحى [3] فقال يا رسول الله وجدت هذه البيضات فى مَفْحَص [4] نعام فقال دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات فعملتهن ثم جئت بهن فى قصعة فجعلت أطلب خبزا فلا أجده فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى إلى حاجته والبيض فى القصعة كما هو ثم قام فأكل منه عامة أصحابه ثم رحلنا مُبرِّدين » [5].

وأخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى أنمار فقال لرجل : ماله ضرب الله عنقه ؟ فسمعه الرجل فقال يا رسول الله فى سبيل الله فقال فى سبيل الله فقتل الرجل فى سبيل الله » .

---

(١) القطاف ضيق الخطو وبطؤه .

(٢) من الإيضاع وهو سرعة السير وفى الحديث « ليس البر بالإيضاع » .

(٣) جمع الأدحى وهو الموضع الذى تبيض فيه النعامة .

(٤) اسم مكان من الفحص وهو عشها الذى تبيض فيه .

(٥) يعنى فى وقت انكسر فيه حر النهار .

غزوة بنى أنمار هى غزوة ذات الرقاع .

وأخرجه الحاكم وصححه ، وقال فى بعض مغازيه وقال فى آخره فقتل يوم اليمامة .

باب
ماوقع فى غزوة الخندق[١] من الآيات والمعجزات

أخرج البيهقى عن قتادة قال : « ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب : لن يغزوكم المشركون بعد اليوم » ، فلم تغزهم قريش بعد ذلك[٢] .

وأخرج البخارى عن سليمانَ بن صُرَد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب[٣] وفى لفظ حين أُجْلِىَ عنه الأحزاب « الآن نغزوهم

---

(١) قال ابن القيم فى (الزاد) وكانت فى سنة خمس من الهجرة فى شوال على أصح القولين إذ لا خلاف أن أحدا كانت فى شوال سنة ثلاث وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه لأجل جدب تلك السنة فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه » وسميت غزوة الخندق لأن سلمان الفارسى رضى الله عنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة فبادر إليه المسلمون وعمل فيه الرسول بنفسه ، وكان الخندق أمام سلع وسلع جبل خلف ظهور المسلمين والخندق بينهم وبين الكفار .

(٢) وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فإن قريشا بعد أن هزمها الله فى تلك الموقعة وردها بغيظها لم تنل خيرا لم تفكر بعدها فى غزو المدينة أبداً .

(٣) المراد بالأحزاب القبائل التى تحزبت على المسلمين فى تلك الغزوة واستجابت لإغراء زعماء اليهود الذين خرجوا يؤلبونهم على القتال . وهم قريش وغطفان وبنو سليم وبنو أسد ، وفزارة وأشجع وبنو مرة ، حتى كان عدة من وافى الخندق من المشركين نحوا من عشرة آلاف .

ولا يغزونا نسير إليهم»[١]

وأخرج أبو نعيم حديث جابر مثله .

وأخرج البخارى عن جابر بن عبد الله قال: « إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْيَةٌ[٢] شديدة فجاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المِعْوَل[٣] فضرب فعاد كثيبا أهيل[٤] ، فقلت يارسول الله إيذن لى إلى المنزل ففعل فقلت لامرأتى رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندى شعير وعَنَاق[٥] فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البُرْمَة[٦] ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت طُعَيم[٧] لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قال : كم هو ؟ فذكرت له قال : كثير طيب قال : قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال : قوموا فقام المهاجرون والأنصار ، فلما

(١) وقد سار المسلمون إليهم فى السنة التى بعدها عام الحديبية ولكنهم لم يخرجوا لقتال ، بل لأداء العمرة وساقوا البدن أمامهم علامة على حسن نيتهم ولما صدهم المشركون عن البيت وقع صلح بينهم على أن يرجعوا من قابل فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يؤدون فيها نسكهم ثم كان المسير الأعظم إليهم يوم فتح مكة فى السنة الثامنة حيث دخل الرسول وأصحابه وكانت عدتهم عشرة آلاف مكة ظافرين منصورين .

(٢) هى القطعة الصلبة الصماء من الصخر التى لا تعمل فيها المعاول وجمعها كدى .

(٣) وهو ما يسمى بالمسحاة أو الفأس وجمعه معاول .

(٤) يعنى رملا ناعما .

(٥) هى الشاة الصغيرة التى لم تبلغ ستة أشهر .

(٦) هى القدر التى يطبخ فيها .

(٧) تصغير طعام يقصد أنه طعام قليل لا يكفى إلا واحد أو اثنان .

دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت: هل سألك؟ قلت نعم فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا[1] فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويُخَمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقى بقية قال: كلى هذا وأهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة».

أخرجه البيهقى وزاد فى آخره «فلم نزل نأكل ونهدى يومنا أجمع». وأخرجه أيضاً من وجه آخر وزاد، «فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك».

وأخرج الشيخان من وجه آخر عن جابر قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديداً[2] فانكفأت إلى امرأتى فقلت هل عندك شىء؟ فإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فأخرجت إلى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن[3] فذبحتها وطحنت الشعير ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئته فساررته فقلت: يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبى صلى الله عليه وسلم ياأهل الخندق إن جابراً قد صنع سؤراً[4] فحيهلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْدُم الناس فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، فأقسم بالله لقد أكلوا وهم ألف حتى

(١) أى ولا تتزاحموا.
(٢) الخمص الجوع.
(٣) هى الشاة التى تربى فى البيت.
(٤) السؤر أصله بقية الشراب فى الإناء والمراد به هنا الطعام القليل.

تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط[(١)] كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو» .

وأخرج الواقدى وابن عساكر عن عبد الله بن مغيث بن أبى بردة الأنصارى قال « أرسلت أم عامر الأشهلية بقعبة[(٢)] فيها حَيْس[(٣)] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبته وهو عند أم سلمة[(٤)] فأكلت أم سلمة حاجتها ، ثم خرج بالبقية ، فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائه ، فأكل أهل الخندق حتى نَهلوا[(٥)] » . وهى كما هى . مرسل .

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر من طريق عبيد الله بن على بن أبى رافع عن أبى رافع قال : « أتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بشاة فى مِكْتَل فقال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته ثم قال : ناولنى الذراع فناولته ثم قال : ناولنى الذارع فقلت يارسول الله هل للشاة إلا ذراعان ؟ فقال : لو سكت ساعة لناولتنيه ما سألتك »[(٦)] .

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر أيضا من وجه آخر عن عبد الله بن على ابن أبى رافع أن جدته سلمى أخبرته أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى

---

(١) أى تفور باللحم .

(٢) القعبة والقعب هو الإناء الذى يشرب فيه .

(٣) هو نوع من الطعام يتخذ من المرق والسويق أو نحو ذلك .

(٤) لا ندرى كيف كان الرسول عليه السلام فى قبته وكان عند أم سلمة ولم نعرف أن الرسول ضربت له يوم الخندق قبة بل كان يشارك أصحابه فى حراسة الخندق ولو كانت له قبة لم تكن معه فيها أم سلمة ولا غيرها من زوجاته فإن النساء فى هذه الغزوة جعلن فى أطم حسان بن ثابت ووكل حسان بحر استهن وعلى كل حال فهو مرسل لا حجة فيه .

(٥) يعنى شبعوا وقضوا حاجتهم معه .

(٦) هذا خبر تلوح عليه أمارات الوضع إذ لا يعقل أن يأمره الرسول بأن يناوله ذراعاً ثالثة من الشاة وليست البركة فى أن يكون للشاة أذرع كثيرة ولكن البركة فى أن تقدم الذراع الواحدة للعدد الكثير فتكفيهم كما حصل فى برمة جابر .

أبى رافع بشاة يوم الخندق فصلاها(١) أبو رافع وجعلها فى مكتل ثم انطلق بها » فذكر مثله .

وأخرج أبو القاسم البغوى فى معجمه عن معاوية بن الحكم قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب رِجْل أخى على بن الحكم جدار الخندق فَدَمَّتْها(٢) فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فمسحها وقال : بسم الله فما آذاه منها شىء » .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبى عبد الرحمن الحُبلى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم الخندق فتناول الفأس فضرب به ضربة : فقال ، هذه الضربة يفتح الله بها كنوز الروم ، ثم ضرب الثانية فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز فارس ، ثم ضرب الثالثة فقال : هذه الضربة يأتى الله بأهل اليمن أنصاراً وأعوانا » .

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق قال : حدثت عن سلمان قال : « ضربت فى ناحية من الخندق فعطف على(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، قلت يا رسول الله ما هذا الذى رأيت يلمع ؟ قال : أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق ،

---

(١) يعنى شواها ، يقال شاة مصلية أى مشوية .
(٢) يعنى أسالت منها الدم .
(٣) أى أقبل نحوى .

فحدثنى من لااتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول فى زمن عمر وزمن عثمان ومابعده: افتتحوا مابدالكم فوالذى نفسى بيدهماافتتحتم من مدينة ولاتفتتحونها إلى يوم القيامة إلا والله تعالى قد أعطى محمداً مفاتيحها (١) .

وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن الكلبى عن أبى صالح عن سلمان .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم نحوه من طريق عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب (٢) .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن البراء بن عازب قال« عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لاتأخذ فيها المعاول،فشكونا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رآها أخذ المعول وقال : بسم الله ، وضرب ضربة فكسر ثلثها. فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأنظر إلى قصورها الحمر ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المداين الأبيض ثم ضرب الثالثة فقطع الحجر فقال الله أكبر

---

(١) يعنى أبو هريرة بذلك قوله عليه السلام فيما رواه هو عنه « بينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت فى يدى » ثم قال أبو هريرة ولقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلونها .

(٢) لاشك أن حديث الضربات الثلاث لتلك الكدية التى عرضت فى الخندق وإضاءة النور منها صحيح واختلاف الروايات هنا لا يضر والجمع فيها ممكن وقد ورد فى سبب نزول قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك ـ الآية) أن المنافقين قالوا فى غزوة الخندق ألا ترون أن محمدا يبشر أصحابه بملك فارس والروم ، وإن أحدهم ليخاف أن يذهب إلى الغائط وحده فنزلت الآية

أعطيت مفاتيح اليمن والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة [١] .

وأخرج ابن سعد وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى وأبو نعيم من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده قال (خرجت لنا من الخندق صخره بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة [٢] أضاء مابين لابتى المدينة [٣] حتى لكأن مصباحاً فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء مابين لابتيها فكبر ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء مابين لابتيها فكبر فقلنا يارسول الله قد رأيناك تضرب فيخرج منها برق كالموج ورأيناك تكبر فقال أضاء لى فى الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبرئيل أن أمتى ظاهرة عليها وأضاء لى فى الثانية قصور الحمر [٤] من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبرئيل أن أمتى ظاهرة عليها وأضاء فى الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبرئيل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فقال المنافقون يخبركم محمد أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزل ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ .

---

(١) وقد ورد فى حديث خباب بن الأرت « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » وكان ذلك بمكة قبل الهجرة .

(٢) يعنى لمع منها نور ولهذا ذكر الفعل بعده .

(٣) يعنى حرتيها .

(٤) هو من أضافة الموصوف إلى الصفة أى القصور الحمر .

وأخرج أبو نعيم عن أنس قال : ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بمعوله ضربة فبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن ثم ضرب أخرى فخرج نور من قبل فارس ثم ضرب أخرى فخرج نور من قبل الروم فعجب سلمان من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أرأيت؟ قلت نعم قال: لقد أضاءت لي المدائن وإن الله بشرني في مقامي هذا بفتح اليمن والروم وفارس) .

وأخرج أبو نعيم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق نحفر فصادف حجراً فضحك فقيل لم ضحكت يارسول الله ؟ قال ضحكت من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في الكُبُول [1] يساقون إلى الجنة وهم كارهون [2] .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثني سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثتني أمي بتمر في طرف ثوبي إلى أبي وخالي وهم يحفرون الخندق فمررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداني فأتيته فأخذ التمر مني في كفيه فما ملأهما وبسط ثوبا فنثره عليه فتساقط في جوانبه ثم أمر أهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا منه وجعل يزيد حتى صدروا عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب [3] .

---

(١) أي في القيود .

(٢) وفي بعض روايات هذا الحديث (يعجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل) وقد ورد أنه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على كتف سلمان وقال (لو نيط الإسلام بالثريا لناله رجال من قوم هذا) يعني فارس .

(٣) معجزته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام ونبع الماء ونحوهما قد اشتهرت وكثر رواتها حتى صارت في حكم المتواترة .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن رجلا من آل المغيرة قال لأقتلن محمداً فأوثب فرسه فى الخندق فوقع فاندقت رقبته فقالوا يامحمد إدفعه إلينا نواره وندفع إليك ديته فقال (ذروه فإنه خبيث خبيث الدية .

وأخرج البيهقى عن قتادة قال : أنز الله تعالى فى سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا) قال فلما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذاما وعدنا الله ورسوله .

وأخرج الشيخان عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) [١] .

وأخرج أبونعيم وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال(لما كان ليلة الأحزاب جاءت الشمال إلى الجنوب فقالت انطلقى فانصرى الله ورسوله فقالت الجنوب إن الحرة لاتسرى بالليل فأرسل عليهم الصبا فأطفأت نيرانهم وقطعت أطنابهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) .

وأخرج عن مجاهد فى قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا) قال يعنى ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى أكفأت قد ورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم[٢] (وجنوداً لم تروها) يعنى الملائكة قال : ولم تقاتل الملائكة يومئذ .

وأخرج البيهقى عن حذيفة بن اليمان قال (لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وَقِرٍّ[٣] فقال رسول الله صلى

---

(١) الصبا بفتح الصاد وألف مقصورة والدبور بفتح الدال نوعان معروفان من الريح وكثيرا ما يتغنى الشعراء بريح الصبا فى أشعارهم .

(٢) يعنى حملتهم على الظعن وهو الارتحال .

(٣) أى وبرد كما قال الشاعر :

أوقد فإن الليل ليل قر والريح ياغلام ريح صر

صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله [١] ثم قال ياحذيفة قم فأتنا بخبر القوم فمضيت كأنما أمشي في حمام ورجعت كأنما أمشي في حمام ثم أصابني البرد حين فرغت [٢] وأخرجه من وجه آخر عن حذيفة وزاد فقلت يارسول الله ماقمت إليك إلا حياء منك من البرد قال : انطلق فلا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلى [٣] ثم أخرجه من طريق ثالثة عن حذيفة وفيه فقمت فقال إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم قال وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قراً فخرجت فقال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قراً في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد منه شيئاً فدخلت العسكر فإذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لامقام لكم وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إني لأسمع صوت

---

(١) وهذا أمر مشكل جداً فكيف يدعوهم النبي عيه السلام فلم يجبه منهم أحد مع علمهم بوجوب ذلك وتعينه كما نطق القرآن بذلك في قوله « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » وقوله من سورة النور « تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » ويمكن أن يعتذر عنهم بأن الرسول عليه السلام لم يوجه الأمر إلى شخص بعينه حتى يتعين عليه إجابته ولكن قال ألارجل فانتظر كل منهم أن يكفيه أخوه ذلك لاسيما مع ما كانوا فيه من شدة الفزع بسبب حصار العدو وتغير الجو إلى ظلمة وريح وبرد شديد أو لعلهم فهموا أن الأمر على سبيل الندب ولم يكن عزيمة فترخصوا في القعود وفي اختياره صلى الله عليه وسلم لحذيفة بالذات دليل على مبلغ ثقته عليه السلام بقوة إيمانه .

(٢) لأنه لما كان في حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظه الله عز وجل من البرد فلما فرغ منها عاوده ما كان يجده من مس البرد .

(٣) الظاهر أن قوله حتى ترجع إلى متعلق بمحذوف صرحت به بعض الروايات وهو قوله لحذيفة « ولا تحدث في القوم حدثاً حتى تأتيني » .

الحجارة فى رحالهم وفرشهم والريح تضربهم بها[١] ثم رجعت فلما انتصف بى الطريق إذا أنا بنحو من عشرين فارساً معتمين [٢] فقالو أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم فرجعت فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القرو جعلت أقرقف[٣] وأنزل الله « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها » ثم أخرجه من طريق رابعة عن حذيفة بهذه الزيادة وقال « وأخذتهم ريح شديدة فتحملوا [٤] وإن الريح لتغلبهم على بعض امتعتهم وأنه لما رجع مر بخيل على طريقه فخرج له فارسان منهم ثم قالا: ارجع إلى صاحبك فأخبره أن الله قد كفاه إياهم بالجنود والريح ثم أخرجه من طريق خامسة عن حذيفة وفيه فقال هل أنت ذاهب ؟ فقال والله ما بى أن أقتل[٥] ولكنى أخشى أن أوسر فقال إنك لن تؤسر وفيه فبعث الله عليهم تلك الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا أكفأته والحديث أخرجه الحاكم وصححه أبو نعيم

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة الأحزاب من يأتيني بخبر القوم جعله الله رفيقى فى الجنة ثلاثاً فلم يجبه احد فنادى ياحذيفة[٦] فأجابه فقال ما سمعت صوتى ؟ قال بلى قال فما منعك ان تجيبنى ؟ قال البرد قال لا برد عليك قال فذهب عنى البرد فذهب فأتاه بخبر القوم فلما رجع عاد البرد إليه كما كان يجده .

---

(١) وقد ورد فى الحديث لاتسبوا الريح فإنها جند من جنود الله » .

(٢) أى لابسى العمائم .

(٣) أى أرعد من شدة البرد .

(٤) يعنى حملوا أمتعتهم للرحيل .

(٥) يعنى لاأخشى ذلك ولا أبالى به .

(٦) وفى بعض الروايات أنه قال « أفيكم حذيفة ؟ » وهى منقبة عظيمة له رضى الله عنه .

أخرج الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم[(١)] .

وأخرجا أيضاً عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شىء بعده[(٢)] .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن جبير قال : لما كان يوم الخندق أتى جبرئيل ومعه الريح[(٣)] فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى جبرئيل[(٤)]

---

(١) الذى رواه الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم يقول اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وظاهر أنه ليس فى هذا دعاء على الأحزاب وإنما هو يدعو الله الذى هزم الأحزاب أن يهزم هؤلاء وأن ينصره عليهم» فالمؤلف هنا حرف الحديث تحريفاً خطيراً .

(٢) وروى مالك فى الموطأ عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

(٣) لا ندرى كيف أتى جبريل بالريح وهل هى شىء يمسك ويؤتى به والذى فى القرآن أن الله أرسلها عليهم وهى جند من جنوده يرسلها على من يشاء بالرحمة تارة وبالعذاب تارة أخرى .

(٤) الظاهر من حديث حذيفة المتقدم أن النبى عليه السلام لم يعلم بنزول الملائكة =

ألا أبشروا ثلاثا(١) فأرسل الله عليهم الريح فهتكت القباب وكفأت القدور ودفنت الرحال وقطعت الأوتاد ، فانطلقوا لا يلوى أحد على أحد وأنزل الله تعالى ﴿ إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها ﴾ .

وأخرج ابن سعد عن ابن المسيب قال : حصر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خاص إلى كل امرئ منهم الكرب وحتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك اللهم إنك إن تشألا تعبد(٢) .

وأخرج ابن سعد عن جابر بن عبد الله قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الأحزاب يوم الأثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاءفاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين الظهر والعصر فعرفنا البشر فى وجهه قال جابر فلم ينزل بى أمر مهم غائظ إلا توخيت تلك الساعة من ذلك اليوم ، فدعوت الله فاعرف الإجابة .

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدى عن شيوخه أن عمرو بن عبد ودجعل يدعو يوم الخندق هل من مبارز ؟ فقال على بن أبى طالب : أنا أبارزه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه وقال : « اللهم أعنه عليه » ، ثم برز

= ولا بما حدث فى عسكر المشركين إلا بعد أن ارتحلوا .

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم منزله ووضع سلاحه جاءه جبريل عليه السلام يأمره بالمسير إلى بنى قريظة ويقول له أن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد .

(١) المعروف أن هذه الكلمة إنما قالها النبى عليه السلام حين نقضت قريظة العهد الذى بينها وبينه واشتد ذلك على أصحابه فقال لهم أبشروا فإن النصر قريب .

(٢) المعروف أن هذه الكلمات إنما قالها النبى عليه السلام يوم بدر كما تقدم ولا مانع أن يكون قالها هنا أيضاً إن صح الأثر .

له ودنا أحدهما من صاحبه ، وثارت بينهما غُـبْرة وضربه على فقتله وولى أصحابه هاربين .

وأخرج أبو نعيم عن عروة وعن ابن شهاب قالا : أن نعيم بن مسعود جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن قريشا تحزبوا عليه وأنهم بعثوا إلى قريظة أنه قد طال ثَوَاؤُنا(٧) وأجدب ماحولنا ، وقد أحببنا أن نعاجل محمداً وأصحابه فنستريح منه فأرسلت إليهم أن نعم ما رأيتم فإذا شئتم فابعثوا بالرهن ثم لايحبسكم إلا أنفسكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنعيم بن مسعود . « فإنهم قد أرسلوا إلى يدعوننى إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى ديارهم وأموالهم » . فخرج نعيم عامداً إلى غطفان فقال : إنى ناصر لـكم ، وقد اطلعت على غدر يهود فاعلموا أن محمداً لم يكذب قط وإنى سمعته يقول : إن بنى قريظة قد صالحوه على أن يرد إخوانهم من بنى النضير إلى ديارهم وأموالهم(٨) .

---

(١) أى إقامتنا .

(٢) المحفوظ من قصة نعيم أنه جاء إلى النبى عليه السلام فأسلم وعرض عليه المساعدة فقال خذل عنا فإن الحرب خدعة فذهب إلى قريش وقال لهم لقد جئت بنى قريظة فوجدتهم قد ندموا على ما كان من نقضهم العهد الذى بينهم وبين محمد وقد عزموا أن يرسلوا إليـكم يطلبون رهائن منكم يقدمونها إلى محمد ليرضى عنهم ثم ذهب نعيم إلى بنى قريظة وقال لهم إن قريشا ملت مقامها وإنها ستطالب إليـكم أن تعاجلوا بالحرب وإنى أخشى إذا حلت بها الهزيمة أن ترحل وتدعكم وإنى أرى أن تطلبوا منهم رهائن حتى تستوثقوا من بقائهم إلى جانبـكم ومعنى هذا أن طلب قريش من قريظة المبادرة بالحرب وطلب قريظة الرهائن من قريش إنما كان بتدبير نعيم بن مسعود نفسه وقد نفع الله بحيلته المسلمين فإن قريشاً لما طلبت من قريظة المبادرة بالحرب وردت قريظة بطلب الرهائن تأكد عند كل منها صدق كلام أبى نعيم ففت ذلك فى عضد قريش وقوى عزمها على الرجوع إلى مكة .

قال أبو نعيم فيه دلالة على أن مسلمهم وكافرهم كانوا عالمين بأن محمداً صادق لم يكذب قط .

وأخرج ابن عدى والبيهقى وابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال : كانت المودة التى جعل الله بينهم تزويج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين(٩) .

وأخرج الطحاوى أن الله حبس الشمس للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر .

وحكى النووى عنه فى شرح مسلم أن رواته ثقات .

تم بحمد الله الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى

وأوله « باب ماوقع فى غزوة قريظة من الآيات »

---

(١) لايعقل أن يقول هذا ابن عباس فإنه يعلم أن النبى عليه السلام كان متزوجاً من أم حبيبة قبل نزول الآية بزمن طويل والآية إنما تتحدث عن جعل فى المستقبل وإنما المودة هى مودة الإسلام وأخوته .

فهرست

الجزء الأول من كتاب « الخصائص الكبرى »

ص

ص

تم بحمد الله ، وجميل توفيقه ، وحسن معونته طبع الجزء الأول من كتاب « الخصائص الكبرى ، أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب » .

ويليه الجزء الثانى ، وأوله « باب ما وقع فى غزوة قريظة من الآيات » .

والله المستعان على الإتمام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وصلى الله على محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم .

غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٧
٩ يونية سنة ١٩٦٧

مدير المؤسسة
محمد على صبيح المدنى